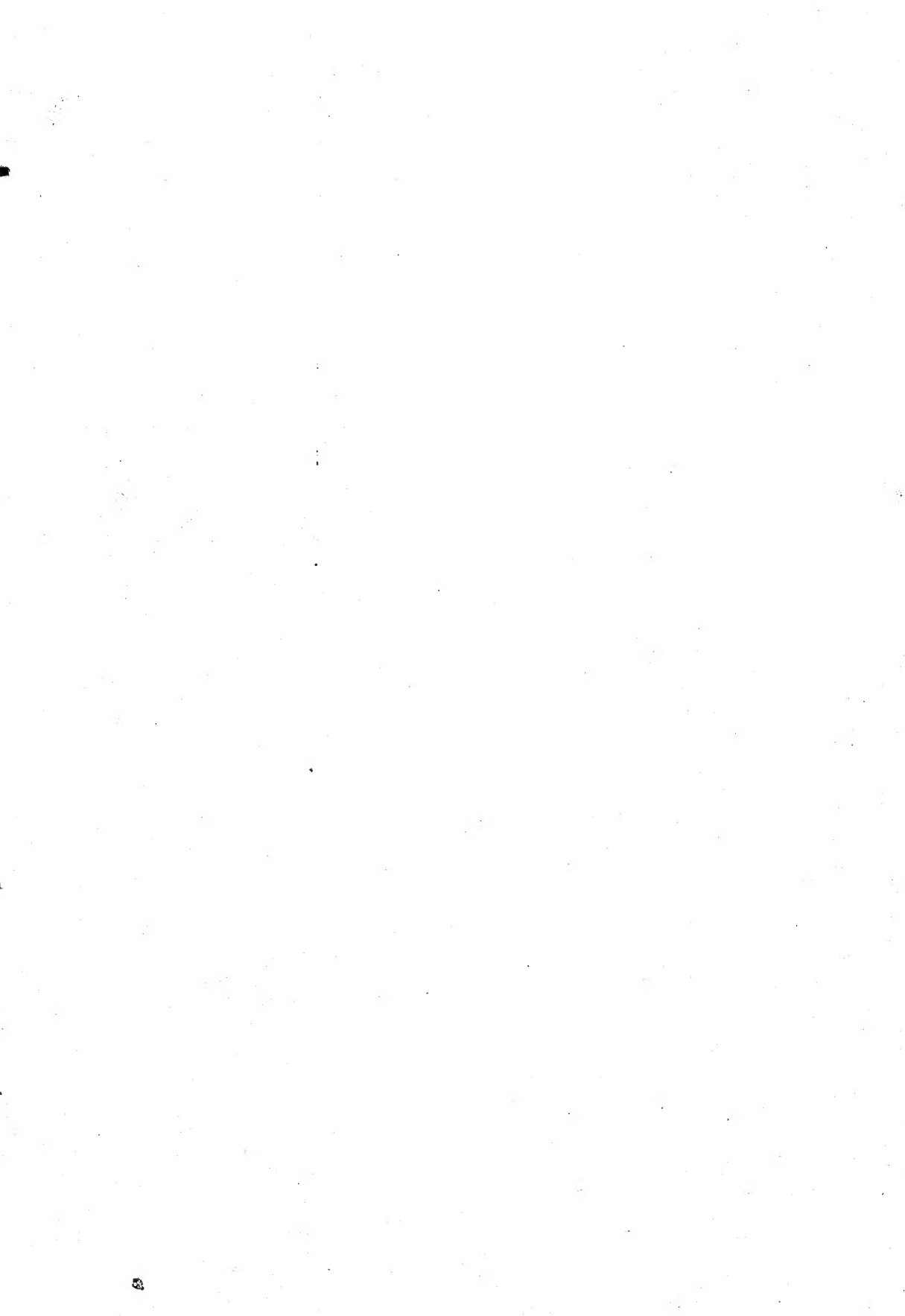


بدائع الرنهور في وقائع الدهور

الجزء الثالث



ذكر

سلطنة الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين

قايتباى المحمودى الظاهرى

٣

وهو الحادى والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر فى العدد ، أقول : وكان أصله جركسى الجنس ، جلبه إلى مصر الخواجا محمود فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، فاشتراه منه الملك الأشرف بُرسباى ، هو وعدة ممالك صغار ، فاشتراه منه ضريبة كل مملوك خمسون دينارا ، فلما اشتراه أزاله بالطبقة ، وصار من جملة المالك الكتائبية ؛ واستمرّ على ذلك حتى توفى الأشرف بُرسباى وتسلطن الملك العزيز يوسف ، فاستمرّ كتابياً إلى أن خلع من الملك وتسلطن الظاهر جقمق ، فاشتراه من بيت المال على يد حاسوك ، وصى الملك الأشرف بُرسباى ، هو وعدة ممالك كتابية ، فاستمرّ فى رقّ الظاهر جقمق حتى أعتقه ، ثم أخرج له خيلا وقاشا وصار جدارا ، ثم بقى خاصكيا ، ثم بقى دوادار سكين .

فلما توفى الظاهر جقمق وتسلطن الأشرف أينال ، فأنعم عليه بأمره عشرة فى سنة اثنين وستين وثمانمائة ، فكان بين أمرته العشرة وبين سلطنته تسع سنين وخمسة أشهر ، فأقام على ذلك إلى أن توفى الأشرف أينال وتسلطن الظاهر خشقدم ، فجعله أمير طبلخاناه ، شاد الشراب خاناه ، ثم جعله مقدّم ألف فى أواخر دولته .

فلما توفى الظاهر خشقدم وتسلطن (٩٩ ب) الظاهر يلباى ، جعله رأس نوبة النوب عوضا عن أزيك من ططخ لما بقى نائب الشام ؛ ثم بقى أتابك المسكر لما ولى الظاهر تمر بُغا السلطنة ، فجعله أتابك المساكر عوضا عن نفسه ؛ فلما وثب خاير بك على الظاهر تمر بُغا ، وجرى له ما تقدّم ذكره ، فوقع الاتفاق من المسكر

على سلطنته ، وخلع الظاهر تمرُّبُنا ، وكان القائم في ذلك طائفة الأينائية والظاهرية ؛
فلما انكسر خاير بك وطائفة الخشقدمية ، حطم الأمير يشبك من مهدى ، كاشف
الوجه القبلى ، مع جماعة من العسكر ، فلكوا باب السلسلة ، وقبضوا على خاير بك ، ٣
فتقلّب العسكر على الظاهر تمرُّبُنا وأشرف على الخلع .

ف عند ذلك طلع الأتابكى قايتباى إلى باب السلسلة ، وجلس بالمقعد الذى به ،
واشتدوا فيما يكون من أمر الظاهر تمرُّبُنا ، فلم يوافق العسكر على إبقاء الظاهر تمرُّبُنا ٦
في السلطنة ، فأرسلوا خلف أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف ، فحضر ، وحضر
القضاة الأربعة وهم : ولّى الدين الأسيوطى الشافى ، ومحب الدين بن الشحنة الحنفى ،
وحسام الدين بن حُرَيز المالسى ، وعز الدين الحنبلى ، وحضر جماعة من الأمراء . ٩
فلما تكامل المجلس ، تمّلت صورة شرعية في خلع الظاهر تمرُّبُنا من السلطنة ،
نخله الخليفة في الحال ، وباع الأتابكى قايتباى ، وتلقّب بالملك الأشرف ، قيل تولى
الملك وله من العمر نحو من خمسة وخمسين سنة ، وقد وكزه الشيب قليلا ؛ ثم ١٢
أحضروا شعار الملك ، وهى الهامة السوداء ، والجبّة السوداء التى بالطرز الذهب ،
والسيف البداوى ، فلما أرادوا أن يفيضوا عليه شعار الملك تمتّع من ذلك وبكى ،
فألبسوه ذلك الشعار غصبا ، وهو يتمتّع غاية الامتناع ؛ ثم قدّمت إليه فرس النوبة ١٥
فركب من سلّم الحراقة ، وأذن للأمير جانى بك قلّقسيز ، أمير سلاح ، بأن يحمل
الصنّجق السلطانى على رأسه ، لعدم وجود وقفد القبة والطير من الزردخانة ، فرفع
الصنّجق على رأسه وقد (١٠٠ آ) ترشّح أمره إلى الأتابكية . ١٨

فلما ركب سار ومشت قدّامه الأمراء بالشاش والقاش ، وركب الخليفة عن
يمينه ، وسار حتى طلع من باب سرّ القصر الكبير ؛ فلما طلع جلس على سرير الملك ،
وقبّل له الأمراء الأرض ، وذلك يوم الاثنين سادس رجب من السنة المذكورة ؛ ٢١
قيل لى الملك وله من العمر أربعة وخمسون سنة ، سُمع ذلك من لفظه ؛ فلما تمت
بيمته وراج أمره ، أخلع على الخليفة ونزل إلى داره ؛ ثم أخلع على المقرّ السبقى

جاني بك قُلُسيْز الأشرَف بُرسباي ، وأقرّه في الأتابكية عوضاً عن نفسه ، فنزل إلى داره في موكب حافل .

- ٣ ثم دخل يشبك من مهدى ، وتمراز الشمسى ، على الظاهر تمرُّبنا ، وأقاموه من على مرتبته ، وأدخلوه إلى قاعة البحرة ، وهو في غاية الإكرام ، ثم أخذوا منه النجاة والترس والدواة وأحضروهم بين يدي الأشرَف قايتباي ؛ ثم إن السلطان قايتباي رسم بتقييد خاير بك ، فقيده هو وابن العيني ، وأدخلوها إلى مكان بالقرب من القصر الكبير ، وأدخلوا معهما عبد الكريم مهتار الظاهر خشقدم ، وهذا أول حكم وقع للأشرَف قايتباي ؛ ثم ضربت له البشائر بالقلعة ، ونودى باسمه في القاهرة ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الخاص والعام ، وفيه يقول الشهاب المنصوري :

سلطاننا الأشرَف في بذله وعدله قد جمع الفضلا

تقبّل الله الذي عزّه بالنصر منه الصرف والعدلا

- ١٢ وكان لما أراد أن يلبس شعار الملك ، أشرط على العسكر أنه ما ينفق عليهم نفقة البيعة ، فرضوا بذلك ، فلما تسلطن لم ينفق على العسكر شيئاً . - ثم إن السلطان أخذ في أسباب القبض على أعيان الخشقدمية ، فقبض على كسباي الدوادار الثاني ، وقد ظهر من بيت يشبك من مهدى ، وقبض على مغلباي ورسم بإخراجه إلى نحو القدس ، يقيم بها بطالا ، ورسم بإخراج كسباي إلى حلب ، (١٠٠ ب) واختفى خشكلدي البيسقي ؛ ثم صار في كل يوم يقبض على جماعة من الخشقدمية ، ويشتت شملهم ، ويسجنهم بالقلعة ، ما بين أمراء وخاصكية .

- ثم إن السلطان رسم بإحضار قرقاس الجلب من دمياط ، وإحضار جماعة من الأشرَفة ، منهم : بييرس خال الملك العزيز ، ومنهم جاني بك المشد ، وبييرس الطويل ، وكانوا بالقدس ، ثم أشار بعض الظاهرية على السلطان بموّد هذه الجماعة الأشرَفة إلى القدس على عادتهم ، فخرج الأمر من السلطان بأن يعادوا إلى القدس ، بعد ما كانوا قد وصلوا إلى قطيا فمادوا إلى القدس .

وفي ثامن هذا الشهر رسم السلطان بإخراج الظاهر تمرُّبًا إلى ثغر دمياط ،
فخرج وهو في غاية العزِّ والإكرام ، من غير تقييد ، وقد رفق به ؛ وكان السلطان
يرسل إليه في كل يوم أسمطة خافلة وهو بالبحرَة ، وعند ما خرج للسفر اجتمع به ٣
السلطان واعتذر إليه في أمر السلطنة ، وأن ذلك لم يكن باختياره ، وكان على كُره
منه هذه السلطنة ، وكان بين تمرُّبًا وبين قايتبای إيمان عظيمة بأنه لا يغيره ولا
يتسلطن ، فلم تتم هذه الإیمان ؛ ثم إن السلطان ودَّع الظاهر تمرُّبًا ونزل من القلعة ٦
وهو راكب على فرس من مركوب السلطان ، ونزل من باب القرافة بعد العشاء ،
وتوجّه إلى ساحل البحر ، ونزل في الحرّاقة ، وانحدرت به الحرّاقة وتوجّه إلى ثغر
دمياط ؛ فلما وصل إلى دمياط سكن في أحسن دورها ، وكان يركب إلى صلاة الجمعة ، ٩
واستمرّ بدمياط إلى أن كان من أمره ما سنذكره في موضعه .

وفيه أشار بعض الظاهرية على السلطان بأن يطلق من كان سجنه من
الخشقدمية . - ثم إن السلطان أخذ في أسباب مصادرة خاير بك الذي تسلطن ، ١٢
وابن العيني ، فطلب من خاير بك نحو (١٠١ آ) من ستين ألف دينار ، خارجا عن
بركه وخيوله وسلاحه وغير ذلك ؛ وعلى ابن العيني نحو من مائتي ألف دينار ، خارجا
عن بركه وسلاحه وغير ذلك . ١٥

وفيه عمل السلطان الموكب ، وأخلع على من يُذكر من الأمراء ، وهم : بُرد
بك هجين وقرّر في أمرة السلاح عوضا عن قنبك المحمودى المؤيدى ، وأخلع على
يشبك من مهدى وقرّر في الدوادرية الكبرى عوضا عن خاير بك الذي تسلطن ، ١٨
ولما حضر قرقاس الجلب من دمياط أخلع عليه وقرّر في أمرة مجلس عوضا عن ابن
العيني ، وكان قرقاس الجلب لما نُقِيَ إلى الإسكندرية أمير سلاح ، فنزل درجة
لأسفل ، وقرّر في الدوادرية الثانية فان بردى الإبراهيمى الأينالى عوضا عن كسباى ٢١
الخشقدى ، وقرّر في ولاية القاهرة قانى باى الحسنى الأينالى عوضا عن أصباى
البواب الخشقدى ؛ وأنعم على قراجا الطويل الأينالى بتقدمة ألف ، وعلى ترماز
الشمسى الأشرقى بتقدمة ألف ؛ ثم إن بعض الأمراء شفع في الناصرى محمد بن ٢٤

الأتابكي جرباش كُرت ، وكان مقبلاً بدمياط من حين نفاه الظاهر خُشقدم في واقعة يرش مملوك جاني بك نائب جدّة ، وقد تقدم ذكر ذلك ، فلما حضر أخلع عليه كالملية بصمّوز ونزل إلى داره . ٣

وفيه أخذ السلطان في أسباب تعيين تجريدة إلى شاه سوار بن ذلغادر ، وقد تقدّم ما وقع منه في أيام الظاهر خُشقدم ، وقد قويت شوكته والتفّ عليه عسكر ثقل من التركمان وغيرهم ، وقد أظهر العصيان والمخامرة ، نفّس السلطان من أمره وأراد أن يأخذ أموره بالقوّة ، وكان يمكنه أن يرسل إلى سوار خلعة وهدية وتُحمد هذه الفتنة ، فلم يوافق على ذلك ، وأخذ الأشياء بالعتسرة ، فعين له تجريدة ثقيلة ، وعين بها من الأمراء الأتابكي جاني بك قلقسيز ، وُرد بك هجين أمير سلاح ، وناق رأس نوبة (١٠١ ب) النوب ، وتمر حاجب الحجاب ، وعدّة أمراء طبلخانات وعشرات ، وعدّة وافرة من الجند ، والغالب فيهم من الماليك الخشقدمية ، وقصد السلطان بذلك عوضاً عن تفهم . ١٢

وفيه عمل السلطان الموكب وأخلع على من يذكر من الأمراء ، وهم : جاني بك الفقيه الظاهري وقرّر في الأمير آخورية الكبرى عوضاً عن بُرد بك هجين ، وقرّر في الأمير آخورية الثانية يشبك جن عوضاً عن جاني بك الفقيه بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية الكبرى ، وقرّر في حسبة القاهرة قانصوه الخسيّف الأينالى عوضاً عن طراباى الخشقدمى ، وقرّر ثانى بك قرا الأينالى تاجر الماليك ، وأنعم عليه بأمرّة عشرة . ١٥

وفيه رسم السلطان بإخراج خاير بك الذى تسلطن ، وقد سمّته العوام سلطان ليلة ، فخرج تحت الليل وهو مقبّد ، راكب على فرس ، والأوجاق يردفه وفي يده خنجر على جارى العادة ، فلما وصل إلى شاطئ البحر نزل في الحرافة وانحدر حتى وصل إلى ثغر الإسكندرية ، فسجن بها ، ورجع من كان معه من الأينالية متسفرّاً عليه ، وبه زالت دولة الخشقدمية كأنها لم تكن ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير . ١٨

وفيه نودى من قبل السلطان بإبطال المشاهرة التى تتعلق بالاحتسب ، وهى نحو ٢١

من ألف دينار في كل شهر ، فبطل ذلك مدة يسيرة ، ثم عاد بعد ذلك كل شيء على حاله .

- وفيه ابتداء السلطان بفرقة الأفاطيع على الجند ، وكان أكثرهم من الأينالية ،
 وأمر منهم جماعة كثيرة حتى رضوا ، وكان قصدهم إثارة فتنة واتفقوا مع الخشقدمية
 على ذلك ، ثم غلب سعد الأشرف قايتباي على ما قصدوه وخمدت تلك الفتنة . -
 وفيه قرّر في أتابكية دمشق شاد بك الجلباني عوضا عن شرا مرد العثماني ، بحكم
 القبض عليه . - وفيه وصل سودون البرق من دمشق بغير إذن من السلطان ، وكان
 عُيّن من جملة المقدمين الألوف (١٠٢ آ) بمصر ، فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف ،
 وعُيّن للتجريدة ، وكان مريضا فأعفى من السفر ، وأقام بمصر مدة ومات . -
 وفيه حضر أزدمر الإبراهيمي الطويل الأينالي ، وكان مسجوناً بقلعة دمشق ، فلما
 حضر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف ، وقد صار يدارى الأينالية أيّ مداراة .
 وفيه عرض المسكر بسبب تجريدة سوار ، واستمرّ جالسا على التكة وهو
 يمرض ويكتب إلى قريب المصر ، ثم ضيق على أولاد الناس وألزمهم بالسفر إلى
 سوار ، أو يقيموا لهم بديلا ، فصار يأخذ من كل ابن ناس مائة دينار عوضا عن
 البديل إلى السفر ؟ وقرّر على جماعة من المباشرين جملة مال ، وأمرهم بإحضاره سرعة ،
 ليستعين بذلك على نفقة من تعيّن للسفر من المسكر ؟ فهذه أول شدة وقعت منه
 في حق الناس ، واستمرّ هذا الأمر منه يتزايد في كل يوم حتى جاوز الحد في ذلك ،
 وكان ما سنذكره في موضعه .

- فلما تكامل حضور المال حملت النفقات للأمراء المعيّنين للسفر ، فحمل للأتابكي
 جاني بك قلقيسز أربعة آلاف دينار ، ثم حمل لبقية الأمراء المقدمين لكل واحد
 ثلاثة آلاف دينار ، وللأمراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار ، وللأمراء
 المشرات لكل واحد مائتا دينار ، ونفق على الجند لكل مملوك مائة دينار ؟ وهذا
 على العادة القديمة الجاري بها العادة ، فلما تزايد أمر التجاريد تضاعفت النفقات جدا ،

حتى بلغت نفقة الأتابكي أربك من طُطُخ نحواً من ثلاثين ألف دينار في كل سفرة ،
على ما سيأتى ذكر ذلك في محله .

٣ وفي شعبان أخلع السلطان على يشبك السيفى على باى وقرّر في نيابة قلعة دمشق ،
وقرّر في حجوية الحجاب بدمشق إبراهيم بن بيغوت ، وقرّر (١٠٢ ب) في نيابة
٦ قلعة حلب تمرى أخو الماس . - وفيه أحضر السلطان الشهابى أحمد بن العيى بين
يديه في الدهيشة ، ووجّه بالكلام بسبب ما قرّر عليه من المال الذى لم يُردّ منه شيء ،
فبطحه على الأرض بالدهيشة وقام إليه وتولى ضربه بيده ، فضربه نحواً من عشرين
عصاة ، حتى شقّ كعبه وأدى ، فأغى عليه ، فشفّع فيه بعض الأمراء ، فتوجهوا به
٩ إلى طبقة الزمام ، فأقام بها أياماً ، ثم تسلّمه الأمير يشبك من مهدى أمير دودار كبير ،
فنزّل به إلى داره ليردّ ما قرّر عليه من المال .

وكان ابن العيى لما قرّر في أمرة مجلس ونزل من باب السلسلة سكن في بيت
١٢ جاني بك نائب جدّة الذى في قناطر السباع ، فلما انكسر خاير بك وزال أمر
الحشقدمية نهىوا بيت ابن العيى عن آخره ، حتى قيل ذهب له من البرك والقماش
أشياء بنحو خمسين ألف دينار ؛ وكان ابن العيى ماشياً على طريقة أولاد السلاطين ،
١٥ حتى أطلق عليه عزيز مصر ، وربما تعصّب له بعض جماعة من الحشقدمية بأن يتسلطن
بعد خلع الظاهر يلباى من السلطنة ، فلم يتمّ ذلك ، وقد لطف الله به حيث لم يتسلطن ،
فكان يقضى عمره كله في السجن والقيّد إلى أن يموت ، انتهى ذلك .

١٨ وفي يوم الاثنين ثانى عشره خرج الأمراء والعسكر المعين للتجريدة ، فكان لهم
يوم مشهود ، وهذه أول تجريدة خرجت من مصر إلى شاه سوار ، فكانوا نحواً من
عشرين أميراً ما بين مقدمين ألوف وطبلخانات وعشرات ، ومن الجند فوق الألف .
٢١ مملوك ؛ ثم ليالى السفر نفق على كل مملوك جامكية أربعة شهور معجلاً ، وصرف لهم
الكسوة ، وأعطى لكل واحد جملاً وأرضى المسكر بكل ما يمكن .

(١) ثلاثين : ثلاثين ، وقد صححت هكذا فيما يلى من المتن . (١٢) الذى : التى .

(٢٠) مقدمين : كذا في الأصل . (٢٢) جملاً : جل .

وفيه ركب السلطان ونزل إلى الميدان ودار حول القلعة ، فلما عاد طلع من باب السلسلة ، وهذا (١٠٣ آ) أول ركوبه ونزوله من القلعة وهو سلطان ، ثم تكرر ركوبه من بعد ذلك ليلا ونهارا حتى خرج في ذلك عن الحد ، حتى ترك بعض ٣ المؤرخين ضبط ركوبه ونزوله من القلعة ولم يحص ذلك ، بعد أن كان ركوب السلطان نادرة مما تؤرخ في التواريخ القديمة .

وفيه اختفى الوزير قاسم شُفَيْتة ، فلما اختفى أخلع السلطان على عبد القادر ناظر الدولة بالتحدث في الوزارة ، حتى يقرر بها من يختار . - وفيه قرر دمر داش العثماني في نيابة القدس عوضا عن محمد بن حسن بن أيوب ، وقرر في نظر القدس بُرد بك التاجي عوضا عن حسن التيمي . - وفيه أخلع السلطان على شاهين الجمالي ٩ وقرر في نيابة جدة ، وقرر أبو الفتح النوفى ، موقع السلطان وهو أمير ، في نظر جدة مستوفيا على شاهين .

وفيه أفرج السلطان عن الشهابي أحمد بن العيني وأخلع عليه كالمية بصمور ونزل ١٢ إلى داره ، وقد تحفظ أمره بواسطة الأمير يشبك الدوادر ، والتزم ابن العيني بأن يرد في كل شهر عشرين ألف دينار من الذهب النقد ، فكان جملة ما أورده للخزائن الشريفة من الذهب النقد مائة ألف دينار وتسعة وتسعين ألف دينار ، وذلك خارجا ١٥ عن بركة وغلالة وخيوله وجماله ورزقه وإقطاعاته ومراكبه ومماليكه وغير ذلك ، ما يساوى نحو من مائة ألف دينار ، فكان مجموع ما أخذ منه نحو من ثلاثمائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وكان السلطان قد صمم على أن يأخذ منه ألف ألف ١٨ دينار ، خارجا عن تملقانه وجهاته ، وهذه من النوادر الغريبة التي جمع ابن العيني هذه الأموال الجزيلة في دون الأربع سنين ، منذ قرر في التقديم إلى أن قبض عليه ، وعد ذلك من النوادر . ٢١

وفيه ركب (١٠٣ ب) السلطان ونزل إلى القرافة وزار الأولياء ، وعاد من على قناطر السباع ، فدخل إلى دار سودون البرق وعاده من مرضه وأقام عنده ساعة ، ثم ركب وطلع إلى القلعة . - وفيه أخرج السلطان جماعة من الممالك الخشقدمية إلى ٢٤

- جهة الوجه القبلى مع الكشاف وغيرهم ، كما كان عادة المالك الأبنالية . - وفيه قرّر
بيبرس الأشقر فى أنا بكية صفد . - وفيه توفى سودون البرق ، وكان يعرف بالشمسى ،
٣ وكان أصله من ممالك الظاهر جقمق ، وقاسى محنا وشدائد ، ونُنى واختفى ، وكان
إنسانا حسنا ، وعند ما بقى مقدّم ألف مات فى سنته . - وفيه أخلع السلطان على
الصاحب شمس الدين محمد والد الصاحب علاى الدين الأهناسى ، وقرّر فى الوزارة
٦ عوضا عن قاسم شفيتة ، وقرّر ولده محمد فى نظر الدولة عوضا عن عبد القادر الطويل .
وفى رمضان أشيع بأن فُقد من خزانة السلطان نحو من عشرين ألف دينار ،
فظهر أن خوند سورباى وسرارى الظاهر خشقدم قد سرقوا ذلك ، فرسم السلطان
٩ على خوند سورباى ، وأقامت فى الترسيم مدّة حتى أَرْضَت السلطان . - وفيه وصل إلى
الأبواب الشريفة السيد على بن بركات الحسنى ، وقد غضب من أخيه محمد أمير مكة ،
فلما طلع إلى القلعة أكرمه السلطان وأخلع عليه ، واستمرّ مقيما بمصر ، ورتّب له
١٢ ما يكفيه إلى أن مات بعد مدة طويلة ؛ وكان السيد محمد أمير مكة أرسل للسلطان
ستين ألف دينار على أنه يعوّق السيد على عنده بمصر ، حتى لا يقيم فتنه بمكة .
وفيه ركب السلطان ونزل إلى القرافة وزار الإمام الشافى والإمام الليث رضى
١٥ الله عنهما ، ثم سار إلى بركة الحبش ولعب بالكُرّة ، ثم عاد إلى القلعة ، وأخلع على
تانى بك المعلم كاملية بصمّور وقد أعجبه ضربه للأكرّة . - وفيه ختم البخارى بالقلعة ،
وهو أول بخارى ختم للسلطان ، وكان يوما مشهودا (١٠٤ آ) وحضر القضاة
١٨ الأربعة وأعيان العلماء ، وفرقت الصرر على من له عادة ، وكذلك الخلع فرقت على
أعيان العلماء ، وكان ختما حافلا .
وفى شوال وقعت غلوة خفيفة بالقاهرة ، وتشجّطت الغلال وارتفع سعرها ،
٢١ فاستكعب الناس بالسلطان ، وصار إذا شقّ من القاهرة يسمّوه الكلام المنكى . -
وفيه توّعك السلطان وانقطع عن الموكب أياما ، ثم شفى ، فأقيمت الخدمة بالقصر
لأجل خروج الحاج . - وفيه قدم جاني بك حبيب من بلاد الروم ، وكان هاربا من
(٣) معنا : عن . (١٧) يوما مشهودا : يوم مشهود ، وقد صححت هكذا فيما بلى من المتن.

أيام الظاهر خشقدم ، فتوجّه إلى بلاد ابن عثمان ، فلما حضر أكرمه السلطان وأخلع عليه ، وبعث إليه الأمير يشبك الدوادار بألف دينار لترقع أحواله .

وفيه جاءت الأخبار بوفاة نظام الدين بن مُفلح قاضى القضاة الحنبلى بدمشق ، ٣
وكان من أهل العلم . - وفيه صعدت إلى القلعة زوجة السلطان خوند فاطمة بنت
العلاى على بن خاص بك ، فكان لها يوم مشهود عند طلوعها إلى القلعة ، وحولها
نساء الأمراء ، وأرباب الدولة وأعيان الخدّام حول محفّتها مُشاة ، وكانت مقيمة ٦
بدار السلطان التى بسوق الغنم إلى أن طلعت إلى القلعة فى ذلك اليوم .

وفى ذى القعدة جاءت الأخبار بأنّ المسكر الذى توجّه إلى شاه سوار قد انكسر
كسرة شنيعة ، وأسر الأتابكى جاني بك قُلّسيز ، وقتل جماعة من الأمراء ، ومن ٩
الجند ما لا يحصى ، وكان غالب المسكر من المماليك الخشقدمية ؛ فقتل من الأمراء
المقدمين الأمير بُرد بك هجين الحمدي الظاهري أمير سلاح ، وكان أصله من مماليك
الظاهر جقمق وكان عارفا بأنواع الفروسية ؛ وقتل نائق الحمدي الظاهري رأس ١٢
نوبة النوب ، وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق ، وكان لا بأس به ؛ وجرح
الأمير تمر حاجب الحجاب فى وجهه .

وأما من قتل من الأمراء العشرات ، منهم : أيديكى الأشرقى ، وأسنبغا من ١٥
صفرخجا المؤيدى نائب باب القلعة ، وتمر باى الساقى الأشرقى ، وتمر باى قزل الظاهري ،
وتانى بك السيفى جاني بك الثور وجاني بك البواب المؤيدى ، وقانى باى الأشرقى ،
(١٠٤ ب) وقانصوه النوروزى ، وقُطلوباى المحمودى الأشرقى العزيزى ، ومُغلباى ١٨
الجلبى الأشرقى ، ويشبك القرى الظاهري ، ويشبك الأشقر ، قيل إنه فجر على سوار
فضرب عنقه بين يديه ؛ وأما من قتل من الخاصكية والمماليك السلطانية ، فاضبطوا ؛
وقد نُهب برك الأمراء والمسكر قاطبة ، والذى سلم دخل إلى حلب وهو فى أسوأ حال ٢١
من العرى والمشى ؛ وقد قوى أمر سوار ، وتوجّه إلى عينتاب وحاصر قلعتها وملك
البلاد ، وأشيع بين الناس أن ابن عثمان ملك الروم أرسل نجدة من عسكره إلى سوار .
وفيه جاءت الأخبار من البحيرة بأنّ العربان قد تحالفوا على الخروج عن طاعة ٢٤

السلطان ، فوثبوا هناك وأحرقوا الجرون ونهبوا بلاد المقطعين ؛ فلما بلغ السلطان ذلك عيّن لهم تجريدة بها عدّة من الأمراء ، وعيّن تجريدة إلى الشرقية ، وتجريدة إلى الوجه القبلي بسبب أولاد ابن عمر ؛ ثم أخلع على شيخ العرب صقر وقرّر في مشيخة عربان البحيرة ، ثم عزل خشقدم كاشف البحيرة وولّاهما لمحمد الصغير ؛ فلما وردت أخبار كسرة العسكر على يد سوار اشتغل السلطان بذلك عن كل شيء ، ودمه هذه الأمور الشنيعة عن التجاريد التي عيّنها .

وفيه ابتدأ السلطان بوقوع المساوي منه ، فأخرج قرية إنابة عن الخليفة المستنجد بالله يوسف ، وكانت بيده من حين تسلطن المؤيد أحمد بن الأشرف أبنال ، وكان أقطمها له لما تسلطن ، فأخرجها السلطان عنه باسم جاني بك حبيب ، ثم بعد مدة يسيرة أخرج عنه أيضا جزيرة الصابوني وأقطمها لبعض مماليكه ، فعدّ ذلك من مساوئه .

وفيه وصل قانصوه الجلباني الحاجب الثاني بدمشق ، وعلى يده مكاتبة أزيك نائب الشام ، يخبر فيها بكينة كسر العسكر ودخولهم إلى حلب وهم في أسوأ حالة ، وأن أزيك نائب الشام دخل إلى (١٠٥ آ) حلب وهو مجروح في وجهه ، وليس له برك ولا قاش ولا ممالك ، ودخل نائب حلب ونائب طرابلس على هذا الوجه ، ودخل غالب العسكر عراية مشاة ، وكانت هذه الواقعة في يوم الاثنين سابع ذي القعدة ؛ فلما وردت هذه الأخبار ماجت القاهرة وحرار السلطان في أمره ، وما كان يظن سوار يقوى على العسكر مع كثرته ؛ ثم جاءت الأخبار عقيب ذلك بأن الأتابكي جاني بك قلعسيز سجنه سوار في جبّ ، وأن عسكر سوار قد تقوى بما نهبه من العسكر من خيول وسلاح وبرك ، وقد عزم سوار بأن يزحف على حلب . فلما تحقّق السلطان ذلك أمر بمقد مجلس بالقلمة ، فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الأربعة ، وهم : ولي الدين الأسيوطي الشافعي ، ومحب الدين بن الشحنة الحنفي ، وحسام الدين بن حرير المالكي ، وعز الدين الحنبلي ، وحضر شيخ

الإسلام أمين الدين يحيى الأنصاري ، وجماعة من مشايخ العلماء ، وحضر سائر الأمراء ، وكان هذا المجلس بالحوش السلطاني .

- ٣ فلما تكامل المجلس قام القاضي كاتب السر أبو بكر بن مزهر ، فتكلم عن لسان السلطان ووجه الخطاب إلى الخليفة والقضاة ومشايخ العلم ، بما معناه من كلام طويل ، بأن بيت المال مشحوت من المال ، وأن سوار الباغي قد استطال على البلاد وقتل العباد ، وأن لا بد من خروج عسكر ليحمي بلاد السلطان ، وأن العسكر يحتاج إلى ثقة وليس في بيت المال شيء ، وأن كثيرا من الناس مهمهم زيادات في أرزاقهم ووظائفهم ، وأن الأوقاف قد كثرت على الجوامع والمساجد ، وأن قصد السلطان يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ويدخل الفائض إلى الذخيرة ؛ قال الخليفة وقضاة الجاه إلى شيء من معنى الإجابة إلى ذلك .

- فبينما هم على ذلك إذ حضر شيخ الإسلام أمين الدين الأنصاري الخفي ، وكان قد (١٠٥ ب) تأخر عن الحضور ، فأرسل السلطان خلفه ، فلما حضر أعاد عليه ١٢ كاتب السر الكلام الذي وقع في أول المجلس ، فلما سمع هذا الكلام أنكره غاية الإنكار ، وقال في الملأ العام من ذلك المجلس : لا يحل للسلطان أخذ أموال الناس إلا بوجه شرعي ، وإذا نقد جميع ما في بيت المال ينظر إلى ما في أيدي الأمراء ١٥ والجنود وحلّي النساء ، فيأخذ منه ما يحتاج إليه ، وإذا لم يوف بالحاجة ففي ذلك ينظر في المهم ، إن كان من الضروري في الدفع عن المسلمين حلّ ذلك بشرايط متعدّدة ، وهذا هو دين الله تعالى إن سمعت أجرك الله على ذلك ، وإن لم تسمع فاقفل ١٨ ما شئت ، فإننا نخشى من الله تعالى أن يسأئلنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتوه عن ذلك وأوضحتموه الحق ؟ ولكن السلطان إذا أراد أن يفعل شيئا يخالف الشرع ليش يجمعنا ؟ ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله مؤنة هذا الأمر كله ؛ ثم قام . ٢١ فانجبه منه السلطان ، وانفض المجلس من غير طائل ، وكثر القال والقليل ، وشكر الأمراء الشيخ أمين الدين على ذلك ، وغالب الناس ، وكثر الدعاء في ذلك
- (٥) مشحوت : مشحوتا . (١٩-٢٠) نهيتوه ... وأوضحتموه : كذا في الأصل .

اليوم للشيخ أمين الدين ، وعدّه هذا المجلس من النوادر ، ثم إن السلطان نادى للجند بالعرض ، وأخذ في أسباب خروج تجريدة .

٣ فلما أن دخل الدهيشة وهو في غاية الحدة من الشيخ أمين الدين الآقصرای ، وإذا بالأخبار جاءت إليه من ثغر دمياط بفرار الظاهر تمرّبنا من دمياط ، وأن شيخ العرب محمد بن مجلان وعيسى بن سيف أنزلوه في مركب ، وطلعوا به من الطينة ، وقصدوا به التوجّه إلى حلب ؟ فلما تحقّق السلطان ذلك اضطربت أحواله ، وضاق الأمر عليه من كل جانب ، ونسى ما كان فيه من أمر سوار ، وعرض المسكر ، ثم زاد القال والقيل في أمر الظاهر تمرّبنا ، فمند ذلك عيّن السلطان الأمير يشبك الدوادار بأن يخرج ويلاق الظاهر تمرّبنا من غزّة ، فخرج على جرايد الخيل مسرعا ؛ ثم إن السلطان نادى في القاهرة بأن أحدا لا يخرج من داره من بعد صلاة العشاء ، ولا يحمل (١٠٦ آ) السلاح ولا يكثر من الكلام ، وحصل للناس في تلك الأيام غاية القلق . ١٢

وفي هذا الشهر قرّر في قضاء الشافعية بدمشق قطب الدين الخيضرى عوضا عن ابن الصابوني ، مضافا لما بيده من كتابة السرّ ، ثم قرّر في نظر الجيش البدرى بن المزلق عوضا عن ابن الصابوني أيضا بحكم القبض عليه . - وفيه جاءت الأخبار بأن سبع وسبّاع ، ولدى هجار ، وثبا على النيابة ، وكان قد خرج إليهما السيد على ابن بركات ، أخو صاحب مكة ، فكسروه ، وهذا أول فتنة الينبع .

١٨ وفيه عيّن السلطان تجريدة إلى سوار ، وهي التجريدة الثانية ، فعين بها من الأمراء قرّقاس الجلب أمير مجلس باش العسكر ، وسودون القصوى ، وقراجا الطويل الأينالى ، وأزدمر الطويل الأينالى ، وعيّن عدّة أمراء طبلخانات وعشرات ، وعيّن من الجند فوق الألف مملوك . - وفيه جاءت الأخبار بأن سوار قد أطلق الأتابكي جاني بك قلقسيز ، وقد وصل إلى قريب حلب . - وفيه جاءت الأخبار بقتل سبع وسبّاع ولدى هجار أمراء الينبع ، وقد وقعت فتنة عظيمة بالينبع بين

- خنافر وبينهما حتى قتلها ، وكان سبع وسبع حصل منهما الضرر الشامل .
- وفى ذى الحجة توفى شخص يسمى عصام الدين البخارى الحنفى ، وكان من أهل العلم ، وكان أكثر إقامته بدمشق ، وأُسفل في دمشق جماعة على مذهب الحنفية ،^٣
- وكان من الأفاضل . - وفيه جاءت الأخبار من غزّة بأن أرغون شاه الأشرقى قد قبض على الظاهر تمرُبنا ، فلما وصل الأمير يشبك إلى بلبس تلقاه وحمله في محفة وتوجّه به من هناك إلى ثمر الإسكندرية من غير تقييد ؛ ثم إن السلطان رفق به^٦
- فلم يسجنه ، ورسم له بأن يسكن بدار الملك العزيز التى بالإسكندرية ، وأن يركب إلى صلاة الجمعة والعيدين ؛ ثم إن الظاهر تمرُبنا كتب إلى السلطان كتابا بخط يده ، وقال فيه : الملوك تمرُبنا يقبل الأرض وينهى ، وأرسل يمتدّر إليه مما وقع منه^٩
- بسبب (١٠٦ ب) تسحب من دمياط ، واعتذر بأنه قصد التوجّه إلى شاه سوار ليصلح بينه وبين السلطان ، ويحمد هذه الفتنة ، فكان كما قيل فى المعنى :
- إذا كان وجه العذر ليس بواضح فإن اطراح العذر خير من العذر^{١٢}
- وكان الظاهر تمرُبنا أرسل ، قليل الحظّ ، معكوس الحركات فى أفعاله ، ليس له سمد ولا قسم ، كما يقال فى المعنى :
- دع التمرّض إن الأمر مقدور وليس للسمى فى الإدراك تأثير^{١٥}
- والمرء يمجّز عن تحصيل خردلة بالسمى إن لم تساعده المقادير وقال آخر :
- وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى طرّاً فلا تعتب على أولاده^{١٨}
- وفيه وصل أرغون شاه نائب غزّة ، وعلى يده محضر بأنه سلّم الظاهر تمرُبنا إلى الأمير يشبك الدوادار ، وتوجّه به من بلبس إلى الإسكندرية ، وكان أرغون شاه قبض على تمرُبنا لما طلع من الطينة ؛ فلما حضر أرغون شاه بين يدى السلطان^{٢١}
- شكره على ذلك ، وأخلع عليه خلعة حافلة ، وأركبه فرس بسرج ذهب وكنبوش ، فعزّ ذلك على جماعة الظاهرية ، لكونه قبض على تمرُبنا ، وما كان هذا قصدهم .
- وفيه ترايد سعر القمح وانتهى إلى سبعمائة درهم كل أردب ، ففتح السلطان شونة^{٢٤}

- وباع منها بأقل من سبعمائة ، فحصل للناس بذلك بعض رفق . - وفيه ثارت المالك بالقلعة ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة ، وكادت أن تكون فتنة كبيرة ، وسبب ذلك تأخر الوزير عن حمل اللحم المرتب والخبز . - وفيه قبض السلطان على صاحب شمس الدين محمد والد صاحب علاي الدين الأهناسي ، ووكل به بطبقة الزمام . وفيه توقف النيل عن الزيادة ثلاثة أيام ، (١٠٧ آ) حتى قلق الناس لذلك ، وزاد سعر القمح ، ثم بعث الله تعالى بالزيادة حتى حصل الوفاء .
- وفي توفى الشيخ تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي الشمني القسطيني ثم السكندري الحنفي ، وكان إماما عالما فاضلا خيرا دينيا ، عارفا بالفقه والأصول ، وله تصانيف وتآليف في فنون العلم ، أجازله البلقيني وابن الملتن والعراق وغير ذلك من العلماء ، وكان عينا للقضاء الأكبر غير مارة وهو يمتنع من ذلك . وفيه قبض على شخص سرق ستر الإمام الليث بن سعد رضي الله عنه ، فرسم السلطان بقطع يده ، فشهر وقطعت يده . - وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن أسد بن عبد الواحد السيوطي ثم السكندري الشافعي ، وكان عالما فاضلا بارعا في العلم ، عارفا بالقراآت بالروايات السبع ، ومولده سنة ثمانمائة . - وفيه أفرج عن صاحب شمس الدين الأهناسي ، وأخلع عليه بإعادته إلى الوزارة ، وصرف ولده محمد عن نظر الدولة .
- وفيها جاءت الأخبار بوفاة أبي القاسم بن جهان شاه صاحب كرمان ، وكان لا بأس به ، ولي على كرمان بعد أبيه ؛ وجرى عليه أمور شتى ، وآخر الأمر قتل . - وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد الواسلي التونسي المالكي ، وكان عالما فاضلا من أكابر علماء تونس ، وعاش نحو من سبعين سنة . - وتوفى فيها من الأتراك قانسو خوني الأشرقي ، أحد مقدمين الألوف بدمشق . - وتوفى قراكرز العثماني ، المعروف بحمار ،
- (٢١) مقدمين : كذا في الأصل . وقد تركت هكذا فيما يلي من المتن محافظة على أسلوب المؤلف ، مع الإشارة إليها .

- الخاصكى الظاهرى ، وكان لا بأس به . - وتوفى فارس أبو شامة المؤيدى الخاصكى . -
وتوفى طوغان ميق العمرى المؤيدى ، أحد الأمراء العشرات .
- ٣ وتوفى صاحب طرابلس الغرب . - وفى أواخر هذا الشهر توفى القاضى علم الدين أبو الفضل بن جلود كاتب الممالك ، وكان أصله من الأقباط يسمى ابن إسحق وكان (١٠٧ ب) من أعيان المباشرين ورأى من المزمّ والمظمة غاية ، انتهى ذلك .
- ٦ وخرجت هذه السنة وقد وقع فيها من الفتن والشور والآنكاد ما لا يكاد أن يضبط ، وقتل فيها من الأمراء والمسكر ما لا يحصى ؛ وتولى فيها ثلاثة سلاطين ، بل أربعة بخير بك سلطان ليلة ؛ وتوفى فيها الظاهر خشقدم ، وتبدّد شمل جماعة الخشقدمية وزالت دولتهم ؛ ووقع فيها غاية الفساد فى البلاد الحلبية بسبب عصيان شاه سوار ، وقد تقدّم ما جرى منه من الضرر فى حقّ المسكر .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة

- ١٢ فيها فى المحرم صعد القضاة للتهنئة بالعام الجديد ، فأمر السلطان بعقد مجلس بسبب مشترى ممالك الظاهر خشقدم ، فاشتري من الممالك الكتائبية نحواً من خمسمائة مملوك ، ضريبة كل مملوك عشرة آلاف درهم ، وقد طمع فى حقّ أولاد الظاهر خشقدم . - وفيه أخلع السلطان على عبد الكريم بن علم الدين بن جلود ، وقرّره فى كتابة الممالك عوضاً عن أبيه بحكم وفاته ، وكان شاباً لم يفتح بعد .
- وفيهِ عيّنت الأتابكية لأزبك من ططخ نائب الشام ، عوضاً عن الأتابكى جاني بك قلقيز بحكم أسره عند سوار ، نخرجت إليه البشارة بذلك ، وبطلبه إلى مصر سرعة ليل الأتابكية . - وفيه أرسل السلطان بالقبض على تانى بك المعلم ، الذى توجه أمير ركب الحمل ، فقبض عليه من العقبة ، ومُحِلّ للقدس بطالا . - وفيه جاءت الأخبار من الإسكندرية بأن فشى بها الطاعون . - وجاءت الأخبار بوفاة الخوجا شهاب الدين ابن المزلق الدمشقى ، وكان من أعيان تجار دمشق ، ولم يل شيئاً من الوظائف كأخيه . - وفيه توفى جاني بك قُجا الشمسى المؤيدى ، مات بطالا ، وكان بيده امرأة عشرة .

وفي ليلة خامس عشره خُسف جميع جرم القمر حتى أظلمت الدنيا ، ودام على ذلك إلى قريب آخر الليل حتى انجلى . - وفيه توفى شاد بك بشق الأشرفى نائب ماطية ،
 ٣ ثم بقى مقدّم ألف بدمشق . - وفيه كان وفاء النيل المبارك (١٠٨ آ) فلما أوفى توجه الأمير قُرّاس الجلب ، أمير مجلس ، وفتح السدّ على جارى المادة . - وفيه توفى أصيل الخضرى ، وهو محمد بن إبراهيم بن على بن عثمان بن يوسف بن عبد الرزاق بن عبد الله المغربى ، وكان مالكي المذهب ، وكان عشير الناس ، كثير المداعبات والنوادر ، لطيف الذات ، محبباً لأرباب الدولة ، وعاش من العمر مدّة طويلة ، وكان مولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

٩ وفيه حضر الزينى عبد الرحمن بن الكويز ، الذى كان ناظر الخصاص وقرّ فى دولة الظاهر خشقدم ، فتوجه إلى عند ابن عثمان ملك الروم ، فأقام عنده حتى توفى الظاهر خشقدم ، فحضر إلى القاهرة ، فلما مثل بين يدى السلطان أخلع عليه ونزل إلى داره .
 ١٢ وفيه حضر قاصد حسن الطويل ، وعلى يده مكاتبة بالتهنئة للسلطان بالملك ، وصحبته هدّية حافلة .

وفي صفر فى أول يوم منه توفى العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم الشروانى الشافى ، وكان إماماً عالماً فاضلاً نادرة عصره ، بارعاً فى فنون العلوم ، خضعت له الناس من أهل زمانه ، وشهرته تغنى عن مزيد ذكره ، ومولده سنة ثمانين وسبعمائة . -
 وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة ، وتوجه إلى نحو طراً والمديوية على سبيل التزّه ، فأقام هناك إلى آخر النهار ، ومدّ هناك أسمطة حافلة ، وانشرح هناك انشراحاً زائداً ،
 ١٨ ثم عاد إلى القلعة . - وفيه توقّف النيل عن الزيادة أياماً ، وقلق الناس لذلك ، وارتفع سعر الغلال ، وتكالب الناس على مشترى القمح ، ثم بعث الله تعالى بالزيادة .

٢١ وفيه أخلع على يلباى الظاهرى أحد العشرات ، وقرّر فى نيابة الإسكندرية عوضاً عن قانصوه اليحياوى ، وقرّر قانصوه اليحياوى فى نيابة طرابلس عوضاً عن أنبال الأشقر ، وقرّر أنبال الأشقر (١٠٨ ب) فى نيابة حلب عوضاً عن برد بك البجمقدار ، بحكم انتقاله إلى نيابة الشام عوضاً عن أربك من طُطخ ، بحكم انتقاله

إلى الأتابكية عوضاً عن جاني بك قُلْقُشيز ، بحكم أسره عند شاه سوار .
وفيه نودى على الفلوس الجدد بأربعة وعشرين نقرة الرطل ، وكانت بستة وثلاثين ،
٣ فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل . - وفيه جاءت الأخبار من ثغر دمياط بوفاة
الأمير مُغلباي طاز الأبوبكرى المؤيدى أحد مقدمين الألوف بمصر كان ، مات بدمياط
بطالا ، وكان خيرا ديناً موصوفاً بالشجاعة ، وهو صاحب الجامع الذى أنشأه بدرب
الحازن ، ومات وقد ناف عن الثمانين سنة من العمر ، ونقل بعد موته إلى القاهرة ،
٦ ودفن بترقبته التى أنشأها فى الصحراء . - وفيه وصل المقر السيقى أربك نائب الشام ،
فلما صعد إلى القلعة أكرمه السلطان وأجنته وأخلع عليه ، وقرره فى الأتابكية عوضاً
عن جاني بك قُلْقُشيز بحكم أسره عند سوار ، فنزل إلى داره فى موكب حافل ،
٩ وكان له يوم مشهود .

وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بوفاة خوند فاطمة بنت الأشرف أئبال ،
وكانت توجهت إلى الإسكندرية بسبب ختان أولاد أخيها الملك المؤيد أحمد بن الأشرف
١٢ أئبال ، فطعن هناك وماتت ، وكان الطمن عمالاً بالإسكندرية ، فحُملت وهى ميتة
فى سحلية وأحضرت إلى القاهرة ، فدفنت فى تربة أبيها الأشرف أئبال ؛ وكان
تزوج بها كسبى الدوادار الثانى الخشقدى ولم يدخل عليها ، وكانت قبل ذلك
١٥ تزوجت بالأمير يونس البواب الدوادار الكبير ، ومات وهى فى عصمته ، وكانت
شابة جميلة الصورة ، لها من العمر نحو من سبع وعشرين سنة ، فكثر عليها من
الناس الأسف والحزن والبكاء ، وكانت من الأحرار .
١٨

وفيه توقف السلطان عن صرف جوامك أولاد الناس (١٠٩٩ آ) وجماعة من
الفقهاء والمتعممين ، وأحضر إليهم بقوس ثقيل ومعه نشابة طومار ، وصار كل من
٢١ طلع من أولاد الناس يدفع إليه ذلك القوس الثقيل والنشابة ، فكل من لا يقدر
يسحب ذلك القوس يقطع جامكته ، فحصل لأولاد الناس فى ذلك اليوم كسر خاطره ،
وافترض منهم جماعة ، ووبخهم بالكلام ، ونزلوا من القلعة وهم فى غاية النكد ،

فقطع في ذلك اليوم عدة جوامك ، فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك . - وفيه توفي الطواشي سرور الطرابيهي شيخ الخدام بالحرم النبوي ، وكان قد طمن في السن جدا . - وتوفي القاضي شرف الدين عيسى الطبولي الشافعي ، أحد نواب الشافعية ، وكان لا بأس به .

وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد بالقلمة ، وكان يوما مشهودا ، وحضر القضاة الأربعة وسائر الأمراء ، ومدة أسمطة حافلة . - وفي أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بوفاة السلطان الملك الظاهر يلباي المؤيدي ، مات وهو في السجن بالطاعون ، وقد قاسى شدائد ومحن ، وآخر الأمر مات بالسجن قهرا ، وقد تقدم ما جرى عليه في سلطنته التي هي دون الشهرين . - وفيه انهبط النيل سريما في أثناء توت ، وتزايد أمر الفلاء وشطح سمر القمح ، وابتدأ وقوع الطاعون بالقاهرة . وفيه عين السلطان الأمير أزدمر الطويل الأينالي ، بأن يخرج ومعه خمسمائة من المماليك السلطانية إلى حفظ مدينة حلب ، ويقم بها إلى أن تخرج التجريدة عقيب ذلك ، وكان بلغ السلطان بأن عسكر سوار قد نزل على قلعة درندة وحاصرها ، فبادر أزدمر وخرج في قلب الشتاء ليحفظ حلب ، وكان ذلك عين الصواب . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة قائم طاز الأشرفي أحد مقدمين الألوف بحلب ، مات وهو في أسر سوار ، وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ، ومات وقد جاوز الستين (١٠٩ ب) من العمر .

وفي نزل السلطان من القلمة وتوجه إلى خانقة سرياقوس ، ونصب هناك الخيام ، وأقام يومين ، وعمل أسمطة حافلة وحضر هناك مع السلطان قاصد حسن الطويل ، وقاصد ملك الهند ، فكانت تلك أياما مشهودة ، وانشرح السلطان ، ثم عاد إلى القلمة . - وفيه قبض السلطان على صاحب شمس الدين الأهناسي والد الصاحب علاي الدين ، وسلمه إلى الأمير يشبك الدوادار فمأقبه وسجنه عنده أياما ، ثم قرّر عليه ألني دينار وأطلقه .

وفيه جلس السلطان على الدكة بالحوش لتفرقة الجامكية ، فقطع عدة جوامك لأولاد الناس والمتعممين ، وأحضر عنده ثلاثة أقواس بعضها أقوى من بعض ، وصار كلما دعى باسم شخص من أولاد الناس يدفع إليه من الأقواس قوسا وبأمره ٣ يجذبه ، فإن وَقَّى به كتبه إلى التجريدة ، وإن لم يجذبه قطع جامكيته أو يحمل مائة دينار عوضا عن بديل للسفر ، وصار بعض الأمراء يشفع في من له ألف جامكية بأن يبقى على حاله ، ومنهم من ألزمه بخمسين دينارا لمن له جامكية ألف درهم ، فحصل ٦ لأولاد الناس الضرر الشامل بسبب هذه المصادرة ، وهان عليهم ترك الجامكية من كثرة توبيخ السلطان لهم .

وفيه أنعم السلطان على برقوق شاد الشراب خاناه بتقدمة ألف ، وعلى قانبردى ٩ الدوادار الثانى أيضا بتقدمة ألف . - ثم فى آخر الجوامك قطع عدة جوامك للفقهاء والمتعممين وفعل بهم كِفْل أولاد الناس ومصادرتهم . - وفيه أمر بإحضار علاى الدين بن الصابونى فى الدهيشة ، فلما حضر أمر بضربه بين يديه ، فضرب ١٢ ضربا مبرحا على رجليه ، وألزمه بحمل مائة ألف دينار ، فأذعن إلى ذلك ، ثم أُحْمِل إلى طبقة الزمام فى الترسيم ووكل به جماعة (١١٠ آ) من الخاصكية إلى أن يرد ما قرّر عليه من المال . ١٥

وفيه أخلع على يشبك الدوادار خلعة حافلة نكلمة الأتابكية ، وقرّر فى الوزارة مضافا للدوادارية الكبرى ، فأخذ الوزارة عن صاحب شمس الدين والد صاحب علاى الدين بن الأهناسى ؛ وقرّر قاسم شُغَيْتة فى نظر الدولة عوضا عن محمد بن ١٨ شمس الدين الأهناسى ؛ فلما تمّ أمر يشبك الدوادار فى الوزارة أخذ فى أسباب قطع مرتبات اللحوم التى كانت للفقهاء والمتعممين قاطبة ، وكان ذلك بإذن من السلطان ، ففتك يشبك فى ذلك غاية الفتك ، ورسم على جماعة من المتعممين ، وقصد أن يأخذ ٢١ منهم ما أكلوه فى الماضى ، وكان منهم من كان له الأربع زبادى اللحم والخميس زبادى بل وأكثر من ذلك ، فرسم على بدر الدين الدميرى كتكوت حتى شفع فيه بعض

الأمراء ، وهرب واختفى حمزة بن البشيري ، واستمرّ مختفيا حتى مات بعد مدّة ،
وحصل للفقهاء والمتعمّين في هذه الحركة غاية الضرر والبهدة ، وما أبقى في ذلك
ممكن ، فقطع لحوم جماعة كثيرة من أولاد الناس والفقهاء والمتعمّين والنساء ،
وكان القائم في ذلك قاسم شُغَيْتة وحسن للسلطان ذلك .

وهذا فتح باب أول المظالم ، وصار الأمر يتزايد من بعد ذلك ، وكان في الزمن
القديم تباع الزبادي اللحم وتشتري للنساء والفقهاء وغير ذلك من الناس ، فامتنع
هذا الأمر في تلك الدولة ، وصار اللحم يصرف للمماليك فقط ، وكانت الوزراء
المتقدمين تسدّ هذا الديوان أحسن السداد ، مع كثرة اللحوم التي [كانت]
مرتبة للناس على هذا الديوان وآخر من كان يشور بسداد هذا الديوان صاحب علای
الدين ابن الأهناسي ؛ ثم البيّاي ، ثم ابن الصنيمعة وغيره من الوزراء ، حتى ولي قاسم
شُغَيْتة (١١٠ ب) فحسن ليشبك الدوا دار ذلك ، حتى فعل بالناس ما فعل .

وفيه خرج الأتابكي أذربك إلى جهة البحيرة بسبب فساد العربان ، فأقام هناك
مدّة ثم عاد . - وفيه قرّر سودون القسروى في رأس نوبة النوب ، عوضا عن نانق
الظاهرى بحكم وفاته عند سوار . - وفيه قرّر تانى بك قرا الأينالى في الدوا دارية
الثانية ، عوضا عن قان بردى الأينالى بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وقرّر قانصوه
الخسييف الأينالى في شادية الشراب خاناه ، وقرّر جاني باى الخشن الأينالى في تجارة
الماليك ، وقرّر مثقال الحبشى الساقى في مشيخة الحرم الشريف النبوى ، عوضا عن
سرور الطراييهى بحكم وفاته ، وكان مثقال هذا عشير الناس ، كثير الانهماك على
شرب الراح ، فمقته السلطان وألبسه مشيخة الحرم الشريف لعله يتوب ، وفيه يقول
الشهاب المنصورى :

يتمّ ندا كفّ مثقال فراخته فيها لمن أمّه جود وأفضال
واعجب له فرعاه الله من رجل فيه قناطر خير وهو مثقال

وفيه تقق السلطان على العسكر المعين إلى تجريدة سوار ، فأعطى لكل مملوك
مائة دينار . - وفيه أخلع على يشبك جن وقرّر في إمرة الحاج بركب الحمل ، وكان

- قرّر قبل ذلك في إمرة الآخورية الثانية ، وأُخلع على يشبك الجالئ وقرّر في إمرة الحاج بالركب الأول . - وفيه جاءت الأخبار بأن حسن الطويل قد استولى على ممالك العراق وطرده من كان بها من الملوك ، وقد تزايدت عظمته جدا ، نخشى ٣ السلطان منه في الباطن وأخذ حذره ، ولكن أشغله عنه أمر سوار .
- وفيه أرسل السلطان ثقات الأمراء الميّنين (١١١ آ) إلى التجريدة ، فحمل لأزدر الطويل ستة آلاف دينار ، وحمل لقجماس الطويل أحد الأمراء الطليخانات ٦ خمسمائة دينار ، وحمل للأمراء العشرات لكل واحد منهم مائتا دينار ، فكان الذي صُرف على هذه التجريدة ، التي خرج فيها الأمير أزدر الطويل ، ومن عُيّن معه من الأمراء العشرات ، ومن الجند وهم نحو من خمسمائة مملوك ، مايزيد على مائة ألف ٩ دينار ، فخرج أزدر في أوائل الشتاء ليقم في حلب . - وفيه أخرج علاي الدين بن الصابوني إلى دمشق ، وخرج معه خاصكى يقال له جاني بك الأشقر ليحضر ما بقي عليه من المال الذي التزم به ، فخرج إلى دمشق في الترسيم . ١٢
- وفي ربيع الآخر طلع القضاة إلى التهئة بالشهر ، فتكلم السلطان معهم في المجلس في قطع جوامك العواجز من الجند والنساء ، وأخذ يشكو للقضاة من انشحات الديوان وخراب البلاد ، وصار يدعو على نفسه بالموت حتى يستريح مما هو فيه من التعب ، فطال الكلام في المجلس بسبب ذلك ، ثم انفضّ من غير طائل ، وقام القضاة ونزلوا من القلعة ؛ فلما فرّق الجامكية في هذا الشهر جلس على الدكة واستدعى بالجامكية ، وصار يقطع عدة جوامك للعواجز من الجند والأيتام والنساء ، ١٨ وصار في كل شهر يجلس على الدكة وتفرّق الجامكية بحضرته ، ويقطع في كل شهر للناس بحسب ما يختار منها ؛ وهو أول من جلس على تفرقة الجامكية بنفسه من الملوك ، واستمرّ ذلك من بعده ففعله الملوك إلى يومنا هذا في كل يوم تفرّق فيه الجامكية ، ٢١ ولم يُعهد هذا من ملك قبله أنه حضر تفرقة الجامكية بنفسه غيره .
- وفي هذا الشهر قرّر يشبك البجاسي ، الذي كان نائب حلب وعُزل ، قرّره

السلطان في نيابة حماة عوضا عن محمد بن مبارك ، فعُدَّ هذا من النوادر ، لكونه قرَّر في نيابة حماة بعد نيابة حلب . - وفيه أخلع السلطان على يشبك الجمالي وقرَّر في الحسبة عوضا عن (١١١ ب) قانصوه الخسيف ، بحكم انتقاله إلى شادية الشراب خاناه ، فجاء يشبك الجمالي في الحسبة على الأوضاع ، وساق له حرمة وافرة .

وفي جمادى الأولى توفي الأمير جوهر التركاني اليشبكي الخازندار الكبير والزمام ، وكان هندي الجنس ، سيء الخلق ، غير محمود السيرة . - وفيه خرج تمراز الشمسي قريب السلطان وتوجَّه إلى الغربية للكشف على الجسور ، فصار يتوجَّه إلى هناك في كل سنة ، ويقم بالغربية أشهر . - وفيه توفي الغرسي خليل والد شيخنا الشيخ عبد الباسط ، وهو خليل بن شاهين الشيشي الصفوي الأشرفي ، وكان ذكيا لييبا عارفا ، تولَّى عدة وظائف سنوية منها : الوزارة ، ونيابة الكرك ، ونيابة القدس ، ونيابة ملطية ، وأتابكية حلب ، ونيابة الإسكندرية ، وتقدمة ألف بدمشق ، وحجَّ بالناس أمير الحمل ، وكان من أعيان الرؤساء ، وكان نادرة في أولاد الناس ، ومولده سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وكان حنفي المذهب اشتغل على جماعة من العلماء وأجازَه في الحديث الحافظ بن حجر .

وفيهِ أخلع السلطان على الطواشي جوهر النوروزي الحبشي وقرَّر في الزمامية والخازندارية الكبرى ، عوضا عن جوهر التركاني . - وفيه توفي الشيخ السلك العارف بالله حسام الدين حسين بن محمود الأصفهاني الرفاعي الشافعي ، وكان ديننا خيرا لا بأس به . - وفيه عاد الأمير يشبك الدوادار من الوجه القبلي ، وقد نهب البلاد وأسر نساء العربان وأولادهم ، حتى قيل أحضر معه نحوًا من أربعمئة امرأة ، وقد مات منهم من الجوع عدَّة كبيرة ، فلما عاد يشبك حصل من العربان بسبب ذلك ما لا خير فيه من [نهب] البلاد وسلب المسافرين ، ووقع منهم غاية الفساد . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة شيخ العرب حسن بن بغداد أحد مشايخ الغربية ، وكان في سعة من المال ، فأحاط السلطان على موجوده قاطبة .

وفي جمادى الآخرة ارتفع سعر الغلال عما كان ، (١١٢ آ) واشتدَّ الفلاء على

الناس ، وجاءت الأخبار بفشأ الطاعون بإقليم البحيرة . - وفي هذا الشهر توفى الطواشي شاهين غزالى الظاهرى الرومى ، وكان بارعا فى الجمال ، وافتتن به الكثير من النساء والرجال ، وكان حسن الشكل ، وافر العقل ، كثير الأدب ، حثما فى نفسه ، وكان فى سعة من المال غاوى متجرا ، وكان منهمكا فى ملاذ نفسه ؛ فلما مات نزل السلطان وصلى عليه ، ثم توجه من المصلاة إلى بركة الحبش وأقام بها إلى آخر النهار ، ثم عاد إلى القلعة ؛ وفي شاهين غزالى يقول الشهاب المنصورى :

قد صاغك الله من لطف ومن كرم وزاد حسنك بالإحسان تزيينا
فأخض جفاح الرضى واصطد طيور دُعَا من جوِّ إخلاصنا إن كنت شاهينا
وقال آخر فى شاهين غزالى :

أيها المُشاق اصنوا* واسمعوا حسن مقالى كل عاشق لو غزال* وأنا شاهين غزالى
أعجوبة : نقل شيخنا الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفى فى تاريخه ، أن شخصا من الجند ، يقال له يوسف السيقى يشبك الصوفى ، خرج ليُسَيِّر نحو الجبل المقطم ، فرأى حصاة مرمية على الأرض فأخذها ، فإذا عليها مكتوب بخط جيد : قد قرُب الوقت اعتبروا واتقوا الله ، وهى كتابة بنير نقط ولا شكل ، فأحضرها بين يدي الشيخ أمين الدين الأقصرأى حتى رآها وتمعَّب من ذلك ، ولكن طعن فيها بعض الناس ، وقال إنها مصنوعة ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

وفيه عرض السلطان المسكر وأخذ فى أسباب خروج تجريدة ثقيلة إلى سوار ، وهى التجريدة الثانية ، فعين باش المسكر الأتابكى أربك من ططخ ، وقرقاس الجلب أمير مجلس ، وسودون القصرأى رأس نوبة النوب ، وتمر حاجب الحجاب ، وقراجا الطويل الأينالى ؛ ومن الأمراء الطبلخانات خاير بك من حديد ، وجانى بك الزينى ؛ ومن الأمراء العشرات زيادة على العشرين أميرا ، ثم رسم لأولاد الناس من أراد (١١٢ ب) منهم السفر يسافر ، ومن لم يسافر يحمل لبيت المال مائة دينار ليقوم بديل عنه بها ، وهذا لمن له جامكية وإقطاع ، ومن لم يكن له إقطاع وله جامكية ألف درهم يحمل خمسة وعشرين دينارا .

وفيه قبض السلطان على الشهابى أحمد بن العيى وسُجن بالقلمة أياما ليردّ بقية المال الذى كان قد قرّر عليه ، فأقام بالقلمة أياما حتى حمل ما عليه من المال المقرّر ،
 ٣ فعند ذلك أخلع عليه السلطان ونزل إلى داره . - وفيه نفق السلطان على العسكر لكل مملوك مائة دينار ، ثم أرسل نفقات الأمراء ، فبعث للأتابكى أزبك خمسة آلاف دينار ، وللأمير قرقاس الجلب أمير مجلس ثلاثة آلاف دينار ، ولكل أمير مقدّم ألف ألف دينار ، وحمل للأمراء الطبلخانات لكل واحد خمسمائة دينار ،
 ٦ وللأمراء العشرات لكل واحد مائتى دينار ، فكان جملة ما صُرف على هذه التجربة نحو من أربعمائة ألف دينار .

٩ فلما كان يوم الموكب طلع قرقاس الجلب إلى القلمة وطلب من السلطان الإغفاء من السفر ، وأظهر المعجز ، وسأل أن يكون طرخانا ، فى أى مكان اختاره السلطان ، فلم يجاب إلى ذلك ، بل وخاشنه السلطان فى اللفظ وألزمه بالسفر وأكد عليه ، فلما
 ١٢ نزل إلى داره كثر القال والقيّل بأن ستكون فتنة ، فلما بلغ السلطان ذلك لم أكثرث به ، ونزل إلى خليج الزعفران وأقام به إلى آخر النهار ، ثم عاد إلى القلمة وبطلت تلك الإشاعة .

١٥ وفى رجب حضر من البحيرة الأتابكى أزبك ، فلما نزلت له النفقة تمتّع من السفر ، وزعم أنه لا يطيق ممالك السلطان إذا عمل بأش العسكر ، فلا زال السلطان يتلطّف به حتى أجاب إلى السفر وقبل منه النفقة . - وفيه وصل قاصد حسن الطويل وعلى يده هديّة للسلطان ، ومكاتبة تتضمّن ما ملّكه من ملك العراقين ، وعلى يده
 ١٨ عدّة مفاتيح لعدة حصون وقلاع ، وأرسل (١١٣ آ) يتملّق للسلطان بأن كل ما ملّكه من البلاد هو زيادة فى ممالك السلطان ، وأنه النائب عنه فيها ، فأكرم
 ٢١ السلطان قاصده وأضافه ، وأخلع عليه كاملية حافلة ، وأرسل إلى حسن الطويل هديّة سنّية ، وأذن للقاصد بالسفر ؛ وكان هذا من حسن الطويل عين الخداع لما يأتى منه من بعد ذلك . - وفيه توفى القاضى معين الدين بن الطرابلسى الحنفى ، وهو
 ٢٤ محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى ، وكان عالما فاضلا ناب

في القضاء مدة ، ثم ترك ذلك ولازم العبادة والتصوف حتى مات .

- وفيه أكل السلطان تفرقة النفقة على المسكر العتيق إلى تجريدة سوار ، ثم ابتداء بتفرقة الجبال ، ثم تجل لهم جامكية أربعة أشهر ، وأعطاهم الكسوة أيضا ، وأرضاهم بكل ما يمكن ؛ ووقع يوم تفرقة الجبال نادرة غريبة ، وهو أن المهجانة لما أحضروا الجبال وساقوها إلى الميدان ، تزاخت عند باب الميدان وقت دخولها ، فأت منها في ساعة واحدة نحو من ثلثمائة بعير ، قتشاهم الناس لذلك ، وصرحوا بعدم نصرة المسكر ، وكذا جرى . - وفيه كان ابتداء وقوع الطاعون بالقاهرة ، وهو أول طاعون وقع في دولة الأشرف قايتباي .

- وفي شعبان توفي قاضي القضاء المالكي حسام الدين بن حريز ، وهو محمد بن أبي بكر بن محمد بن حريز بن أبي القاسم الهاشمي القرشي العلوي الحسني ، وكان أصله مغربي من طرُبطاي ، ثم انتشى بمنفلوط وولى القضاء بها مدة ، وكان عالما فاضلا ، جوادا سمحا في سعة من المال ، سمع على ولي الدين العراقي وابن عياش وغيرها من العلماء ، وآل أمره إلى أن ولى القضاء الأكبر بمصر ، وصفاله الوقت وطالت أيامه بها ، وعظم أمره في القضاء ، وكان مولده سنة أربع وثمانمائة ، وكان يُعاب بكثرة القيام في أغراض نفسه ؛ ولما مات ولى بعده أخوه سراج الدين عمر فقرّر في قضاء المالكية عوضا عن أخيه . - وتوفي السند شمس الدين محمد بن النقاش الوفاي (١١٣ ب) الصوفي الشافعي ، سمع الحديث من والده الشيخ سراج الدين عمر بن عمر بن حسن .

١٨

وفيه تزايد أمر الطاعون جدا ، وعمل في الأطفال والماليك والمبيد والجوار والغرباء عملا ذريما حتى عظم الأمر في ذلك ، وفيه يقول الشهاب المنصوري :

٢١

يا نعم عيشة مصر وبئس ما قد دهاها

لما فشى الطعن فيها حاكي السهام وبها

وفيه أخلع السلطان على المقر السيفي يشبك الدوادار ، وقرّره في الأستاذارية ،

مضافا لما بيده من الموادارية الكبرى والوزارة وكشوفية الكشف، فمظم أمره جده
وما أظن أن هذه الوظائف قط جمعت في أحد من الأمراء قبله ، فكان الإنسان إذا
مرّ ببابه يستعيز بالله من هول ما يرى من الظلمة الذين ببابه ؛ فلما ولي يشبك
الاستادارية قبض على مجد الدين بن البقرى ، وشرف الدين بن كاتب غريب ، وطلب
منهما مال ، فتضاعف أمر ابن البقرى على خمسة آلاف دينار ، وأما ابن كاتب غريب
فإنه أظهر العجز وحلف أنه لا يملك شيئا وكان متمردا ، فرسم السلطان بحمله إلى
البرج الذى بالقلمة فسجن به .

وفي هذا الشهر خرج المسكر المعين إلى سوار ، فخرجوا من القاهرة في تجارة
زائد ، وطلبوا أطالبا حافلة ، فخرج الأتابكي أزبك باش المسكر ، والأمير قرقاير
الجلب أمير مجلس ، وسودون القسروى رأس نوبة النوب ، وتمر حاجب الحجاب
وقراجا الطويل الأينالى ، ومن الأمراء الطبلخانات والمشرات عدة وافرة ، و
الجند نحو من ألف وخمسمائة ، وخرج قبل ذلك أذمر الطويل ومعه خمسمائة
فصار الطاعون عمالا والتجريدة خارجة ، والمسكر فى غاية الضرر على أولادهم وعيالهم
ومات من المسكر فى أثناء الطريق جماعة كثيرة بمد خروجهم من الريدانية ؛ و
إن السلطان نزل تحت (١١٤ آ) الليل إلى الأتابكي أزبك ، وأقام عنده ساعة وود
وعاد إلى القلمة ، كل ذلك تحت الليل ، ولم يشمر به أحد من الناس .

وفيه توفى الأديب البارع الفاضل الشهاب بن صالح ، وهو أحمد بن محمد بن
ابن عثمان بن محمد بن محمد الشافى ، وكان عالما فاضلا شاعرا ماهرا من
الشعراء ، وله نظم جيد حسن السبك ، ومولده سنة عشرين وثمانمائة ، ومن
الريق فيمن أهدى إليه بطيخا وقطرا فأنشأ يقول :

٢١ بمث إلى بطيخا وقطرا يشابه ذاك هذا فى الصفات
ها نوعان عند الذوق كل تولد فى الحقيقة من نبات
وقوله أيضا :

أنا صافي فإن تصدّي مصافي لصدودٍ جلا صدها صقبلي
 قس بأصفا الزجاج تجنيس قلبي حيث يبدو للصفو وصف الخليلي
 وقوله فيمن اسمه فرج :

٣

شكي فؤادي همّ الصّدّ يا فرج وفيك أصبح صدري ضيقا حرجا
 واستيأس القلب حتى رحت أنشده ما يشتكى الرء عنه وأتظر فرجا

والتورية فيه ثلاثية . - وفي هذا الشهر عظم أمر الطاعون بالقاهرة ، وصارت
 الغرباء يموتون في الطرقات بعضهم على بعض ، فشرع الأمير يشبك الدوا دار في بناء
 مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن ، وصارت تُحمل إليه الطُرحاء من
 الموتى فيكفّنهم ويخرجهم ويدفّنهم ويصرف عليهم من ماله ، فحصل للناس بذلك غاية
 الرفق في تلك الأيام .

وفي رمضان اشتدّ أمر الفلاء والفناء بمصر والشام وحلب ، حتى قيل أبيع

الغرارة القمح بدمشق بنحو الأربعين دينارا وزيادة . - وفيه مات للسلطان ولد اسمه سيمدى
 أحمد ، وهو أول أولاده من خوند الخاصبكية بنت (١١٤ ب) الملاي على بن خاص
 بك ، وكان عمر ابن السلطان نحو من أربع سنين ، ثم ماتت له ابنة اسمها ست
 الجراكسة عمرها نحو من ست سنين ، من خوند أيضا ، فأخرجت قدامها كفارة .
 وفيه توفي الطواشي لؤلؤ الأشرفي الزمام والخازندار . - وتوفي يشبك خازندار
 الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أيتال ، وكان أمير عشرة . - ومات مغلباى الخشقدمي ،
 وكان من الأمراء العشرات . - ومات ابن أخت السلطان ، وكان شابا حسنا صغير
 السن . - ومات جان بلاط الأيتالي أحد الأمراء العشرات . - ومات جكم الحمدي
 الخشقدمي ، أحد الطبلخانات الحاجب الثاني . - ومات أيتال باي ميق الأشرفي ،
 أحد العشرات . - ومات آقبردى الهوارى الأيتالي ، أحد الأمراء العشرات
 وروس النوب . - ومات أنص باي الأعور الأيتالي ، أمير آخور القبن والدريس . -
 ومات أركاس قرا الخشقدمي ، أحد العشرات . - ومات قاني باي الحسنى الأيتالي ،
 أحد العشرات ، وكان والى القاهرة ، وكان غير عسوف في ولايته .

٢٤

- وفيه جاءت الأخبار بوفاة بيبرس خال الملك العزيز ، مات بالقدس بطالا ، وكان في عشر الثمانين ، وولى عدة وظائف سنية ، وجرى عليه شدائد ومحن ، وكان لا بأس به في جماعة الأشرافية . - وفيه توفي الشيخ جمال الدين أبو الفضل خطيب مكة ، وهو ٣ محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد العقيلي النويري الشافعي ، وكان عالما فاضلا سمع على جماعة من العلماء وولى خطابة مكة ، ثم قدم إلى مصر وأقام بها إلى أن مات ، وكان معظما عند أرباب الدولة ، وربما ترشح أمره ليلي القضاء بمصر ، فاتم ذلك . - ٦ وفيه حصل للأمير يشبك الدوادار توعك في جسده ، فنزل إليه السلطان وعاده .
- وفي شوال تناقص أمر الطاعون وأخذ في الارتفاع ، بعد ما فتك في الناس فسكا ذريعا . - (١١٥ آ) وفيه أخلع السلطان على قاني باي آص الساقى ، وقرّر في ٩ الحجوبية الثانية ، عوضا عن حكم بن أخت السلطان بحكم وفاته . - وفيه كان وصول الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، وكان بشعر الإسكندرية ، فاستأذن السلطان في الحضور ليحجج ، فأذن له في ذلك ، فحضر ، فلما صعد إلى القلعة ووقف بين يدي ١٢ السلطان وأراد أن يقبل الأرض ، فنهاه السلطان عن ذلك ، وبالع في إكرامه ، ثم أحضر إليه كاملية بصمور ، وفوقانيا أخضر بطرز زركش عريض ، وقدم إليه ١٥ فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، فركب من الحوش ونزل من القلعة في موكب حافل ، وقدّامه الأمراء ، فتوجّه إلى دار الأتابكي أزيك عند أخته زوجة أزيك ، وكان غائبا في التجريدة ، فأقام عندها ؛ ثم بعد أيام أضافه السلطان بالبحرة ومدّ له أسبطة حافلة ، ١٨ ثم بعد السماط ألبسه كاملية بصمور وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، ونزل في موكب حافل ، فعُدّ بجيئه إلى مصر وطلوعه إلى القلعة من النوادر ؛ ثم إن السلطان أخذ في أسباب عمل يرق للملك المنصور لأجل الحج .
- ٢١ وفيه أخلع السلطان على خُشقدم الأحمدي الطواشي ، وقرّر رأس نوبة السقا عوضا عن شاهين غزالي ، وأخلع على مرجان التقوى الحبشي وقرّر في مشيخة الخُدّام بالمدينة المشرفة . - وفيه توفي آقبای الیحيایوی الأينالى ، أحد العشرات ، وكان شابا شجاعا بطالا . - وفيه أرسل السلطان إلى الظاهر تمرُبنا وهو بالإسكندرية فرسا ٢٤

- بسرّج ذهب وكنبوش ، وكلمية بصّثور ، وأذن له بالركوب إلى الجامع في صلاة الجمعة والميدين ، وإلى حيث شاء من أماكن الإسكندرية . - وفيه توفي الأمير قان بردى الإبراهيمي (١١٥ ب) الأينالى أحد مقدمين الألوف بمصر . ٣
- وفيه جاءت الأخبار بقتل السلطان أبو سعيد بن أحمد بن سعدان شاه بن تمرلنك ، وكان ممتلكا سمرقند وبخارى ، قُتل على يد حسن الطويل ، وكان من أجلّ ملوك الشرق قدرا ، فلما قتل تولى من بعده ولده أحمد وهو باق على ملكه إلى يومنا هذا . - ٦
- وفيه أخلع السلطان على يشبك من حيدر الأينالى وقرّر في ولاية القاهرة ، فحسنت أوقاته بها وطالت أيامه ، ودام في الولاية نحو من عشرين سنة .
- وفيه استقر في مشيخة المدرسة الصلاحية ، المجاورة لقبّة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، الشيخ كمال الدين بن إمام المدرسة الكاملية ، عوضا عن زين العابدين بن قاضى القضاة يحيى النواوى ، بحكم وفاته . - وفيه خرج الحاج على العادة ، وخرج صحبهم الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، فأنعم عليه السلطان بأشياء كثيرة من برك ١٢ وسنيح وغير ذلك .
- وفيه لبس السلطان البياض في يوم الاثنين سادس عشرينه ، الموافق لثالث عشر بشنس ، فخرج من الدهيشة لابسا البياض ، وقد خالف العادة في ذلك بعدم لبسه له يوم الجمعة ، وهى العادة القديمة ، فأعيب ذلك عليه . - وفيه عاد القاضى شرف الدين الأنصارى من جبل نابلس ، وكان خرج بسبب جمع المشير المتوجّه مع التجريدة ، فقيل إنه أصرّف على جمع المشير من النفقة نحو من مائتى ألف دينار فيما يقال . - ١٨
- وفيه زل السلطان إلى نحو قليوب ، ثم عرج على جسر أبى المنجا ، ثم عاد إلى تربة يشبك الدوادار فأقام بها إلى بعد العصر ، ثم عاد إلى القلعة .
- وفى ذى القعدة جاءت الأخبار من حلب بأن المسكر لما وصل أخذ باب الملك ، ٢١ وأنهم في الاستظهار على العدو سوار ، ثم جاءت الأخبار من نائب حلب بقتل مال باى الأقطع أخو سوار ، وجماعة كثيرة من عسكره ، وبعث برأس مال باى الأقطع
- (٣) مقدمين : كذا في الأصل .

ومعها رأسين من أمرائه ، فلما حضرت تلك المروء طيف بها في القاهرة ، ثم علقت على (١١٦ آ) باب زويلة وباب النصر . - وفيه جاءت الأخبار بموت خير بك الفهلوان ، وكان أحد الأمراء بدمشق ، قتل هو وجماعة من المسكر في واقعة مال باى أخى سوار .

وفيه نزل السلطان وتوجه إلى نحو طرا ، فأضافه هناك محمد بن البلاح ، فأقام إلى آخر النهار وعاد . - وفيه سافر السلطان إلى جهة البحيرة ، وهي بحيرة تنيس ، وكان معه من الأمراء المتقدمين برقوق الناصري ، واستمر في هذه السفرة أياما ، وانقطع خبره عن الناس مدة ، وقد قرب عيد النحر ، فبعث مرسوما بطلب قاضي القضاة الشافعي ولي الدين الأسيوطي ليصلي به صلاة عيد النحر بفارسكور ، فخرج القاضي بسرعة ، وأخذ معه أشياء من نوع الكا كل هدية للسلطان ، فتوجه إلى نحو فارسكور ، فمئد السلطان هناك ، وقطع أضحية جماعة من أولاد الناس والفقهاء والنساء حتى الخوندات وجماعة كثيرة من الجند ، فحصل للناس كسر خاطر بسبب قطع أضحياتهم على هذا العيد ؛ وكان في هذا العيد المسكر غائبا في التجريدة ، والسلطان مسافرا ، وكان عقيب الفصل وقد فقدت الناس أولادهم وعيالهم ، وقطعت ضحاياهم التي كانت مرتبة بالديوان السلطاني من قديم الزمان . - وفي يوم عيد النحر كانت بشارة النيل بما جاءت به القاعدة ، ثم نودي عليه من غده .

واستمر السلطان في هذه السرحة غائبا نحو من أربعين يوما ، وطاف عدة بلاد من الشرقية والغربية ، فدخل عليه جملة تقادم من مشايخ العربان والدركين ، من خيول ومال وغير ذلك ، وكان خروجه إلى السفر على حين غفلة ، ولم يكن معه من الأمراء المتقدمين سوى برقوق ، وبعض أمراء عشرات ، وبعض عسكر ؛ ثم جاءت الأخبار بأن السلطان (١١٦ ب) قصد العمود إلى الديار المصرية ، وقد وصل إلى بلييس ، فلما دخل إلى الخانكاه خرج إليه أرباب الدولة قاطبة إلى تلقيه ، ثم نودي

(١١٦ و) بفارسكور : بفارسكور .

(تاريخ ابن لياس ج ٣ - ٣)

في القاهرة بالزينة فزُيِّت زينة حافلة .

فلما كان يوم الخميس تاسع عشر هذا الشهر ، دخل السلطان إلى القاهرة من باب النصر في موكب حافل ، وقد حمل القبة والطير على رأسه المقر السيف برقوق أحد ٣ المقدمين ، وموجب ذلك كان الأتابكي أذربك غائبا في التجريدة ، فكان له يوم مشهود ، ومشت قدماه الجنايب بالأرقاب الزركش ، ولاقاه الأوزان والشعراء والشبابة السلطانية ، وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير ، من عند مدرسة أم ٦ السلطان التي في التبانة إلى القلعة ، ونثرت على رأسه خفاف الذهب والفضة ، ومشت قدّامه الأمراء الرؤوس نوب بالشاش والقماش ، من بين القصرين إلى القلعة ، واصطفّت له الغاني النساء على الدكاكين ، واستمرّ في ذلك الموكب حتى طلع ٩ إلى القلعة ، وهذا أول مواكبه الحافلة .

وصادف أن قاصد حسن الطويل كان حاضرا ، فتمعّب من حسن هذا الموكب ، وكان قد حضر وعلى يده رأس أبي سعيد ملك سمرقند ، وقد تقدّم أنه قُتل على يد ١٢ حسن الطويل ؛ فلما صعد السلطان إلى القلعة وجلس على الدكة بالحوش ، حضر قاصد حسن الطويل ومعه رأس أبي سعيد في علبة ، وكان العسكر بالشاش والقماش وكان الموكب عاما . ١٥

فلما انقضى الموكب أقام السلطان بعد ذلك أياما ، وإذا بتاني بك الظاهري أحد الأمراء العشرات رؤوس النوب وقد حضر ، وكان ممن خرج في التجريدة ، فأخبر بكسرة العسكر ورجوعه إلى حلب ، وهذه ثاني كسرة وقعت لعسكر مصر مع ١٨ سوار ؛ فلما تحقق السلطان (١١٧ آ) ذلك اضطربت أحواله ، وماجت القاهرة بمن فيها ؛ وكان سبب كسرة العسكر أن سوارا تحمّل عليهم حتى دخلوا في مواضع مضيق بين أشجار ، نخرج عليهم السواد الأعظم من التركان بالقسي والنشاب والسيوف ٢١ والأطبار ، فقتلوا من العسكر ما لا يحصى عددهم .

وأخبر تاني بك هذا بقتل الأمير قرقاس الجلب ، وكان يعرف بقرقاس من يشبك خجا الأشرفي ، وكان أميرا جليلا حشما ريسا ، وكان يقرب للأشرف ٢٤

برسباى ، وولى عدة وظائف سنية ، منها رأس نوبة النوب ، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، ثم جرى عليه في دولة الظاهر يلباى ما تقدم ذكره ، وسجن ثم أطلق وتوجه إلى دمياط ، ثم عاد إلى مصر في دولة الأشرف قايتباى ، وأعيد إلى أمرة مجلس ، وخرج إلى التجريدة فقتل في المعركة .

وأخبر بموت سودون القسروى رأس نوبة النوب ، مات بحلب ، وكان مجروحا فحمل إلى حلب فمات بها ، وكان قد طعن في السنّ وناف عن الثمانين سنة من العمر ، وكان إنسانا حسنا دينا خيرا ، وهو صاحب المدرسة التي بخط الباطلية بجوار داره ، وكان أصله من ممالك قسروه نائب الشام ، وكان دواداره ، وولى عدة وظائف سنية ، منها نيابة قلعة مصر ، ثم بقى مقدّم ألف ، ثم بقى رأس نوبة النوب ، ومات بحلب .

وأخبر ب وفاة برسباى أمير آخور ثانى ، وكان يعرف ببرسباى الأبوبكرى ، وكان أمير عشرة ورأس نوبة ؛ ومات أبنائى باى ميق الأينالى ، وكان أمير عشرة ؛ ومات تغرى بردى الأرمنى المنصورى ، وكان أمير عشرة ؛ ومات طقطمى المحمدي الأشرفى برسباى ، وفارس البكتمرى أحد العشرات ، وقجماس الطويل الحسنى الظاهرى أحد الأمراء الطبلخانات ، ونوروز شكال من تغرى بردى الأشرفى أحد العشرات ، ونوروز سيمز الملاى الأشرفى برسباى ، قيل رماه سوار من أعلا السور فمات (١١٧ ب) لوقته ، وكان شجاعا بطلا ، ونوروز الدوادار من غيبى الأشرفى أحد العشرات ، وكان أمير خازندار ، وقانم بيضا اليوسفى الظاهرى أحد العشرات ، فهؤلاء قُتلوا كلهم في واقعة سوار .

وقتل أيضا من أمراء دمشق الشرفى يحيى بن جانم نائب الشام أحد مقدمين الألف بدمشق ، وكان يوصف بالشجاعة ؛ وقتل محمد بن تم من عبد الرزاق نائب الشام أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق ، والحاجب الثانى بدمشق ؛ وفارس التيمى أحد الأمراء بدمشق ، وشاد بك آص الأينالى أتابك دمشق ، وتمر باى الجلبانى أحد الأمراء بدمشق ، وإبراهيم بن بينغوت نائب حماة ، وكان حاجب الحجاب

بدمشق ، وخشقدم السيفي جار قتلوا أحد الأمراء بدمشق ، وجانى بك السيفي
تفرى برمش دوادار السلطان بدمشق ، وشاد بك الحسنى الشمبانى أحد أمراء
دمشق ، وعبد الرحمن الحزاوى أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق .

٣

وأما من قتل من الجند والماليك السلطانية ، ومشايخ عربان جبل نابلس ،
والمشير ، والتركان ، والفلمان ، فما أمكن ضبطه ، وكانت هذه من الوقعات
المشهورة التى لم يسمع بمثلها ؛ فلما شاع بين الناس ذكر من قتل من الأمراء والمسكر
صار بالقاهرة فى كل حارة نعى ليلا ونهارا مثل أيام الوباء ، فزاد قلق الناس من
سوار ، ودخل الوم فى قلوب المسكر مثل أيام تمرلنك ، وصاروا يرددون من
ذكره ، وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء :

٩

يا ربّ إن سوارا قد بنى وبه قد أصبحوا الناس فى ضيق وفى قلق
فاكسر سوارا ودعه فى السلاسل فى خواتم الأمر يستعطى من الحلق
وقال آخر :

١٢

إن سوارا قد غدا مخلصا عسكره قد حلّ فى دار البوّار
(١١٨ آ) يا ربّ شئت شمله حتى نرى خواتم الأمر لنا كسر سوار

ثم صار المسكر من بعد ذلك يدخلون إلى القاهرة وهم فى آحس حال من العرى
والجوع ، وبمضهم مجروح ، وبمضهم ضعيف ، وكان يدخل بمضهم راكبا على
حمار أو جمل ، أو يدخل ماشيا وهو عريان ، وما قاسوا فى هذه التجربة خيرا ، فلا
حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١٨

وفى ذى الحجة أخلع السلطان على الأمير برقوق الناصرى وقرّره فى كشف
التراب بالشرقية ، وحصل به نفع لقمع المربان المفسدين وعمارة الجسور . - وفيه
توفى القاضي فتح الدين بن وجيه الدين بن سويد المالكى المصرى ، وهو محمد بن
عبد الرحمن بن حسن ، وكان عالما فاضلا فى مذهبه ، وناب فى القضاء ، وهو والد
جلال الدين ، وكان لا بأس به .

٢١

- وتوفى من الأتراك جانم المجنون الخشقدمى ، وكان أحد الأمراء العشرات . -
- وتوفى جقمق المؤيدى ، وكان أحد العشرات . - وتوفى إياس البجاسى نائب القدس ، وكان لا بأس به . - وتوفى الملاى على بن القيسى ، وهو على بن إسكندر ابن ثمان تمر ، مات مع السلطان لما خرج إلى السرحة ، مرض فى أثناء الطريق ومات ، ثم نقل إلى القاهرة على جمل ، ودفن فى تربته التى بباب الوزير ، وكان ريسا حشما ولى عدة وظائف ، منها الحسبة ، وولاية القاهرة ، وأحد الحجاب بمصر ، وكان عنده بعض خفة ورهج مع عسوفه وبطش ، وكان مولده فى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة .
- ٩ وفيه توفى الواعظ المادح المنشد عبد القادر بن محمد الوفاى ، وكان ممن له ذكر وشهرة فى فنه ، وكان لا بأس به . - وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريب ، وقد وقع فيها أمور شتى منها الغلاء والفناء ، والفتن ببلاد الشرق ، و١٢ قتل أمراء وعسكر ممن تقدّم ذكرهم ، ووقع فيها مصادرات بسبب التجاريد ، وقطع أرزاق الناس من جوامك وغيرها ، وفقدت الناس فيها أولادهم وعيالهم ، وما قاسى فيها أحد خيرا ، انتهى ذلك (١١٨ ب) .

١٥ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثمانمائة

- ففيها فى المحرم أخلع السلطان على الزينى أبى بكر بن القاضى عبد الباسط وقرّر فى نظر الجوالى ، عوضا عن الشهابى أحمد بن ناظر الخاص يوسف . - وفيه أخرج السلطان خراجا من جلبانه نحو المائتين مملوك ، وهذا أول خرج أخرجه فى سلطنته ، و١٨ وسّاهم الأشرفية . - وفيه خرج الأمير يشبك الدوادار إلى نحو الوجه القبلى ، بسبب جمع الغلّ من البلاد القبلية . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة تمرباى السيفى ألماس نائب قلعة حلب ، وكان شابا جميل الصورة ، وأصله من الأينالية .
- ٢١ وفيه دخل الحاج إلى القاهرة ، ودخل صحبتهم الملك المنصور عثمان بن الظاهر

جقق ، فحجّ وعاد ، فلما طلع إلى القلعة أجله السلطان وأكرمه ، وأخلع عليه كاملية حافلة بصمور ، وفوقها فوقانيا أخضر بطرّز زركش عريض ، ونزل في موكب حافل إلى دار الأتابكي أربك . - وفيه عقد الأمير يشبك الدوادار على خوند فاطمة ابنة ٣ الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أبنال ، وكان العقد بالجامع الذي بالقلعة بين يدي السلطان ، والأربع قضاة حاضرين وسائر الأمراء .

٦ وفي صفر كان وفاء النيل المبارك ، ووافق ذلك الرابع والعشرين من مسرى ، فلما أوفى نزل الأمير لاجين الظاهري ، أحد مقدمي الألوف ، نخلق القياس وفتح السدّ على العادة . - وفيه أضاف السلطان الملك المنصور عثمان بالبحرة ، وأخلع عليه ، وأذن له بالتوجه إلى ثغر دمياط ، فخرج وانحدر من يومه ؛ وقد وقع له أمور لم تقع ٩ لأحد من أبناء السلاطين قبله ، وكان لما حضر أذن له السلطان بأن يلعب معه الأكرة ، فكان يلعب مع الأمراء المقدمين وهو ببند أصفر مثل السلطان ، وقد بالغ السلطان في تعظيمه جدا . ١٢

وفيه جاءت الأخبار من (١١٩ آ) حلب بأن قرقاس الصغير ، نائب ملطية ، تقاتل مع عسكر سوار ، فكان بينهما واقعة هائلة ، وقتل فيها من عسكر سوار مقتلة عظيمة ، فوق خمسمائة إنسان ، وأسر جماعة كثيرة من أمرائه وأقاربه ، وكان ذلك ١٥ بمكيدة صعدت بيد قرقاس ، حتى بلغ بها ذلك . - وفيه توفي طومان باي الحمدي المعروف بدش سز الظاهري ، أحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . - وفيه توفيت خوند فاطمة ابنة الظاهر ططر ، وأخت الملك الصالح محمد بن ططر ، وزوجة ١٨ الملك الأشرف برسباي ، وماتت وعليها جملة ديون .

وفي ربيع الأول أنعم السلطان على يشبك جن بتقدمة ألف ، وأنعم على قانصوه الأحدي المعروف بالحسييف بتقدمة ألف ، وقرّر في شادية الشراب خاناه دولات باي ٢١ حمام الأشرفي عوضا عن قانصوه الحسييف ، وقرّر في رأس نوبية الثانية برد بك الشطوب يشبكي عوضا عن دولات باي حمام . - وفيه عمل السلطان المولد النبوي على العادة ، وكان حافلا . - وفيه توفي بتخاوص العثماني الظاهري أحد العشرات ، ٢٤

وكان حاجب ثاني .

٣ وفيه أخلع السلطان على جاني بك حبيب الملاي الأينالي ، وقرّر في الأمير
آخورية الثانية عوضا عن يشبك جن ، ودام في هذه الوظيفة عدّة سنين . - وفيه
توفي الشيخ نور الدين علي البلطيمي الضرير ، وكان من أهل العلم والفضل ، وكان عمي
في سابع سنة من عمره بجدري أصابه في عينه ، وكان يعرف بابن شاور البرلسي ،
٦ ومولده سنة ست أو سبع وثمانائة ، وكان له نظم جيد . - وفيه أخلع على يشبك الجمالي
المحتسب ، وقرّر في أمرة الحاج بركب الحمل ، وقرّر في أمرة الركب الأول آقبردي
من أصبای الأشرقي برسبای .

٩ وفيه توفي مغلبای أزن سقل الظاهري الخشقدمي ، وكان من مقدمين الألوف
بمصر ، ثم أخرج إلى القدس بطالافات به ، وكان أميرا دينا خيرا ولي عدة وظائف
سنية ، منها شادية (١١٩ ب) الشون ، وحسبة القاهرة ، ثم بقي مقدم ألف بمصر ،
١٢ ثم نقي إلى القدس ومات به .

وفيهِ أرسل السلطان وقبض على زين الدين الأستاذار ، وكان بطالامقيا في داره ،
فأرسل بالقبض عليه ، فلما حضر بين يديه وبّحه بالكلام ، ثم أمر بضربه بين يديه ،
١٥ فضرب ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك ، ثم سجنه بالبرج الذي بالقلعة ، وصار
يحضره بين يديه كل يوم بعد يوم ويضربه أشدّ الضرب ، فات وهو بالبرج ، فلما
أعلموا السلطان بموته لم يصدق بذلك وأمر بإحضاره بين يديه وهو ميت ، فكشف
١٨ عن وجهه ورفسه برجله ، ثم أمر بحمله إلى داره ليفسّأوه ويدفنوه ، فحمل من القلعة
إلى داره .

وكان بين السلطان قايتباي وبين زين الدين الأستاذار عداوة قديمة ، من حين كان
٢١ السلطان جنديا ، إلى أن تسلطن أخذ بثأره منه وقتله ؛ وكان يظن أن مع زين الدين
مالا ، فماقيه وطلب منه من المال ما لا يقدر عليه ، فات تحت العقوبة ؛ وكان أصل
زين الدين من الأرمن ، واسمه يحيى بن عبد الرزاق الأرمني ، وكان يعرف بالأشقر

ابن كاتب حلوان ، وكان يقرب لابن أبي الفرج ، وقد رأى في دولة الظاهر جتمع
 من العزّ والمظلة ما لا رآه أحد بعده من الأستادارية ، وعظم أمره جدا وأنشأ بالقاهرة
 وغيرها عدّة جوامع يخطب فيها ، وعدة مدارس ، وولى الأستادارية غير ما مرّة ٣
 وغيرها من الوظائف ، وبأثر الأستادارية أحسن مباشرة وأفشى فيها من المظالم
 ما لا يسمع بمثله ، وجرى عليه من الشدائد والحن والأنكاد ما لا يعبر عنه ، وصودر
 غير ما مرّة ، وغرم الأموال الجزيلة ، وعصر في أكوابه ، وضرب غير ما مرّة ، ٦
 ونفى إلى المدينة الشريفة ، وإلى القدس وغير ذلك من الأماكن ؛ وكان له محاسن
 كثيرة ، ومساوى كثيرة من أبواب المظالم الحادثة في أيامه ، واستمرت بعده إلى
 الآن ؛ وكان مولده قبل قرن الثمانمائة وما لقي خيرا في آخر عمره ، وله أخبار (١٢٠ آ) ١
 يطول شرحها .

وفيه توفى شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن عبد القادر بن مُفَيْش الأذرعي
 الشافعي ، وكان من أهل العلم والفضل ، سمع على جماعة من العلماء ، وكان لأبأس به . ١٢
 وفي ربيع الآخر توفى القاضي شهاب الدين أحمد بن سعيد بن السيوسي المغربي
 المالكي ، قاضى قضاء المالكية بدمشق ، وولى قضاء الإسكندرية ، وكان من أهل
 العلم والفضل ، وجرت عليه أمور شتى ، وأذهب أموالا جمّة على وظيفة القضاء ؛ ١٥
 وتوفى السيد الشريف أبي هاشم حمزة بن أحمد بن علي الحسنى الدمشقي الشافعي ، وكان
 من أهل العلم والفضل . - وفيه أرسل السلطان خلعة إلى قانصوه اليحياوى باستقراره
 في نيابة حلب ، عوضا عن أبنال الأشقر ، وكتب لأبنال الأشقر بالحضور إلى القاهرة ١٨
 على مقدمة ألف بها .

وفيه أرسل السلطان ليشبك البجاسي نائب حماة باستقراره في نيابة طرابلس ،
 وقرّر عوضه في نيابة حماة بلاط اليشبكي أحد مقدمين الألوف بدمشق ، وقرّر في مقدمة ٢١
 بلاط بدمشق تمرّاز أنابك حلب ، وقرّر في أنابك حلب تغرى بردى بن يونس ،
 وقرّر في حجوبية الحجاب بدمشق محمد بن مبارك ، عوضا عن ابن بيغوت الماضي

خبر موته في واقعة سوار . - وفيه قرر لاجين الظاهري في كشف الجسور بالهندساية ،
وقرر يشبك جن في كشف الجسور بالبحيرة . - وفيه توفي قانصوه الساقى الشمسى
الأشرفى أحد الأمراء العشرات ، وكان متمرداً من حين عاد من التجريدة .

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن ابن رمضان أمير التركان أخذ جماعة من التركان
وكبس على أعوان سوار ، وأخذ منهم قلعة سيس ، فسّر السلطان لهذا الخبر وأرسل
إلى ابن رمضان خلعة سنينة . - وفيه جاءت الأخبار من (١٢٠ ب) نقر الإسكندرية
ب وفاة قنبك الممودى المؤيدى ، الذى كان أمير سلاح بمصر ونفى إلى الإسكندرية في
دولة الظاهر تمرنا ، فأقام في البرج إلى أن مات ، وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر ،
وكان في أوائل عمره شجاعاً بطلاً ، وولى عدة وظائف سنينة ، منها أمرة مجلس ،
وأمرة سلاح ، وقاسى شدائد ومحن في آخر عمره إلى أن مات .

وفى جمادى الأولى حضر إلى القاهرة قراجا السيفى جاني بك نائب جدّة ، أحد
الأمراء العشرات ، وأخبر بأن شاه سوار أطلق الأتابكى جاني بك قلقسيز وبمّث به
إلى حلب ، وقد أكرمه غاية الإكرام ، وقصد بذلك أن يسترضى خاطر السلطان ،
وقرر مع الأتابكى جاني بك قلقسيز بأن يكون سفيراً بينه وبين السلطان في أمر
الصلح . - وفيه نزل السلطان إلى الرماية ببركة الحاج ، وعاد من يومه ، وطلع من بين
الترب . - وفى هذا الشهر ارتفع سعر الغلال ، حتى بلغ كل أردب قح بأربعة أشرفية ،
وكل أردب شعير بنحو من سبعمائة درهم ، والفول بنحو ذلك ، وبلغ الحمل التبن بنحو
أشرفى ذهب ، ومعت هذه الغلوة سائر البلاد ، حتى البلاد الشامية وغيرها .

وفى جمادى الآخرة نزل السلطان وتوجّه إلى خليج الزعفران على سبيل التنزه ،
وأقام هناك ثلاثة أيام ، ثم عاد إلى القلعة . - وفيه وصل أبنال الأشقر المعزول
عن نيابة حلب ، فلما صعد إلى القلعة أكرمه السلطان وأخلع عليه ، ونزل إلى دار
أعدت له ، ثم بعد أيام أخلع عليه وقرر في الرأس نوبية الكبرى ، عوضاً عن
سودون القصورى بحكم موته في تجريدة سوار كما تقدّم ، (١٢١ آ) وكانت هذه

الوظيفة شاغرة من يومئذ .

- وفيه توفى خشكلدى القوامى الناصرى ، وكان أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان
 ٣ جركسى الجنس ، من مشروعات الناصر فرج ابن برقوق ، وكان ديناً خيراً متواضعاً ،
 وكان قد جاوز الثمانين سنة من العمر . - وفيه توفى قاضى قضاء المالكية بدمشق
 محيى الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكرى المصرى المالكى ،
 ٦ وكان من أعيان علماء المالكية ، وناب فى الحكم بمصر مدة ، ثم ولى قضاء دمشق ؛
 وتوفى تمرباى التمرزى ، أحد العشرات ، ولى المهندارية وأقام بها مدة . - وفيه قرّر
 أبو الفتوح المنوفى كاتب السلطان ، وهو أمير ، فى نظر الأوقاف والبيارستان ، عوضاً
 ٩ عن شرف الدين عبد الباسط بن البقرى ، بحكم صرفه عنها .
 وفى رجب ترايد أمر الغلاء بالقاهرة ، وأشيع بين الناس أن سبب ذلك تحكير
 الأمير يشبك الدوادار الكبير على الغلال بالوجه القبلى ، ومنع المراكب من حملة ،
 ١٢ وفيه يقول الشهاب المنصورى :

وظالم منه أنا الفلا يا ويله فى الحشر من ربه
 فادعوا وقولوا ربنا اطمس على أمواله واشدد على قلبه

- وفيه أخلع على لاجين الظاهرى وقرّر فى أمرة مجلس ، عوضاً عن قرقاس الجلب ،
 ١٥ وكانت هذه الوظيفة شاغرة من حين قتل قرقاس فى واقعة سوار ؛ ثم بعد أيام وصل
 الأنابكى جاني بك قلعسىز وصعد إلى القلعة ، فقام له السلطان واعتنقه وترحب به ،
 ١٨ ثم أخلع عليه كاملية بصمور وأركبه فرساً بصرج ذهب وكنبوش ، وركب من
 باب البحرة وزل (١٢١ ب) من القلعة فى موكب حافل ، ثم بعد أيام أخلع عليه
 وقرّر فى أمرة السلاح ، عوضاً عن برد بك هجين بحكم قتله فى واقعة سوار ، وكانت
 ٢١ هذه الوظيفة شاغرة ؛ ومن المعجائب أن السلطان بمسوما بمنع جاني بك
 قلعسىز لدخوله إلى القاهرة ، وأن يقيم بجلب ، فقدم جاني بك قلعسىز قبل وصول
 الرسوم إلى حلب بسبعة أيام ، فلما حضر قرّره فى أمرة السلاح بمسوما ما كان
 (١٦) وكانت : وكان .

أمير كبير . - وفيه قرّر جقمق الظاهري في نيابة دمياط .

- ٣ وفي شعبان كانت نهاية بناء السبيل ، الذي أنشأه السلطان بخط القشاشين من تحت الربع ، فجاء السبيل والمكتب فوقه في غاية الحسن ، ولا سيما في ذلك الخط . - وفيه عاد الأمير يشبك الدوادار من الوجه القبلي ، وكانت مدة غيبته نحواً من سبعة أشهر ، ففعل ببلاد الصعيد من المظالم ما لا يسمع بمثله ، حتى قيل إنه شوى بالنار محمود شيخ بني عدى ، وخوزق من المربان جماعة ، وسلخ جلد جماعة ، ودفن جماعة في التراب وهم أحياء ، وفعل بالمربان من أنواع هذا العذاب ما لا فعله أحد قبله ، فدخل الرعب منه في قلوب المربان ؛ فلما صعد الأمير يشبك إلى القلعة أخلع عليه السلطان خلعة سنية ، ونزل إلى داره في موكب حافل ؛ ثم بعد ذلك قدم إلى السلطان تقادم حافلة ، بما ينيف عن مائتي ألف دينار ، ما بين ذهب عين وخيول وجمال ورقيق وأعسال وسكاكر وغللال وغير ذلك . - وفيه توفى صنتباى من قصره الأشرقي أحد العشرات ، وكان مريضاً من حين عاد من التجريدة .

- ١٢ وفي رمضان أمر السلطان بفتح شوتتين من شوته ، وأبيع منها القمح سعر ألف درهم كل أردب ، وكان وصل سعره إلى أربعة (١٢٢ آ) أشرية كل أردب ، فحصل للناس بعض رفق ، وكثر الخبز على الدكاكين . - وفيه نودي من قبل السلطان بأن من أخذ منه شيء ، من أولاد الناس وغيرهم ، بسبب بعث البديل إلى التجريدة ، فليصعد إلى القلعة في ثامن هذا الشهر ، ليردّ إليه ما أخذ منه من مبلغ كان أورده إلى الخزانة الشريفة ، فتمعجب الناس من ذلك ، وما السبب فيه ، فعدّ هذا من النوادر ؛ فلما صعد أولاد الناس إلى القلعة ردّ لهم ما أخذ منهم بحكم النصف . - وفيه توفى القاضي حسام الدين بن بريطع الحنقي الدمشقي ، قاضي قضاة الحنفية بدمشق ، وكان من أعيان الحنفية ، ولّى قضاء غزّة وصفد وطرابلس ودمشق غير ما مرة ، وكان ريساً حشماً ، وله نظم ونثر وخط جيّد ، وألّف الكتب الجليلة .

وفيهِ حضر الأتابكي أزيك ، وكان مقبلاً بحلب من حين كسر العسكر ، فدخل

إلى القاهرة هو ومن بقي معه من الأمراء والعسكر ، وصحبته شاه بضاع أخو سوار ،
الذى أخذ منه سوار البلاد ؛ فلما صعد الأتابكي أذربك إلى القلعة أخلع عليه السلطان ،
وعلى من معه من الأمراء ، وعلى شاه بضاع أخى سوار ، وكان معه يحيى كاوز^٣ أخو
سوار أيضا ، وكان مُسك من قبل ذلك ، فلما مثل بين يدى السلطان أمر بسجنه فى
البرج الذى بالقلعة .

وفيه اختفى القاضى تاج الدين بن المقسى ناظر الخصاص ، فلما اختفى أخلع السلطان
على الزينى عبد الرحمن ابن الكويز ، وأعادته إلى نظر الخصاص ، وهذه آخر ولاياته
للخاص . - وفيه صعد قاصد سوار إلى القلعة ، وصحبته هدية للسلطان ، فلم يؤذن له
فى صعادها ممة ؛ وحضر بمكاتبة سوار فكان ضمنها أنه يطلب الصلح مع السلطان ،
لكن على شروط منه لم يقبلها السلطان ، (١٢٢ ب) منها بأن يكتب له تقليدا بأمره
الأبلسين ، وأن ينعم عليه بتقدمة ألف بحلب ، وأنه إن فعل ذلك يستلم عينتاب
للسلطان ، فطال الكلام بين القاصد والسلطان ، ولم ينتظم الأمر فى شئ من الصلح ،
ونزل القاصد بغير خلعة .

وفيه أخلع على الجمالى يوسف بن فطيس وقرّر فى نيابة القدس ، عوضا عن
دمرداش المثنى ، بحكم انتقاله إلى نيابة سيس . - وفيه جاءت الأخبار ب وفاة عالم
دمشق الشيخ بدر الدين قاضى شهية ، وهو محمد بن أبى بكر بن أحمد الأسدى الشهبى
الدمشقى الشافعى ، وكان عالما فاضلا بارعا فى الفقه عارفا بمذهب الشافعى ، وكان عالم
الشام على الإطلاق ، وترشح أمره لقضاء دمشق غير ما مرة ، ومولده فى سنة ست
وثمانائة .

وفى شوال أخلع السلطان على البدرى بدر الدين محمد بن الكويز ، وقرّر فى
معلمية المعلمين ، عوضا عن البدرى حسن بن الطولونى . - وفيه خرج الحاج من
القاهرة فى تجمل زائد على العادة ، وخرج صحبتهم الشيخ كمال الدين بن إمام المدرسة
الكاملية ، وكان موعكا فى جسده ، فلما وصل إلى ثغرة حامد مات هناك ودفن بها ،

وكان عالما فاضلا بارعا ، سمع على جماعة من العلماء ، منهم ولى الدين العراق وابن الجزرى والحافظ بن حجر وغيره من العلماء ، وولى عدة تداريس جليلة ، وكان من أعيان علماء الشافعية ، ومولده سنة ثمان وثمانمائة .

وفيه وقع كايته عظيمة لجلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكي ، وطلب من بيت أينال الأشقر رأس نوبة النوب ، بسبب أوقاف باعها كانت موقوفة على مدرسة جدّه ، ففرم بسبب ذلك مالا له صورة ، (١٢٣ آ) وحصل له غاية البهولة من أينال الأشقر ، وما خلص إلا بعد جهد كبير ، وافترق حاله عقيب هذه الكايته ، وباع جميع ما يملكه حتى سدّ ما جاء عليه من المال .

وفيه تزايد ظلم أينال الأشقر ، حتى صار غالب الناس ما يشتكى إلا من بابه ، واشتكى بعض الناس من بابه شخصا شاهدا ، فضربه وقطع أكمه ، وأركبه على ثور ، وأشهره في القاهرة ؛ وفي عقيب ذلك خزم غلاما في أنفه ، ثم أشهره في القاهرة . - وفيه ابتدأ السلطان بعمارة تربته التي أنشأها بالصحراء ، وجعل بها جامعا بخطبة ، وقرّر به صوفة وحضورا بعد العصر ، وأنشأ هناك عدة خلاوى برسم الصوفة وحوضا وصهريجا وأشياء كثيرة من وجوه البرّ والمعروف .

وفى ذى القعدة قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، وابتدأ بضرب الكرة مع الأمراء . - وفيه جاءت الأخبار بقتل طرا باى الظاهرى الخشقدمى ، وكان أميرا بحلب ، فقتله بعض العربان بالبلاد الحلبية ، وكان شجاعا بطلا ، وولى حسبة القاهرة ، وكان من أعيان الخشقدمية .

وفى ذى الحجة طلب السلطان الشيخ تقى الدين الحصنى ، وقرّره في مشيخة تدريس قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه ، عوضا عن الشيخ كمال الدين إمام المدرسة الكاملية ، الماضى ذكر وفاته بطريق الحجاز . - وفيه انتهى ضرب الكرة ، وأضاف السلطان الأمراء ، ثم اشتغل بتفرقة الضحايا على المسكر .

وفيه كانت وفاة الجمالى يوسف بن الأتابكى تغرى بردى البشغاوى الرومى نائب الشام ، وكان الجمالى يوسف ريسا حشما فاضلا ، حنفى المذهب ، وله اشتغال بالعلم ،

وكان مشغولاً بكتابة التاريخ وألف في ذلك عدة تواريخ ، منها : تاريخه الكبير الموسوم بالنجوم الزاهرة ، والنهل الصافي ، ومورد اللطافة (١٢٣ ب) فيمن ولي السلطنة والخلافة ، وله تاريخ آخر في وقائع أحوال على حروف الهجاء في التوفيات ،^٣ وله غير ذلك عدة مصنفات ، وكان نادرة في أبناء جنسه ، ومولده في سنة ثلاث عشرة وثمانائة .

وفيه توفى حُذيفة بن أحمد بن الدكاري النوفى الحنفى ، وكان فاضلاً خيراً ديناً له^٦ شهرة وذكر ، وكان لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة عالم سمرقند ، وهو الشيخ فضل الله ابن عبد الواحد ، وكان من ذرية أبى الليث السمرقندى ، وكان عالماً فاضلاً بارعاً فى العلوم والزهد ، وله شهرة ببلاد سمرقند ، ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة أمير المدينة المشرفة ، وهو السيد الشريف زهير بن سليمان ابن هبة الحسينى ، وكان ولي أمرة المدينة بعد ضيغم ، وآل^٩ أمره إلى أن مات قتيلاً .^{١٢}

وتوفى من الأتراك بيبرس من طُطخ الأشرقى ، وكان أحد الأمراء المقدمين^{١٢} الألوف بدمشق ؛ وتوفى جاني بك الحسنى الأيئالى ، أحد العشرات رموس النوب ؛ وتوفى دولاباى الأيئالى أحد العشرات ، وكان ممرضاً من حين عاد من^{١٥} التجريدة ، فأت بغزة .

ومن الحوادث فى هذه السنة أن السلطان طلب مالا من الست سادة ، والدة^{١٨} القاضي ناظر الخاص يوسف بن كاتب حكيم ، لتساعده على خروج التجريدة إلى سوار ، فتشكت من ذلك وأظهرت المجز ، فحلف بحياة رأسه أنه ما يأخذ منها أقل من مائة وخمسين ألف دينار ، وصمم على ذلك ، وقرّر معها أنها لا تباع فى هذه الحركة لا ملكاً ولا ضيعة ولا بستاناً ، فلم يقدر أحد من الأمراء ولا غيرهم يحفظ عنها^{٢١} شيئاً من ذلك القدر ، فاستمرت ترد ذلك المال الذى قرّر عليها عدة أشهر ، حتى غلقت ذلك القدر بالتمام والكمال ، ولم تباع لا ضيعة ولا ملك ، فلما غلقت المال جميعه أرسل

خلفها ، فلما (١٢٤ آ) حضرت قام إليها وعظمها ، وأخلع عليها كملية مغل تماسيح بصمور ، وأكرمها غاية الإكرام ، ونزلت إلى دارها وهي معظمة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثمانمائة

فيها في المحرم كانت الأسعار مغلية في جميع أصناف المأكولات من الحبوب وغيرها ، وعزّ وجود الأوز والدجاج من مصر جدا ، وتشحّط الخبز من الأسواق ، وصار الناس يستعملون خبز الذرة والدخن ؛ وهذا قط ما وقع ولا في الغلاء الذي جاء في دولة الملك الظاهر جقمق ، وتناهى سعر القمح إلى سبعة أشرفية كل أردب ، ولم يأكلوا الناس الذرة ولا الدخن في تلك الأيام .

وفي أوائل هذه السنة كثر القال والقليل بين العلماء بالقاهرة في أمر الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض ، نفع الله الناس ببركته ، وقد تعصّب عليه جماعة من العلماء بسبب أبيات قالها في قصيدته الثائية ، فاعترضوا عليه في ذلك ، وصرّحوا بفسقه ، بل وتكفيره ، ونسبوه إلى من يقول بالحلل والائحاد ، وحاشاه من ذلك أن ينسب إليه هذا المعنى ، ولكن قصرت أفهام جماعة من علماء هذا العصر ، ولم يفهموا معنى قول الشيخ عمر فيما قصده من هذه الأبيات ، فأخذوا بظاهرها ولم يوجهوا لها معنى ، فكان كما قال المتنبي :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والفهم

فكان رأس من تعصّب على الشيخ عمر بن الفارض : برهان الدين البقاعي ، وقاضى القضاة محب الدين بن الشحنة ، وولده عبد البر ، وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى ، ونور الدين الحلى ، وتبهمهم جماعة كثيرة من طلبة العلم يقولون بفسقه ؛ وأما من تعصّب لابن الفارض من العلماء وهم : الشيخ محي الدين الكافيجى الحنفى ، والشيخ قاسم الحنفى ، والشيخ بدر الدين بن الفرس ، ونجم الدين بن يحيى بن حجبى ، وشيخنا (١٢٤ ب) جلال الدين الأسيوطى ، والشيخ زكريا ، وتاج الدين بن شرف .

- فلما زاد الرهج في هذه المسئلة كُتبت الفتاوى في أمر ابن الفارض ، التي
 ظاهرها الخروج عن قواعد الشرع ، فكتب الشيخ عبي الكافيجي على هذا السؤال
 ما هو أحسن عبارة وأقرب إلى الإنصاف ، وألف الجلال الأسيوطي في ذلك كتابا ٣
 سماه : قمع المعارض في الردّ عن ابن الفارض ، وألف الهدى بن الفرس في ذلك كتابا
 شافيا في هذا المعنى ، واضحا في الردّ على من تعرض على ابن الفارض ، وصنّف بمض
 العلماء كتابا سماه : دُرّيات الأقاعي في الردّ على البقاعي ؛ ووقع في هذه المسئلة ٦
 تشاحنات بين العلماء مما يطول شرحه في هذا المعنى ، ثم هجوا البقاعي وابن الشحنة
 وغيره ممن تمصّب على ابن الفارض ، وصاروا يكتبون الأوراق بهجو المتعرضين على
 ابن الفارض ، ويلصقون تلك الأوراق في مزاره ، فن ذلك قول الشهاب المنصوري ٩
 في البقاعي ، وأجاد :

إن البقاعي بما قد قاله مطالب

لا تحسبوه سالما فقلبه يعاقب ١٢

وقوله من قصيدة مطولة مضمنا لأبيات سيدي عمر بن الفارض :

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| بين البقاعي وبين التاج من شرف | ما بين معترك الأحداق والمهج |
| يقول من صحّ فيه سهم صاحبه | أنا القليل بلا إثم ولا حرج ١٥ |
| كلاهما مدّع خوضا بفكرته | في كل معنى لطيف رايق بهج |
| يقول هذا لهذا غير مكثرت | دع عنك لومي وعج عن نصحك السمج |
| ماذا تقول ولي في الشرع أجوبة | عني تقوم بها عند الهوى حجج ١٨ |
| دع التصارض لا تُشهر بواتره | فكم أمات وأحيت فيه من مهج |
| فلو سلكت سبيلي كنت متبعا | أوفي محب بما يرضيك متهج |
| لو سلّم المقتدى للمهتدى لوعا | قول البشر بعد اليأس بالفرج ٢١ |

(١٢٥ آ) فن يكن منهما تاج فعصيته وهذه قصيدة مطولة ، وهذا القدر منها كافي هنا ، ومن نظم الأقدمين

في سيدى عمر بن الفارض :

جَزُ بالقراءة تحت ذيل العارض وقل السلام عليك يا ابن الفارض
أبرزت في نظم السلوك عجائبا وكشفت عن سرّ مصون غامض
وشربت من نهر المحبة والولا فرؤيت من بحر محيط فايض
وقال الناصرى محمد بن قانصوه من صادق :

عمر بن الفارض الحبر الذى قصرت عن فهم ما رام الفكر
لم يكن يؤذيه إلا جاهل فارفضوه وترضوا عن عمر
وقال بعض شعراء العصر في ابن الشحنة :

أصبحت يا ابن الشحنة الحنفى في كل القبايح أوحده الأزمان
في مصر علم أبى حنيفة تدعى جهلا وأنت مرة النعمان
وقال أبو النجاة القمنى في الحلبي :

أُفْعِدْتُ يا حلبي بالصنع في قفاكا
لما ادّعت فسقا للفارضى يا كافر
وما خلصت حتى أقت شاهدكا

ثم إن بعض الأهرام تمصّب لابن الفارض ، بل وتمصّب له السلطان أيضا ،

ورسم لكاتب السراين مزهر بأن يكتب صفة سؤال إلى الشيخ زين الدين زكريا الشافى ، فكتب هذا السؤال وهو هذا : ما يقول الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، البحر الفهامة ، زكريا الأنصارى الشافى ، نعم الله المسلمين به ، عن من قال بكفر

سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله عمر بن الفارض ، تنمده الله تعالى برحمته ورضوانه ، فيمن (١٢٥ ب) زعم أن عقيدته فاسدة ، بناء على فهمه من كلامه في مواضع ،

مرجمها إلى إطلاقات معلومة عند السادة الصوفية ، باصطلاح مخاطبهم ، لا محذور فيها شرعا ، فهل يُحمل كلام هذا العارف على اصطلاح أهل طريقتة ؟ أم على اصطلاح أهل ملة غير الإسلام ؟ فما الجواب عن ذلك ؟ افتونا مأجورين .

- ثم بعث هذا السؤال إلى الشيخ زكريا ، فامتنع من الكتابة عليه غاية الامتناع ، فألح عليه أياما حتى كتب ، فأجاب يقول : يُحمل كلام هذا العارف ، رحمة الله عليه ونفع ببركاته ، على اصطلاح أهل طريقته ، بل هو بظاهر فيه عندهم ، إذ اللفظ المصطلح ٣ عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي ، مجاز في غيره ، كما هو مقرر في محله ، ولا ينظر إلى ما يوهمه تعبيره في بعض أبياته في الثائية ، من القول بالحلول والاتحاد ، فإنه ليس من ذلك في شيء ، بقرينتي حاله ومقاله المنظوم في ثائيته ، بقوله من أبيات القصيدة : ٦
- ولي من أئمّ الرويتين إشارة نُزَّه عن رأى الحلول عقيدتي
- وقد يصدر عن العارف بالله إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان ، بحيث تضمحل ذاته وصفاته في صفاته ، ويغيب عن كل ما سواه ، عبارات تُشعر بالحلول ٩ والاتحاد ، لقصور العبارة عن بيان حالته التي يُرقى إليها ، كما قاله جماعة من علماء الكلام ، ولكن ينبغي كتم تلك العبارات عن من لم يدركها ، فما كل قلب يصلح للسرّ ، ولا كل صدف ينطبق على الدرّ ، ولكل قوم مقال ، وما كلما يُعلم يقال ، وحُقّ ١٢ لمن لم يدركها عدم الطعن فيها ، كما قال بعضهم في المعنى (١٢٦ آ) :
- فإذا كنت بالمدارك غيّا ثم أبصرت حاذقا لا تمارى
- وإذا لم ترّ الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصارى ١٥
- ولو ذاق المنكر ما ذاق هذا العارف ، لما أنكر عليه ، كما قال القائل :
- ولو يذوق عاذلي صبابتي صبي معي لكنه ما ذاقها
- والحالة هذه ، والله يمنح بفضلّه ، ويمنع من يشاء ببدله ، وصلى الله على سيدنا ١٨ محمد ، وعلى آله وصحبه وسلّم ، وكتبه زكريا بن محمد الأنصارى الشافعي ؛ فلما كتب الشيخ زكريا على هذا السؤال ، سكن الاضطراب الذي كان بين الناس بسبب ابن الفارض ، رحمة الله عليه ، انتهى ذلك . ٢١
- ثم في عقيب ذلك عُزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية ، وحصل له عقيب ذلك فالجا ، وذهل وسلب من العلم ، وحصل لولده عبد البر مع القلقيلي ما سذكروه في موضعه ؛ وأما البقاعي فكادت العوام أن تقتله ، وحصل له من الأمراء ما لا خير ٢٤

- فيه ، فهرب واختفى حتى توجه إلى مكة ، فات هناك ؛ وأما إمام المدرسة الكاملية ،
خرج وهو مريض إلى الحجاز ، فات في أثناء الطريق ، بعد خروجه من القاهرة
بسته أيام ؛ وقد جرى على من تعصب على ابن الفارض ما لا خير فيه ، وظهرت ٣
بركته في المتعصبين عليه شيئا فشيئا إلى الآن ؛ وقد روى في بعض الأخبار عن
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد أذنته
بالحرب ، أي أعلمته بأنه محارب لي ، أورده النووي في الأربعين حديثاً ، انتهى ذلك . ٦
وفي هذا الشهر جاءت الأخبار بأن شاه سوار تقاتل مع ابن رمضان أمير
التركان ، فانكسر ابن رمضان وملك سوار قلعة إياس ، فانزعج السلطان لهذا الخبر ،
وأخذ في أسباب خروج تجريدة إلى سوار . - وفيه بمث الأمير يشبك حن من ٩
البحيرة يطلب نجدة بسبب عربان لبيد ، فمئن إليه (١٢٦ ب) السلطان الأنايكي أزبك
ومعه عدة من الأمراء والجند ، فخرج إلى البحيرة . - وفيه وقعت أعجوبة غريبة ،
وهو أن امرأة ولدت مولوداً ، وهو جسد برأس ولا له يدان ولا رجلان ، فسبحان ١٢
الصانع ، يخلق ما يشاء ، فماش ساعة ومات .
- وفيه جاءت الأخبار بوفاة رد بك البجمقدار نائب الشام ، وكان يعرف ببرد بك
الفارسي الظاهري ، ويعرف أيضاً بالأقرع ، وكان من أعيان جماعة الظاهرية ، وكان ١٥
أمير عشرة في دولة أستاذه الظاهر جقمق ، ثم بقي أمير طبلخاناه رأس نوبة ثاني في
دولة الأشرف أينال ، ثم بقي مقدم ألف وحج أمير الحمل غير مأمرة ، ثم ولي حاجب
الحجاب ، ثم بقي نائب حلب في دولة الظاهر خشقدم ، ثم قبض عليه ومُهل إلى ١٨
القدس بطالا ، ثم أعيد إلى نيابة حلب ، ثم بقي نائب الشام ، تولاها مرتين ومات
بها ، وكان أسر عند سوار وهو نائب حلب ، وأطلق من عند سوار بعد موت الظاهر
خشقدم ، وقاسى شدايد ومحن حتى مات . ٢١
- وفيه دخل الحاج القاهرة ، وكان الأول والحمل ركبا واحدا ، وكان الحاج قاسي
في هذه السنة مشقة زائدة من المطش وموت الجمال ، فأرسل يشبك الدوادر شقادر
وزادا وماء إلى النقطعين من الحاج ، فلاقاهم من قريب ينبع ، وحصل بذلك لهم ٢٤

غاية النفع . - وفيه توفي أبو بكر بن علي ، دوا دار بُرد بك البجمقدار نائب الشام ،
فيقال إنه سمّ أستاذه بُرد بك ، فمات أبو بكر قبل بُرد بك بأيام ، وكان أبو بكر رقا
٣ في أيام أستاذه حتى صار له ذكر وشهرة طائلة بحلب والشام .

وفيه حضر قاصد حسن بك الطويل وعلى يده مكاتبة ، يذكر فيها أنه قتل جماعة
من أولاد تمرلنك وملك بلادهم ؛ وحضر (١٢٧ آ) بمده قاصد من عند ابن عثمان ملك
الروم ، يخبر بأنه افتتح عدة بلاد من بلاد الفرنج البنادقة . - وفيه عين السلطان
الأمير أيتال الأشقر ، رأس نوبة النوب ، ومعه عدة من الأمراء الطبلخانات
والعشرات ، وعدة من الجند ، بسبب قتال سوار ، وقد خشي السلطان من سوار أن
يكبس حلب على حين غفلة ، فبعث هذه التجريدة يقيمون بحلب إلى أن يرسل تجريدة
٩ ثقيلة ؛ فلما عينه بعث إليه النفقة من يومه ، وقد حمل إليه اثنتي عشر ألف دينار ؛
ثم نفق على بقية الأمراء والجند واستحثهم في سرعة الخروج ، فخرجوا عقيب ذلك
من غير أطلاب ولا أشلة ، وقد عزّ ذلك على أيتال الأشقر كونه خرج في
١٢ قلب الشتاء .

وفي صفر توفي بُرد بك المشطوب الشبكي ، أحد الأمراء الطبلخانات ورأس نوبة
ثاني ، وكان لا بأس به ، وأصله من مماليك يشبك نائب حلب . - وفيه كان وفاة
١٥ النيل المبارك ، وكان الوفاء ثاني عشرين مسرى ، فلما أوفى توجه الأنابكي جاني بك
قلقيز ، وهو على أمرة السلاح ، ففتح السد على المائدة ، وكان الأنابكي أربك غائبا
في البحيرة .

١٨ وفيه عمل السلطان الموكب وأخلع على الأمير برقوق الفاصري وقرّر في نيابة
الشام ، عوضا عن برد بك البجمقدار بحكم وفاته ، وكان برقوق يومئذ أحد مقدمين
الألوف بمصر ، فانتقل إلى نيابة الشام في مدة يسيرة ، فعُدّ ذلك من النوادر . - وفيه
٢١ ظهر القاضي تاج الدين بن المقسى ، وكان مختفيا ، فأخلع عليه السلطان وأعادته إلى
نظر الخاص ، وعزل عنها عبد الرحمن بن الكؤيز ؛ وكان القائم في عود ابن المقسى

إلى نظارة الخصاص الأمير يشبك الدوادار ، فنزل من القلعة في موكب حافل ،
ومعه (١٢٧ ب) الأمير يشبك الدوادار وأعيان الدولة ، حتى قاضى القضاة محب
الدين بن الشحنة الحنفى . ٣

وفي ربيع الأول ، في يوم مستهله ، ركب السلطان وتوجه إلى طرا ، فصعد
قضاة القضاة للتهنئة بالشهر فلم يجدوا السلطان بالقلعة ، فقال لهم تقيب الجيش عن
لسان السلطان بأنهم يصعدوا إليه بعد العصر ، إذا حضر السلطان . - وفيه وصل
خاير بك الظاهري الخشقدمى ، الذى كان تسلطن ليلة واحدة ، فنزل في بولاق في
بيت صهره ناظر الخصاص يوسف ، وكان السلطان رسم له بأن يتوجه إلى مكة ويقيم بها ،
وكان الساعى له في ذلك يشبك الجمالى ، فأقام ببولاق أياما حتى عمل له يرق ، وخرج
إلى مكة . ٦ ٩

وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا ، وجلس برقوق الذى قرر في نيابة
الشام رأس الميمنة . - وفيه نزل السلطان إلى جهة المطرية ونصب هناك الخيام ،
ورسم للأسماء بالتوجه معه ، وأقام هناك أياما على سبيل التزّه ، وصنع هناك الأسمطة
الحافلة ، حتى قيل كان مصروف هذه الحركة على الأسمطة ألف دينار . - وفيه أخلع
السلطان على قاصد حسن الطويل وأذن له بالسفر ، وجّهز معه هدية إلى حسن الطويل . -
وفيه توفى الأمير تانى بك الملم المحمدى الأشرفى ، مات بالقدس بطالا ، وكان عارفا
بفنون لعب الرمح . ١٢ ١٥

وفي ربيع الآخر صعد القضاة إلى القلعة للتهنئة بالشهر ، فلما أرادوا الانصراف
أخذ السلطان في الكلام معهم بسبب محراب جامع أحمد بن طولون ، بأن في أصل
وضعه الانحراف عن جهة القبلة ، فقال كاتب السر : هذا الجامع تحت نظر قاضى
القضاة الشافى ، فقال القاضى ينبغي أن يتغير هذا المحراب ويحدد غيره إلى جهة القبلة ،
فانفض المجلس على ذلك ، ولم يغير فيه شيء إلى الآن . - (١٢٨ آ) وفيه خرج
برقوق إلى محل نيابته بالشام ، فطلب طلبا حافلا ، وكان له يوم مشهود . - وفيه
جاءت الأخبار من حلب بأن حسن الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية ، وأنه أظهر ١٨ ٢٤

المدواة للسلطان ، وقد طمع في عسكر مصر بموجب ما فعله بهم سوار ، فتأثر السلطان لهذا الخبر وقصد أنه يخرج إلى حلب بنفسه .

- ٣ وفيه نادى السلطان في القاهرة بأنه قد أبطل عدة مكوس ، منها مكس قطيا ، ومكس الخشب والأطرون بالبحيرة ، وغير ذلك عدة مكوس أبطلها بمصر وجدة ، فدعوا له الناس بسبب ذلك . - وفيه عين السلطان القاضي شرف الدين الأنصارى ، وكيل بيت المال ، بأن يخرج إلى جبل نابلس لجمع المشير ، بسبب التجريدة إلى سوار ، فخرج هو ودولات باى الخازندار . - وفيه عين في أمرة الحاج بالحمل يشبك الجمالى ، وفي أمرة الأول آقبردى الأشرفى ، على عادتهما في العام الماضى ؛ وقرّر في الزردكاشية الكبرى جانم السيفى تمر باى ، عوضا عن فارس الذى توجه إلى دمشق .
- ٩ وفي جمادى الأولى أرسل السلطان بعزل بلاط الشبكي عن نيابة حماة ، وقد أرسل يستعفى من ذلك . - وفيه عين السلطان تجريدة ثقيلة إلى سوار ، وعين بها عدة من الأمراء المقدمين ، منهم : الأمير يشبك الدوادر الكبير باش المسكر ، وتمر از الشمسى بن أخت السلطان أحد المقدمين ، وخاير بك من حديد الأشرفى ، وأزدمر الطويل الإبراهيمى ، ثم بطل أزدمر الطويل وعين برسباى قرا عوضا عنه ، ثم عين قانصوه الخسياف الأينالى ولم يتم له السفر ، وعين أيضا تمر حاجب الحجاب ولم يتم له السفر ، وعين عدة أمراء طبلخانات وعشرات ، وعرض الجند وكتب منهم عدة وافرة ، وأعلمهم بأن السفر يكون بعد أن تربع الخيول .
- ١٢ وفيه أرسل السلطان خلعة إلى خاير بك القسروى بأن يستقر نائب حماة ، عوضا عن بلاط الشبكي (١٢٨ ب) الذى عزل عنها ، فلما وصلت إليه الخلعة باستقراره في نيابة حماة فمات فجأة قبل دخوله إلى حماة ، وكان أميرا جليلا تولى عدة وظائف سنية ، منها نيابة القلعة بمصر ، ثم نيابة غزة ، ثم نيابة صفد ، ثم قرّر في ٢١ مقدمة ألف بدمشق ، ثم قرّر في أتابكية طرابلس ، ثم قرّر في نيابة حماة ، فمات ولم يدخلها .
- ٢٤ وفيه توفى قاضى قضاة الشافعية بحلب ، وهو السيد الشريف تاج الدين

عبد الوهاب بن عمر بن حسن بن علي بن حمزة الحسيني الحلبي الشافعي ، وكان من أهل العلم والفضل . - وفيه توفي الأمير يشبك جنّ الإسحاق الأشرفي أحد مقدمين الألوف بمصر ، وكان يعرف بالفهلوان ، ومات وله من العمر نحو من سبعين سنة ، وكان حدة المزاج سيء الخلق . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة سُنقر قرق شبق الأشرفي ، الذي كان زردكاشا بمصر ثم نفي ، ومات وهو مقدم ألف بدمشق ، وكان علامة في لعب الرمح . ٦

وفي جمادى الآخرة أنعم السلطان علي بُرسبای قرا الحمدی الظاهري بتقدمة ألف، وهي تقدمية يشبك جنّ ؛ وقرّر في الخازندارية قجماس الإسحاق الظاهري ، عوضا عن برسبای قرا بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وكان قجماس أُنّي السلطان قديما . ٩

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى الخانكة ، ثم سار إلى العكرشا وهو راكب المحجن ، ثم عاد إلى القلعة بعد أيام . - وفيه توفي جكم الأجروود الأشرفي نائب صفد . ١٢

وفي رجب نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو قناطر العشرة ، وأقام هناك سبعة أيام ، وتوجّه إلى الأهرام وهو ماشي ، وحوله الأمراء ، وكانت تلك الأيام مشهودة في القصف والفرجة ، ونصب له أشاير على رؤوس الأهرام ، وعلمت هناك أسمطة حافلة ، وصار ابن رحاب المغني (١٢٩ آ) عمال في كل ليلة ، وبقية مناني البلد ، وابتاع المجمع الحلوى هناك بنصفين فضة ، والصحن الطعام الخاص بنصف فضة ؛ ثم إن السلطان رحل من هناك بعد مضي سبعة أيام وتوجّه إلى جهة الفيوم ، فلما دخلها زُيّنت له ، وكان يوم دخوله إلى الفيوم يوما مشهودا ، ودخل عليه جملة تقادم من الكاشف ومشايخ العربان ؛ فكانت مدة غيبته في هذه السفرة نحو من عشرين يوما ، وكان ذلك في قلب الشتاء في زمن الربيع ، ثم عاد السلطان إلى القلعة . ١٨ ٢١

وفي هذه الأيام وقع العدل والرخاء بالديار المصرية ، حتى أبيعت البطة الدقيق بستة أنصاف ، والرطل الخبز بدرهم نقرة ، وأبيع الفدان البرسيم الخضر بدينار ،

- وكثر اللحم والأجبان ، وانحطّ سعر سائر البضائع . - وفيه جاءت الأخبار بأن قانصوه اليحياوى نائب حلب قد وقع بينه وبين نائب قلعة حلب ، فأرسل يشكوه للسلطان ، فأ نصف السلطان نائب حلب على نائب القلعة . - وفيه أخلع السلطان على قجماس الإسحاقى وقرّر فى نيابة الإسكندرية ، عوضا عن يلباى العلاى بحكم استقراره فى نيابة صفد ، عوضا عن جكم الأشرفى المعروف بالأجروود . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن سوار قد استولى على سيس وقلعتها ، فازعج السلطان لهذا الخبر . ٦
- وفى شعبان عزل قاسم شُفَيْتَة عن نظر الدولة ، ورسم عليه الأمير يشبك الدودار ، وطلب منه مالا . - وفيه عين السلطان الأمير برسباى قرا أحد المقدمين ، بأن يخرج جاليش العسكر إلى سوار قبل خروج الأمير يشبك ، فخرج ومعه عدّة ٩ من الجند ، وبعت إليه السلطان أربعة آلاف دينار بسبب النفقة .
- وفيه وقعت نادرة غريبة ، وهو أن السلطان أعاد إلى جماعة ما كان أخذه منهم من المال (١٢٩ ب) لما صادر الناس فى التجريدة الأولى ، فأعاد إلى فارس الركنى ١٢ ألف وخمسمائة دينار ؛ وأعاد إلى الشهابى أحمد بن أسنبغا الطيارى ألف دينار ؛ وأعاد إلى الشهابى أحمد بن الطرابلسى ، الذى كان دودار ابن العينى ، ألف دينار ؛ وأعاد إلى فارس السيفى دولابى ألف دينار ؛ وبعت لابن العينى خمسة عشر ألف دينار من بعض ما أخذه منه ؛ وأعاد إلى جماعة كثيرة ما كان أخذه منهم فى المصادرة ، فتمجّبوا الناس من ذلك ، لكونه فعل هذا من تلقاء نفسه ، وأشيع بين الناس أنه رأى فى المنام ما أوجب ردّ هذا المال على أربابه ، فكان حال الناس معه كما قال القائل فى المعنى : ١٨
- كُنّا نؤمّل أن ننال بجاهكم خيرا يكون على الزمان مُعينا
والآن نقنع بالسلامة منكم لا تأخذوا منا ولا تعطونا
- ولكن فعل بعد ذلك 'ناس من المصادرات وأخذ [من] الأموال ما يعجز ٢١ عنه الواصفون . - وفى هذا الشهر جاءت الأخبار من مكة ، بأن العين التى أجراها السلطان إلى عرفات قد انتهى العمل منها ، ووصل ماؤها إلى عرفات ، وحصل به

غاية النفع لأهل مكة ، وكان لهذه العین نحو من مائة سنة وكسور وهی ممطّلة عن الجريان ، وكان جوبان أجرى ماءها ثم تمطّلت من بعده حتى أجراها السلطان .

٣ وفي رمضان نفق على الجند الكسوة ، ونفق على المالك المعین للتجريدة نفقة السفر ، لكل مملوك مائة دينار وكسوة عشرة دنانير ؛ فاستمرّ يفعل ذلك ثلاثة أيام متتامة ، حتى انتهى ذلك . - وفي هذا الشهر كانت وفاة الأديب البارع الفاضل الشهاب الحجازي أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الأنصاري الخزرجي الشافعي ، وكان (١٣٠ آ) عالما فاضلا بارعا في الأدب ، وله عدة مصنفات في الآداب ، منها : كتاب روض الآداب والقواعد في المقامات ، وشرح المملقات ، وقلائد النجور في جواهر البحور ، والتذكرة ، وغير ذلك من الكتب النفيسة ، وكان ظريفا ، لطيف الذات ، كثير النوادر ، عثير الناس ، حسن المحاضرة ، وله شعر جيّد ، فمن ذلك قوله :

١٢ في خندس الليل أتانا فتى ونادم القوم فبئس النديم
فقلتُ للأصحاب لما أتى قد جاءنا في جنح ليل بهيم

ومن تضامينه اللطيفة :

١٥ قصدتُ رؤية خصر مُدّ سمعت به فقال لي بلسان الحال ينشدني
انظر إلى الردف تستغني به وأنا مثل الميديّ فاسمع بي ولا ترني
وكان مولده في أوائل قرن الثمانمائة ، فلما مرض الشهاب الحجازي بعث إليه

١٨ الشهاب المنصوري بهذين البيتين وهما :

قيل الشهاب سقيم قلتُ وأسفا ما بال أحمد لا يخلو من الملل
وزنُ الرقاق من أضحي يحرّرها ووصفه بفنون العلم والعمل

٢١ فلما توفي الشهاب الحجازي رثاه الشهاب المنصوري بهذه الأبيات :

زادني فقد الحجازي شجي هل يطيب العيش مع فقد الحجا
لودري القمريّ أبدا نوحه أو غراب البين فيه شججا

- سار في زورق نعش قاطعا منك يا بحر النايا لججا
(١٣٠ب) وامتطى طرف الردامستوفزا طالبا من هم دنياه النجا
٣ إن يكن في التُّرب أمسى هابطا فسيرة في الجنان الدرجا
أو يكن ليل الضريح عاكرا فسيلقاه شهابا أبلجا
فليطب أرجاء قبر زارها إنها حاكته في حسن الرجا
٦ فالحجازي بكته مصره والشهاب اشتاقه بدر الدجا
ليس بدعا إن بكينه دما لهب الحزن يذيب المهجا
إن تسَلَّ عن حالي من بعده فسل الليل إذا الليل دجا
أدمع العين جوار والبكا ٩ خادم ألفتته لى فرجا
رجم السهد الكرى بالدمع من محجر العينين حتى عرجا
فسقى الله ثراه وابلا يُنبِتُ الروض ويُهدى الأرجا

- ١٢ قلت كان بالقاهرة سبعة من الشعراء اجتمعوا في عصر واحد، وكل منهم يدعى
بشهاب، فكان يقال السبعة الشهب، وهم: الشهاب بن حجر رحمة الله عليه،
والشهاب ابن الشاب التايب، والشهاب بن أبي السمود، والشهاب بن مبارك شاه
الدمشقي، والشهاب بن صالح، والشهاب الحجازي، والشهاب المنصوري، فلما ماتوا
رثاهم الشهاب المنصوري بهذه الأبيات وهو قوله:

- خَلَّتْ سماءُ المعاني من سنا الشهب فالآن أظلم أفق الشعر والأدب
١٨ تقطَّب العيش وجهها بعد رحلة من تجاذبوا بالمعاني مركز القطب
تعطلت خُرْدُ الأيام من درر كانت تحلِّي بها منهم ومن ذهب
لو تعلم الأرض ماذا ضُمنت بطرت بهم كما يبطر الإنسان بالنسب
٢١ ولو درى السك أن التراب ضُمَّهم لودَّ نشقة عرف من شذا التراب
(١٣١آ) لهقى عليهم إذالت السباع عا أهدوا إليه التذاذ الذوق بالضرب
إن أبدلوا طربي بالحزن بعدهم فطال ما أبدلوا الأحزان بالطرب
٢٤ لو كان صَوْنُهم يا قلب يمكنني لصنَّتهم بك صون العين بالهدب

ما أنصفتهم عيوني في البكاء ولو أغنت مدامعها عن وابل السحب
 فطالما سلكوا نهج البديع وما هدوا إليه هدى الأبقار للنجب
 ٣ قد كان من أربى تهذيب قافية واليوم لم أربى ميلا إلى أرب
 زانوا بنظمهم الدنيا ولا عجب إذا ترينت الظلماء بالشهب
 لا تمجن إن قضوا نجما وفاجأهم ريب النون فما في الموت من عجب
 ٦ سقى ثرام غوادٍ لا انتشاع لها عيونها مثل أفواهٍ من القرب
 انتهى ذلك . - وفي هذا الشهر توفي كسباى الزينى المؤيدى ، الذى كان نائب
 الإسكندرية وعزل عنها .

٩ وفى شوال كان خروج المسكر الممّين إلى سوار ، فخرج الأمير يشبك من مهدى
 أمير دوادار كبير ، ووزير الديار المصرية ، وأستادار العالية ، وكاشف الكشاف ،
 وباش المسكر ، فكان فى غاية العظمة ، وقد فوّض إليه السلطان أمور البلاد
 ١٢ الشامية والحلبية وغير ذلك من البلاد ، وجعل له الولاية والعزل فى جميع (١٣١ ب)
 أحوال المملكة ، وكتب معه خمسمائة علامة ، ويُكتب على البياض ، وجعل له
 التصرف فى جميع النواب والأمراء ، إلا نائب الشام ونائب حلب فقط ، فكان له لما
 ١٥ خرج يوم مشهود ، وطلب طلبا حافلا بحيث لم يعمل مثله قط ، وجُرّ فى طلبه عدّة
 خيول ملبّسة بركستوانات فولاذ مكفّت بالذهب ، وبركستوانات نخل ملوّنة ، وصنع
 فى رنكه سبع ، وقد اقترح أشياء غريبة لم يُسبق إليها ، ورسم للمالكة بأن تخرج
 ١٨ فى الطلب وهى لا بسة لامة الحرب بأنواع السلاح زيادة فى العظمة ، فابتهج الناس
 بذلك غاية البهجة ؛ وخرج صحبته من الأمراء المقدمين الألوف : تراز الشمسى ابن
 أخت السلطان ، وخاير بك من حديد ، وبرسباى قرا أحد الأمراء المقدمين ،
 ٢١ ومن الطبلخانات ومن الأمراء المشرات جماعة كثيرة ، ومن الجند نحو من ألفين
 مملوك ، فرجت لهم القاهرة ، واستمرت الأطلاب تنسحب إلى قريب الظهر ، وشقوا
 من القاهرة ، وخرجوا من باب النصر ، وتوجّهوا إلى الوطاق بالريدانية .

فلما كانت ليلة الرحيل نزل السلطان إلى عند الأمير يشبك بالخميم ، وجلس عنده وتكلم معه طويلا ، ثم أضافه الأمير يشبك ، وركب من عنده وتوجه إلى الخانكة ، ثم عاد إلى القلعة . - ثم في ثانی ليلة نزل إلى الأمير يشبك أيضا بعد ٣ المشاء وخلا به ، وأقام عنده إلى قريب الفجر ، ثم طلع إلى القلعة ، ورحل الأمير يشبك من الريدانية قاصدا للسفر ؛ ثم خرج المسكر أفواجا أفواجا حتى سدّ الفضاء ، وكان هذا نقاوة المسكر من أعيان الشجعان ، فتفاهل الناس بأن هذا المسكر ينتصر ، ٦ وأن سوارا مأخوذا محالة ، وكذا جرى وأخذ سوار في السنة الآتية ، كما سيأتي ذكر ذلك في (١٣٢ آ) موضعه ؛ وقد أعيب على السلطان نزوله إلى الأمير يشبك في الوطاق مرتين ، وهذا بخلاف عادات الملوك وقواعدهم القديمة . - وفيه خرج الحاج من ٩ القاهرة في تجمّل زائد ، وكان له يوم مشهود ، ولكن تأخر إلى يوم عشرينه بسبب فرار غلمان أمراء الحاج .

وفي ذی القعدة وُلد للأمير يشبك الدوادار ولد من زوجته خوند ، ابنة ١٢ الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أینال ، فسماه منصور ، فكان له مهمّ حافل . - وفيه أخلع السلطان على السيد الشريف سبع بن خنافر ، وقرّر في أمرة الينبع ، عوضا عن خنافر . - وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو صقيل ، ١٥ وقد أضافه هناك القاضي كريم الدين بن جلود كاتب المالیک ، فأقام هناك إلى آخر النهار وعاد إلى القلعة .

وفي ذی الحجة أخلع السلطان على شيخ عربان الشرقية بقر بن بقر ، وقرّره ١٨ في مشيخة الشرقية ، عوضا عن قريبه ابن عيسى بن بقر ، وسُجن ابن عيسى بالمقشرة بعد ما ضرب بين يدي السلطان ضربا مبرحا . - وفيه عين السلطان الأمير تمر حاجب الحجاب ، والأمير قانصوه الحسیف الأینالی ، بأن يخرجوا إلى الشرقية بسبب فساد ٢١ العربان ، ورسم لهما السلطان بأن من وجدوه من بني سعد وبني وائل يقبضوا عليه . وفيه كان ابتداء عمارة الإيوان الكبير الذي بالقلعة ، فأمر السلطان بتجديده

وإصلاح ما فسد من بنائه ، وكان الشاد على عمارته القاضي كاتب السرّ ابن مُزهر ،
والبدري بدر الدين بن السكّوز معلم الملمين ، فأصرف عليه نحواً من عشرين ألف
دينار ، وكان قصد السلطان بأن تقام الخدمة به على العادة القديمة ، ويوكب به ، فلم
يتمّ له ذلك ، واستمرّ الأمر على حاله إلى الآن . - وفيه توفي الأستاذ (١٣٢ ب)
الغنى الموسيقى محمد ، المعروف بـ يرقوق التونسي ، وكان بارعاً في الغناء والإنشاد ، وكان
له شهرة طائلة ، قدم من الغرب يروم الحاج فتوفى بالقاهرة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثمانمائة

فيها في المحرم كانت بشارة النيل المبارك في أول يوم منه ، فتفاد الناس بأنها
سنة مباركة . - وفيه توفي قاضي القضاة برهان الدين بن الديري الحنفى ، وهو إبراهيم
ابن محمد بن عبد الله بن سعد بن مصلح العيسى القدسي الحنفى ، مات وهو منفصل
عن القضاء ، وكان طالماً فاضلاً ريساً حشماً ، وولى عدة وظائف سنوية ، منها نظر
الاصطبل ، ونظر الجيش ، وكتابة السرّ ، وقضاة الحنفية ، ومشيخة الجامع المؤيدى ،
وغير ذلك من الوظائف .

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو شيبين القصر ، وكان معه الأتابكي
أزبك وجماعة من الأمراء ، فبينما هو سائر في أثناء الطريق ، إذ شبّ فرس الأتابكي
أزبك على فرس السلطان فرفسه ، فجاءت الرفسة في قصبة ساق السلطان ، فانكسرت ،
فنزّل بشيبين وهو في غاية الألم من ساقه ، فأرسل يطلب محفة حتى يعود فيها إلى
القاهرة ؛ فلما وصل هذا الخبر إلى القاهرة كثرت بها القال والقليل بسبب عود السلطان
وهو في محفة ، فلما عاد طلع إلى القلعة وهو في المحفة حتى نزل على باب البحرة ،
وكانت القاهرة قد زُيّنت لقدم السلطان ، فلما طلع تحت الليل هُدّت الزينة ؛
وأشيع أن السلطان على غير استواء حتى نزل الوالى ونادى للناس بالأمان وسلامة
السلطان ، وأن تماد الزينة كما كانت ، فزُيّنت القاهرة ثانياً ؛ ثم إن السلطان خرج
وجلس على الدكة وعلم المراسيم ، وجهز مراسيم إلى (١٣٣ آ) البلاد الحلبية بسلامته

من هذا المارض ، حتى يسكن ذلك الاضطراب ، وتُحمد هذه الإشاعة من البلاد الشامية . - وفيه توفي تنرى بردى بن يونس أتابك حلب ، وكان لا بأس به . - وفيه حضر صحبة الحاج القاضي كمال الدين بن ظهيرة ، قاضي جدة ، أخو القاضي ٣ برهان الدين بن ظهيرة ، قاضي مكة ، ليسعى لأخيه في عوده إلى القضاء ، وكان قد صُرف عنها .

٦ وفيه جاءت الأخبار بأن شاه سوار قتل قرقاس الصغير نائب ملطية ، وقد تقدّم مافعله قرقاس بجماعة سوار ، وقبض على أحد إخوته وقتل جماعة كثيرة من عسكره ، فلما ظفر سوار بقرقاس قتله أشرّ قتلة ، قيل إنه أوقفه في مكان وبني عليه حائطا ، وقيل بل علّقه في شجرة واستمرّ ينشبه بالنشاب حتى مات ؛ وكان قرقاس الصغير ٩ هذا أصله من ممالك الأشراف أبنال ، وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب ، وكان لا بأس به . - وفيه عين السلطان نيابة ملطية لأينال الحكيم ، عوضا عن قرقاس الصغير بحكم قتله . - وفيه أخلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفي ، وقرّر في ١٢ مشيخة الجامع المؤيدي ، عوضا عن برهان الدين الديري بحكم وفاته ، وكانت هذه الوظيفة مع أولاد الديري بحكم شرط الواقف الملك المؤيد شيخ ، فأخرجها السلطان عنهم للشيخ سيف الدين ولم يلتفت إلى شرط الواقف . ١٥

وفي صفر جاءت الأخبار من حلب بأن الأمير يشبك أخذ قلعة عينتاب من جماعة سوار ، وأن سوارا أخذ أولاده وعياله وماله وأودعهم بقلعة زمنطوا وصار على رأسه طيرة من المسكر بخلاف المادة . - وفيه عاد الأمير تمر حاجب الحجاب من الشرقية ١٨ وقد قبض على جماعة من العربان المفسدين ، وفيهم موسى بن عمران ، وآخر يقال له أبو طاجن ، وكانا من أعيان (١٣٣ ب) العربان المفسدين ، فرسم السلطان بتوسيط موسى بن عمران ، فوسطه ومعه جماعة من بني سعد وبني حرام وبني وائل ؛ فلما ٢١ بلغ العربان قتل هؤلاء أظهروا العصيان وأفسدوا في البلاد ، ورسم السلطان للأمير تمر بأن يعود إلى الشرقية ، فماد عن قريب .

٢٤ وفيه ركب السلطان وصلى صلاة الجمعة بالقلمة ، وكان له مدة لم يركب بسبب

كسر قصبة ساقه ، فلما ركب تَخَلَّقَ الخدام بالزعفران ، ولاتته الثغاني من باب الجامع ، وكان يوما مشهودا بالقلعة . - وفيه رسم السلطان لابن الطولوني بأن يَجِدِّدَ عمارة الميضا التي بجامع القلعة فوسَّعَهَا ، وترميم عمارة الجامع ، فأصرف على ذلك ألف دينار . - وفيه جاءت الأخبار بأن الأمير يشبك أخذ من سوار ما كان استولى عليه من أدنة وطرسوس ، وتحارب مع جماعة سوار أشدَّ المحاربة ، حتى طردهم عن تلك البلاد وملكها . ٦

وفيه كان وفاء النيل المبارك ، وكان الوفاء في سادس عشرين مسرى ، فتوجَّه الأتابكي أزبك وفتح السدَّ على المائدة . - وفيه توفي أسنبنا التتري اليشبكي الناصري ، أحد الأمراء المشرات ورءوس النوب ، وكان لا بأس به . - وفيه ركب السلطان ونزل من القلعة وتوجَّه إلى جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه ، فنزل به وكشف على ما تهدَّم من حيطانه وسقوفه ، فأمر ببنائه من ماله ، وشرع في ذلك . ١٢

وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوي ، وكان حافلا . - وفيه نودي من قبل السلطان بأن أحدا لا يشكو أحدا للسلطان ، إلا بعد أن يرفع أمره لأحد من الحكام ، فإذا لم ينصفه يقف بعد ذلك للسلطان ؛ وكان قد كثرت شكاوى الناس بين يدي السلطان ، حتى أن امرأة شكت زوجها للسلطان ، لأجل أنه (١٣٤٤) وطىء جارية في ملكه ، فما طاعت زوجته الغيرة ، فشكته للسلطان بقصة . - وفيه أخلع على يشبك الجمالي ، وقرَّر في امرأة الحاج بركب الحمل على عادته ، وكان السلطان عَيْنَ برسباي الشرفي ، فاستعفى من ذلك حتى عُفِيَ . ١٥ ١٨

وفي ربيع الآخر نزل السلطان إلى نحو خليج الزعفران على سبيل التنزه ، وكان معه الأتابكي أزبك وجماعة من الأمراء فأقام هناك إلى آخر النهار ، فلما عاد ووصل إلى الحسينة وجد في طريقه جنازة ، وهي امرأة غريبة ليس معها أحد من الناس سوى الجمالين ، فنزل عن فرسه ومن معه من الأمراء ، فصَلَّى عليها في قارعة الطريق وقد أُمَّ بالجماعة الذين حضروا الصلاة ، فعمَّد ذلك من النوادر ؛ وقد وقع مثل هذه الواقعة ٢٤

بعينها للأمير أحمد بن طولون ، واستمرّ ماشيا قدام الميت حتى والاه التراب . - وفيه
عبث السلطان على الأمير أزبك اليوسفي أحد الأمراء المقدمين ، فأخلع عليه وقرّره
في نيابة عينتاب ، فنزل إلى داره مهموما ، وأقام على ذلك أياما حتى شفع فيه الأتابكي^٣
أزبك وأعفى من ذلك .

وفي جمادى الأولى حضر محمد بن نائب بهسنا من عند الأمير يشبك ، بمكاتبة
يذكر فيها انحلال أمر سوار ، وأن عسكره قد قلّ عنه ، وهو خائف من العسكر ؛^٦
ثم أرسل الأمير يشبك يطلب من السلطان نفقة للعسكر يتوسّع بها ، فإن المليك
كان هناك مشحوتا ، فبعث إليه السلطان مائة ألف دينار تُفرّق على العسكر هناك
ليتوسّعوا بها .^٩

وفي هذا الشهر كانت وفاة قاضي القضاة عز الدين أحمد الحنبلي ، وهو أحمد بن
إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن هاشم بن إسماعيل بن نصر الله بن أحمد
المسقلاني الحنبلي ، وكان عالما فاضلا متواضعا ، فكه المحاضرة ، بقية الناس ، سمع^{١٢}
على جماعة من العلماء وأجازوه ، وناب في الحكم مدة ، ثم ولى (١٣٤ ب) القضاة
الأكبر بعد وفاة قاضي القضاة بدر الدين البغدادي في سنة سبع وخمسين وثمانمائة ،
واستمرّ في هذه الولاية مدة طويلة نحو من عشرين سنة إلا أشهر ، وباشر منصب^{١٥}
القضاة بمعة وزاهة ، ومُحَدّت عند الناس سيرته ، وانتهت إليه رئاسة مذهبه ، وولى
عدة تداريس جليلة ، وعاش مدة طويلة وقد قارب الثمانين سنة من العمر ، ومولده
سنة ثمانمائة .^{١٨}

فلما مات استمر منصب القضاة شاغرا لم يتولّ به أحد ، فأقام نحو من خمسة أشهر ،
وكان السلطان أرسل خلف برهان الدين بن مُفلح من الشام ليلي القضاة ، وكان^{٢١}
السلطان رسم لبدر الدين السعدي أحد النواب ، وهو تلميذ قاضي القضاة عز الدين
الحنبلي ، بأن ينظر في الأحكام المتعلقة بمذهبه إلى أن يحضر البرهان بن مُفلح من الشام ،
فلما عاد القاصد الذي توجّه إلى ابن مُفلح ، أخبر بأن ابن مُفلح مريض ، وأرسل يمتدّر
للسلطان في عدم الحضور إلى القاهرة ، وتعلّل بأشياء تدلّ على عدم قبوله للولاية .^{٢٤}

فلما ناد هذا الجواب على السلطان أخذ القاضي كاتب السر ابن مُزهر يسمى
 للسعدى فى أن يلى القضاء ، وكان يومئذ من هو فى الحنابلة أفضل من السعدى ،
 ٣ ولكن المظوظ تختلف ؛ فلما كان ختم البخارى فى رمضان أحضر السلطان خلمة
 وأخلع على بدر الدين السعدى ، واستقر به قاضى قضاة الحنابلة بمصر ، عوضا عن
 القاضى عمر الدين بحكم وفاته ، فنزل من القلمة فى موكب حافل جدا ، وقد استكثر
 ٦ غالب الناس على السعدى ذلك ، وكان شابا لم يظهر بلحيته البياض ، وقد داعبه
 بعض شعراء العصر بهذه المداعبة اللطيفة ، وهو قوله :

قاضيكموا ما مثله فى حكمه - عفيفٌ ذليلٌ ليس يُدعى زانيا
 ٩ قد ساس أمر الناس فى أحكامه - فلم تر أسوس منه قاضيا
 وفيه يقول القائل :

حضرتُ فى الدرسِ على قاضٍ - نصّ على التقليد فى درسه
 ١٢ فيُحسنُ البحث على وجهه - ويوجب الدخول على نفسه

(١٣٥ آ) وفيه خرج السلطان إلى الرماية ببركة الخب ، وكان معه الأتابكى
 أزبك وبقية الأمراء ، فوجه إلى هناك ، ثم عاد إلى القلمة ، وشق من القاهرة
 ١٥ فى موكب حافل ، وكان له يوم مشهود ، وصاد فى ذلك اليوم ثلاثة كراكي وبلشون .
 وفى جمادى الآخرة قدم قاصد من عند صاحب بلاد الهند الملك غياث الدين ،
 وأحضر على يده هدية إلى السلطان ، وإلى الخليفة المستنجد بالله يوسف ، وأرسل
 ١٨ يطلب منه تقليدا بولايته على إقليم الهند ، عوضا عن كان قبله من ملوك الهند ،
 فأكرمه السلطان وأخلع عليه ، وكتب له الخليفة تقليدا بما سأل . - وفيه وصل
 قاصد من عند الأمير يشبك الدوادار ، وعلى يده مكاتبة من عند يشبك ، يذكر فيها
 ٢١ أنه وقع بينه وبين عسكر سوار واقعة مهولة على نهر جيحون ، وجرح فيها الأمير
 ترماز الشمسى فى يده بسهم نشاب ، فأغنى عليه حتى مُحمل ورجع إلى الوطاق ،

(٩-٨) قاضيكموا ... قاضيا : البيتان كتبنا فى الأصل ثم شطبا .

ثم إن الأمير يشبك ثبت وقت الحرب ، فزحف العسكر على عسكر شاه سوار ، فكان بين الفريقين ساعة تشيب منها النواصي ، فانكسر عسكر سوار كسرة قوية ، وقتل منه ما لا يحصى عددهم ، فوئوا مدبرين ، وكانت النصره لعسكر مصر على عسكر سوار ، فكان كما يقال فى المعنى :

- جيوشنا كالأسود أنحت تقتحم الحرب بالعزائم
وسيف سلطاننا طويل له نفوس المدا غنايم
فالنصر بالفتح مُدُّ أناه صير قلب الحسود وارم
فيا له فى الورى مليك لقمع أهل الفساد صارم
- ٦ قيل لما تار الحرب فكان أول من ألقى نفسه بفرسه فى النهر الأمير ترماز
الشمسى ، فلما رأوه العسكر ألقوا أنفسهم فى النهر قاطبة ، فخطم ترماز فى عسكر سوار
بنفسه فمزقهم ، فما شعر حتى جاءه سهم نشاب فى يده فأنخس له ورجع (١٣٥ ب)
١٢ إلى الوطاق ؟ ثم إن العسكر حطم على عسكره سوار فكسره ، فلما رأى سوار
الكسرة عليه هرب فى نفر قليل من عسكره وطلع إلى قلعة زمنطوا فاختفى بها ؛
فلما بلغ الأمير يشبك أن سوارا فى قلعة زمنطوا حاصرها أشد المحاصرة ، ورمى عليها
بالدافع ، واستمر يحاصرها حتى كان من أمره ما سذكركه فى موضعه ، فأخلع
١٥ السلطان على القاصد الذى جاء بهذه البشارة ، وكذلك الأمراء أخلعوا عليه . -
وفيه انشرح السلطان لهذا الخبر ونزل إلى الرماية وغاب يوما ليلة ، فلما عاد طلع
من الصليبة فى موكب حافل . - وفى هذا الشهر خسف جرم القمر جميعه ، وكان
١٨ خسوفا فاحشا .

وفى رجب شرع السلطان ينزل إلى الاصطبل ، وصار يحكم به كل يوم سبت
وثلاثاء ، فتكاثر عليه المحاكات ، وتزايدت شكوى الناس إليه ، فوقف شخص
٢١ يقال له محمد القلينى النقلى ، فاشتكى فى ناظر الخاص تاج الدين بن القسى ، وكان
السلطان متحملا عليه فأمر بضربه بالمقارع بين يديه ، فعراه من أثوابه وضربه نحو

من عشرين شيئا ، حتى أدى من أجنابه ، وكان يوما شديد البرد جدا ، ثم أمر
بسجنه في البرج الذى بالقلمة ، فطلع وهو ماشى من باب السلسلة إلى البرج عريانا
٣ مكشوف الرأس والدم يسيل من أجنابه ، فعدّ ذلك من مساوى الأشراف قايتباى .
وفيه ضرب إنسان من أولاد الناس امرأة بسكين في جنبها ، وهى ماشية بين
الناس في وسط الطريق ، فأتت في الحال ، فلما تحقق موتها هرب ، ولم يُعلم ما سبب
٦ ذلك . - وفيه نزل السلطان إلى نحو المطرية ، ثم عاد من على قنطرة الحاجب ، فأذن
عليه المغرب عند ما وصل إلى المدرسة الجيعانية التى بالقرب من بركة الرطلى ، فنزل
وصلى المغرب هناك خلف من صلى من العوام ، وكان الإمام فى ثانى ركعة ، فصلى
٩ (١٣٦ آ) مع الجماعة ، فلما فرغت الصلاة وجد الإمام صبيا أمرد ، فأعاد الصلاة
ثانيا ، ثم ركب من هناك وطلع إلى القلمة .

وفيه رسم السلطان ليشبك الجالى المحتسب بأن ينادى فى القاهرة ، بأن امرأة
١٢ لا تلبس عصابة مقنزعة ، ولا سراقوش بحري ، وأن تكون ورقة العصابة طولها
ثلث ذراع ، وهى بختم السلطان من الجانبين ، وكتب بذلك قسائم على من يبيع
أوراق النساء ، وصمّم السلطان على يشبك المحتسب فى تكرير المنادة بذلك ، وصارت
١٥ رسل المحتسب يطوفون فى الأسواق ، فإن وجدوا امرأة بمصابة مقنزعة أو سراقوش
يضرّبونها ، ويجرّسونها والعصابة معلقة فى رقبتها ، فقلقن النساء من ذلك ، وصارت
الامراة إذا خرجت إلى حاجة تكشف رأسها وتمشى بلا عصابة ، أو تلبس عصابة
١٨ طويلة ، فلما طال عليهن الأمر لبسن العصائب الطوال التى رسم بها السلطان ،
فيلبسونها إذا خرجن إلى الأسواق فقط على كره منهن ، ويلبسن العصائب المقنزعة
فى بيوتهن ، وفى هذه الواقعة يقول الأديب زين الدين بن النحاس الشاعر ، وهو قوله :
٢١ أمر الإمام مليكنا بعصائب فى لبسها عسر على النسوان
فقلقن ثم أطعنه ولبسها ودخلن تحت عصائب السلطان
فاستمرّوا على ذلك مدة يسيرة ، ثم رجعن إلى ما كنّ عليه من لبس العصائب

- المقنعة والسراقوش ، ولم يلتفتن إلى تحجير السلطان عليهن في ذلك . - وفيه أخلع
على برسبای الشرفی وقرّر في أمرة الحاج بالحمل ، وكان قد أعفى من ذلك ، وقرّر
يشبك الجلالی في أمرة الحاج ، ثم بطل وقرّر بها برسبای الشرفی . - وفيه أخلع ٣
السلطان على البدری بدر الدين بن مُزهر بن القاضي كاتب السرّ ، وقرّر في نظر
الخاص ، عوضا عن تاج الدين بن المقسى بحكم صرفه (١٣٦ ب) عنها بموجب
ما تقدّم له ، وكان بدر الدين بن مُزهر صغير السن لم يلتح حين قرّر في نظارة الخاص . ٦
وفي شعبان نزل السلطان إلى خليج الزعفران ، وقد أضافه الزينبي أبو بكر بن
عبد الباسط ، فأقام عنده إلى آخر النهار ، وعاد إلى القلعة . - وفيه انتهت مواكب
الاصطبل ، وقد ضُبط ما فرقه السلطان على الفقراء وأرباب الديون في هذه المدّة ، ٩
فكان نحو من ثمانمائة دينار . - وفي هذا الشهر ظهر بالسّماء نجم وله ذنب مستطيل ،
فكان يظهر من جهة الغرب ، ثم صار يظهر من جهة المشرق .
- ١٢ وفيه خرج الأمير قاني باي صلق وتوجّه إلى جهة حلب ، وعلى يده كوامل
الشتاء للنواب ، وعدّة خلع للأمير يشبك برسم من يرد عليه من التركان ، وأرسل
على يده نحو من أربعين ألف دينار برسم توسعة للمسكر . - وفيه عرض السلطان
عائيس القشرة وأطلق منهم جماعة ، وكان به شخص له نحو من ثلاثين سنة ، فعمل ١٥
مصلحته ، ووزن عنه للمدائنين مبلنا له صورة وأطلقه .
- وفي نزل السلطان وعدّى إلى برّ الجزيرة ، فأضافه هناك شخص من عرب اليسار
يقال له محمد بن بُرّقع ، فدّ له أسمطة حافلة ، فبات عنده ، ثم عدّى وتوجّه إلى شبرا ، ١٨
وطلع من هناك وتوجّه إلى العباسية ، فأضافه هناك الشيخ بيبرس بن شعبان شيخ
العرب ، وأقام بالعباسية أياما ، ثم عاد إلى القلعة . - وفيه توفي الأمير طوخ
الأبوبكری المؤیدی ، الذي كان زردكاشا ونُقّي إلى ثمر دمياط ، ثم شُفع فيه وعاد إلى ٢٨
القاهرة ، ثم مات وهو بطلال ، وكان لا بأس به .

وفي رمضان رسم السلطان للقاضي عبد الغني بن الجيعان بأن يفرّق على الفقهاء

(١٣٧ آ) والملاء توسعة في رمضان لميالمهم ، واستقر ذلك عمالا في كل شهر رمضان مدة أيام الأشرف قايتباي إلى أن مات ، ثم تناقص ذلك من بعده .

٣ وفيه رسم السلطان بإحضار الأتابكي جرباش كُرت ، وكان مقبلا بفخر دمياط ، وكذلك الأمير يشبك الفقيه المؤيدى ، الذى كان دوادارا كبيرا ، فحكم لها بعض الأمراء بأن يحضرا إلى القاهرة ، ويكونا في دورها بطالين إلى أن تنقضى أعمارهما ، فأجاب السلطان إلى ذلك ورسم بإحضارهما ؛ وكان الشرفى يحجى بن يشبك الفقيه معمرضا ، فلما حضر أبوه أظلم مدة يسيرة ومات ، وكان شابا حشما ، ريسا شجاعا بطلا ، حوى أنواع الفروسية ، وساق من جملة باشات الرماحة التى يسوقون فى الحمل ، وكان الظاهر خُشقدم أنعم عليه بأمرة عشرة ، وكان أمه خوند بنت المؤيد شيخ ، وكان نادرة فى أبناء جنسه ، ومولده سنة ٨ .

١٢ وفيه حضر قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم وعلى يده هدية للسلطان ، وكان حضر يروم الحج . - وفيه كان ختم البخارى ، وأخلع فى ذلك اليوم على بدر الدين السعدى ، وقرّر فى قضاء الحنابلة ، عوضا عن عز الدين الحنبلى .

وفى شوال ، فى يوم عيد الفطر ، صعد سيدى منصور بن الظاهر خُشقدم إلى القلعة ليهتئ السلطان بالمعبد ، وكان السلطان جالسا على الكرسي بالقصر الكبير ، فلما وقف سيدى منصور بين يديه أخلع عليه مئتمرا ، ثم طلبه وأجلسه معه على الكرسي ، وكان صغير السن عمره دون العشر سنين ، فمَدَّ جلوسه مع السلطان على الكرسي من النوادر التى ما وقعت قط . ١٨

٢١ وفيه جاءت الأخبار من عند الأمير يشبك الدوادار ، بأن شاه سوار قد تلاثى (١٣٧ ب) أمره ، وفلّ عنه غالب عسكره ، وأرسل يطلب الصلح من الأمير يشبك ، وأن يكون نائبا عن السلطان فى قلعة درندة ، وأنه يبعث ولده بمقاتيح القلعة ، فوافق السلطان على ذلك إلا أن يحضر سوار بنفسه ويقابل السلطان . - وفيه توفى القاضى نجم الدين المجلونى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الزمعى

الدمشقي الشافعي ، وكان عالما فاضلا قدم إلى القاهرة بطلب من السلطان ليلي القضاء ،
وكان موعكا في جسده ، فأت ودفن بالقاهرة .

٣ وفيه خرج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب الحمل برسباي الشرفي ، وأمير
ركب الأول الشهابي أحمد بن الأتابكي ثاني بك البردبكي الظاهري يرقوق .

وفيه وقعت حادثة غريبة وهو أن نجارا كان عمالا بالقلمة في بعض طباق
الماليك ، فسقط من مكان عال فأت لوقته ، وكان له أولاد وعيال وهو فقير ، فوقفوا
٦ أولاده وعياله للسلطان بقصة يلتمسون منه شيئا من الصدقة ، فلما وقفوا إليه أمر لهم
بمائة دينار ، وأمر للميت بثوب بملبكي وثلاثة أشرافية يجهزونه بها ، فمد ذلك من
محاسن الأشرف قايتباي .

٩ وفيه رسم السلطان بشنق جارية بيضاء ، وممها غلام ، فشهروا في القاهرة على
جلين ، وكان سبب ذلك أن الجارية انفقت مع الغلام على قتل سيدها وأخذ ماله
ويهربان ، فقتلاه ودفناه في الاصطبل ، فلما ظهر أمرها رسم السلطان بشنقهما فشنقا . -
١٢ وفيه توفيت خوند مُمل بنت البارزي زوجة الملك الظاهر جقمق ، وكانت دينة خيرة
ولها برّ ومعروف ، وهي التي عمرت جامع الشيخ مدين بالقس ، وأوقفت عليه أوقافا
كثيرة ، وكانت ناظرة إلى فعل الخير . - وفيه كانت نهاية عمارة الجامع الذي
١٥ قد أنشأه تمرز ، أحد الأمير آخورية ، بجوار قنطرة عمر (١٣٨٨) شاه .

وفي ذى القعدة غرقت مركب ببحر النيل بقرب بيسوس ، وكان فيها بضائع
كثيرة لتجار من الأروام ، فلم ينج منها سوى ثلاثة أنفار ، فعين السلطان شرف الدين
١٨ ابن كاتب غريب ، ومعه القاضي جلال الدين بن الأمانة أحد نواب الشافعية ، بالتوجه
إلى مكان غرقت فيه المركب لضبط ما يظهر من تلك البضائع التي غرقت هناك ،
فلم يظهر من ذلك إلا اليسير وغرق الأكثر . - وفيه قدم قاصد من عند حسن الطويل
٢١ وعلى يده هدية للسلطان ، ومكاتبة فيها أشياء سرّ ، فلم ينشرح السلطان لقدم هذا
القاصد ، ولم يُلم ما في المكاتبة . - وفيه توفي حمزة بن يوسف بن مُغلطاي نائب
نفر دمياط ، وكان لا بأس به . - وفيه وقعت فتنة كبيرة بين بني حرام وبني وائل ،
٢٤

وكثر الفساد من العربان بالشرقية ، حتى امتنع مرور الناس من الأسفار إلى الشرقية ، من كثرة القتل وقطع الطريق وسلب أثواب المسافرين .

٣ وفي ذى الحجة وصل قاصد من عند الأمير يشبك ، ومعه مكاتبة يخبر فيها بأن سوارا بمث إليه بمفاتيح قلعة درندة ، وتوجه إلى تسليمها الأمير دقاق أحد العشرات ، وأخبر أن سوارا أرسل يطلب الأمان لنفسه ، وأنه يقيم بقلعة زمنطوا هو وعياله ، فقال له الأمير يشبك : حتى نكاتب السلطان بذلك . - وفيه قدم إياس الطويل الحمدي ، الذي كان نائب طرابلس ، فأكرمه السلطان وأخلع عليه وأركبه فرسا بسرجه ذهب وكنبوش ، ورسم له بأن يعود إلى طرابلس ، وأنعم عليه بأمرة في طرابلس يأكلها وهو طرخان ، وكان قد شاخ وكبر سنّه وعجز عن الحركة . ٦

وفيه وصل الأنابكي جرباش كُرت من ثغر دمياط ، هو ويشبك الفقيه الذي كان دوادارا (١٣٨ ب) كبيرا ونُفي إلى دمياط ، فشفع فيه بعض الأمراء بأن يكون بداره بطالا حتى ينتهي أجله ، فرسم السلطان بإحضاره هو والأمير يشبك الفقيه ، فلما طلع الأنابكي جرباش إلى بين يدي السلطان عظمه وقام إليه وأجلسه إلى جانبه ، ثم إن الأنابكي جرباش قام وقبّل يدي السلطان وشفع في جاني بك كوهية ، بأن يحضر هو أيضا إلى القاهرة وكان بثمر دمياط ، فأجابه السلطان إلى ذلك ورسم بإحضاره ، ثم أخلع على الأنابكي جرباش ويشبك الفقيه ونزلا إلى دورها . ١٢

وفي هذه السنة أمر السلطان بإنشاء البرج العظيم بقرب ثغر رشيد ، فجاء غاية في الحسن من البناء والإمكان . - وفي هذه السنة تزايد فساد بني حرام وبني وائل ، وفست أحوال الشرقية ، فبين لهم السلطان تجريدة ، وكان بها من الأمراء : الأنابكي أربك ، وجاني بك قلقسيز أمير سلاح ، وأزدمر الطويل أحد مقدمين الألوف ، وقانصوه الحسيف الأينالي أحد مقدمين الألوف ، وعين معهم جماعة كثيرة من الجند وأمرهم بالخروج إلى الشرقية سريما ؛ وسبب ذلك أن العربان من بني حرام وبني وائل هجموا على القاهرة حتى وصلوا إلى رأس خط الحسينية ، ونهبوا الدكاكين وسلبوا ٢١

أثواب الناس ، واستمر الحال على ذلك من بعد مصر إلى بعد المغرب ، فرجعوا حيث جاءوا ؛ فلما بلغ السلطان ذلك عيّن لهم هؤلاء الأمراء ، فخرجوا من يومهم سرّيا ؛ ثم إن الأتابكي أزيك عاد إلى القاهرة بعد أيام ومعه بعض عربان ، فأودعهم ٣ في القشرة ، وأما بقية الأمراء رسم لهم السلطان بالإقامة في الشرقية لردع العربان المفسدين .

- وفيه ولدت امرأة أربعة من الأولاد في بطن واحد ، وهم صبيان وبناتان ، وكان ٦ أبوهم فقيرا فحملهم إلى السلطان ، فلما وُضعوا بين يديه تمجّب (١٣٩ آ) منهم ، ورسم لأبيهم بعشرة دنانير وخمسة أراذب قح . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة أزدمر الصغير الإبراهيمي الظاهري ، أحد الأمراء المشرات ورءوس النوب ، مات قتيلًا ٩ على حصار قلعة زمنطوا ، وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية ؛ وتوفى حسن التيمي بن يريم بن ططر ناظر القدس والخليل ، وكان لا بأس به . - وفي هذه السنة كانت الفتن المهورات ببلاد فارس ، واستمرت الفتن عمالة حتى ملكها بنى وطاس ، ١٢ وكانت الفتن عمالة ببلاد الشرق بين حسن الطويل وبين ملوك هراة وسمرقند . - وخرجت هذه السنة عن فتن وشرور في بلاد الشرق وغيرها من البلاد ، انتهى ذلك .

١٥ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثمانمائة

- فيها في المحرم وقع بين تنرى بردى ططر وبين الأتابكي أزيك بسبب ضرب الكرة ، وقد زاحم فرس تنرى بردى ططر فرس الأتابكي أزيك ، فحق منه فزاحه ١٨ عدة مرار وهو صابر له ، ثم حق منه وضربه بالصولجان على ظهره حتى تكسر الصولجان عليه ، وتنرى بردى يسبّ الأتابكي أزيك ويشتمه فاحشا ، حتى دخل بينهما الأمير جاني بك قلعيز فثنى الأتابكي أزيك عنان فرسه ونزل إلى داره كالنضبان ، فتتكدّ في ذلك اليوم السلطان غاية التكبد بسبب ذلك . - وفيه توفى ٢١ قلعطاي الإسحاق الأشرفي أحد المشرات ، وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية . وفيه حضر قاني باي صُلُقى ، وعلى يده مكاتبة الأمير يشبك اللودادار ، تتضمن

القبض على شاه سوار وتزوله من قلعة زمنطوا ، وقد وصل قاني باي صلح من حلب إلى مصر في ثلاثة عشر يوما ؛ فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر سرّ به جدا ، وأخلع على قاني باي صلح خلعة حافلة ، وكذلك سائر الأمراء أخلعوا (١٣٩ ب) عليه ، حتى المباشرين ، فحصل له جملة خلع سنية .

وكان من ملخص أخبار القبض على شاه سوار ، أنه لما طلع إلى قلعة زمنطوا واختفى بها حاضره الأمير يشبك أشدّ المحاصرة ، وقد فلّ عن سوار عسكره وأراد الله تعالى بمخذلانه ، فأرسل يطلب الأمير تمتاز الشمسي قريب السلطان ، فتلطف الأمير يشبك بالأمير تمتاز حتى وافق على طلوعه إلى سوار ، فطلع إلى قلعة زمنطوا ، وصحبته القاضي شمس الدين بن أجا الحلبي الحنفي قاضي المسكر ، وهو والد القاضي كاتب سرّ الآن ، فلما طلع الأمير تمتاز إلى سوار واجتمع به ، فتملّ سوار على أنه يلبس خلعة السلطان ويبوس له الأرض ولا يقابل الأمير يشبك ، فوافقه الأمير تمتاز على ذلك ، فقال له سوار : أنا قتلت من المسكر جماعة كثيرة وأخشي إذا نزل إليهم يقتلوني ، فقال له الأمير تمتاز : ضمانك عليّ ما يصيبك شيء ، فوافق سوار على نزوله من القلعة ، فقام الأمير تمتاز والقاضي شمس الدين بن أجا من عنده ، والمجلس مانع .

فلما عاد الأمير تمتاز الجواب على الأمير يشبك لم يوافق على ذلك ، وحاصر سوار وضيق عليه ، ورمى على قلعة زمنطوا بالمدافع ، فإطاق سوار ذلك وأرسل يطلب الأمير تمتاز والقاضي شمس الدين بن أجا ثانيا ، على أنه ينزل صحبتها ، فطلع إليه الأمير تمتاز وابن أجا ثانيا ، فطال بينهما المجلس ، وقيل إن سوارا أضاف الأمير تمتاز وابن أجا بقلعة زمنطوا ، فلما طال جلوس الأمير تمتاز عند سوار ، فاج المسكر على بعضه وأشيع بأن سوارا قد قبض على الأمير تمتاز وابن أجا ، فلما مضى من النهار النصف وإذا بالأمير تمتاز قد نزل هو وابن أجا ، وصحبتهما شاه سوار وهو في

(١٣) شيء ، كتب هنا في الأصل ما يأتي على الهامش بخط يشبه خط المؤلف : وقد حلف له على مصحف حمائل كان معه ، أنه ما يقبضوا عليه ولا يقتلوه ، فعند ذلك نزل صحبتته وأركن إليه .

نقر قليل من عسكره ، فتوجه إلى وطاق الأمير يشبك (١٤٠ آ) ونزل عن فرسه ،
ودخل على الأمير يشبك في الخيمة ، فقام إليه وترحب به ، وأحضر إليه خلة
وألبسها له .

٣

فلما أراد الانصراف من عنده قال له الأمير يشبك : امض إلى نائب الشام
وسلم عليه ، وكان يومئذ برقوق نائب الشام ، فلما توجه إليه سوار نزل عن فرسه
ودخل إلى برقوق نائب الشام وصحبته الأمير تراز ، فلما وقف بين يدي برقوق قال له :
من أنت ؟ قال : أنا سوار ، قال : أنت سوار ؟ قال : نعم أنا سوار ، فجعل برقوق
يكرر عليه هذا الكلام : أنت سوار ؟ فيقول له : نعم ، ثم قال له برقوق : أنت الذي
قتلت الأمراء والعسكر ؟ فسكت سوار ، ثم قال برقوق : احضروا له خلة ، فأتوا
إليه بخلة وفي ضمنها زنجير ، فلما ألبسوها له وضعوا في عنقه ذلك الحديد ، فلما رأوا
جماعة سوار أنه وضع في زنجير ، ثاروا على جماعة برقوق وسلوا أسياهم ، وكان
برقوق أكن حول خيمته كميناً وهم لابسون آلة السلاح ، فهجموا على جماعة سوار
وقطعوه بالسيوف ، ثم قبضوا على سوار وأدخلوه في بعض الخيام .

فلما رأى الأمير تراز ذلك شق عليه ، وقال لبرقوق : أنا نزلت بسوار من القلعة ،
وحلفت له أنكم ما تشوشوا عليه ، فكيف بق أحد يأمن لكم ؟ فأخرق برقوق
بالأمير تراز إخراجاً فاحشاً ، ورب ما لكه ، فخرج تراز من عند برقوق وهو
غضبان ، وكان الأمير يشبك حلف لتراز أن إذا قابله سوار لا يقبض عليه
ولا يشوش عليه ، فلما نزل إليه سوار ندب برقوق نائب الشام إلى ما فعله بسوار ،
وكان هذا عين الصواب ، ودع الأمير تراز يفض ؛ فلما تحقق العسكر القبض على
سوار ، قاموا على حية وقصدوا التوجه إلى الديار المصرية ؛ وهذا ملخص ما وقع
في أمر (١٤٠ ب) القبض على سوار ، واستمر الأمير تراز غضباً من الأمراء حتى
دخل إلى القاهرة ، فلما قبض على سوار أخلع الأمير يشبك على شاه بُضاغ أخى سوار ،
وقرر عوضاً عن أخيه سوار في أمرة الأبلستين .

وفي صفر جاءت الأخبار ب وفاة تاني بك السيفي الماس الأشرفي نائب البيرة . - ٢٤

وفيه توجه الأتابكي أذربك إلى نحو البحيرة ، فغاب أياما ثم عاد من هناك ، ومعه جماعة من المرابان الفسدين وهم في الحديد ، فرسم السلطان بسجنهم في المقشرة . -
 ٣ وفيه عرض السلطان أولاد الناس وأمرهم بأن يلعبوا الرمح بين يديه ، حتى يمتحنهم في ذلك ويعرف من يلعب بالرمح ممن لا يعرف ، فحصل لهم غاية المشقة لأجل ذلك ، ووبّخ منهم جماعة بالكلام ، وربما قصد الإخراق بهم .

٦ وفيه عزل السلطان قاضي القضاة المالكي سراج الدين بن حُرَيز ، ووكل به بطبقة الزمام ؛ ثم أخلع على برهان الدين اللقاني أحد نواب الحكم ، وقرّر في قضاء المالكية عوضا عن ابن حُرَيز ، واستمر ابن حُرَيز في الترسيم . - وفيه كتب السلطان عدة فتاوى ، وأخذ عليها خطوط مشايخ العلم والقضاة في أمر سوار ، فأفتوا بأنه خارجي ، وأنه لا يبق في قيد الحياة . - وفيه ضرب السلطان ثلاثة من مماليكه الجلبان ، ومعهم آخر من المالك الحشقدمية ، فضر بهم ضربا مبرحا ، وقد بلغه أنهم سكرُوا وعربدوا على الناس ، ثم نفي المملوك الحشقدمي إلى البلاد الشامية . ١٢

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو دمياط ورشيد وتروجة ، وغير ذلك من البلاد ، فسار في البحر في عدة مراكب ، وكان صحبته الأتابكي أذربك والأمير أذربك اليوسفي ، وغير ذلك من الأمراء ، فاستمرّ السلطان غائبا في هذه السفرة نحو من ثلاثة عشر يوما ، وقد تنزّه في هذه السفرة وطاف عدّة بلاد ، ثم عاد إلى القلعة . - وفيه أحضر إلى القاهرة جماعة من الفرنج ، وقبض عليهم نائب ثغر الإسكندرية ، وكانوا يتعبثون بسواحل البحر المالح ، فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم في المقشرة ، (١٤١ آ) فأسلم منهم جماعة ، وجماعة سجنوا بالمقشرة . - وفيه حضر الشيخ علاي الدين الحصني ، وكان خرج بصحبة الأمير يشبك الدوادر ، فغضب عليه وحصل له كايته عظيمة مع يشبك ، فهرب منه وأتى إلى القاهرة واختفى بها . ٢١

وفي ربيع الأول جاءت الأخبار بأن الأمير يشبك دخل إلى الشام وصحبته سوار ، فزينت له الشام زينة حافلة ، وكان له يوم مشهود ، فأقام بالشام ثلاثة أيام ورحل عنها ،

وقد دخل إلى غزوة ؛ فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بتبييض باب النصر وباب زويلة ، وضرب عليهما الرنوك الذهب ، ثم أخذ في أسباب ملاقاته الأمراء ، فأكسى الأمراء المقدمين لكل واحد أربع بدلات ، وجّهز لهم ملاقاته إلى الصالحية . - وفيه كان ٣ وفاة النيسل المبارك فأوفى حادى عشرين مسرى ، فنزل الأتابكى أزيك وفتح السد على العادة ، وكان له يوم مشهود .

وفيه دخل الأمير يشبك وبقية الأمراء والمسكر إلى خانقاة سرياقوس ، ومحبتهم ٦ سوار وإخوته وهم في زنابير ، فلما وصل الأمير يشبك إلى الخانكاه خرج الأمراء وأرباب الدولة والمسكر إلى ملاقاته ، ثم رحل من الخانكاه ونزل بالريدانية ، فخرج إليه قضاة القضاة الأربعة وأعيان مشايخ العلماء ؛ ثم إن السلطان نادى ٩ في القاهرة بالزينة فزينة زينة حافلة ، ورجت القاهرة لدخول سوار حتى بلغ كرا كل بيت على الشارع أربعة أشرفية ، وكرا كل دكان أشرفي ذهب ، بسبب الفرجة على سوار ، فخرجت البنت في خدرها تنظر إلى سوار الذى قتل المباد ويثم الأطفال ١٢ ونهب الأموال .

فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر هذا الشهر دخل الأمير يشبك الدواidar إلى القاهرة ومحبته شاه سوار ؛ وكان الأمير تراز الشمسى دخل وهو منفرد عن الأمراء ١٥ لم يرافقهم ، واستمر غضبانا (١٤١ ب) بسبب ما حصل له مع برقوق نائب الشام لأجل قبضه على سوار ، وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ثم إن سوارا دخل قدام الأمير يشبك وهو راكب على فرس ، وعليه خلمة تماسيح على أسود ، وعلى رأسه عمامة ١٨ كبيرة ، وهو في زنجير بسلسلة طويلة ، وراكب إلى جانبه شخص من الأمراء المشرات ، يقال له تم الضبع ، من الظاهرية الجمعية ، وهو أخوتانى بك الجمالى ، وهو مشكوك مع سوار فى الزنجير ، وكان قدام سوار أخوته وأقاربه وأعيان من ٢١ قبض عليه من أمرائه ، ممن نزل معه من قلعة زمنطوا ، فكانوا نحو من عشرين إنسانا ، وهم راكبون على أكاديش ، وعليهم ملايط بيض ، وعلى رؤوسهم عمام ، وهم فى زنابير ، ومشكوك منهم جماعة من أعوان الوالى . ٢٤

- فشق الأمير يشبك من القاهرة وهو في موكب حافل ، وقدّاهه الأمراء ممن كان معه في التجريدة ، وسارت الأطلاب أمامه شيئا فشيئا ، واصطفّت الناس على الدكاكين للفرجة عليه ، ولاقتهم الغاني من رجال ونساء من باب النصر إلى سلم المدرج ، والكوسات عمالة بالقلمة ، والطبل والزممر مصفوا على الدكاكين ، فكان له يوم مشهود بالقاهرة ، قلّ أن يقع مثله في الفرجة ، فكان من نوادر الزمان .
- ٦ واستمرّ الأمير يشبك في ذلك الموكب حتى طلع إلى القلمة ، فعمل السلطان الموكب بالقصر الكبير ، فدخل عليه الأمراء هناك وقبلوا له الأرض ، ثم انتقل إلى الإيوان فجلس به ، وكان من حين جدّد معاملة لم يجلس به سوى في ذلك اليوم ، فقصد يمرض سوارا هناك ، فزاحت عليه الناس ، فانتقل السلطان إلى الحوش وجلس على الدكة وطلب سوارا هناك ، فلما مثل بين (١٤٢ آ) يديه وبخّة بالكلام وعاتبه عتابا لطيفا ، وسوار ساكت لم يشكلم ؛ ثم إن السلطان رسم بتسليم سوار إلى يشبك من حيدر وإلى القاهرة ، فتسلّمه هو وإخوته ثم أخرجوا أخاه يحيى كاور الذي كان في البرج ، وقد قبض عليه قبل ذلك وأحضروه إلى القاهرة ، فسجن بالبرج إلى أن قبض على سوار .
- ١٥ فلما تسلمه الوالى نزع الخلمة من عليه في الحال ، وأحضر له بجمل فأركبه له ، وألبسه ملوطة بيضاء ، وجعل في عنقه طوق حديد وفيه جرس في سيخ حديد طويل ، كما رسم السلطان بذلك ، ثم سمّروا إخوته وأقاربه على جمال وهم عراية ورووسهم مكشوفة ، وكان فيهم إخوة سوار الأربعة وهم : أردّوانة الأحذب ، وخدادا ، ويحيى كاور ، وسلمان ، وجماعة من أمرائه ، فلما سمّروهم وأركبهم على ظهور الجمال نزلوا بهم من الصليبة ، والشاعلية تنادى عليهم : هذا جزاء من يخامر على السلطان .
- ٢١ فاستمروا على ذلك حتى وصلوا إلى باب زويلة فشكّلوا سوارا وعلّقوه في وسط باب زويلة ، وأخاه يحيى كاور عن يمينه ، وأردّوانة عن شماله ، وعلّقوا خدادا داخل الباب ؛ وأما سلمان فكان أمردا مليح الشكل فرقّ له الناس ، فشفع فيه الأمير
- ٢٤

يشبك نخله من الشنكله ؛ ثم توجهوا بالبقية إلى بركة الكلاب فوسطوهم أجمعين واستمرّ سوار معلقا حتى مات هو وإخوته ، فاستمروا معلقين يوما وليلة والناس ينظرون إليهم ، ثم أنزلوهم وغسلوهم وكفنوهم وصلّوا عليهم ، وتوجهوا بهم إلى تل عال بالقرب من زاوية كهنبوش فدفنوهم هناك .

ثم قلموا الزينة وخذت فتنة سوار كأنها لم تكن ، بعد ما ذهب عليه أموال وأرواح ، وقتل جماعة كثيرة من الأمراء ، وكسر المسكر ثلاث مرات ونهب برّكهم (١٤٢ ب) وقد انتهكت حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق وغيرها ، حتى الفلاحين طعموا في الترك وتهدلوا عندهم ، بسبب ما جرى عليهم من سوار ، وكادت أن تخرج الملكة عن الجرا كسة ، وقد أشرف سوار على أخذ حلب ، وقد خطب له في الأبلستين ، وضربت هناك السكة باسمه ، ولولا لطف الله تعالى بالناس وأخذل سوارا لفست أحوال الملكة جدا .

١٢ وكان صفة سوار جميل الصورة حسن الشكل ، مستدير الوجه ، أبيض اللون ، مشربّ بحمرة ، أشهل العينين ، أسود اللحية ، معتدل القامة ، ضخم الجسد ، وكان في عشر الأربعين من العمر ، وكان عليه مخايل الحشمة والرياسة ، يقرب في الشكل من القاضي ناظر الخاص تاج الدين بن القسي ، وكان شجاعا بطلا ، وكان له سعد خارق فيما وقع له من النصرة على عسكر مصر غير ما مرّ ، وكان من أعظم أولاد ذلنادر ، وقد وقع له ما لا وقع لأحد من أجداده قبله ؛ وقد شقّ على الأمير تراز قتل سوار على هذا الوجه ، واستمرّ غضبانا مدة ، فكان الأمير تراز الشمسي يقول لأصحابه : والله كلما مررت من على قبر سوار فاستحي منه ، فإنه أركن إلى ونزل مني ، فمقدروا به وقتلوه ، وقد حلفت له ؛ وفي واقعة سوار يقول الشهاب المنصوري :

٢١

يأبها الملك الذي سطواته تغنى عن المسال والبتار
علّق سوارا فوق باب زويلة إن كنت منه آخذا بالتار
فلأنت تعلم أن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

٢٤

وقوله أيضا في الأمير يشبك لما حضر إلى القاهرة وصحبته سوار :

منذ وافتا الأمير يشبك مصرًا حبذا مصر موطن الأوطار

لبست حَجَل نيلها وتحلّى زند بابيّ زويلة بسوار

٣

الحَجَل هو الخللخال ، (١٤٣ آ) انتهى ما أوردناه من واقعة سوار . - وفي

هذا الشهر حضر إلى القاهرة كسباى الظاهرى الخشقدى ، الذى كان دوا دار ثانى

ونفى إلى الشام ، فأرسل الأمير يشبك يشفع فيه وأجيب إلى ذلك ، فأحضر كسباى

٦

صحبته ، واستمر بطلا فى داره حتى مات ، كما سيأتى الكلام على ذلك .

وفى ربيع الآخر أخلع السلطان على بُرسباى الشرفى وقرّر فى أمرة الحاج

بالمحمل ، وقرّر الشهابى أحمد بن الأتابكى تانى بك البردبكي بأمرة الركب الأول ، وكان

٩

موعكا فى جسده ، فأخذ يستعفى من السفر ، فما أعفى من ذلك . - وفيه توفى

جانبى بك الأبيض أحد الحجاب ، وكان جاوز السبعين سنة من العمر ، وكان لا بأس

به . - وفيه توجه القاضي شرف الدين الأنصارى إلى جهة الطينة ، وكان معه مائة

١٢

مملوك من ممالك الأمير يشبك الدوا دار ، فلما وصل إلى هناك وجد فى البحر الملح

مراكب فيها فرنج يتعمّبون بالمسافرين ، فقبض على مركب منهم وأسر من فيها من

الفرنج ، وأحضرهم صحبتته لما عاد .

١٥

وفيه عزل قاضى القضاة الحنفى محب الدين ابن الشحنة ، وأمر بالتوكيل به بطبقة

الزمام ، وذلك بسبب ما وقع فى العقد المجلس ، الذى كان بين خوند شقرا وبين ابنة

أختها خوند آسية ، بسبب وقف الظاهر برقوق ، فتعصّب ابن الشحنة لخوند شقرا ،

١٨

فحنق السلطان منه وعزله ، وكان فى نفسه منه شيء بسبب ولده عبد البر ، وكانت

هذه آخر ولايته للقضاء ، ولم يل بعدها القضاء ، واستمرّ فى الترسيم بطبقة الزمام

بسبب تعلقات أوقاف الحنفية ، ثم إن السلطان أخلع على الشمسى شمس الدين محمد

٢١

الأمشاطى ، وقرّر فى قضاء الحنفية ، عوضا عن محب الدين بن الشحنة بحكم انفصاله

عن القضاء ، فأفيض عليه شعار القضاء ، ونزل من القلعة فى موكب حافل ، وكان

تمتع من الولاية غاية التمتع ، فأثزمه السلطان بذلك . - وفيه شفع الأتابكي أذربك
في قاضي (١٤٣ ب) القضاة محب الدين بن الشحنة ، فنقل إلى بيت كاتب السر حتى
يقيم حساب أوقاف الحنفية .

٣

وفي جمادى الأولى توفى دُقاق الأشرقي الأيئالي نائب القدس ، وكان شابا حسن
الشكل موصوفا بالشجاعة . - وفيه جاءت الأخبار من عند نائب حلب ، بأن حسن
بك الطويل ملك المراقين قد جمع من المساكر ما لا يحصى ، وهو زاحف على بلاد
السلطان ، وقد بعث ولده محمد مع عسكر ثقیل ، وقد وصلوا إلى الرُّها ، فكثرت القتال
والقتيل بين الناس بسبب ذلك ، فما صدق المسكر متى خمدت عنهم فتنة شاه سوار ،
فانتشى لهم فتنة حسن الطويل ، وزاد الكلام بين الناس بأن هذا ما هو مثل شاه سوار ،
وأن هذا ما يطاق جدا ، فقلق السلطان والمسكر لهذا الخبر ، فكان كما قيل في المعنى :

شكوتُ جلوس إنسان ثقیل فجاءنا آخر من ذاك أثقل

١٢

فكنت كن شكى الطاعون يوما فجاء له على الطاعون دُمَل

١٢

وفي جمادى الآخرة عين السلطان تجريدة إلى حسن بك الطويل ، وعين بها من
الأمرء القدمين ثلاثة ، وهم : جاني بك قلعسيز أمير سلاح ، وسودون الأفرم ،
وقراجا الطويل الأيئالي ، وعدة من الأمرء الطبلخانات والمشرات ، ومن الجند نحو
من خمسمائة مملوك ؛ فلما عيّنهم نفق عليهم وأمرهم بالمسير إلى حلب سرعة من غير
تأخير . - وفيه وقع تشاحن عظيم بين الأمير يشبك الدوادار وبين خاير بك من
حديد ، وذلك بحضرة السلطان ، وكان سبب ذلك لأجل صحصاح الكاشف ، فإنه
وقع بينه وبين الأمير خاير بك بسبب بلاده التي في الفيوم ، فتمصّب الأمير يشبك
لصحصاح ، فوقع بينهما ما لا خير فيه .

٢١

وفيه أخرج السلطان مقدمة سودون الأفرم ، وقد استعفى من السفر إلى
حسن الطويل ، فلما أخرج عنه المقدمة أنعم (١٤٤ آ) بها على قجماس الإسحاق ،
ورتب لسودون الأفرم ما يكفيه ، وبقى طرخانا مقيا في داره . - وفيه شفع في جاني
بك المشد الأشرقي برسباي ، وكان مقيا بالقدس بطالا ، فحضر إلى القاهرة ورتب له

٢٤

ما يكفيه ، واستمر مقبلا بداره مدة حتى مات .

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن عسكر حسن الطويل قد استولى على كحنا
وكركر ، وبث مكاتبة مكتوبة بقاء الذهب إلى شاه بُضاغ صاحب الأبلستين ، بأن
يسلم إليه القلاع التي حوله ولا يخرج عن طاعته ، وأرسل له في المكاتبة ألفاظا
مرعبة بما معناه : وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، ثم هدّد في
مكاتبته بأن متى خالفه يحصل عليه منه ما هو كيت وكيت .

فأرسل بُضاغ المكاتبة للسلطان ، فلما قرأها وعلم ما فيها ازعج لذلك وتأثر ،
ثم عين الأمير يشبك الدودار باش العسكر ، وعين تجريدة أعظم من الأولى التي
عينها قبل ذلك ، فعين بها من الأمراء اللدّمين : يشبك الدودار ، وأبنال الأشقر ،
وبرسبای قرا ، ومن الأمراء الطبلخانات والعشرات عدّة وافرة ، وكتب من الجند
فوق الألفين مملوك ، ثم نفق عليهم وأخذوا في أسباب الخروج إلى السفر ؛ ففرجت
التجريدة الأولى قبل ذلك ، وكان باش عسكرها جاني بك قُلُفسيز أمير سلاح ،
ومن معه من الأمراء ، فلما رحل من الريدانية خرج الأمير يشبك ومن معه من
الأمراء فرجت لهم القاهرة ، وكان يوما مشهودا .

وفي رجب ، لما صعد القضاة للتهنئة بالشهر ، صعد معهم الشيخ أمين الدين
الآقصرای ، فأخذ السلطان يتكلم مع الشيخ أمين الدين بسبب حسن الطويل ،
فتكلم الشيخ أمين الدين بكلام ازعج منه السلطان ، وقد تقدّم له منه في واقعة سوار
بما تكلمه في ذلك المجلس ، وقد تأثر منه (١٤٤ ب) السلطان في الباطن . -
وفيه أرسل نائب الشام مكاتبة حسن الطويل إلى السلطان ، وكان أرسل يهدّده
في هذه المكاتبة ويأمره بأشياء لا يمكن شرحها ، وكتب في صدر المكاتبة :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ، فازعج السلطان
لهذه الأخبار . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن ورد بش نائب البيرة قد قبض

(١١) الألفين : كذا في الأصل .

(تاريخ ابن لاس ج ٣ - ٦)

- على جماعة من عسكر حسن الطويل وكسر جاليشه ، فسّر السلطان لهذا الخبر .
- وفيه وصل إلى القاهرة من بلاد الجركس أخت السلطان ، واسمها جان تين ،
ومعها ولد لها ، فصعدت إلى القلعة في محفة وحولها الخدام ، وحضر معها عدة نساء ٣
جراكسة . - وفيه رحل الأمير يشبك هو والعسكر من الريدانية ، وكان مصروف
السلطان على هذه التجربة فيما نفقه على المسكر الذي توجه للسفر ، مبلغ أربعمئة ألف
دينار وعشرين ألف دينار ، خارجا عن أشياء كثيرة بعت بها إلى الأمراء ؛ فلما رحل ٦
الأمير يشبك إلى الخانكاه ، نزل إليه السلطان ووادعه هناك واجتمع به في خلوة ،
وعرض عليه مكاتبة حسن الطويل التي بعت بها إلى نائب الشام .
- وفي شعبان ثارت جماعة من المالك الجلبان على شرف الدين بن كاتب غريب ، ٩
وكان متكلما في الوزر والأستادارية عن الأمير يشبك ، فتوجهوا إلى داره وكسروا
أبوابه ، فهرب واختفى ؛ وكانت هذه أول حوادث الجلبان في الفتك ، واستمرت
الحوادث منهم تزايد حتى كان منهم ما سذكروه في موضعه . - وفيه حضر قاصد ١٢
نائب حلب ، وأخبر أن نائب حلب قبض على عثمان بن أعلبك ، وشخص آخر كان
أستادارا على مقدمة حسن الطويل التي كانت بحلب ، وقبض على جماعة آخرين نحو
من أربعين نفرا ، وقد نسبوا كلهم إلى المواطاة مع (١٤٥٠ آ) حسن الطويل ، ١٥
ويكاتبونه بأخبار الملكة ، فأمر نائب حلب بشنقهم أجمعين ، فشنعوا بحلب .
- وفي هذا الشهر هلك بطرك النصارى الملكية ، وهو فخر بن الصفي ، وكان
في النصارى لا بأس به . - وفيه كانت وفاة الشيخ فخر الدين المسمى ، وهو عثمان ١٨
ابن عبد الله بن عثمان بن عفان الشافعي ، وكان من أعيان علماء الشافعية ، وكان عالما
فاضلا بارعا في الفقه ، دينا خيرا وافر العقل ، وذكر بأن يلي القضاء الأكبر
غير ما مرّة ، وولى عدة تداريس جليلة ، منها مشيخة الحديث بالشيخونية ، وكان ٢١
قد جاوز الستين سنة من العمر ؛ فلما مات قرّر في مشيخة الحديث بالشيخونية شيخنا
جلال الدين الأسيوطي ، عوضا عن الفخر المسمى .

- وفي رمضان نزل السلطان إلى دار تمر حاجب الحجاب يموده ، وكان مريضا
منقطعا عن الركوب ، فسلم عليه وعاد إلى القلعة . - وفيه وصل ركب من المناربة
من تونس ، وكان صحبتهم الحرّة زوجة صاحب تونس ، وحضر صحبتها قاضى الجماعة ٣
الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القلجاني ، وكان من فضلاء علماء المالكية ، فأكرمه
السلطان والأمراء ، ورأى من المزمّ والمظمة حظا وافرا . - وفيه صُلِبَت على باب
زويلة جارية سوداء قد قتلت سيدتها ، فأمر القاضى المالكي اللقاني بصلبها حتى تموت . ٦
وفيه توفى جاني بك قرا الملاي الأشرفي ، أحد الأمراء المشرات ، وشاد الشون ،
وكان لا بأس به . - وفيه توفى أيضا أرغون شاه أستاذار الصحة ونائب غزّة كان ،
وهو الذي قبض على الظاهر تمر بنفا لما تسحب من دنياط ، وكان أصله من مماليك ٩
الأشرف برسباي ، وكان محمود السيرة . - وفيه كان ختم البخاري بالقلعة ، وكان ختما
حافلا ، وأخلع فيه على القضاة ومشايخ العلم ، وفرقت الصرر على الفقهاء .
- وفي شوال جاءت الأخبار بوفاة (١٤٥ ب) برقوق الناصري الظاهري نائب الشام ، ١٢
وكان أصله من مماليك الظاهر جقمق ، وكان شجاعا بطالا مقداما في الحرب ، عارفا
بأنواع الفروسية في فنون لعب الرمح والرمية بالنشاب ، وولى عدّة وظائف سنينة ،
منها شادية الشراب خاناه ، ثم تقدمة ألف ، ثم ولى نيابة الشام ومات بها ، وكان ١٥
قد جاوز السنتين سنة من العمر ؛ فلما حضر سيفه كان السلطان على الدكة بالحوش ،
فلما عرضوا عليه سيفه أظهر الحزن والبكاء وتأسف عليه ، وكان عنده بمنزلة الأخ ؛
ثم أمر بإحضار أولاده وعياله إلى القاهرة ، ثم رسم بنقل جثته إلى القاهرة ليدفن في ١٨
تربته التي بباب القرافة ؛ وكان لبرقوق برّ ومعروف ، وهو الذي أنشأ القبة على ضريح
الشيخ عمر بن الفارض رحمة الله عليه ، وهو الذي قام في القبض على شاه سوار ، وقد ٢١
تقدّم ذكر ذلك .

وفي هذا الشهر توفى أيضا الأتابكي جرباش كُرت المحمدي الناصري ، وكان
طرخانا في داره بطالا حتى مات ، وقد تقدّم أن السلطان أحضره من دمياط ورتّب له

ما يكفيه حتى مات ، وكان قد قارب التسعين سنة من العمر ، وأصله من ممالك
الناصر فرج بن برقوق ، وكان متزوجا بخوندشقرا ابنة أستاذه الناصر فرج ، وكان
أميرا جليلا حثارا ريسا ، وولى عدة وظائف سنية ، منها الأمير آخورية الكبرى ،
وأمرة مجلس ، وأمرة السلاح ، ثم بقى أتابك للمساكر بمصر ، وترشح أمره إلى أن
على السلطنة لما وثبت جماعة الأشرافية على الظاهر خشدقم ، وأركبوه والصنحق على
رأسه ، ولقبوه بالملك الناصر مثل أستاذه ، فلم يَم له ذلك لقلة سمعه ، ثم نُق عقيب
ذلك إلى صمياط ، ثم أحضر إلى القاهرة ومات بها ، وجرى عليه شذائد وعن ،
كما قد قيل في المعنى :

إذا طُبع الزمان على اعوجاج فلا تطمع لنفسك في اعتدال
(١٤٦ آ) وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن الأمير يشبك الدوادار دخل إلى
حلب ، وكان له يوم مشهود ، فلما استقرّ بحلب قدم عليه قاصد من عند حسن الطويل
وعلى يده مكاتبة ، شرحها أنه أرسل يطلب جماعته الذين أسروا وسُجنوا بحلب ،
وأنه إذا أطلقهم يطلق من عنده من الأسراء ، وكان عنده دولات باى النجمى الذى
كان نائب ملطية وجماعة آخرين ، فلم يلتفت الأمير يشبك إلى ذلك القاصد ،
ولا أجابه عن ذلك بشئ .

وفى هذا الشهر توفى الزينى عبد الرحمن بن الكؤيز ، الذى كان ناظر الخصاص ،
وهو عبد الرحمن بن داود بن عبد الرحمن بن خليل ، وكان أصلهم نصارى من
الشوبك ، وحضر جدّهم داود صحبة المؤيد شيخ ، لما قدم إلى مصر ، وكان عبد الرحمن
ريسا حشما فى سعة من المال ، وولى عدة وظائف سنية منها : نيابة الإسكندرية ،
ثم ولى الأستاذارية ، ونظر الخصاص ، ثم جرى عليه شذائد وعن وفرّ إلى بلاد
ابن عثمان ملك الروم ، وأقام هناك مدة ثم عاد إلى مصر ، وكان يدعى أنه يعرف
علم الحرّف ، وكان له نظم سافل ، ومولده فى سنة ثمانمائة . - وفيه توفى نوروز
الأشرفى كاشف الوجه القبلى ، وكان لا بأس به .

وفيه خرج الحاج على جرى العادة ، وكان الشهابي أحمد بن الأتابكي ثاني بك أمير ركب الأول مريضا على غير استواء ، فلم يرق السلطان له وورسم بأن يخرج في محفة ، فخرج وهو في النزع ، فلما وصل إلى بركة الحاج مات ليلة الرحيل ، وكان حشما ريسا أدوبا ، وكان من الأمراء المشرات ، وتوجه إلى الحجاز أمير الركب الأول غير ما مرة ، وكان مولاه بعد المشرة والثمانمائة ؛ فلما بلغ السلطان موته طلب جاني بك الأشقر أحد مماليكه وخواصه ، فرسم (١٤٦ ب) له بأن يتوجه أمير الركب الأول عوضا عن الشهابي أحمد بن ثاني بك ، فتسلم جميع بركة وجماله وسافر على الركب الأول ، ورجع أحمد بن ثاني بك إلى القاهرة وهو ميت فدفن بها ، فمد ذلك من التوارد القريبة ، ولم يكن يمر الحج على بال جاني بك في هذه السنة قط ، فكان كما قيل في المعنى :

ألا إنما الأقسام تحرم ساهرا وآخر يأتي رزقه وهو نائم
وفيه أرسل السلطان خلمتين ، إحداها إلى جاني بك قُلُقْسِيز أمير سلاح بأن يستقر في نيابة الشام ، عوضا عن برقوق بحكم وفاته ، وكان جاني بك قُلُقْسِيز مسافرا في التجريدة ، فتوجه من هناك إلى الشام واستقر بها ؛ وأما الخلمة الثانية بعث بها إلى أبنال الأشقر بأن يستقر في أمرة السلاح ، عوضا عن جاني بك قُلُقْسِيز بحكم انتقاله إلى نيابة الشام .

وفي ذي القعدة طلع الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الأربعة ليهنوا السلطان بالشهر على العادة ، فتكلم الخليفة مع السلطان في أمر ابنته ست الخلفاء التي كان عقد عليها خشكلدى البيسقى ، ثم جرى عليه ما جرى ونق إلى الشام ، ثم تكلم الخليفة مع القضاة بأن يُفَسَّخ عقد ابنته عن خشكلدى البيسقى ، فطال الكلام في ذلك ، وانفض المجلس على غير طائل ، ثم فُسِّخ عقدها عن خشكلدى فيما بعد ؛ وفي هذا المجلس تكلم السلطان مع قاضي القضاة الحنفى شمس الدين الأمشاطى في إقامة قاض برسم حل الأوقاف والاستبدالات ، فقال : إن السلطان له ولاية التفويض إلى من شاء

من النواب ، وأما أنا فلا ألقى الله تعالى بحلّ وقف ولا بعمل استبدال ، وقام من المجلس كالفنضبان ، فتأثر السلطان منه في الباطن .

- وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن الأمير يشبك بمث جماعة من العسكر ٣
(١٤٧ آ) إلى البيرة لقتال عسكر حسن الطويل ، وقد بلغه أن حالم تلاثى إلى الفرار ، وأن حسن الطويل أرسل يكاتب الفرنج بأن يكونوا له عوناً على قتال عسكر مصر ، وهذا أول ابتداء عكسه كونه أرسل يستعين بالفرنج على قتال المسلمين . - ٦
وفيه جاءت الأخبار بأن ابن عثمان ملك الروم أرسل قاصده إلى الأمير يشبك ، بأن يكون عوناً للسلطان على قتال حسن الطويل ، فأكرم القاصد وعين صحبته القاضي شمس الدين بن أجا قاضى العسكر ، بأن يتوجه إلى ابن عثمان وعلى يده هدية حافلة ٩
ومكانية ، وأن ينشئ بينه وبين السلطان مودة بسبب أمر حسن الطويل .
وفي أواخر هذا الشهر وردت على السلطان مكتابة من عند ابن الصوّا من حلب ، يخبر فيها بأن الأمير يشبك قد انتصر على عسكر حسن الطويل ورحلهم عن البيرة ، ١٢
وأن ولد حسن الطويل قد جرح جراحات بالغة ، وآخر من أولاده أصيب في عينه ، ووقع بين الفريقين مقتلة مهولة ؛ وقتل في هذه المركة شخص من الأمراء العشرات يقال له قرقاس الملاى المصارع ، أمير آخور رابع ، وهذا كان صهرنا ، وكان إنساناً ١٥
حسناً ديناً خيراً موصوفاً بالفروسية والشجاعة ، علامة في الصراع ، أصيب بسهم في صدغه فمات لوقته ، ولم يُقتل في هذه المركة من العسكر سواه فقط ؛ ثم رحل عسكر حسن الطويل عن البيرة ، وقد أخذهم الله تعالى بمد ما عدّوا من الفراء ١٨
وطرقوا من البلاد الحلبية أطرافها ، فردّم الله تعالى عن المسلمين ؛ وقد قالت الشعراء في هذه النصرة عدة مقاطيع ، فن ذلك قول الشيخ شمس الدين القادري :
أيا حسن الطويل بمث جيشا كأغنام وهن لنا غنائم ٢١
فغار الحرب قد سبكت سوارا وأنت لسبكها لا شك خاتم
(١٤٧ ب) وقال الشهاب المنصورى فيه أيضا :

هل عارفا بالخارجي المتدى
يخبر إلينا باسمه وصفاته
قالوا نعم حسن ، فقلت هلاكه
قالوا الطويل ، فقلت ليل شتاته
وقوله أيضا :

٣

أيها المسكر الذى سار قصدا
لا تطيلوا مع المدوّ كلاما
لقتال الطويل لا تنظروه
فى وغي الحرب والطويل اقصروه
وقال محمد بن شادى خجيا :

٦

عروس الحرب نقطها المواضى
وقد جليت وفى يدها سوار
بأرواح الأعارب والأعاجم
وها حسن لكف الحرب خاتم
وقوله أيضا :

٩

أيا حسن الطويل قصرت عمرا
سوار قد سبكناه ابتداء
وفاتتكم المالى والمفانم
وأنت بناره للسبك خاتم

١٢ وفى هذا الشهر كسفت الشمس كسوفاً عاماً ، وأظلمت الدنيا ، واستمرت فى الكسوف نحواً من ثلاثين درجة . - وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم ، وقد أتى من جهة البحر الملح ، فأكرمه السلطان ، وأحضر صحبته مكاتبة حسن الطويل إلى بعض ملوك الفرنج ، بأن يمشوا على ابن عثمان وسلطان مصر من البحر ، وهو يمشى عليهم من البر ، وقد ظفر هذا القاصد بقاصد حسن الطويل وهو قاصد نحو بلاد الفرنج ، فقبض عليه فى أثناء الطريق ، وهو فى مركب ، وأسره ؛ ثم إن القاصد أقام بمصر أياماً ، وأضافه السلطان ، وأذن له بالسفر ، وأخلع عليه ؛ ثم إن السلطان عين دولابى حمام الأشرفى بأن يتوجه قاصداً من عند السلطان إلى ابن عثمان .

١٢

١٥

١٨

٢١ وفى ذى الحجة تغير خاطر السلطان على الأمير خاير بك من حديد الأشرفى ، وأمره بلزوم داره ، وهذه الكاينة الأولى التى وقعت له ، ثم جرى عليه بعد ذلك ما هو أعظم من ذلك ، فأقام بداره أياماً لا يركب ، ثم بعث السلطان خلفه إلى ضرب الكرة ، فلما طلع (١٤٨ آ) إلى القلعة وضرب الكرة ، فاتفق أن صولنجان

٢١

٢٤

السلطان قد سقط من يده ، فترجل خير بك عن فرسه وناولهُ للسلطان ، فأخلع عليه وأركبه فرسا من خيوله ، ونزل إلى داره وهو مكرم . - وفيه توفي جانيه اللقاف المؤيدى ، وكان أمير عشرة ، ولكن مات طرخانا . - وتوفي طوخ النوروزى ، ٣ وكان أمير عشرة ، ولكن مات طرخانا .

وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر بأن لما وصل المحمل العراقى ، ودخل إلى المدينة الشريفة ، كان أمير ركبهم شخصا يقال له رسم ، وصحبته قاض يقال له أحمد بن دحية ، فضيقوا على قضاة المدينة وأمرهم بأن يخطبوا في المدينة باسم الملك العادل حسن الطويل خدام الحرمين الشريفين ، فلما خرجوا من المدينة وقصدوا التوجه إلى مكة ، فكاتبوا أهل المدينة أمير مكة بما وقع ، فخرج إليهم الشريف محمد بن بركات ولاقام من بطن مرو ، قبل أن يدخلوا إلى مكة ، وقبض على رسم أمير ركب المحمل العراقى ، وقبض على القاضى الذى صحبته ، وعلى جماعة من أعيانهم ، وأودعهم في الحديد ليبعث بهم إلى السلطان ، ثم أطلق بقية من كان في ركبهم من الحجاج ولم يتعرض لهم . ١٢

وفى هذا الشهر جاءت الأخبار ب وفاة الشيخ السلك العارف بالله سيدى إبراهيم ابن على بن عمر المتبولى ، رحمه الله عليه ، توفى بأسدود ودفن بها ، وكان خرج إلى زيارة بيت المقدس فأدركته المنية هناك فات ، وكان دينا خيرا مباركا ، وللناس فيه الاعتقاد الحسن ، وكانت شفاعته عند السلطان والأمراء لا تُردّ ، وكان له برّ ومعروف وأنشأ بركة الحُبّ حوضا وسيلا وبستانا ، وكان يأوى الفقراء والمنقطمين ، ١٨ وكان نادرة في عصره ، صوفى وقته .

وفيه جاءت الأخبار ب وفاة عالم سمرقند ، العلامة الشيخ علاى الدين على بن محمد الطوسى التياركانى الحنفى ، وكان له شهرة ببلاد سمرقند ، وألف العلوم الجليلة ، وكان ٢١ من أعيان علماء الحنفية . - (١٤٨ ب) وفيه توفى إياس الطويل الحممدى الناصرى ، الذى كان نائب طرابلس وعزل عنها ، فرتّب له السلطان ما يكفيه ، وبقي على أمريته بطرابلس حتى مات ، وكان قد كبر سنه وشاخ . ٢٤

ومن الوقائع في هذا الشهر أن البرهان البقاعي ، وقاضى الجماعة أبو عبد الله
القلجاني المغربي المالكي ، وقع بينهما بحث في بعض المسائل ، فوقع من البرهان
البقاعي في ذلك المجلس جوابا ضبطه عليه قاضى الجماعة ، وصرّح بكفره ، وشهد
عليه ، وأراد أن يقام عليه الدعوى عند قاضى القضاة المالكي ، فلما علم كاتب السرّ
ابن مزهر بذلك طلب البقاعي إلى عنده ، وحكم بعض القضاة بحقن دمه ، ولولا
كاتب السرّ ما حصل على البقاعي خير ، والذي جرى على البقاعي بخطيئة ابن
الفارض ، فإنه كان رأس المتمصّين عليه ، واستمرّ البقاعي في عكس حتى مات ،
انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثمانمائة

فيها في المحرم وقع الرخاء بالديار المصرية ، حتى ابتاع الرطل اللحم السليخ بثمانية
قكرة ، والبطّة الدقيق بأربعة أنصاف ، ووقع الرخاء في سائر الحبوب ، وابتاع
القنطار البطيخ المبدل بثلاثة أنصاف ، ووقع الرخاء في سائر المأكولات قاطبة .
وفيه جاءت الأخبار من الإسكندرية بأن الفرنج قد تمبشوا ببعض سواحلها ،
وأسروا من المسلمين تسعة أنفار ، وفعلوا مثل ذلك بشتر دمياط ، فلما جرى ذلك
عين السلطان في الحال الأمير قجماس الإسحاق ، أحد مقدمين الألوف ، وأمره
بالخروج من يومه ، فخرج بعد مصر وسافر من البحر في عدة مرآكب ، وأمره
السلطان بأن يتبع الفرنج حيث ساروا .

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نوى ، وقد أضافه هناك ابن طفيش
ضيافة حافلة ، وأقام عنده إلى (١٤٩ آ) آخر النهار وعاد إلى القلعة . - وفيه رسم
السلطان بعزل القاضى شهاب الدين القمى المالكي ، أحد نواب الحكم ، بسبب
حكم حكمه ، فشكاه الخصم إلى السلطان بأنه جار عليه ، فحنق منه السلطان
وأمر بعزله .

- وفيه وصل الحاج وصحبته ابن أمير مكة ، والقاضي برهان الدين بن ظهيرة الشافعي ، وولده أبو السعود وأخوه ، وأحضروا صحبتهم رُستم أمير الحاج العراقي ، والقاضي ، الذي بمث بهما حسن الطويل ، وصحبتهما كسوة للكعبة ، وأمر أهل المدينة ومكة أن يخطبا فيهما باسم الملك المادل حسن الطويل ، وقد تقدّم ذكر ذلك ، فرسم السلطان بسجن رستم والقاضي في البرج الذي بالقلعة ، فسُجنا ؛ وتأخر الحاج في هذه السنة عن ميّعه ثلاثة أيام ، بسبب موت الجلال وقلة المياه ؛ ثم أرسل خاير بك الخشقدمي ، الذي يسمى سلطان ليلة ، يسأل فضل السلطان بأن ينقله من مكة إلى القدس ، ليعيم به حتى ينقضي أجله ويموت هناك ، فشفع فيه الأمير يشبك الجلال ، فأجيب إلى ذلك ، ونقل فيما بعد من مكة إلى القدس ؛ وحضر صحبة الحاج الشيخ سنان الأذربيجاني الحنفي ، وهو شيخ تربة الأمير يشبك الدوادار الآن .
- وفي صفر أخلع السلطان على القاضي إبراهيم بن ظهيرة وأعادته إلى قضاء الشافعية بمكة ، ونزل من القلعة في موكب حافل ، ومعه قضاة القضاة وأعيان الدولة . - وفيه ١٢ أخلع على تمتاز الشمسي بن أخت السلطان ، وقرّر في الرأس نوبة الكبرى ، عوضا عن أبنال الأشقر ، بحكم انتقاله إلى أمرة السلاح . - وفيه عيّن السلطان برسباي الشرفي أستاذدار الصحبة ، بأن يتوجه قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، وجّهز صحبته هدية سنّية .

- وفي ربيع الأول كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى في خامس مسرى (١٤٩ ب) الموافق لخامس ربيع الأول ، فلما أوفى توجه الأمير لاجين الظاهري أمير مجلس وفتح السد على العادة . - وفي ذلك اليوم نودي على النيل بزيادة اثنا عشر أصبعا من سبعة عشر ذراعا ، فكان زيادته إلى يوم الوفاء ثلاثة أذرع في ستة أيام . - وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة ، فلم يحضر فيه من الأمراء القدامين سوى ثلاثة أُنقار ، وكان أكثر الأمراء غائبا في التجريدة ، وشيء خرج لأجل فساد العربان .

وفيه جاءت الأخبار بهلاك صاحب قبرس ، وهو جاكم بن جوان بن جينوس الكيتلاني ، وكان من أعيان ملوك الفرنج ، وهذا هو الذي حضر إلى الديار المصرية في دولة الأشرف أبنال ، وكان شابا حسنا في شكله ؛ فلما هلك تولت من بعده أخته . - ٣

وفيه جاءت الأخبار بأن ابن عثمان بعث عسكريا لمحاربة حسن الطويل ، فكسر عسكري حسن الطويل ، فسر السلطان لهذا الخبر .

٦ وفيه توفي الأمير يشبك الفقيه من سلمان شاه المؤيدي ، الذي كان دوادارا كبيرا في دولة الظاهر خشقدم ثم نفي إلى دمياط ، ثم شفع فيه وعاد إلى القاهرة وأقام بها بطالا حتى مات ، وكان دينا خيرا وله اشتغال بالعلم ، وكان قد شاخ وكبر سنه وقامى شدائد ومنا ، ومات ولده يحيى قبله بمدة يسيرة وغص عليه ، وكان ولده شابا حسنا مليح الشكل ، مشهورا بالفروسية ، وقد تقدم ذكر ذلك . - وفيه توفي القاضي زين الدين عبد القادر بن عبد الرحمن بن الجيمان ، وكان ريسا حشما كثير المشرة للناس ، ومات وهو في عشر الخمسين ، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة .

١٥ وفي ربيع الآخر أطلق السلطان رستم أمير حاج العراق ، وأطلق القاضي الذي صحبته ، وأخلع عليهما وبعث بهما إلى بلاد حسن الطويل ترضيا لحاظره ، وقد أشار بذلك الأمير يشبك الدوادار .

١٨ وفي جمادى الأولى جاءت الأخبار بوفاة برسباي الشرفي أستاذدار الصحبة ، الذي توجه قاصدا إلى ابن عثمان ، وكانت وفاته بحلب ، وكان لا بأس به في ذاته . - (١٥٠ آ) وفيه أخلع السلطان على الماس الأشرفي أحد خواصه ، وقرّر في أستاذارية الصحبة ، عوضا عن برسباي الشرفي بحكم وفاته ، وعين قاصدا إلى ابن عثمان ، عوضا عن برسباي الشرفي . ٢١

٢٤ وفيه أخلع على جاني بك الأشقر الدوادار ، وقرّر في أمرة الحاج بركب الحمل ؛ وأخلع على قانصوه خمسمائة الخصاصكي أحد ممالك السلطان ، وقرّر في أمرة الركب الأول ، وقانصوه هذا هو الذي تسلطن فيما بعد ، وجري له ما جرى . -

وفيه رسم السلطان بتوسيط عبد صغير السن ، قد ذبح سيده وأخذ مالها وهرب ، فقبض عليه من ليلته .

- ٣ وفى جمادى الآخرة ثار جماعة من المماليك الجلبان على السلطان بالقلمة ، ومنعوا الأمراء من الصعود ، واستمر الحال على ذلك إلى غد ذلك اليوم حتى سكن الأمر قليلا ، بعد ما قصدوا قتل جماعة من خواص السلطان . - ومن الوقائع الغريبة أن إنسانا جلبي ، كان عنده مسن من الرخام الأخضر ، له عنده نحو من ثلاثين سنة ، فاتفق أن ذلك السن سقط من يد صاحبه فانكسر نصفين ، فخرجت منه دودة غريبة الشكل ، فدّ الجلبى يده إليها وأخذ يقلبها فلذغته فى أصبعه ، فاضطرب ساعة ووقع ميتا لوقتته ، وهذا من غرائب الاتفاق التى لم يسمع بمثلا . - وفيه أرسل الأمير ٩ يشبك يسأل فى الحضور ، فإن المسكر قد تقلق من قلة المليق ، فلما سمع السلطان بذلك حنق واغتاض ، ثم أذن لهم فى الحضور بعد ذلك .
- ١٢ وفى رجب نزل السلطان وتوجه إلى الرماية ببركة الخب ، فاصطاد ثلاثة كراكي ، وعاد من يومه وشقّ من القاهرة فى موكب حافل . - وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان بالقلمة ، ومنعوا الأمراء والمباشرين من الصعود إلى القلمة ، وكان رأس الفتنة شخصا من مماليك السلطان يقال له على باى الخشن ، (١٥٠ ب) فلما خمدت هذه ١٥ الفتنة ضربه السلطان نحو من ألف عصاة ونفاه إلى الشام ، فجاءت الأخبار بعد مدّة بأن سقط عليه حائط فمات تحت الردم ، وفرح به غالب الناس . - وفيه جاءت ١٨ الأخبار باستقرار قراجا الطويل الأينالى فى نيابة حماة ، عوضا عن بلاط يشبكى بحكم صرفه عنها ، وحمل بلاط عقيب ذلك إلى السجن بقلمة دمشق ، ومات فى السجن عن قريب ، وكان قد شاخ وجاوز السبعين سنة من العمر .
- ٢١ وفى شعبان عاد الأتابكى أربك من البحيرة ، وأخلع عليه السلطان ونزل إلى داره فى موكب حافل . - وفيه حضر من الجند جماعة كثيرة ممن كان فى التجريدة صحبة الأمير يشبك الدوادار ، فلما حضروا اختفوا بالقاهرة ولم يظهروا .

وفيه وقع فائدة غريبة ، وهو أن كاتب السرّ أبو بكر بن مزهر عطس بمحضرة السلطان ، فشتمه السلطان مرتين ، فمَدَّ ذلك من النواذر .

٣ وفي رمضان أنعم السلطان على تفرى يردى ططر بتقدمة ألف ، وهي تقلمة قجماس الإسحاق ، بحكم انتقاله إلى مقدمة قراجا الطويل الأينالى ، وقد انتقل إلى نيابة حماة . - وفيه قرّر ملاح اليوسفى الظاهرى فى نيابة القلمة . - وفيه كان دخول الأمير يشبك إلى القاهرة ، وقد عاد من التجربة ، فكان يوم دخوله يوما مشهودا ، فأخلع عليه السلطان ونزل إلى داره فى موكب حافل . - وفيه كان ختم البخارى بالقلمة ، وأخلع فى ذلك اليوم على قضاة القضاة ومشايخ العلم ، وفُرِّقت الصرر على الفقهاء . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة عالم دمشق الشيخ زين الدين خطاب بن عمر ابن مهناب بن يوسف بن يحيى العجلونى ، وكان عالما فاضلا مفتيا من أعيان الشافعية ، ومولده سنة تسع وثمانمائة .

١٢ وفى شوال كان موكب العيد حافلا ، وحضر فى ذلك اليوم بالقلمة قاضى مكة البرهان بن ظهيرة ، وولده أبو السمود ، وأخو البرهان بن ظهيرة ، وكان حاضرا (١٥١ آ) الشريف بركات ابن أمير مكة ، وجماعة من أعيان مكة ، فأخلع السلطان على الجميع فى ذلك اليوم .

١٥ وفيه خرج الحاج على العادة ، وكان أمير ركب الحمل جاني بك الأشقر ، وأمير ركب الأول قانصوه خمسمائة ، وكان يومئذ خاصكى ، فالتمز الأمير يشبك الدوادار بعمل يرقه من ماله ، وكان الأمير يشبك عقد على أخت قانصوه خمسمائة فصار صهره ؛ وخرج صحبة الحاج شاهين الجمالى نائب جدة ، وخرج القاضى إبراهيم بن ظهيرة وجماعته ، وابن أمير مكة ، قاصدين التوجه إلى مكة ، وقد أوردوا للسلطان فى هذه الخطوة نحو من مائة ألف دينار ، فأكرمهم السلطان وأجلهم ورتب لهم فى كل يوم ما يكفيهم من الأسمطة وغير ذلك ، وأنزلهم فى بيت أم ناظر الخاص يوسف الذى يركب الرطلى ، فأروا فيه بهجة أيام النيل حتى سافروا . - وفيه وقف الأمير يشبك الدوادار إلى السلطان واستغنى من الوزارة ومن الأستاذارية ، فأجابه السلطان إلى

ذلك ولكن حتى يُفلق سنته ، وكان من أمره ما سئد كره في موضعه .

- وفي ذى القعدة رسم السلطان ليشبك الجمالى بأن يخرج قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم أبو يزيد ، وبطل ألماس الذى كان قد تعمّن قبل ذلك . - وفيه تزوّج أزدمر الطويل الأيتالى بابنة الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، فكان له مهمّ حافل . - وفيه ثار جماعة من المماليك الجلبان ونزلوا إلى جهة بولاق فنهبوا ما فيها ، ثم قصدوا شونة الأمير يشبك الدوادر فنهبوا ما فيها ، وصاروا يأخذون جمال السقايين ويحملوها ما ينهبونه من الشعر ، فلما تزايد الأمر منهم نزل السلطان وهو ساقى ومعه مقدّم المماليك ، ولكن ما نزل السلطان إلا بعد فوات الأمر ، وحصل منهم فى ذلك اليوم غاية الضرر للناس من نهب وخطف بضائع وغير ذلك ؛ فبات السلطان تلك الليلة فى جامع زين الدين الأستاذار الذى (١٥١ ب) ببولاق ، فأضافه هناك تلك الليلة بعض قضاة بولاق ضيافة حافلة ، وهو القاضى تقي الدين البرماوى ، إمام الجامع المذكور وخطيبه ، فشكر له السلطان ذلك .

- وفي ذى الحجة قصد جماعة من المماليك الجلبان الإخراق بالأمر يشبك الدوادر ، بل قصدوا قتله ، ففرّ منهم وتوجّه إلى بعض ضواحي الجزيرة حتى تحمّد هذه الفتنة قليلا ، فاستمرّ غائبا نحواً من خمسة عشر يوماً ؛ ففى هذه المدة كثر القيل والقال بين الناس ، وامتنعوا الأمراء من الصعود إلى القلعة ، والسلطان مقيم بالدهيشة كالفضبان من ممالكه ، والأبواب مغلقة عليه ؛ فطلع الأتابكى أذربك ، وأذربك اليوسفى ، وتمر حاجب الحجاب ، وكاتب السرّ ، وشرف الدين الأنصارى ، وآخرون من الأمراء ، على أنهم يتلطّفوا بالسلطان ويمشوا بينه وبين ممالكه بالصلح ، فامتنع السلطان من ذلك وصمّم على عدم الصلح مع المماليك ، ثم خرج إلى الحوش ، وجلس على الدكة ، وطلب من كان رأس الفتنة فى هذه الحركة ، وهو شخص من المماليك يعرف بالأفطش ، فأمر بتوسيطه ، فجرّده من أثوابه فى الحال ، فشفع فيه الأمراء ، فما أجاب إلا بعد جهد كبير ، ثم ضرب ذلك المملوك فوق الألف عصاة ، وسجنه فى

البرج ، وهذا كله جرى والأمير يشبك غائبا في الجزيرة ، لم يحضر إلا بعد أيام حتى سكنت هذه الفتنة .

٣ وفيه حضر الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق بطلب من السلطان ، وهذه ثاني مرة حضرها إلى القاهرة ، فلما حضر أكرمه السلطان وأخلع عليه ، ونزل في دار الأتابكي أزيك عند أخته ، ثم أمره بالصعود إلى القلعة لضرب الكرة مع الأمراء وعومل بمعاملة السلاطين في إرخائه البند الأصفر ، وتغييره الفرس في مكان يغير فيه السلطان فرسه ، حتى عُدَّ ذلك من النوادر التي ما وقعت قط ؛ وأقام الملك المنصور بالقاهرة نحو شهرين ، ثم عاد إلى دمياط ، وكان في غاية العز والمظمة ، ووقع له (١٥٢ آ) أمور ما وقعت لأحد من أبناء الملوك قبله ؛ وكان حضوره الأول بسبب الحج ، وهذه المرة بسبب زيارة السلطان .

١٢ وفيه جاءت الأخبار بوفاة البدرى حسن بن المزلق ، ناظر جيش دمشق ، وكان ريسا حشما ، وولى عدة وظائف سنية . - وفيه توفى الأمير سودون الأفرم الحمدي الظاهري ، وكان أحد مقدمين الألوف ، ولكن مات وهو طرخان ، وكان بيده أمرة عشرة يأكلها حتى مات . - وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد سيدى محمد الإسطنبولي رحمة الله عليه ، وكان يعرف بالأقباعى ، وكان من عباد الله الصالحين ، وله كرامات ومكاشفات خارقة . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة ملك التكرور ، وكان من أجلّ ملوك التكرور قدرا . - وفيه توفى عبد القادر بن جانم نائب الشام ، وكان شابا حسنا لا بأس به . - وتوفى في هذه السنة جماعة كثيرة من الأعيان ، لم نذكرهم خوف الإطالة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثمانمائة

٢١ فيها في المحرم قدم قاصد حسن الطويل ، وعلى يده مكاتبة تتضمن الاعتذار عما كان منه ، وأن ذلك لم يكن باختياره ، فأكرم السلطان ذلك القاصد ، وأظهر المغفرة

عما جرى منه ؛ وكان أشيع عن حسن الطويل أنه قُتل ، وأحضر بمض التركان
قيصه وهو ملطخ بالدم ، ثم ظهر كذب هذه الإشاعة ، وقد ذكر موته غير مامرة
ثم يظهر أنه كذب .

٣

وفي صفر أمر السلطان بقطع خصيان شخص من الأتراك ، يقال له شاهين ،
وهو خازندار الأمير أينال الأشقر ، وكان نُقل للسلطان عنه بأنه فعل الفاحشة
ببعض ممالكه الأحداث ، وأنه كثير العشرة لهم ، فخصاه السلطان بمصر المتيقة
وبرىء من ذلك بعد مدة ، وعاش مدة طويلة حتى مات ؛ وكان في تلك الأيام
ظهر بمصر شخص من اليهود عارفا بالإحصاء ، وفعل ذلك بجماعة كثيرة من الناس
وبرأوا من ذلك .

٩

وفي ربيع الأول تغير خاطر السلطان على الأمير قانصوه الخسيف الأينالى ،
أحد مقدمين الألوف ، (١٥٢ ب) فرسم لنقيب الجيش بأن يتوجه إلى داره ويخرجه
منفيا إلى دمياط ، فتوجه إليه وأخرجه من يومه ، وحصل لقانصوه الخسيف منه غاية
البهدة ، وأخرجه خروج الشوم ، فكثر القال والقليل بسبب ذلك .

١٢

وفيه في ليلة الخميس عاشره ثارت فتنة عظيمة من المماليك الجلبان ، وقصدوا
قتل الأمير يشبك وهو في داره ، فلما بلغ ذلك للسلطان بعث للأتابكي أزبك وبقية
الأمراء بأن يلبسوا آلة السلاح ، وأن يوثبوا على المماليك الجلبان ، فاضطربت
الأحوال وماجت القاهرة ، وغلقت الأسواق ، واتسع أمر الفتنة ، فأشار بمض
الأمراء على السلطان بخمود هذه الفتنة ، وخشوا من أمر طائفة الأيتالية فإنهم تأثروا
لنفي قانصوه الخسيف ، فبعث السلطان ألماس أستاذار الصحة ، ومعه عدة وافرة من
المماليك الجلبان ، إلى دار الأمير يشبك ، فقبلوا يديه واعتذروا له مما وقع منهم ،
فأكرمهم وأخلع على ألماس كاملية بصمور ، وترضى الجلبان بالكلام ، وسكنت
الفتنة قليلا .

٢١

وفيه أنعم السلطان على وردبش نائب البيرة بتقدمة ألف ، وهي مقدمة قانصوه

٣ الخسيف بحكم نفيه إلى دمياط . - وفيه توفي ثم المعجمي من ططخ الظاهري ، أحد العشرات ، وكان خشداس الأنابكي أزبك ، وكان لا بأس به . - وفيه رسم السلطان بنفي سودون المؤيدي ، ففناه إلى مكة ، وكان قد نُسب إلى شيء من أمر الفتنة الماضية مع المالك الجلبان ، وقد وثي به بمض المالك عند السلطان ففناه . - وفيه ، في ليلة عيد ميكايل ، نزلت النقطة ، فأمطرت السماء في تلك الليلة مطرا غزيرا ، حتى عُدَّ ذلك من النوارد . ٦

٩ وفيه بعث الأمير يشبك الدوادار إلى القاضي علم الدين شاكر بن الجيمان ، يسأله في استبدال قاعات البرابجية (١٥٣ آ) التي يبولاقي ، فدفع لهم الثمن عند ذلك خمسة آلاف دينار ؛ وكان قاضي القضاة الحنفى شمس الدين الأمشاطي صمم على عدم الاستبدالات قاطبة ، فضيق عليه الأمير يشبك حتى استبدل له البرابجية ، فقامت عليه الأشلة من الناس بسبب ذلك .

١٢ وفيه جاءت الأخبار من القدس ب وفاة خاير بك الظاهري الخشقدى ، الذى يسمونه سلطان ليلة ، وكان ريسا حشما ، وجرى عليه شدائد ومحن ، ونفى في عدة أماكن من البلاد ، وآخر الأمر توفي بالقدس . - وفيه كان وفاء النيل المبارك ، وقد توقّف أياما وحصل للناس غاية القلق ، حتى بعث الله تعالى بالوفاء ، وكان في العشرين من مسرى ؛ فلما أوفى توجه الأنابكي أزبك وفتح السد على العادة ، وسرّ الناس بذلك . - وفيه كان المولد النبوى ، وكان له يوم مشهود .

١٨ وفي ربيع الآخر ظهر بالسما نجم وله ذنب طويل ، فكان يظهر بعد العشاء ، فاستمرّ على ذلك مدة ثم اختفى . - وفيه كانت وفاة العلامة الشيخ زين الدين قاسم ابن قطلوبغا السودونى الحنفى ، وكان عالما فاضلا ، فقيها محدثا ، كثير النوارد ، مفتيا من أعيان الحنفية ، وكان مولده في سنة إحدى وثمانمائة ، وكان نادرة عصره . ٢١

وفيهِ أخلع السلطان على جاني بك الأشقر ، وقرّر في أمرة الحاج بركب الحمل ، وقرّر جاني باى الخشن الأينالى في أمرة الركب الأول . - وفيه نفى السلطان جماعة

- كثيرة من ممالكه ، منهم أئبال الحسيف الذى ولى حاجب الحجاب فيما بعد ، وغيره من الممالك ممن أثار تلك الفتن الماضية . - وفيه قدم على السلطان قاصد من عند ابن عثمان ملك الروم ، وعلى يده مكاتبة تتضمن الشفاعة فى أئبال الحكيم ، وكان قد جرت ٣ عليه كايئة وفرّ إلى ابن عثمان ، فقبل السلطان شفاعة فى أئبال الحكيم ، وأكرم ذلك القاصد وأخلع عليه ، وأقام بمصر مدّة ، ثم عاد إلى (١٥٣ ب) بلاده .
- وفى جمادى الأولى فى ليلة الجمعة كانت وفاة الإمام العالم العلامة محيى الدين ٦ الكافيجى ، وهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى الحنفى ، وكان إماما عالما فاضلا ، بارعا فى العلوم ، ماهرا فى الفقه والحديث والعلوم العقلية ، وقد تعاظم وانتهت إليه رياسة مذهبه بمصر ، وصار مفتيها على الإطلاق ، وألف العلوم الجليلة ، ٩ وكان مها با معظما عند السلاطين والأمراء ، وولى عدّة وظائف ، منها مشيخة الخانقاة الشيخونية ، ومشيخة تربة الأشراف برسباى وغير ذلك ، وشهرته تغى عن مزيد التعريف به ، ومولده سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وكان من أفاضل الحنفية ؛ وفيه ١٢ يقول الشهاب المنصورى ، وقد دخل عليه فى خلوته فأضافه بحلاوة قرع ، فقال فى الحال ارتجالا :

- يا عين أعيان الزمان ويا عيى بمصر سُنّة الشرع ١٥
ما قرّع الباب عليك امرئٌ إلا وذاق حلاوة القرّع
ولما مات رثاه بهذه الأبيات ، وهو قوله :

- بكتْ على الشيخ محيى الدين كافيجى عيوننا بدموع من دم المهج ١٨
كانت أسارى هذا الدهر من درر تزهى فبدل ذاك الدر بالسبع
فكم غنى بسماح من مكارمه قَرَّراً وقُومَ بالإعطاء من عَوَج
يا نور علم أراه اليوم منظفيا وكانت الناس تمشى منه فى سُرُج ٢١
فلو رأيت الفتاوى وهى باكية رأيتها من نجيع الدمع فى لُجج
ولو سَرَتْ بثناه عند ربح صبا

- لاستنشقوا من (١٥٤ آ) شذاها أطيب الأرج ٢٤

- يا وحشة العلم من فيه إذا اعتزكت أبطاله فتواتر في دجى الزهج
لم يلحقوا شأن علم من خصايبه أئني ورتبته في أرفع الدرج
٣ قد طال ما كان يُقَرَّنُنا ويُقَرَّنُنا في حالتيه بوجه منه مبهج
سَقِيًّا له وكساه الله نورَ سَنَّا من سُندس بيد الغفران منتسج
وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو طُراً ، فأقام بها إلى آخر النهار
٦ وعاد . - وفي عقيب ذلك رسم بنى اثنين من الأينالية وهذا أول الفتك بهم . -
وفيه توفى سودون المنصورى ، أحد العشرات ، مات قتيلا ، سقط من سطح وكان
مشغول الرأس فات لوقته ، وكان شابا حسن الشكل كثير الإسراف على نفسه ؛
٩ فقصده السلطان أن يصلّى عليه ، فلما علم كيفية موته لم يصلّ عليه ، نموذ بالله من ذلك .
وفيه أخلع السلطان على خشقدم الأحمدي الطواشى ، وقرّر في الوزارة ، عوضا
عن الأمير يشبك الدوادار بحكم استمفائه منها ، وقرّر قاسم شُعَيْتة في نظر الدولة ؛
١٢ فلما أحضروا الخشقدم الخلعة شرع بلطم يديه على وجهه ويبيكي ، وصار يدعى الفقر
والعجز ويكرّر الاستمفاء ، والسلطان لم يلتفت إلى كلامه ، فلبس الخلعة ونزل إلى
داره . - وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند ، وعلى يده هدية للسلطان ، ومن جملتها
١٥ سبع عظيم الخلقة ، وخيمة كبيرة ، وغير ذلك ، فأكرمه السلطان وأخلع عليه .
وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى خليج الزعفران ونصب هناك تلك الخيمة التي
أهداها إليه ملك الهند ، وكانت غريبة الصفة ، (١٥٤ ب) فأقام هناك ثلاثة أيام ،
١٨ فصادف دخول الأمير يشبك الجمالى ، الذى كان قد توجّه قاصدا إلى ابن عثمان ، فساد
من سفره وقابل السلطان في خليج الزعفران وعليه خلعة ابن عثمان ، ومكاتبته تتضمن
التودّد بينهما ، فابتهج السلطان بذلك . - وفيه أمر السلطان بإصلاح ما تهدّم من
٢١ جامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فقيل إنه أصرف على ذلك خمسة آلاف دينار .
وفي جمادى الآخرة أخلع السلطان على الشيخ سيف الدين الحنفى ، وقرّر في
مشيخة الخانقاة الشيخونية ، عوضا عن محي الدين الكافيجى ؛ وأخلع على الشيخ

تاج الدين بن قاضى القضاة سعد الدين الديرى ، وقرّر فى مشيخة الجامع المؤيدى ،
عوضا عن الشيخ سيف الدين بحكم أنه انتقل إلى مشيخة الشيوخونية ؛ وكانت
مشيخة المؤيدية مع أولاد الديرى بحكم شرط الواقف ، فمادت إليهم . - وفيه أعيد ٣
السيد الشريف موفق الدين أحمد الحموى ، فى نظارة الجيش بدمشق ، عوضا عن ولد
برهان الدين النابلسى ، وكان قد وليها بعد وفاة البدرى بن المزلق . - وفيه وقعت
تشحيطة صعبة بالقاهرة ، وعزّ وجود الخبز من الدكاكين ، وتراحم الناس على شراء ٦
القمح ، واستمرّ ذلك مدة حتى دخل الفل الجديد .

وفى رجب قرّر الشيخ أبو عبد الله القلجاني المغربى ، قاضى الجماعة ، فى مشيخة
تربة السلطان ، وقرّر فى خطابتها الشيخ أبو الفضل المحرق ، وقرّر شيخ اليقاتية بها ٩
بدر الدين الماردانى ، وفى قراءة المصحف بها ناصر الدين الأخمى ، وخازن
الكتب بها الملاى على بن خاص بك ، وقرّر بها ثلاثين صوفيا يحضرون فى الخمسة
أوقات ، وبنى للصوفية حول التربة عدّة بيوت يسكنون بها دائما ، ثم رتب لهم ١٢
الجوامك والخبز والزيت والصابون ، وغير ذلك من وجوه البرّ والمعروف ، وخُطب
بها فى هذا الشهر ، وحضر الأمراء والقضاة الأربعة وأرباب الدولة (١٥٥ آ) قاطبة ،
وكان يوما حافلا . - وفيه أخلع على القاضى أبى الفتح النوفى ، وقرّر فى نيابة جدّة ١٥
عوضا عن شاهين الجالى ، وأضيف إليه الصرف أيضا ، عوضا عن محمد بن عبدالرحمن .
وفيه غضب السلطان على شاد بك أبازا الأشرقى الأينالى ، أحد العشرات ،
فألْبسه زمطا عتيقا وأمر بحمله إلى خان الخليلى ليبيع ، وقد ثبت أنه باق على ملك ١٨
الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، بحكم أنه ورثه من قانى باى الجركسى ،
فأمر السلطان بأن يباع ويحمل ثمنه إلى الملك المنصور ، فشفع فيه الأتابكى أزبك ،
فأقبل منه وآل الأمر إلى أن حمل شاد بك أبازا ، وآخر من الأينالية يقال له ٢١
خاير بك ، وآخر يقال له سيباى ، فحملوا إلى الملك المنصور وهو بدمياط ، فأشهد
على نفسه بمتهمهم ، ثم نفى شاد بك إلى دمشق ، ونفى خاير بك إلى طرابلس ، وشفع

٣ في سيباى بأن يقيم بمصر بطالا ؛ وقد بلغ السلطان عنهم ما قد غيرَ خاطره عليهم ، قيل إنهم قصدوا الوثوب على السلطان لما وثبوا المالك على الأمير يشبك الدوادار ، فانكشف رُخّ جماعة الأينالية في هذه الحركة ، وصار السلطان ينفي منهم جماعة بعد جماعة ممن كان رأس الفتنة في هذه الحركة .

٦ وفيه طلع إلى السلطان شخص من الفقهاء ، يقال له شهاب الدين القلقلي ، ورفع قصة يشكو فيها الشيخ عبد البرّ بن الشحنة بأنه سلّط عليه غلاماته وعبيده ضربه ضربا مبرحا ، وذكر في أثناء القصة بأن عبد البرّ جاهل ما يحسن قراءة الفاتحة ، وأن الصلاة خلفه لا تصحّ ؛ قال السلطان مع القلقلي على عبد البرّ ، وهذا بخطيئة ابن الفارض فإنه كان من رأس المتعصّين عليه ، فرسم السلطان بإحضار عبد البرّ وجماعة من مشايخ القراء ، وقرأ عبد البرّ بحضرتهم والسلطان جالس والقلقلي حاضر ، فلما قرأ أثنوا عليه مشايخ القراء وشكروا من قراءته ، فاستمال السلطان على القلقلي ، وكان قد حلف برأس السلطان أن عبد البرّ ما يحسن قراءة الفاتحة ، (١٥٥ ب) فلما ظهر للسلطان كذب القلقلي أمر بضربه ، فضرب بين يديه ضربا مبرحا ، وأمر بحمله إلى عند القاضي المالكي ليفعل به ما يوجب الشرع ، واتّصر عبد البرّ عليه . ١٥

١٨ وفيه جاءت الأخبار بوفاة الناصري محمد بن مبارك التركاني الحلبي ، نائب طرابلس ، وكان ريسا حشما ، وولى عدة وظائف سنية ، منها نيابة البيرة ، ونيابة حماة ، ونيابة طرابلس . - وتوفى نائب قلعة دمشق يشبك الظاهري السيفي على باى ، وكان لا بأس به . - وفيه نزل السلطان للرماية ، فلما عاد شقّ من القاهرة ، وكان له يوم مشهود . - وفيه وقع بين الأمير يشبك الدوادار وبين خشقدم الوزير ، حتى صرّح الأمير يشبك بمنزل نفسه من الدوادارية ، وأغلق بابه ولم يجتمع بأحد من الناس ، حتى ركب إليه أمير كبير أزيدك وجماعة من الأمراء ، وتلفّطوا به حتى طلع معهم إلى القلعة ، فأخلع عليه السلطان كاملية بصمّور ، وأصلح بينه وبين خشقدم الوزير ، وبأس خشقدم يد الأمير يشبك ، وخذت تلك الفتنة التي بينهما . - ٢٤

وفيه جاءت الأخبار بوفاة يلباي العلای الظاهري ، نائب صفد ، وكان لا بأس به ،
وولي نيابة الإسكندرية ، ثم نيابة صفد ومات وهو في عشر السنين .

٣ وفي شعبان توفي بكتمر البواب الأبوكري الأشرفي ، وكان لا بأس به . - وفيه
نزل السلطان إلى الاصطبل وحكم به ، وصار كاتب السرّ يجلس بين يديه على دكة
لأجل قراءة القصص ؛ فجاء شخص وشكى يشبك الدوادار وهو واقف بين يدي
السلطان ، فأمره أن ينزل ويقف بإزاء خصمه حتى ادّعى عليه ؛ وحضر آخر وشكى
٦ جاني بك الفقيه ففعل به كذلك . - وفيه توفيت خوند بدرية ابنة الأشرف أيتال ،
وكانت لا بأس بها ، وتركت عدة (١٥٦ آ) أولاد ذكور وإناث . - وفيه وصل
قاضي القدس وهو في الحديد ، ومعه جماعة من أعيان أهل القدس وهم في الحديد ،
٩ بسبب هدم كنيسة هناك ، وقد ثار بسبب ذلك شرّ كبير بين العلماء ، وكُتبت عدة
فتاوى بسبب تلك الكنيسة ، وصار يُفتى بعضهم بالهدم ، وبعضهم بالإبقاء .

١٢ وفيه هجم طائفة من العربان الفسدين على جماعة من الناس في أثناء طريق المنية ،
واستمرّوا يعرفون الناس من النية إلى قنطرة الحاجب ، وكان ذلك بعد العصر ، وكان
أوان الربيع ، فسلبوا أثواب التفرّجين ، وطمعوا من على قناطر الأوز ، وخرجوا
إلى الفضاء ، وكانوا نحواً من عشرين خيلاً ؛ فكان من جملة ممن سلبوه من أثوابه ،
١٥ شخص من الأمراء العشرات يقال له كسباي المغربي ، وكان راجعاً من طريق المنية ،
فأخذوا سلاطيه من عليه . - وفيه توفي قاني بك الأزدهري الحاجب الثاني ، وكان
قد شاخ وبلغ من العمر نحو تسعين سنة . - وفيه عرض السلطان من في السجون ،
١٨ فأطلق منهم أربعة أنفار لا غير ، وأعاد البقية إلى السجون .

وفي رمضان صعد القضاة ومشايخ العلم للتهنئة بالشهر ، فأمر السلطان بمقد مجلس
بين يديه ، بسبب كنيسة اليهود التي هُدمت بالقدس ، فأفتى الشيخ أمين الآقصرای
٢١ بجواز هدمها ، وكذلك شمس الدين الجوجري ، وزين الدين الأبناسي ، وأفتى الشيخ
سراج الدين العبادي ، وقاضي الجماعة القلجاني المغربي المالكي ، وآخرون من العلماء ،

بعدم جواز الهدم وأنها تُعاد على ما كانت عليه ، فوقع في المجلس القال والقييل بين العلماء ، وكثر الخُباط ، وانفضّ المجلس على غير طائل ؛ فأمر السلطان بمقد مجلس آخر في دار يشبك الدوادار ، وكان السلطان مائلا إلى عدم هدم الكنيسة وإعادتها (١٥٦ ب) إلى ما كانت عليه ، وقد مال جماعة من العلماء مع غرض السلطان ، وحُكم بإعادتها على ما كانت عليه ، ووقع بين قاضي القضاة المالكي اللقاني وقاضي الجماعة ما لا خير فيه ، وكذلك الشيخ سراج الدين العبادي والجوهرى ، ومما أُجى به السراج العبادي لبعضهم :

أيا سراج اليهود طُرا ومن لدين الميزر أفتى
عصبة أهل الكتاب قالوا لن ترص عنك اليهود حتى
وقيل في قاضي الجماعة من جملة أبيات في ذلك المعنى :

تفتى بمؤد كنيس يا مغربي ما أنت إلا . . .

انتهى ذلك . - وفيه توفى الأمير أبنال الأشقر اليحياوى الظاهري ، أمير سلاح ، وكان أميراً جليلاً ، شجاعاً بطلاً ، وكان ظالماً غاشماً عسوفاً ، كثير الإسراف على نفسه ، وكان عنده كرم زائد مع انضاع ، وأصله من ممالك الظاهر جقمق ، وولى عدّة وظائف سنية ، منها ولاية القاهرة ، ونيابة ملطية ، ونيابة حلب ، ورأس نوبة النوب ، وأمرة السلاح ، وغير ذلك من الوظائف ، وكان في أواخر عمره ظهر عليه جذام وبرص فاحش جدا . - وفيه قرّر يشبك قرقاش الأشرقي في نيابة دمياط .
وفيهِ توجّه السلطان إلى نحو الطرانة ، وكان معه الأتابكي أذربك ، فأقام هناك أياماً وعاد . - وفيهِ قرّر مُغلباي سُرق الأشرقي في حجوبية الحجاب بحلب ، عوضاً عن دولات باي النجمي ، بحكم انتقاله إلى حجوبية الحجاب بدمشق . - وفيهِ قرّر من سجن الديلم شخص من عربان بني حرام ، يقال له عمر بن معروف ، وفرّ من سجن القاعة أيضا شخص يقال له محمد بن زامل ، وفرّ من سجن المقررة أيضا شخص يقال له ابن صالح ، الكل فرّوا في مدة يسيرة من هذا الشهر .

- وفي شوال في ثلثه خرج الأتابكي أذربك مسافرا إلى الحجاز ، وصحبته زوجته خوند ابنة الظاهر جقمق ، وخرج صحبته أيضا الأمير أذربك اليوسفي ، (١٥٧ آ)
- ومعه زوجته خوند ابنة عم الملك الظاهر جقمق ، وخرج صحبتهم الشيخ أمين الدين ٣
- الآقصرای ، وولده أبو السعد ، فحجّ الشيخ في محفة ، وقد بعث إليه السلطان بسبعمائة دينار يستعين بها على الحجّ ؛ وخرج صحبتهم الكثير من الناس ، وقد سبقوا
- الحاج بعشرين يوما - وفيه أخلع السلطان على قرابته أزدمر ، وقرّر في نيابة صفد ، ٦
- عوضا عن يلباي الملاي الظاهري بحكم وفاته . - وفيه خرج الحاج على العادة ، ولما حجّ الشيخ أمين الدين في المحفة قال فيه بعض شعراء العصر هذا المعنى :
- محفة الشيخ الآقصرای تنشر جدواه في المشاهد ٩
- تقول طوبى لثل هذا قد حجّ بالناس وهو قاعد
- وكان أمير ركب الحمل في هذه السنة جاني بك الأشقر ، أحد خواص السلطان ،
- وبالركب الأول جاني باي الخشن الأينالي ، تاجر الماليك ؛ وفي هذه السنة حجّت ١٢
- خوند فاطمة زوجة السلطان ، وهي ابنة الملاي على بن خاص بك ، فكان يوم خروجها إلى السفر يوما مشهودا ، وكان لها الموكب حافل ، تفرجت في محفة زركش ،
- برصافيات لؤلؤ مرصعة بفصوص بلخش وفيروز ، وخرج صحبتها أخت السلطان ١٥
- في محفة زركش أيضا ، وخرج معها خمسون حملا من الحماير الخمل الملون ، ومشت قدام محفتها بالرملة جميع أرباب الدولة ، وهم : كاتب السرّ ، وناظر الجيش ، وناظر
- الخاص ، وغير ذلك من المباشرين ، ومشى الزمام ، ومقدم الماليك ، وأعيان الخدام ١٨
- بأيديهم العصي ، وقدّامها من الحداة أربعة ، منهم : إبراهيم بن الجندي النفي ، وأبو الفوز الواعظ ، وغير ذلك ، فكان لها تجمّل زائد قلّ أن يقع لأحد من
- الخوندات مثلها ، فعدّ ذلك من النوادر ، وكان المتسفر عليها والدها (١٥٧ ب) ٢١
- الملاي على بن الخاص بك ، وبرسباي المحمودي الخازندار .
- ومن الحوادث أن قبل خروج خوند إلى السفر ، رسم السلطان بشنق جارية
- بيضاء جركسية ، فشنت على حمزة بالقرب من حدة ابن قميحة ، عند الأحواض التي ٢٤

بطريق مصر المتيقة ، وكانت هذه الجارية حملت في طريق الحجاز من بعض مماليك السلطان الجلبان ، فلما وضعت قتلت الولد من خوفها ، فلما علم السلطان بذلك شق الجارية وأغرق الملوك ، وقيل بل أخصاه ونفاه إلى الشام . - وفيه اضطربت أحوال الشرقية بسبب فساد العربان من بني حرام وبني وائل ، فعين السلطان إليهم الأمير يشبك الدوادار ، فخرج مبادرا .

٦ وفي ذى القعدة هجم عرب عزالة على ضواحي الجيزة ، ونهبوا خيول الممالك ، وقتلوا جماعة من النلمان ، وأطلقوا من كان بالسجن في الجيزة ؛ فتأكد السلطان لهذا الخبر وعين عدة من الأمراء والجند ، فخرجوا على حمية ، فأقاموا هناك أياما وعادوا ولم يظفروا بأحد من العربان المفسدين . - وفيه توفي بيبرس الطويل الأشقر من ططخ ، أحد القدمين بدمشق ، وكان لا بأس به .

وفي ذى الحجة جاءت الأخبار من الإسكندرية ب وفاة السلطان الملك الظاهر أبو سميد تمر بئنا الظاهري الرومي ، مات بغير الإسكندرية ، وقد جاوز الستين سنة من العمر ، وكان ملكا جليلا شجاعا بطلا ، عارفا بأنواع الفروسية ، وافر العقل كامل الهيئة ، وإليه تنقصب أشياء كثيرة من آلة الحرب ، ورعى الشباب ، ولعب الرمح ؛ وكان من خيار الظاهرية ، اشتراه الملك الظاهر جقمق في سنة سبع وعشرين وثمانمائة وأعتقه ، ثم آل أمره إلى أن بقى سلطانا ، وجرى عليه شذائد وعن ، ونفى عدة مرار ، وجرى عليه من الممالك الخشقدمية ما لا خير في إعادته ، وخلع من السلطنة بعد ثمانية وخمسين يوما ، فكانت كأحلام النائم ، وآخر الأمر مات قهرا ، فكان كما قيل في المعنى :

هي الدنيا إذا كملت وتم سرورها خذلت

٢١ (١٥٨ آ) وتفعل بالذين بقوا كما فيمن مضى فمات

وفيه أمر السلطان بتوسط كاشف البحيرة ، وهو شخص يسمى خشقدم الزيني ، فوسطه هو وشخص من الكتّاب يقال له ابن الطواب ، وقد تجمّد عليهما جملة من المال لم يقوموا به . - وفيه ضرب السلطان فلوسا جددا ، ثم نودي عليها كل رطل

بست وثلاثين، ونودي على الفلوس المتق كل رطل بأربعة وعشرين ، فخر الناس
في هذه الحركة الثلث من أموالها ، وكانت الفلوس الجدد تخرج معاددة كل أربعة
أفلاس بدرهم .

٣

وفيه قدم مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة ، وكان المبشر يومئذ شخصا من
الخاصكية ، يقال له جان بلاط الغوري ، فأخبر بوفاة أبي السعود محمد بن الشيخ أمين
الدين الآقصرای ، مات وهو عائد من مكة ، ودفن في أثناء الطريق ، وكان شابا
حشما ريسا ، من أهل العلم والفضل ؛ وتوفي كاتب سر طرابلس السيد الشريف تقى
الدين أبو بكر بن أحمد ، وكان لا بأس به ، انتهى ذلك .

٩

ثم دخلت سنة ثمانين وثمانمائة

فيها في المحرم أخلع السلطان على الشيخ بدر الدين بن الغرس الحنفى ، وقرّر في
مشيخة تربة الأشرف برسباى ، عوضا عن الكافيحى بحكم وفاته . - وفيه رسم
السلطان بتوسيط عمر بن أبى الشوارب ، شيخ قليوب ، وقد ضرب بالمقارع بين
يدى السلطان ، وشهر على جمل ، ووُسط بقلوب . - وفيه في سابع عشره كان
وصول الأتابكى أذربك من مكة ، وقد حجّ وعاد ؛ وحضر صحبته الشيخ أمين الدين
الآقصرای وهو في غاية التشويش على فقد ولده أبى السعود ، وقد حصل له ما يشبه
الذهول ، فلم يلبث بعد دخوله القاهرة سوى تسعة أيام ومات ، (١٥٨ ب) فلما طلع
إلى السلطان أخلع عليه وعلى الأتابكى أذربك ، ونزلا إلى دورهما .

١٨

وفيه في رابع عشرينه دخل الحاج إلى القاهرة ، وقد تأخر عن ميعاده أربعة أيام ،
وحصل على الحجاج عطشة شديدة عند العود ، وكان الحاج في تلك السنة كثيرا ؛ ثم
دخلت خوند زوجة السلطان إلى بركة الحاج وهى في تجمل زائد ، ولأقاها الأمراء
قاطبة حتى قضاة القضاة ، وترجلوا إليها من على بغالهم وهى في الحقّة ، ولأقاها المغانى
بالطارات من البويب ، ومُدّت لها هناك أسمطة حافلة ؛ فلما طلعت إلى القلعة رُفعت
على رأسها القبة والطير ، ونثرت عليها خفاف الذهب والفضة ، وكان لها

٢١

بالقلمة يوم مشهود ، ودخل إليها التقادم الحافلة من أرباب الدولة وأعيان الناس ،
اتمهي ذلك .

٣ وفيه في سابع عشرينه كانت وفاة شيخ الإسلام أمين الدين يحيى بن محمد
الآقصرى الحنفى ، رحمه الله عليه ، وكان قد ناف عن الثمانين سنة من العمر ، وكان
مولده سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وكان إماما عالما فاضلا مفتيا ، به الفع
للمسلمين ، من أجل علماء الحنفية ، بارعا فى الفقه ، دينا خيرا ، قائما فى الحق ،
٦ يحاشن الملوك والسلاطين ، ويغلظ عليهم فى القول ، ولا يخشى إلا الله ، وكان فى
سعة من المال ، وولى عدة وظائف سنية ، منها مشيخة المدرسة الأشرفية ، ومشيخة
٩ المدرسة الصرغمشية ، والأيتمشية ، والجانبكية ، وكان بيده عدة تداريس وطلب
ليلي القضاء غير ما مرة وهو يمتنع من ذلك .

وفى صفر أخلع السلطان على قريبه جانم الشريقى ، وقرّر فى نظر الجوالى ،
١٢ وهذا أول استظهاره فى الوظائف . - وفيه توفى الأمير قانى باى الساقى الطويل
الظاهرى ، (١٥٩٩) أحد الأمراء الطبلخانات والحاجب الثانى ، وكان ريسا حشما
لا بأس به . - وفيه نزل السلطان إلى طرا ، ومعه الأتابكى أربك ، فبات هناك ،
١٥ ومدّ له بها الأتابكى أربك أسمطة حافلة ، فبات وعاد من غده . - وفيه توفى الشيخ
نجم الدين إسحاق القرى الحنفى ، وكان من أعيان علماء الحنفية ، ومولده قبل التسمين
والسبعمائة ، وكان لا بأس به .

١٨ وفيه توفى الأمير تمر حاجب الحجاب وهو تمر من محمود شاه الظاهرى ، وكان
ظالما غاشما عسوفيا شديد القسوة ، تولى ولاية القاهرة وحجوبية الحجاب ، وكان
فى أيام ولايته صارما على العبيد والفلان وغير ذلك ، وقتل منهم جماعة كثيرة ،
٢١ حتى قيل أحصى من قتله فى أيام ولايته فكانوا زيادة على السبعمائة إنسان على ما قيل ،
فلما مات قال جماعة من أهل الصحراء إنهم سمعوه يموى فى قبره كما تموى السكلاب ،
نموذ بالله من ذلك . - وفيه طلع القلمة شيخ من الأمراء العشرات ، يقال له
٢٤ دولات باى حلاوة المحمودى ، فبينما هو واقف بين الأمراء فأغنى عليه ، فحملوه إلى

تحت الكرمة التي بالحوش ، فات لوقته ، فأحضر له تابوت وأزولوه إلى داره ،
ودفن من يومه ، وكان ديناً خيراً لا بأس به .

- ٣ وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلاً ، وحضر القضاة
الأربعة ، وأعيان الناس من الأمراء وغيرهم . - وفيه أخلع على القاضي تاج الدين
ابن المقسى وأعيد إلى نظر الخاص ، وقد نسي العلقه المقارع التي دخلت في أجنابه ،
وانفصل عنها بدر الدين ابن كاتب السرّ ابن مزهر . - وفيه أخلع على الأمير أزدمر
الإبراهيمي الطويل ، وقرّر في حجوية الحجاب ، عوضاً عن تمر بحكم وفاته . -
وفيه قرّر في الحجوية الثانية سيباى الظاهري ، الذي كان أمير (١٥٩ ب) آخور
ثالث ، وقرّر الأمير أزدمر المسرطن في الخازندارية الكبرى ، عوضاً عن أربك
اليوسفي . بحكم انتقاله إلى مقدمة ألف . - وفيه توفي الأمير يشبك جيس من آقبردى
الأشرفي أحد العشرات ، وكان ديناً خيراً لا بأس به .

- ١٢ وفي ربيع الآخر أخلع السلطان على الشيخ برهان الدين بن الكركي الإمام ،
وقرّر في مشيخة المدرسة الأشرفية ، عوضاً عن الشيخ أمين الدين الآقصرای بحكم
وفاته . - وفي هذا الشهر أشيع بين الناس أن السلطان يقصد السفر والخروج بنفسه
إلى البلاد الشامية ، فنزل إلى الميدان الكبير الذي بالناصرة ، وعرض هناك خيول
الدُّشَار ، ثم توجه إلى بولاق ونزل في بيت شرف الدين الأنصارى الذي ببولاق ،
فأضافه الأنصارى هناك ضيافة حافلة ، وكان الأنصارى أنشأ غراباً تحت داره ،
فنزل السلطان فيه وتوجه إلى شبرا ، ثم عاد قريب المغرب وطلع إلى القلعة . -
١٨ وفيه في ثانی عشر مسرى كان وفاة النيل المبارك ، ونزل الأتابكي أربك وفتح السدّ
على العادة ، وكان له يوم مشهود .

- ٢١ وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن محمد أغرلوا بن حسن الطويل قد وقع بينه
وبين أبيه ، وقد بحث يستنجد بنائب حلب على أبيه ، فجهّز نائب حلب معه جماعة
من عساكر حلب ، وعليهم أينال الحكيم أتابك حلب ، وجام السيفي جاني بك نائب
جدة ، وكان يومئذ نائب البيرة ، وعين دولات باي المحوجب وآخرين من أمراء

حلب ، فلما خرجوا إلى عسكر حسن الطويل تقاتلوا معهم ، فانكسر عسكر حلب ،
 وجرح محمد أغرلوا جرحا بالغا ، ورجع إلى حلب في خمسة أنفار ، وأن أنبال الحكيم
 ٣ فقد في المعركة ، وأن دولات باى المحوجب أسر ، وقُتل (١٦٠ آ) من عسكر حلب
 جماعة كثيرة ؛ فلما بلغ السلطان هذا الخبر تشوَّش له وعيّن جماعة من الأمراء ،
 منهم : الأتابكي أذربك ، ويشبك الدوادار وتمرّاز رأس نوبة النوب ، وأزدمر
 ٦ الطويل حاجب الحجاب ، وبرسباى قرا ، وخاير بك من حديد ، ووردبش ، وعيّن
 من الأمراء الطبلخانات والمشرّات عدة وافرة ، وأمرهم بأن يجهزوا يرقهم ويكونوا
 على يقظة حتى يرد عليه من أمر حسن الطويل ما يكون ، فاضطرب أحوال العسكر ؛
 ٩ فبينما هم على ذلك إذ ورد كتاب من عند ابن الصّوا ، يخبر فيه بأن عسكر حسن عاد
 إلى بلاده ولم يحصل منهم ضرر ، فانشرح السلطان لهذا الخبر ، وبطل أمر التجريدة
 التى تعيّنّت إلى حسن الطويل ، فكان كما قيل في المعنى :

١٢ وكم هم تُساء به صباحا فتأتيك السرّة بالمشى

وفيه توفى الشيخ عضد الدين السيرامى ، شيخ المدرسة البروقية ، وهو
 عبد الرحمن بن يحيى بن سيف بن محمد بن عيسى الحنفى السيرامى ، وكان عالما فاضلا
 ١٥ ريسا حشما ، من أعيان علماء الحنفية ، بارعا فى الفقه مفتيا ، وكان لا بأس به ؛ فلما
 توفى أخلع السلطان على قاضى القضاة شمس الدين الأمشاطى ، وقرّر فى مشيخة
 البروقية ، عوضا عن السيرامى . - وفيه أخلع على أذربك فُستق الظاهرى ، وقرّر
 ١٨ فى أمرة الآخورية الثالثة ، عوضا عن سيباى ، بحكم انتقاله إلى الحجبوية الثانية . -
 وفيه أخلع السلطان على ولد برهان الدين النابلسى ، وأعيد إلى نظارة الجيش بدمشق ،
 وصرف عنها الشريف موفق الدين الحموى . - وفيه توفى جمال الدين الباعونى قاضى
 ٢١ القضاة الشافى بدمشق ، وكان (١٦٠ ب) عالما فاضلا ريسا حشما ، وكان ترشّح
 أمره لىلى قضاء مصر ولم يتمّ ذلك ، وكان مولده سنة خمس وثمانمائة .

وفى جمادى الأولى أخلع السلطان على قجماس الإسحاقى ، وقرّر فى أمرة
 ٢٤ آخورية الكبرى ، عوضا عن جاني بك الفقيه الظاهرى ، بحكم انتقاله إلى أمرة

السلح ، عوضا عن أينال الأشقر ، بحكم وفاته ؛ وأُخلع على قانى قُشير الظاهري أحد العشرات ، وقرّر في نيابة نهر الإسكندرية ، عوضا عن قجماس الإسحاق ، بحكم انتقاله إلى أمرة آخورية الكبرى . - وفيه أُخلع على برد بك السيفي جرباش كُرت ، ٣ وقد ظهر أنه قريب السلطان ، فقرّره في نيابة صفد ، عوضا عن أزدمر من مزيد قريب السلطان أيضا ، ونقل أزدمر المذكور إلى نيابة طرابلس ، عوضا عن يشبك البُجاسي ، بحكم القبض عليه وسجنه ؛ ولما أُخلع السلطان على قريبه برد بك وقرّره ٦ في نيابة صفد ، كان يومئذ شاد الطرانة ، فاستكثروا عليه الناس نيابة صفد دفعة واحدة .

وفيه توجه إلى دمشق برهان الدين النابلسي وكيل بيت المال ، وقد خرج في ٩ بعض أشغال السلطان . - وفيه وصل القاضي شمس الدين بن أجا قاضي العسكر ، وكان قد توجه رسولا إلى حسن الطويل ، فأخبر أن الطاعون قد هجم في بلاده ، ومات من عسكره ما لا يحصى ، وقد تلاشى أمره فسرّ السلطان لهذا الخبر . - وفيه ١٢ قدمت إلى القاهرة زوجة حسن الطويل ، أم ولده محمد أغرلوا ، تستجير لولدها محمد بالسلطان بأن يشفع له عند أبيه ويصلح بينهما ، فلما قدمت أكرمها السلطان وأزّلها بدور الحرم . ١٥

وفيه نُقبت قاعة الذهب وسُرق منها عدة سبائك ذهب ، وشريط ذهب ، (١٦١ آ) فلما بلغ السلطان ذلك ضيق على والى القاهرة حتى يفحص عن من فعل ذلك ؛ ثم بعد أيام ظهر أن شخصا يقال له يوسف ، وكان من جملة صنّاع القاعة ، ١٨ أنه هو الفاعل لذلك ، فقبض عليه وعُرض على السلطان ، وأخذ ما كان معه من السبائك الذهب ، وسُجن بالمقشرة إلى ما تقتضى الآراء الشريفة في أمره .

وفي جمادى الآخرة جاءت الأخبار من دمشق ، بأن برهان الدين النابلسي وكيل ٢١ السلطان لما دخل إلى دمشق صدرت منه القبايح العظيمة بأهل دمشق ، فما طاقوا ذلك وثاروا عليه ورجوه ، ورموا عليه بالسهم ، وأحرقوا داره بالنار ، وأرادوا قتله ، فركب نائب قلعة دمشق بنفسه وتلطف بالعوام حتى سكنت هذه الفتنة قليلا ، ٢٤

وقد كادت أن تخرب دمشق في هذه الحركة بسبب ظلم النابلسي ، وكان قد طنى على الناس وتجبّر ، وكان هذا أكبر أسباب الفساد في حقّه ، حتى آل أمره إلى ما سندكره في موضعه . ٣

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى نحو طرا ، فأضافه هناك ابن البلاح ، فكان فيما أحضره بين يديه قدورا مختومة بها شهد ، ففتحت منهم قدرة بين يدي السلطان وهو جالس على السباط ، فلما فتحت خرج منها نحلة كبيرة ، فقصدت وجه السلطان دون الجماعة الذين على السباط ، فلدغته في جفن عينه ، فورم وجهه في الحال وتشوش لذلك ، ورجع من وقته وطلع إلى القلعة ، فانقطع عن إقامة الخدمة أياما حتى شفى من ذلك . - وفيه جاءت الأخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة بين شاه بضاغ ابن ذلنادر صاحب الأبلستين ، وبين ابن قرمان ، ووقع بينهما مقتلة عظيمة ؛ ووقع أيضا بين حسن الطويل وبين أخيه أويس ، وبمث إليه طائفة من عسكره بالرّها ، فخاربوا أويس فقتلوه أشرّ قتلة ، ومن (١٦١ ب) كان معه من عسكره . ١٢

وفي أثناء هذا الشهر توجّه السلطان إلى نهر دمياط ، وقد توجّه إلى دمياط مرة أخرى قبل ذلك ، وهذه السفرة الثانية ، وقد توجّه إلى دمياط من البحر في عدة مراكب كثيرة ، نحو من مائة مركب ، وكان معه من الأمراء يشبك الدوادار ، وآخرون من الأمراء المقدمين والعشرات ، وجماعة من المباشرين والخاصكية والماليك السلطانية ؛ ومما وقع له وهو حادر في البحر أنه رأى عدة كراكى على جزيرة في البحر ، فقام بنفسه ورمى عليهم بسهم نشاب ، فصرع منهم كركى فتحامل بسهمه وألقى نفسه في البحر ، فبادر إليه بعض السلحدارية ونزل في البحر ليحضر الكركى فقوى عليه التيار ففرق من وقته ، فتنكّد السلطان بسبب ذلك ؛ فلما طلع إلى نهر دمياط لاقاه النائب ومدّه له مدّة حافلة ، فأقام بها أياما وهو في أرغد عيش ، وتنزّه في غيطان البلد ، وتوجّه إلى مكان يصاد به السمك البورى ، ونزل في مركب صغير وعين كيف يصاد البورى ، وانشرح في هذه السفرة إلى الغاية ؛ فلما أراد العود إلى

القاهرة عاد في البحر أيضا ، فكانت مدة غيبته في هذه السفرة نحواً من خمسة عشر يوماً ، فطلع إلى القلعة في سلخ الشهر .

ومن الحوادث أن السلطان لما عاد من دمياط ونزل في الراكب قاصدا للديار المصرية ، فلما أن وصلوا إلى بولاق جاء صاروخ فقط في مركب الأمير يشبك الدوادر ، فعملت النار في قلع المركب فاحترق ، فاضطرب الأمير يشبك من ذلك ، وصار يلاقى عن وجهه النار بالحدة ، فأدركه طواشى يقال له مرجان الحسنى ، فبينما هو يطفىء النار إذ سقط عليه الصارى فمات لوقته ، هو وشخص من المماليك السلطانية ، انتهى .

وفي رجب صعد قضاء القضاة إلى القلعة للتهنئة بالشهر وقدم السلطان من السفر ، فأخلع في ذلك اليوم على أبي البقاء ابن قاضى القضاة ابن الشحنة ، وقرّر في قضاء الشافعية بحلب ، عوضا عن عز الدين الحسناوى ، بحكم صرفه عنها . - وفي أثناء هذا الشهر خرج السلطان على حين غفلة وقصد التوجه إلى بيت المقدس ، وكان معه الأتابكي أزبك ، ويشبك الدوادر ، وآخرون من الأمراء والخاصكية ، وجماعة من أعيان المباشرين وغيرهم ، فلما دخل القدس أظهر به العدل ، وأقام به ثلاثة أيام ، ثم زار الخليل عليه السلام ، وتصدق (١٦٢ آ) في القدس والخليل بسنة آلاف دينار ، وأزال ما كان بهما من مظالم كانت حادثة هناك ؛ ولما مرّ بالقرين أمر ببناء جامع وسبيل هناك ، وحصل له جملة تقادم حافلة من أعيان الناس هناك ؛ ولما دخل إلى غزة أخلع على سيباى المنصورى الظاهرى أحد العشرات ، وقرّر في نيابة غزة ، عوضا عن يشبك العلأى ، بحكم انتقاله إلى حجوية الحجاب بدمشق ، عوضا عن جانب الجداوى ، بحكم انتقاله إلى أتابكية دمشق ؛ ثم إن القاضى تاج الدين ابن المقسى ناظر الخاص قدم من عند السلطان ، وأخبر أنه قد وصل إلى قطيا ، فخرج جماعة من الأمراء إلى لقائه .

وفي شعبان في عشرينه وصل السلطان ودخل القاهرة في موكب حافل ،

وقدّاهه الأمراء بالشاش والقماش ، وخرج طائفة اليهود والنصارى بأيديهم الشموع
 الموقدة ، وشقّ من القاهرة ، وكان له يوم مشهود ، حتى طلع إلى القلعة . - وفيه كان
 ٣ ختان بدر الدين بن القاضي كمال الدين ناظر الجيش ، وكان له مهمّ حافل . - وفيه
 توفي القاضي محيي الدين الطوخي ، أحد نواب الشافعية ، وهو عبد القادر بن محمد بن
 محمد القاهري الشافعي ، وكان عالما فاضلا وجها عند الناس ، ناب في القضاء مدة طويلة
 ٦ ومُحَمَّدت سيرته ، وكان لا بأس به . - وفيه توفي السيد الشريف أمير جان تاجر
 الماليك ، وكان ريسا حثما في سعة من المال ، وكان وجها عند الملوك والسلاطين ،
 وجلب غالب أمراء عصرنا ، وصاروا يعرفون بالشريفي إلى الآن .

٩ وفيه حضر مهنا بن عطية إلى بين يدي السلطان ، وقد بعث إليه بمندبل الأمان ،
 وكان رأس العربان المفسدين ، وقد أعمي أمره الكشف ومشايخ العربان ولم يقدرُوا
 على تحصيله ، فترامى مهنا بن عطية على أحمد بن طُفَيْش ، حتى قابل به السلطان ،
 ١٢ وأخلع عليه خلعة الرضى ، ودخل تحت طاعة السلطان . - (١٦٢ ب) وفي أواخره
 توفي جاني بك الأشقر الدوادار ، أحد خواص السلطان ، وكان ريسا حثما عارفا
 سيوسا ، توجه إلى الحجاز أمير حاج غير ما مرّة ، وكان مقرّبا عند السلطان ، وكان
 ١٥ أصله من مماليك قاني باي فرفور ، واتصل بخدمة جماعة من الأمراء ، ثم خدم
 الأشرف قايتباي من حين كان أمير طبلخاناه إلى أن بقى سلطانا ، وأنتم عليه السلطان
 بأمره عشرة ، وكان في سعة من المال . - وفيه توفي شاهين الفقيه الزيني ، وكان من
 ١٨ أعيان الخاصكية محمود السيرة ، دينا خيرا لا بأس به .

وفي رمضان أخلع السلطان على الأمين لاجين الظاهري أمير مجلس ، وقرّر
 أمير ركب الحمل ، عوضا عن جاني بك الأشقر المتوفى ، وكان قرر أمير ركب الحمل
 ٢١ قبل موته . - وفيه وصل دولات باي المحوج ، وكان قد أمر عند حسن الطويل ،
 فأطلقه وأخلع عليه . - وفيه توفي سييبي أمير آخور ثالث ، وكان ولي حاجب ثاني ،
 وأصله من مماليك الظاهر جقمق ، وكان يعرف بسييبي من يخشبای ، وكان لا بأس به .

وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأن بعض تجار الفرنج احتال على تجار الإسكندرية حتى أسرمهم ، وكان فيهم تجار السلطان : ابن عُليبة ، وابن يعقوب ، وعلى الكيزاني ، وعلى النراوى ، فلما أسروهم خرجوا بهم من إسكندرية في الوقت ٣ والساعة وتوجهوا بهم إلى بلاد الفرنج ، فاضطربت أحوال الإسكندرية وكادت أن تمخرّب ؛ فلما كاتبوا السلطان بذلك تأثر لهذا الخبر وعين في الحال خاصكيا من خواصه يقال له قيت الساقى ، الذى تولى ولاية القاهرة فيما بعد ، وكتب معه مراسيم شريفة لنائب ثغر الإسكندرية بالقبض على جميع تجار الفرنج الذين بالإسكندرية (١٦٣٠ آ) جميعهم ، فلما توجه قيت الساقى إلى هناك قبض على تجار الفرنج الذين بسائر السواحل ، وضيق عليهم وأودعهم في الحديد ، وألزمهم بأن يكتبوا ملوك ٦ الفرنج بما جرى عليهم من السلطان بسبب التجار ؛ وقد قام السلطان في هذه الحادثة قياما تاما ، وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها ، وآخر الأمر اشتروا التجار الذين أسروا أنفسهم من ملوك الفرنج بمال له صورة ، حتى أطلقهم وأتوا بهم إلى ١٢ الإسكندرية ، كما سيأتى الكلام على ذلك .

وفيه أخلع على قنبك جُشحة الملاى الظاهرى الرماح ، وقرّر في الحجوبية الثانية ، عوضا عن سيابى الظاهرى ، بحكم وفاته ؛ وأخلع على دولات باى الحسى ، ١٥ وقرّر في شادية الشون ، عوضا عن قنبك جُشحة . - وفيه توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الكركى الحنفى ، والد برهان الدين إمام السلطان ، وكان ديننا خيرا من صوفية الخاتقة الشيخونية ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى ١٨ مُقبل الدوادار ، وكان أصله من مماليك تغرى بردى المودى ، وكان متكلمًا على شير النخيرة . - وفيه قرّر في مشيخة الحرم الشريف النبوى أيناال الإسحاق ، وكانت عادة مشيخة الحرم النبوى للخدام الطواشية من قديم الزمان ؛ وقرّر ٢١ في باشية الجند بمكة قانى باى اليوسفى .

وفي شوال أخلع السلطان على أبى الفتح المنوفى ، وقرّر في نيابة جدة على عاتقه . -

وفيه أخلع السلطان على شخص من النصارى اليعاقبة ، يقال له ميخائيل ، من نصارى
منفلوط ، وقرّر في بطريقة النصارى . - وفيه خرج الحاج وكان أمير ركب المحمل
٣ لاجين الظاهري أمير مجلس ، وبالأول جاني باى الخشن الأينالى ؛ وخرج صحبة
الحاج القاضى شرف الدين الأنصارى ، وكان الأمير يشبك الدوادار مُحطاً عليه فخرج
إلى مكة ، وكان آخر عهده بالقاهرة ، وقد (١٦٣ ب) تسلّط عليه برهان الدين
٦ النابلسى وأخذ منه وكالة بيت المال ، فضاقت الأمور عليه فترك مصر ومضى عنها ، كما
قد قيل في المعنى :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
٩ وفي ذى القعدة أشيع بين الناس أن قد سُرِق من خزانة السلطان مال له صورة ،
فظهر بعد أيام أن الفاعل لذلك جماعة من بوابين الدهيشة الألواحية ، فقبض السلطان
على بعضهم وضربه ، فأحضر المال ، فرسم بسجنه في المقشرة ، فسجن . - وفيه
١٢ سافر السلطان إلى القيوم ، وهى المغفرة الثانية ، وكان معه الأتابكى أذربك ويشبك
الدوادار ، وجماعة من الأمراء المقدمين والعشرات ؛ وكان سبب توجهه إلى القيوم
أن خاير بك من حديد أنشأ هناك ضيعة ، وجعل بها طاحونا تدور بالماء ، وأنشأ بها
١٥ بستانا حافلا ، فتوجه السلطان ليرى ذلك . - وفيه خسف جرم القمر خسوفا تاما
حتى أظلم الجو ، وأقام الخسوف نحو من أربعين درجة .

وفي ذى الحجة كان عيد النحر يوم الجمعة ، وخطب فيه خطبتان . - وفيه قدم
١٨ قطب الدين الخيضرى من دمشق ، وقد أتى يشكو من برهان الدين النابلسى ، وقد
تزايد ظلمه وجوره في حق الناس جدا . - وفيه كان ختان أولاد الملك المنصور
عثمان بن الظاهر جقمق ، وكان الختان بشفر دمياط ، فبعث السلطان إليه بألفى دينار
٢١ بسبب احتياج المهم ، وتوجه إليه ابن رحاب المغنى ومشى في الزفة ، وكان له مهم
حافل .

وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة ، وأخبر بوقاة القاضى المالكى

- محبي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المعطى الأنصارى السمدى المالكي ، قاضى مكة ، وكان عالما فاضلا فقيها نحويا ، ولى قضاء مكة مدة (١٦٤ آ) طويلة ، وكان محمود السيرة . - وفيه توفى ثم الفقيه الأبوكبرى ٣ المؤيدى ، أحد الأمراء العشرات ، وكان صهر الشيخ أمين الدين الآقصرى ، وكان لا بأس به . - وتوفى أينال الإبراهيمى الحكيم الأشرفى ، أتابك حلب ، وكان لا بأس به . - وتوفى جقمق المؤيدى أحد العشرات ، وكان ديناً خيراً ، إنساناً حسناً ٦ لا بأس به .

- ومن الحوادث اللطيفة أن فى أثناء هذه السنة ، أعنى سنة ثمانين وثمانمائة ، فيها كان ابتداء منشأ الأذربكية على يدي المقر الأتابكى أربك من ططخ الظاهرى ، الذى نُسبت الأذربكية إليه ، أقول : وكانت هذه البقعة أرض ساحة خراب ، ذات كيان فى أرض سباح ، وبها أشجار أثل وسنط ، وبها مزار سيدى عنتر وسيدى وزير ، وغيرهما من الأولياء رضى الله عنهم ، وكان فى هذه الأرض جامع خراب يسمى جامع الجاكي وهو باق إلى الآن ، وكانت هذه الأرض قديماً عامرة بها المناظر والبساتين ، وتسمى مناظر اللوق ، وكانت قريبة من بحر النيل ، ثم إن بعض الملوك حفر بها خليجاً وأجرى إليه الماء من فم الخور ، وصار هذا الخليج يعرف بخليج الذكر ، ١٥ وبقي من جملة مفترجات القاهرة ، وبني على هذا الخليج قنطرة وفوقها تسكة للمتفرجين يجلسون عليها للفرجة ، وفيها يقول إبراهيم المعمار :

- ١٨ يا طالب التسكة نلت المنا وفزت منها ببلوغ الوطر
قنطرة من فوقها تسكة وتحتها تلقى خليج الذكر

- واستمرت هذه البقعة على ما ذكرناه إلى سنة خمس وخمسين وستمائة ، فلما تلاشى أمرها وضعف جريان الماء فى خليج الذكر ، وحفر الملك الناصر محمد بن قلاوون ٢١ خليجه المسمى بالخليج الناصرى ، وذلك فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، فطمّ خليج الذكر وخربت مناظر اللوق التى (١٦٤ ب) كانت هناك ، وصارت هذه البقعة خربة مقطوع طريق ، واستمرت على ذلك مدة طويلة لم يلتفت إليها أحد من الناس ؛ ٢٤

ثم إن شخصا من الناس عمد إلى سراب حمام كانت هناك ، وفتح له يجمعون من الخليج الناصري ، فجري فيه الماء في أيام زيادة النيل ، فلا زال يجريه حتى أوصله بأرض الأزبكية ، فصار يدخل إليها الماء في آخر الزيادة ويروى بها بمض أراضيها وتُزرع البرسيم والشعير .

واستمرت على ذلك مدة إلى سنة ثمانين وثمانمائة ، في دولة الملك الأشرف قايتباي ، فحسن ببال الأتابكي أذربك أن يعمّر هناك مناخا لجماله ، وكان ساكنا بالقرب من هذه البقعة ، فلما أن عمّر المناخ حلا له هناك العمارة ، فبنى القاعات الجليلة ، ثم الدوّار والقعد والمبثّات والحواصل وغير ذلك ، ثم إنه أحضر أبقار ومحارث وجرف الكيان التي كانت هناك ومهدّها ، ثم حفر بها هذه البركة الموجودة الآن ، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري ، وجدّد عمارة قنطرة خليج الذّكر التي كانت قديمة ، ثم بنى على هذه البركة رصيفا محتاطا بها ، وتعب في ذلك تعباً عظيماً حتى تمّ له ما أراد من ذلك ، فكان في قوة الحرّ يدور خلف المحارث في الكيان وغيرها ، وأصرف على ذلك مالا له صورة ما يزيد على مائتي ألف دينار ، وكان ذلك في غير طاعة الله تعالى ولا به نفع للمسلمين .

ثم شرعت الناس تبني على هذه البركة القصور الفاخرة والأماكن الجليلة ، ولا زالت تتزايد في العمارة إلى سنة إحدى وتسعمائة ، وقد رغب الكثير من الناس في سكنى الأزبكية ، وصارت مدينة على انفرادها ، ثم أنشأ بها الجامع الكبير وجعل به خطبة ، وأنشأ به المئذنة (١٦٥ آ) العظيمة ، وجاء غاية في الحسن والتّخريف والبناء ، وفيه بقول الشيخ شمس الدين القادري :

بني جامعاً لله يلتبس الرضى	به ونجاة من أليم عقابه	٢١
وفكّر في الحشر الذي عقباته	طوال يهول المرء قطع عقابه	
فاكرم به من جامع من نوى به	فلم يخلُ منشيّه إذاً من ثوابه	
فيا فوز عبد مؤمن قد جنى به	ثمّار أجور من رياض جنابه	
عظيم أجور لا ينوب منابه	سواء لأجر نال كل المنا به	٢٤

ثم أنشأ حول هذا الجامع الربوع والحمامات والقياصر والطواحين والأفران وغير ذلك من النافع ، وسكن في تلك القصور وتمتع بها مدة طويلة ، حتى مات وبقي له تذكّار بالأزبكية ، وفيه يقول شمس الدين القادرى :

- ٣ لأزبك مولانا المقرّ عمارة بها السعد يسمو للنجوم الشوابك
بمملكة الإسلام لم أر مثلها ولا الناس طُرا في جميع الممالك
٦ بها جامع للحُسن أصبح جامعا تقرّ به العينان من كل ناسك
به شُرقت تلك العمارة واغتدت مكرمة عند الملا والملايك
إذا قال قوم من أتى بك للعلا تقول لهم سعد الأمير الأتابكي
٩ وكان يوم فتح سدّ هذه البركة تجتمع عنده الأمراء المقدمون بالقصر ، وتأتى الناس أفواجا للفرجة ، ويكون لها يوم مشهود ، وكان يصنع بها في كل سنة وقدة حفلة ، وتُحرق بها حراقة نعط ، وتدخل إليها المراكب قاطبة ، ويكون لها ليلة حافلة لم يسمع بمثلها ، وتنفق بها في تلك الليلة أموال جمّة بسبب الفرجة بها ، وتضرب
١٢ حول البركة عدّة خيام ، ويقع بها من القصف والفرجة أشياء غريبة ، وتكون ليلة حافلة ؛ وقد ألفت في هذه الأزبكية شيخنا الشيخ شمس الدين القادرى (١٦٥ ب)
١٥ مقامة لطيفة ، كلها غُرر ، تشتمل على نثر ونظم ، وقد أوردتها بالتمام والكمال في كتابي « نزهة الأُم في المعجائب والحكم » انتهى ذلك ؛ ولما كملت عمارة الأزبكية ودخل الماء إلى بركتها أنعم السلطان قايتباي على الأتابكي أزبك بأرضها ، وكتب له بذلك مربعة شريفة ، وكانت أرض الأزبكية وقفا على خزائن السلاح .
١٨ وفي هذه السنة توفى الشيخ نور الدين علي بن بُرد بك الحنفى ، وكان عالما فاضلا بارعا في نظمه ، وله نظم جيد ، فمن ذلك قوله :

- ٢١ نعمان خدّ حبيبي قد جاءه الخال يسمى
فورث الخال حسنا وقال بالإرث شرعا

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثمانمائة

- فيها في المحرم خرج الأتابكي أذربك ، ومعه عدة من الأمراء والجند ، إلى قتال
 ٣ عربان لبيد ، وكان قد تزايد شرهم ، فلما توجه إليهم تقاتل معهم وقبض على جماعة
 منهم ، وقاسى العسكر مشقة زائدة ، وطردهوا خلفهم إلى الأودية المعطشة ، حتى بلغ
 الكراز الماء إلى أكثر من دينار . - وفيه تغير ماء النيل عند نزول النقطة في لونه
 ٦ وطعمه ، حتى نفر منه طبع الناس جدا ، وصاروا يشربون من الآبار والصحاريج . -
 وفيه توفي الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش ، وهو محمد بن عبد الرزاق ابن
 أبي الفرج ، وكان أصله من الأرمن ، وكان ريسا حشبا ، وولى عدة وظائف سنية ،
 ٩ منها : الأستاذية الكبرى ، ونقابة الجيش ، وغير ذلك .
 وفيه جاءت الأخبار من الإسكندرية بأن الفرنج قد أطلقوا من كان عندهم من
 التجار الذين كانوا أسروهم ، وقد اشتروا أنفسهم بمال له صورة حتى أطلقوهم ، وقد
 ١٢ جرى عليهم أمور يطول شرحها حتى خلصوا من بلاد الفرنج ، واستمر ابن غلبية من
 يومئذ مريضا إلى أن مات بعد مدة . - وفيه رسم السلطان بشنق حذيفة بن نصير
 الدين ، وكان رأس المفسدين ، وشنق معه ثلاثة أنفار من أصحابه .
 ١٥ وفي صفر أخلع السلطان على قطب الدين الخيصرى وأعادته إلى قضاء الشافعية
 وكتابة السرّ بدمشق على عادته ، وغرم جملة مال في هذه الحركة . - وفيه خرج الأمير
 يشبك إلى جهة الوجه القبلى ، (١٦٦ آ) بسبب محاربة يونس وأخيه أحمد أولاد
 ١٨ ابن عمر . - وفيه توفي مُمحق الفقيه الخاصكى ، وكان دينيا خيرا ، وله اشتغال بالعلم .
 وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا . - وفيه توفي
 الشيخ تقى الدين الحصنى الشافعى ، وهو أبو بكر بن محمد بن شادى ، وكان عالما فاضلا
 ٢١ بارعا في الفقه والعربية وغير ذلك من العلوم ، وكان دينيا خيرا لا بأس به ، وولى عدة
 تداريس ، منها تدريس المدرسة الصلاحية التى بجوار قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه ؛

- فلما مات قرّر بها الشيخ زين الدين زكريا الأنصارى عوضا عن الحصنى . - وفيه توفى قاضى القضاة صلاح الدين أحمد المعروف بالمكيى ، وهو أحمد بن محمد بن بركوت الحبشى التاجر الكارمى ، وكان عالما فاضلا ريسا حشما ، ربيب قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ، وولى عدة وظائف سنية ، منها حسبة القاهرة ، ثم ولى قضاء الشافعية ، وغرم بسببه مالا له صورة ، ولم يمكث فى القضاء سوى مدّة يسيرة وعزل عنها .
- وفيه حضر نجاب من مكة وأخبر ب وفاة القاضى شرف الدين الأنصارى ، وهو موسى بن على بن سليمان التتاي الشافعى ، وكان ريسا حشما غير خال من فضيلة ، عازفا بأحوال المملكة ، سيوسا حسن الرأى ، وولى عدة وظائف سنية ، منها نظر الجيش ، ونظر الخالص ، ووكالة بيت المال ، وغير ذلك من الوظائف السنية ، حتى عدّ مدبر المملكة ، وكان مولده بعد العشرين من قرن الثمانائة . - وفيه أرسل نائب الشام ، جانى بك قلعسىز ، هدية حافلة للسلطان ، من جملتها من الذهب النقد عشرة آلاف دينار ، وعدة حمالين ما بين صمّور ووشق وسنجاب وصوف وغير ذلك .
- وفى ربيع الآخر وقع حريق عظيم بباب السلسلة ، واحترق من خيول السلطان الخاص ستة أرؤس ، وقد أعى المالك عن طففيه ، وهدم من سور باب السلسلة جانب عظيم . - وفيه فى ثالث مسرى (١٦٦ ب) كان وفاء النيل المبارك ، وتوجّه الأتابكى أزبك وفتح السدّ على المائدة ، وكان يوما مشهودا . - وفيه توفى نائب الإسكندرية قائم قشير الظاهرى ، وكان لا بأس به .
- وفى جمادى الأولى عاد الأمير يشبك الدوادار من بلاد الصعيد ، ولم يظفر بأولاد ابن عمر . - وفيه قرّر فى أمرة الحاج بركب المحمل تانى بك الجمالى الظاهرى ، أحد مقدمين الألوف ، وقرّر آقبردى الأشرقى أمير الركب الأول . - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة قانصوه اليجياوى نائب حلب ، وكان قد أشيع عنه أنه خرج عن الطاعة ، فلما حضر أخلع عليه السلطان باستمرااره ، وبطل تلك الإشاعة عنه ، وكان القائم فى أمر مساعدته الأتابكى أزبك أمير كبير .

وفى جمادى الآخرة نزل السلطان من القلعة وتوجّه إلى خليج الزعفران لضيافة الزينى أبى بكر بن عبد الباسط ، فأضافه ضيافة حافلة ، ثم ركب من خليج الزعفران وتوجّه إلى الخانكة فصلى بها صلاة الجمعة ، وأضافه هناك الأمير يشبك الدوادار ضيافة حافلة . ٣

وفى رجب وقع بالقاهرة زلزال فى الليل ، وكانت مهولة ، وقع منها بمضأماكن ، ولو أنها دامت درجة أخرى حصل منها غاية الضرر للناس . - وفيه تمطّلت أسباب الناس لأجل الفلوس المتق ، وكثر الضرر منها على البائع ، وصار النصف الفضة يصرف بثمانية عشر من الفلوس المتق ، وصارت البضائع بسمعين ، سمر الفضة شىء ، وسمر الفلوس شىء ، فحصل بسبب ذلك للناس غاية المشقة . - وفيه وقع بين الأمير يشبك الدوادار وبين خاير بك من حديد تشاجر بالقلعة ، فخنق منه الأمير يشبك ولكمه بيده ، فأرمى تخفيفته عن رأسه ، فدخلت بينهما الأمراء وخلصوا بينهما ، واستمرت القلوب معمّرة بالعداوة ، حتى كان من أمر خاير بك من حديد ما سذكروه فى موضعه . ٦ ٩ ١٢

وفى شعبان (١٦٧ آ) نزل السلطان إلى الرماية وعاد فى موكب حافل ، لكنه لم يشقّ من القاهرة وطلع من بين الترب ، وقد تكرر نزوله إلى الرماية فى هذا الشهر ثلاث مرار ، وهو يطلع من بين الترب ولا يشقّ من المدينة ، وسبب ذلك لأجل الفلوس الجدد حتى لا تشكوا له الناس من ذلك . ١٥

وفى رمضان نودى على الفلوس بستة وثلاثين الرطل بالميزان ، وأبطل عددها ، ونودى على الفضة المضروبة بأن لا يتعامل بها إلا بالميزان ، وكذلك الذهب ، وكانت الفضة قد خفت جدا فصارت تخرج بالميزان ، وكذلك الذهب ، وبطل أمر الماددة . - وفيه أشيع بين الناس بأن السلطان يتزايا بزىّ المغاربة وينزل إلى جامع الأزهر ويصلى به ، وكان يسأل فى بعض الطرقات من الناس عن سيرة نفسه ، ووقع له مع الناس فى هذا الأمر أشياء غريبة يطول الشرح فى ذكرها ، وبعض الناس كان يحطّ عليه فى أفعله وهو يسمع ذلك بأذنه ممن يسأله . - وفيه توفى جاني بك المشد ، ١٨ ٢١ ٢٤

وكان موته فجأة بعد أن صلى التراويح ، وكان قد شاخ وكبر سنّه ، وأصله من مماليك
الأشرف برسباي ، وولى شادية الشراب خاناء في دولة الأشرف أبنال ، ثم بقي مقدم
ألف ، ونفى إلى القدس في دولة الظاهر خشقدم ، ثم حضر إلى القاهرة في دولة
الأشرف قايتباي ، ومات وهو طرخان .

وفيه كان ختم البخاري بالقلمة على العادة ، وفُرقت الخلع والصرر على الفقهاء . -

- ٦ وفيه فشى أمر الطاعون بالقاهرة ، وهذا الطاعون الثاني الذي وقع في دولة الأشرف
قايتباي ، ومات به في هذا الشهر القاضي عبد الكريم بن جلود ، وهو عبد الكريم
ابن أبي الفضل محمد بن إسحق القبطي ، وكان ريساً حثماً ، وولى كتابة المالك
بعد أبيه ، وكان في حداثة سنّه لم يلتج ، وباشرها أحسن (١٦٧ ب) مباشرة ،
٩ وكان له حرمة وافرة ، وكان مولده قبل السبعين والثمانمائة . - وفيه توفي قانصوه
دفر الإبراهيمي ، وكان من أعيان الخاصكية مقرّبا عند السلطان ، شابا مليح الشكل
حسن الهيئة ، كثير الأدب والحشمة ، عارفا بالفروسية ، وكان لا بأس به .
١٢ وفي شوال تزايد أمر الطاعون بالقاهرة ، وفتك في المالك والأطفال والعبيد
والجوار والغرباء فتكا ذريعا ، وكان طاعونا مهايا يموت منه الإنسان في يومه ،
١٥ وفيه يقول الشهاب المنصوري :

لهني على مصر وولداها أضحوا إلى الموت يساقونا

مانشر الفصل سهام الردى عليهم إلا طواعينا

- ١٨ وفي هذا الشهر حضر دولات باي النجمي الأشرفي ، حاجب الحجاب بدمشق ،
وكان السلطان قد تنير خاطره عليه ، فلما حضر أخلع عليه وأظهر له الرضى . -
وفيه وصل السيد الشريف على بن بركات أخو أمير مكة ، وكان حضر قبل ذلك
إلى القاهرة ، فشى السلطان بينه وبين أخيه بالصلح وتوجه إلى مكة ، فأقام بها مدة
٢١ يسيرة ووقع بينه وبين أخيه ثانيا ، فماد إلى القاهرة هو وولده ، فأكرمه السلطان
ورتب له ما يكفيه ، وأقام بمصر حتى مات . - وفيه أخلع السلطان على قراجا السيفي
جاني بك نائب جدة ، وقرّره في نيابة جدة ، عوضا عن أبي الفتح المنوفي بحكم
٢٤

- انقضاه عنها . - وفيه خرج الحاج من القاهرة على عادته ، وكان يوما مشهودا .
- وفي ذى القعدة تنهى أمر زيادة الطاعون ، ومات فيه من الأعيان جماعة كثيرة ،
- ٣ منهم الشيخ المسلك العارف بالله الولي الصالح محمد بن أحمد بن محمد التونسي الشاذلي الوفاي ، المعروف بأبي الواهب ، رحمه الله عليه ، وكان أصله مغربيا يعرف (١٦٨ آ)
- بإبن زغدان ، وكان عالما صوفيا محققا ، أخذ عن أبي السيادات بن أبي الوفاء ، وألف
- ٦ عدة أحزاب جلييلة ، وكان قد جاوز الستين سنة من العمر ، ودفن بتربة الشاذلية التي بالقرافة ؛ وتوفيت أخت السلطان خوند جان تين الجركسية ، وكانت لا بأس بها ؛
- ومات جكم المصارع الأشرفي الخاصكي ، وكان لا بأس به ؛ ومات طوغان شيخ المحمدي
- ٩ الأشرفي ، وكان في عشر الثمانين ، وله اشتغال بالعلم ؛ ومات الشيخ عبد الكريم السيواسي الحنفي ، وكان من أهل العلم والفضل ؛ ومات عيسى بك أخو شاه سوار
- وكان مقيا بالقاهرة ؛ ومات كسباي من ولي الدين الظاهري الخشقدمي ، الذي كان
- ١٢ دوادار ثاني في دولة الظاهر تمرؤنا ؛ ومات تمرباي كاشف الشرقية ، وكان من مماليك
- السلطان ، وكان أمير عشرة ، فلما مات قرّر عوضه في الكشوفية على باي ، الذي
- ولى نيابة الإسكندرية فيما بعد ؛ ومات كرتباي كاشف البحيرة ، وكان أصله من مماليك
- ١٥ جاني بك نائب جدة ، ثم ظهر أنه قرابة السلطان .
- وفي هذا الشهر توفي العلامة الإمام العالم العامل الشيخ سيف الدين الحنفي ، وهو
- محمد بن محمد بن عمر بن قطلوبغا التركي القاهري ، وكان عالما فاضلا وارعا زاهدا ،
- ١٨ خيرا دينيا صالحا ، ماهرا في الفقه والحديث ، وولى مشيخة الجامع المؤيدي ، ومشيخة
- الخانقاة الشيخونية وغير ذلك من التداريس ، وكان متقشفا زاهدا عن أبناء الدنيا ،
- ومولده سنة ثلاث وثمانمائة ، وكان من خيار الحنفية ، ولما مات رثاه شيخنا الجلال
- ٢١ الأسيوطي بهذه الأبيات :

مات سيف الدين منفردا	وغدا في اللحد منغمدا
عالم الدنيا وصالحها	لم تزل أحواله رَشدا
ناصر دين النبي إذا	ما أتاه مُلحد كهدا

- (١٦٨ ب) في الذي قد كان من ورع لم يخلف بعده أحدا
 لم يكن في دينه وَضَن لا ولا للكبر منه ردا
 عمره أفساه في نصب لآله العرش مجتهدا
 من صلاة أو مطالعة أو كتاب الله مقتصدا
 ليت شعري مَنْ نُوِّمَ له بعد هذا الخبر ملتجدا
 نُلمة في الدين موته ما لها من جابر أبدا
 قد رَوَيْنَا ذاك في خبر وهو موصول لنا سنداً
 فعليه هامعات رضى ومن القرآن سُحب ندا
 وُبُعِنَا ضمن زمرة مع أهيل الصدق والشُّهدا

وفي ذى الحجة فحش الطاعون جدا ، ومات من ممالك السلطان نحو من ألفين
 مملوك وزيادة ، خارجا عن الممالك السيفية والقرانصة ، ومات من الطواشية نحو
 من خمسة وعشرين طواشيا ، حتى قيل إن السلطان حمل بطيخة صيفي بنفسه حتى دخل
 بها إلى دور الحرم لقلة الطواشية . - وفيه توفي يلباي الأعور أحد العشرات ، وهو
 من ممالك السلطان ؛ ومات قان بردى الحمدي الأشرفي أحد العشرات رءوس النوب ؛
 ومات أمير عربان هَوَّارة سليمان بن عيسى ، وكان في السجن .

وفيه نزل السلطان وتوجه إلى الجامع الأزهر ، وكان معه كاتب السرّ وبعض
 أمراء ، فلما دخل الجامع طلب قضاة القضاة وصعد وإياهم إلى سطح الجامع ، ورسم
 بهدم ما كان بسطح الجامع من الخلاوى ، وحكم القاضي المالكي بهدم الجميع ؛ ثم إنه
 رسم بترميم ما فسد من عمارة الجامع ، وأصرف على ذلك نحو من عشرة آلاف دينار ؛
 وفي ذلك اليوم تصدق على الفقراء القيمين بالجامع بنحو من ألف دينار ، ثم ركب
 وعاد إلى القلعة ، وكان (١٦٩ آ) الطمن عمالا .

وفيه دخل مبشر الحاج وأخبر بالأمن والسلامة ، وأن الموت كثير بمكة بعملة
 البطن ، وكان قبل دخول الحاج يموت بها نحو من أربعين إنسانا في كل يوم . -

وفيه مات بالطن من الأعيان سيدى إسماعيل بن الأمير لاجين ، وكان بارعا فى
فن الصراع . - وفيه مات بالطن سيدى عمر بن الأمير دولات باى الدوادر المؤيدى ،
وكان شابا حسن الشكل ، جميل الوجه ، بهى المنظر ، كما بدا عذاره ، وكان من أعيان
أولاد الناس ، وفيه يقول بعض الشعراء :

سميتُ نحو حبيبي سعى مجتهد وطُفْتُ حول حماه وانقضى الوطر
فمن له مُهرَةٌ فى عمره اغتُفمتُ فلى بسعي على طول المدى مُعمرُ

وفيه مات بالطن سيدى محمد بن الأمير يونس الملاى أمير آخور كبير كان ،
وكان من أعيان أولاد الناس . - وفيه توفى الجناب الناصرى محمد بن سيدى يعقوب
ابن أمير المؤمنين محمد المتوكل ، وهو والد سيدى خليل ، وهو ابن أخى أمير المؤمنين
يوسف المستنجد بالله ، وكان ريسا حثما ، وكان ترشح أمره للى الخلافة بعد الجلالى
يوسف ، فاتم ذلك .

١٢ وفيه مات محمد الصغير الكاشف ، وكان كبر سنه وشاخ ؛ وتوفى بهادُر من
يشبك الظاهرى ، أحد مقدمين الألوف بدمشق ؛ ومات تمر باى الجلب نائب قلعة
حلب ، وكان من ممالك السلطان ؛ ومات كسباى والد جاني بك الفقيه أمير سلاح ،
وكان قدم من بلاد الجر كس ؛ ومات قانصوه نائب عينتاب ، وكان من ممالك السلطان ؛
١٥ ومات قايتباى من نوكار الظاهرى ، أخو الأمير قرقاس الجلب ، وكان من ممالك
الظاهر خشقدم ؛ ومات يشبك الإبراهيمى الأينالى أحد العشرات وروس النوب ؛
١٨ ومات فى هذا الطاعون من الأمراء العشرات والخاصكية ما لا يحصى عددهم ،
(١٦٩ب) وكان ممن مات بالطن بطرك النصارى اليماقبة المسمى ميخائيل المنفلوطى ،
وكان مشكورا فى بطركته محمود السيرة عند أهل ملته ؛ ولما دخل خماسين النصارى
٢١ خفّ أمر الطاعون بالنسبة لما كان عليه ، بمد ما أفنى من الناس ما لا يحصى . - وقد
خرجت هذه السنة عن الناس وهم فى أمر مريب ، بسبب فقد أولادهم وعيالهم ، وما
قاسوا فى هذه السنة خيرا .

ومما عُدَّ من محاسن الأمير يشبك الدوادار ، وهو المغسل الذي فتحه عند مدرسة السلطان حسن ، فحصل للناس به غاية النفع لأجل تجهيز الموتي ولا سيما الغرباء ، وقد حاز به غاية الأجر والثواب ؛ ومما عُدَّ من محاسنه أيضا أنه ركب يوما إلى جهة ٣ المطرية ، فوجد في طريقه شيخا هيئة فلاح ، وهو قاصد للقاهرة ومعه قُفَّة على كتفه ، وكان وقت انفجار الصبح ، فعبث عليه الأمير يشبك ، وقال له : ما في قُفَّتِكَ ؟ فقال : بيض جيت به لأبيمه وأشتري لأولادي بشفنه خبزا ، فإن ممي ثلاث بنات ، فقال ٦ له الأمير يشبك : كم هم بيضة أنا أشتري منك ذلك ، فأخرج له الشيخ ما في القُفَّة من البيض ، فقال له : عدِّهم ؛ فعدَّهم فإذا هم عشرون بيضة ، فأخذ منه ذلك البيض ودفعم للفلان ، ثم رسم لمن خلفه من الماليك بأن يدفع لذلك الشيخ عشرين دينارا ، ٩ وقال له : لو كان معك أكثر من ذلك لدفعت لك في كل بيضة دينارا ، وقد اختلف في عدد البيض التي كان مع الشيخ ، قيل إنه كان أكثر من عشرين بيضة ، فدفع له في كل بيضة دينارا ، فعدَّ ذلك من النوادر اللطيفة ، وكان الأمير يشبك الدوادار ١٢ فيه المحاسن والمساوىء كما قيل :

ترجى وتحنى حالتيك الورى (١٧٠ آ) كأنك الجنة والنار

١٥

انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائمائة

١٨ فيها في المحرم وصلت رأس أمير عرك ، وكانت قد قطعت بالوجه القبلى ، فلما حضرت إلى القاهرة طيف بها ، ثم علقت على باب زويلة . - وفيه جاءت الأخبار بأن الأمير أحمد بن عمر المهورى قد فرَّ من الصعيد ، فلما فرَّ أخلع السلطان على الأمير يشبك الدوادار ، وقرَّر في امرأة هواره ، عوضا عن الأمير أحمد بن عمر ، فعدَّ ٢١ ذلك من النوادر . - وفيه توفى قانصوه قُطُرُ الحمدي الأبنالى ، وكان أحد المشتراة ورموس النوب ؛ ومات جانم الأصفر أنى السلطان ، وكان أحد المشتراة ورموس النوب .

٢٤

وفيه وصل الحاج مع السلامة ، وُحِدت سيرة تانى بك الجمالى أمير ركب الحمل . - وفيه توفى الأمير دولات باى النجمى الأشرقى ، حاجب الحجاب بدمشق ، وكان من أعيان الأشرفية . - وفيه توفى صاحب شرف الدين يحيى بن الصنيمية القبطى ، وكان ريسا حشما لا بأس به تولى الوزارة عدة مرار . - وفيه نزل السلطان ومعه جماعة من الأمراء فتوجه إلى نحو العباسية والصالحية ، وكشف عن الجامع والسيل والحوض الذى أنشأه هناك ، فأقام بالعباسية أياما ، ثم عاد إلى القلعة . ٦

وفى صفر توفى الطواشى جوهر النوروزى الحبشى ، مقدم المالك ، ثم الزمام ، وكان دينا خيرا ، وأصله من خدام الخواجا شمس الدين بن الزلق ، ثم وهبه لابنته زوجة نوروز الحافظى ، فنُسب إليه . - وفيه توفى شرف الدين موسى بن كاتب غريب ، وهو موسى بن يوسف القبطى ، وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، وكان (١٧٠ ب) غير مشكور السيرة وعنده عسف وظلم ، فأتى الناس عنه غير راضية . ١٢

وفيه شرع الأمير يشبك الدوادار فى أمر توسيع الطرقات والشوارع والأزقة ، فأمر القاضى فتح الدين السوهاجى أحد نواب الشافعية بأن يحكم بهدم ما وُضع فى الشوارع والأسواق ، بغير طريق شرعى ، من أبنية وربوع وحوانيت وسقايف ورواشن ومصاطب وغير ذلك ، فقام القاضى السوهاجى فى ذلك قيام الجاه ، وحكم بهدم عدة ربوع وحوانيت وسقايف وغير ذلك ، واستمر الحال فى أمر الهدم حتى دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، فحصل بذلك بعض نفع فى توسيع الطرقات ، ولكن حصل غاية الضرر لجماعة من الناس بسبب هدم ربوعهم وحوانيتهم ؛ وهُدم لخوند شقرا ابنة الملك الناصر فرج ثلاثة ربوع فى الموازين ، أحدهم كان تجاه جامع الصالح خارج باب زويلة ؛ فاضطربت أحوال القاهرة وكثر الهدم فى الأماكن ، ولا سيما المطة على الشوارع ، وحصل على القاضى فتح الدين السوهاجى غاية المقت من الناس بسبب حكمه لهدم الأماكن ، وفى هذه الواقعة يقول الشهاب المنصورى :

- تَكَشَّفَتْ عَنْ حَيَّا مِصْرَ أَسْتَارِ
 وَاهْتَزَّتْ الْأَرْضُ مِنْهَا بِهَيْجَةٍ وَرَبَّتْ
 كَانَتْ كَصَبِيحٍ تَمَالَتْ فَوْقَهُ ظِلْمٌ
 كَانَتْ كَشَمْسٍ تَفَاشَاهَا النِّعَامُ ضُحًى
 فَالْيَوْمَ أَعْطَاهَا بِالْبَشَرِ مَا يَسَى
 وَكَانَتْ الطَّرِيقُ قَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهَا
 (١٧١آ) وَأَصْبَحَتْ أَوَجُّهُ الْأَرْضِ مِسْفَرَةً
 تَتْبَعُ زَهْوًا عَلَى الْأَمْصَارِ قَاطِبَةً
 أَلَا تَرَاهَا أَكْتَسَتْ حُلَى الْبَيَاضِ
 كَأَنَّهَا رَوْضَةٌ بِالْقَطْرِ قَدْ عُذِّتْ
 فَالْبَعْضُ مِنْهَا يَهْنَى الْبَعْضُ مِنْهُ عَلَى
 فَبَعْضُ أَبْوَابِهَا بِالنَّصْرِ مَشْتَهَرٌ
 وَلِلْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بَابٌ عِنْدَهُ فَرْجٌ
 وَأَمَّا زَوِيلَةُ زَالَتْ عَنْهُ كَرْبَتُهُ
 دَقَّتْ مَسَامِيرُهُ طَارَاتِهَا فَرَحًا
 حَيْثُ شَوَارِعُهُ لِلنَّاسِ فَاتَسَمَّتْ
 كَانَتْ حَوَائِثُهُ تَشْكُو الثَّيْبَةَ مِنْ
 وَخَرَقَ عَادَةً بَابُ الْخَرَقِ يَرْفَعُهُ
 وَالْيَوْمَ سَاكِنُهُ فِي جَنَّةٍ وَجَرَتْ
 وَالْقُوسُ مِنْ بَابِهَا جَنَّتْ لَجَازِبِهَا
 (١٧١ب) وَبَابُ قَنْطَرَةٍ وَالْبَحْرِ فِي عَجَبٍ
 وَأَمَّا الْجَوَامِعُ قَدْ فَكَّتْ جَوَامِعُهَا
 فَجَامِعُ الصَّالِحِ اسْتَوْفَى مَصَالِحَهُ
 لَمَّا شَكَ النَّاسُ مِنْ مِصْرَ مَضَائِقُهَا
- وَحَفَّ عَنْهَا مِنَ الْأَتْقَالِ أَوْزَارِ
 وَلَا حَافِيَّ فِيهَا إِضَاءَةٌ وَأَنْوَارِ
 شَتَّى فَفَجَّأَهَا بِالنُّورِ أَسْفَارِ ٣
 فَزَقَّتْهُ مِنَ الْأَرْيَاحِ أَعْصَارِ
 وَقَدَّمَهَا فِي حُلَى السَّعْدِ خَطَّارِ
 وَالشَّيْبُ إِنْ شَانَ مَا فِي أَخْذِهِ عَارِ ٦
 وَزَالَ عَنْهُمْ إِقْتَارُ وَأَقْدَارِ
 وَبَارَزَهَا بِمَجْنَحِ النَّسْرِ طَيَّارِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا انْتَضَحَتْ لِلنَّاسِ أَقْطَارِ ٩
 وَزَانِهَا مِنْ وَجْهِهِ الْبَيْضُ أَزْهَارِ
 كَشَفَ الْغُمُومَ وَالْإِعْسَارَ إِيسَارِ
 وَبَعْضُهَا لِفَتْوحِ الرِّزْقِ مَخْتَارِ ١٢
 كَلَامُهَا لِأَخِيهِ فِي الْهِنَا جَارِ
 وَلِلدُّخُولِ بِهِ كَمْ دُقِّ مَسَارِ
 وَفِيهِ لِلرِّيحِ تَشْيِيبٌ وَمِزْمَارِ ١٥
 وَاسْتَشْرِقَتْ مِنْهُ أَسْوَاقُ وَأَسْوَارِ
 وَطَى الْحَوَافِرَ وَهِيَ الْيَوْمَ أَبْكَارِ
 مِنَ الْعَنَابَةِ بَنَاءٌ وَنَجَّارِ ١٨
 مِنْ تَحْتِهَا لِأَوَّلَى الْأَبْصَارِ أَنْهَارِ
 طَوْعًا وَأَصْحَمَتْ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَوْتَارِ
 مِنْ بَابِ شَعْرِيَّةٍ لَمْ تَحْوِ إِزَارِ ٢١
 عَنْهَا فَفِيهَا تَسَايِيحٌ وَأَذْكَارِ
 حَتَّى كَأَنَّ الْعِشَاءَ فِيهِ أَبْكَارِ
 وَحَارَ فِيهَا مِنَ الْحُكَّامِ أَفْكَارِ ٢٤

- فما تلقى أجور القاطنين بها
فهو الهام النظام المرتقى درجا
ذو الحزم والعزم من في الخافقين له
فسد جبل قواء وهو منتهض
لولا عزايحه في مصر ما حسنت
له على الحق إقبال يليق به
مذموم يُحیی من الأرض التي اندرست
وكيف لا وعزيز النصر جاء له
فكم تجلت بوجه منه مظلمة
إن رُمت حصر يسير من مناقبه
ودت محاسن مصر أن يكون لها
هذا امری هو الذنب الذي افتخرت
لا زال روض أمان للأنام به
(١٧٢ آ) مامست الدوح بالأكام راقصة
انتهى ذلك - وفيه تغير خاطر السلطان على برهان الدين النابلسي وكيل بيت
المال ، فقبض عليه وسلمه للأمير يشبك الدوادار ليستخلص منه الأموال ، فاستمر
الأمير يشبك يعاقبه ، فاستخلص منه جملة أموال لها صورة ، وآخر الأمر مات تحت
العقوبة أشراً موتة ، وقد أذاقه أنواع العذاب وتفنن في عذابه تفنيها ، قيل إنه ضربه
عدة مرار نحواً من ألفين وسثمائة عصاة ، وقلع أدراسه ودقهم في رأسه ، وغير ذلك
من أنواع العذاب ؛ وكان أصله من دمشق ، وهو إبراهيم بن ثابت ، وكان أحد نواب
الشافعية ، وله اشتغال بالعلم ، لكنه أدخل نفسه في أمور السلطنة ، وطاش وظلم
الناس وجار عليهم ، ولم يتفكر في عقبي ذلك ، فأخذ من الجانب الذي أمن إليه ،

(١٧) منه : منهم . (١٩) ألفين : كذا في الأصل . || أدراسه : كذا في الأصل .

(تاريخ ابن عباس ج ٣ - ٩)

- بعد أن عادى جميع الناس من بمصر والشام ، حتى الأمراء وأعيان الدولة ، وشقى
لنفع غيره حتى سلب من المال والروح . - وفيه قدم قاصد من عند ابن عثمان ملك
الروم وعلى يده مكاتبة ، فأكرمها السلطان ، وأعاد له الجواب ، وسافر بعد أيام . ٣
- وفي ربيع الأول أخلع السلطان على صاحب خشقدم الأحمدي ، وقرّر في
الخازندارية الكبرى والزامية ، عوضاً عن جوهر النوروزي ، فعظم أمره جداً ،
وصار وزيراً وخازن داراً وزماماً ؛ وقرّر مثقال الساق الظاهري ، رأس نوبة السقاة ، ٦
وكانت بيد خشقدم أيضاً . - وفيه أخلع على القاضي تاج الدين بن المقسي ، وقرّر في
الأستادارية ، عوضاً عن الأمير يشبك وقد استمفى منها ، فصار ابن المقسي أستاذ داراً
وناظر الخصاص ، فعظم أمره جداً ، وكان ذلك معظم نهايته ومنتهى سعيه . ٩
- وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلمة ، وكان يوماً حافلاً ، وحضر القضاة
الأربعة وسائر (١٧٢ ب) الأمراء . - فلما انقضى أمر المولد نزل من القلمة في يوم
السبت رابع عشره وعدى إلى برّ الجيزة ، ولم يشمر به أحد من الناس ، وقصد ١٢
التوجه إلى ثغر الإسكندرية ، فسافر من البرّ وجّهّ سنيحه من البحر في مراكب ؛
وسافر صحبته من الأمراء الأتابكي أذربك أمير كبير ، ويشبك الدوادار ، وتمرّاز رأس
نوبة النوب ، وأزدمر الطويل حاجب الحجاب ، وعدّة من الأمراء الطليخانان ١٥
والمشترات ، والجّم الخفير من الخاصكية والماليك السلطانية ، وسافر معه سائر
المباشرين ؛ وكان القاضي . كاتب السرّ ابن مزهر متوعكاً في جسده ، نخرج وسافر
مع السلطان وهو عليل ؛ وكان القاضي علم الدين شاكر بن الجيعان مريضاً على غير ١٨
استواء ، فتخلف بالقاهرة ولم يسافر مع السلطان ، وإنما سافر معه ولده عبد النقي .
فلما وصل السلطان مدينة الإسكندرية زينت له زينة حافلة ، وخرج إلى لقائه
الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أيتال وهو بالشاش والقماش ، وكذلك قجماس ٢١
الإسحاق نائب ثغر الإسكندرية ، واصطفت الناس في شوارع المدينة بسبب
الفرجة ، فدخل السلطان في موكب حافل ، وجميع من معه من المسكر ملبسين آلة
السلاح بالعدد الكاملة ، والأتابكي أذربك حامل القبة والطير على رأسه ، والملك المؤيد ٢٤

بين يديه قدام الأمراء ، وقدّامه أعيان المباشرين وأرباب الدولة ، وطلب طلباً حافلاً
وجرّ فيه مائتين وخمسين فرساً ، منها خمسون فرساً بالسروج الذهب والكنائش ،
والبقية ملبسة بأنواع البركستوانات والجواغين المكفّة بالذهب والفضة ، والبقية
من الخمل الملون ، وفي الطلب كجاوتين زركش ، وهى التى تعرف الآن بالجوشن ،
ولعبوا قدّامه بالفواشى الذهب والأوزان عمالة والشبابة السلطانية ، ومشت قدّامه
الأمراء الرؤوس النوب بالمصى ، فشق المدينة فى ذلك الموكب الحافل ، وكان له يوم
مشهود .

ومن الوقائع اللطيفة أن السلطان لما شقّ من مدينة الإسكندرية سقط الطائر
الذهب من على القبة ، فنزل الأمير يشبك الدوادر عن فرسه وثبت الطائر على القبة ،
ثم ركب على فرسه ومشى ؛ ثم إن بعض تجار الفرنج (١٧٣ آ) نثر على رأسه لما شقّ
المدينة ألف بندق ذهب ، فزاحت عليه المايك يلتقطون ذلك الذهب من الأرض ،
فكاد السلطان أن يسقط عن ظهر الفرس من شدة ازدحام الناس عليه ، حتى أدركه
الأمير تمتاز رأس نوبة النوب وفى يده عصاة ، فضرب بها الناس حتى خلس
السلطان ومشى ، واستمرّ فى ذلك الموكب حتى خرج إلى باب البحر الذى هناك ،
فنزل بالخيم الذى نصب له على ساحل البحر الملح ؛ وكان من العادة القديمة أن السلطان
إذا دخل إلى مدينة الإسكندرية ، تفكّ أبواب المدينة وتلقى على الأرض إلى حين
يرحل السلطان عن المدينة ، فلم يوافق السلطان قايتباى على فكّ أبواب المدينة ،
وأبقى كل شئ على حاله .

وهذا من عهد الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون لم يدخل
الإسكندرية سلطان ، وقد دخلها مرتين ، المرة الأولى فى سنة سبع وستين
وسبعمائة ، لما طرق الفرنج ثغر الإسكندرية ، فدخلها على جرايد الخيل ؛ وأما فى المرة
الثانية كان سنة إحدى وسبعمين وسبعمائة ، فأوكب بها فى هذه المرة ، وزيّنت له
مدينة الإسكندرية ، وفرش له خليل ابن عرّام ، نائب الإسكندرية ، الشقق الحرير ،
ونثر على رأسه خفاف الذهب والفضة ، ومشت بين يديه الأمراء ، وكان له بها يوم

مشهود ، وكان دخوله من باب رشيد فإنه كان في تروجة ، وتوجه من هناك إلى الإسكندرية ، فأقام بها ثلاثة أيام وعاد إلى القلعة .

- ٣ ثم توجه بعده للإسكندرية الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق ، في سنة أربع عشرة وثمانمائة ، فلما دخلها كان له بها يوم مشهود ، فوقف له بعض تجار المغاربة بقصة يشكو فيها من ظلم القباض لهم ، فأبطل ما كان يؤخذ منهم من الثلث (١٧٣ ب) إلى العشر ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وعُدّ ذلك من محاسن ٦ الناصر فرج ، انتهى ذلك .

- ومن هنا ترجع إلى أخبار الأشرف قايتباي ، فلما نزل بالبحيم مدّ له هناك قجماس نائب الإسكندرية مدّة حافلة ، ثم أخلع على الملك المؤيد ونائب الإسكندرية ، ورجعا ٩ إلى دورهما وصحبتهما الأمراء قاطبة ؛ فأقام هناك ثلاثة أيام ، ولعب بالكرة في الفضاء ، ولعب معه الملك المؤيد والأمراء الذين توجهوا معه ، ودخل عليه من تجار الإسكندرية تقادم حافلة ؛ ثم إنه توجه إلى نحو مكان المنار القديم الذي كان بشفر الإسكندرية ، ١٢ ورسم بأن يبني على أساسه القديم برجاً ، فبنى به برجاً معظماً ، وهو الموجود الآن كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه ؛ ثم إن السلطان رحل عن الإسكندرية وتوجه إلى نحو إدكو ودمهور وغير ذلك من البلاد الغربية ، وانشرح السلطان في هذه ١٥ السرحة إلى الغاية ، واستمرّ رحل من مكان إلى مكان على سبيل التزّه نحواً من أربعين يوماً حتى عاد إلى القلعة ، فلما عاد من هذه السفرة طلع من بين الترب ، ولم يشقّ من القاهرة ، ولم يوكب عند طلوعه إلى القلعة . ١٨

- ومن الحوادث في غيبة السلطان جاء قاصد من عند قرأجا الطويل نائب حماة ، وأخبر أن أهل حماة ثاروا على النائب ورجوه وأخرجوه منها ، وقتلوا دواذمه ٢١ وأحرقوه بالنار بسبب ظلمه وعسقه في حقّ الرعية ؛ فلما بلغ السلطان هذا الخبر عيّن من هناك خاصكياً لكشف الأخبار ، ليرى من هو الظالم من المظلوم .

- وفيه حضر قاصد من مكة وأخبر بنزول صاعقة عظيمة عند باب السلام ، فاحترق منها عدة أمان كن ؛ وأخبر بوفاة قاضي القضاة المالكية بمكة ، وهو محمد ٢٤

أبو اليمن بن أبي السعادات ، وكان من أهل العلم والفضل وأخبر أيضا بوقوع فتنة مهولة بين الشريف محمد بن بركات وبين قبيلة (١٧٤ آ) بنى جازان ، وحصل بينهما ما لا خير فيه ، وآل الأمر إلى أن الشريف محمد قبض على شيخ بنى جازان . ٣

وفي ربيع الآخر كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى في آخر يوم من أيب ، وكُسِر في أول يوم من مسرى ، فمُدَّ ذلك من النوادر ، وفيه يقول القائل :

أرى نيل مصر قد غدا يوم كسره إذا رام جريا في الخليج تقنطرا ٦
ولكن بمد الكسر زاد تجبرا وأفرط هجما في القرى وتجسرا
وقال آخر :

إن بحر النيل قد وفا لنا ما عليه من قديم قررا ٩
وقضانا الدين إلّا أنه حين وفا ما عليه انكسرا

وكان الوفاء في غيبة السلطان ، فتوجه الأمير لاجين أمير مجلس وفتح السدة على العادة بأمر تقدم من السلطان له ، وكان يوما مشهودا . - وفي هذا الشهر كانت وفاة القاضي علم الدين شاكر بن الجيعان ، وهو شاكر بن عبد الغنى بن شاكر القبطي ابن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب الدمياطي الأصل المصري ، متولى ديوان الجيش ، وكان ريسا حشما وجيها عند الملوك والولاة ، وكان عنده تواضع زائد للناس قاطبة ، وله اشتغال بالعلم ، ومولده في سنة سبعين وسبعمائة ، وهو الذى أنشأ الجامع الذى بالقرب من بركة الرطلى ، وكان نادرة في بنى الجيعان ، ولم ينجى فيهم مثله فيما ناله من المزم . ١٨

وفيه وصل السلطان إلى القاهرة وطلع إلى القلعة ، وكانت مدة غيبته في هذه السفرة نحو شهر وأيام ، ودخل له جملة تقادم حافلة ، فلما استقر بالقلعة أخلع على الشرفى يحيى بن شاكر بن الجيعان ، وقرّره في وظيفة والده . - وفيه توفى ريس الطب والكحل عبد اللطيف بن عبد الواحد بن العفيف ، وكان ريسا حشما وأصله من الملكية ، ومولده سنة (١٧٤ ب) عشرين وثمانمائة . ٢١

وفى جمادى الأولى عرض السلطان جماعة من أولاد الناس ، وقرّر من اختاره منهم فى وظائف ، مثل : طبردارية ، وجمدارية وغير ذلك . - وفيه أخلع السلطان على شمس الدين القوصونى ، وقرّره فى رئاسة الطبّ ، عوضا عن ابن المفيف . - ٣

وفيه كان انتهاء عمارة قاعات الأذربكية التى أنشأها الأتابكى أذربك ، فعزم على السلطان هناك ، فنزل إليه وبات عنده ، فأضافه ضيافة حافلة ، ثم قدّم له تقادم حافلة ، فشكره على ذلك ولم يقبل منها شيئا ؛ فلما أصبح توجّه هو والأمير يشبك الدوادار إلى جهة ٦ المطرية ، فأضافه هناك الأمير يشبك فى القبة التى أنشأها هناك ، فأقام عنده يومه وليلته وانشرح هناك إلى الغاية ، وشكر عمارة الأمير يشبك على عمارة الأتابكى أذربك ، ثم طلع إلى القلعة ، فلما طلع إلى القلعة بعث إليه الأمير يشبك تقادم حافلة ، ٩ فقبل منها شيئا وردّ عليه شيئا .

وفيه انتهت زيادة النيل المبارك إلى واحد وعشرين أصبعا من إحدى وعشرين ذراعا ، وثبت إلى آخر بابه ، وقد كسر الجسور ، وقطع الطرقات ، وغرقت أراضي ١٢ المنية ، وكان نيلا عظيما . - وفيه أخلع السلطان على قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة ، وقرّر فى مشيخة الخانقاة الشيخونية ، عوضا عن الشيخ سيف الدين الحنفى ، بحكم وفاته ، وكان ابن الشحنة منفصلا عن القضاء . ١٥

وفى أثناء هذا الشهر خرج السلطان على حين غفلة من المعسكر وتوجّه إلى الصالحية ، ثم بعد أيام أشيع بين الناس أن السلطان توجّه من هناك إلى نحو البلاد الشامية ، فتمعّج الناس من ذلك ، وكان فى نفر يسير من المعسكر ، بحيث أن كان ١٨ معه من المماليك نحو (١٧٥ آ) من أربعين مملوكا من خواصه ، وكان معه بعض أمراء عشرات ، منهم تانى بك قرا الدوادار الثانى وآخرون من الأمراء ، وكان معه من المباشرين القاضى كاتب السرّ أبو بكر بن مَزهر ، وأبو البقا بن الجيمان ، ٢١ والقاضى قطب الدين الخيضرى ، وكان من القرين عند السلطان ، وشهاب الدين ابن التاج الموقع ، وبرهان الدين بن الكركى الإمام ، وغير ذلك ممن لا يحضرنى أسماءهم الآن ؛ وترك بالقاهرة الخليفة المستنجد بالله يوسف ، والقضاة الأربعة ، ٢٤

والأتابکی أزیبک ، ویشبک الدوادار ، وسائر الأمراء المقدمین والطبلخانات والعشرات ، وجميع المسکر قاطبة لم يتبعه منهم أحد ، فصار الناس فی شک من سفره علی هذا الوجه ، ولم يتفق لأحد من السلاطین مثل هذه الواقعة . ۳

وفی جمادی الآخرة حضر هجان من عند السلطان ، وعلی یده مراسیم إلى الأمراء الذین بالقاهرة ، فكان من مضمونها أن السلطان توجه إلى نحو البلاد الشامية لیکشف علی أمر النواب والقلاع بنفسه ، وأرسل یقول للأمراء بأن يتوصوا بأحوال الرعية والجند ، وأن یحضروا تفرقة الجوامک ما دام السلطان غائبا ، وكان الشار إلیه فی غیبة السلطان الأتابکی أزیبک ، وقد عظم أمره جدا والتفت المسکر علیه دون الأمراء . - وفیه فی غیبة السلطان توفی القاضي نور الدین علی بن الإنابی نائب کاتب السر ، وكان ريسا حشما عارفا بأحوال المملكة ، وكان إنسانا حسنا لا بأس به . وفی رجب توجه القضاة الأربعة إلى بیت الأتابکی أزیبک والأمیر شبک الدوادار ، وهنوها بالشهر . - وفیه خرج الأتابکی أزیبک إلى السرحة ، فغاب أياما وعاد إلى القاهرة . - ومن جملة أطاف الله تعالى أن فی غیبة (۱۷۵ ب) السلطان لم یقع الخلف بین الأمراء ، بل كان الأمان والاطمان فی القاهرة وجميع ضواحيها ، حتی عُدّ ذلك من النوادر . ۱۰

وفی شعبان وصل هجان من عند السلطان ، وأخبر بأن السلطان دخل إلى حلب وأقام بها أياما ، وهو قاصد إلى جهة الفراء ، وقد عرج قبل دخوله إلى حلب إلى نحو طرابلس ؛ ثم حضر هجان ثان وعلی یده مراسیم للأمراء بالسلام ، ومکاتبة للأتابکی أزیبک بأن يتوجه إلى المظم الذی بالريدانية ویلبس الأمراء هناك الصوف ، وأن یصرف الکسوة للجند ، فخرج الأتابکی أزیبک إلى المظم وصحبته الأمراء قاطبة والمسکر ، وكان له يوم مشهود ، فلبس الأمراء هناك الصوف کمادة السلاطین ؛ وأخلع فی ذلك اليوم علی الأمير جانی بك الفقيه أمير السلاح ، وقرّر فی أمره الحاج ركب الحمل ، وقرّر آقبردی الأشرفی بالركب الأول . - وفیه جاءت الأخبار بوقاة الشهابی أحمد بن أبی الفرج نقيب الجيش ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الغنی ، توفی ۲۴

بحلب ، وكان خرج صحبة السلطان فمات هناك ، وقيل إنه حصل له رجفة من السلطان ، فانطرب ومات عقيب ذلك ، وكان شابا قليل الأذى لا بأس به .

- ٣ وفي رمضان وقع بالقاهرة بعض اضطراب ، وسبب ذلك أن مضى الثلاثون من شعبان ولم يُرَ الهلال ، فأكل غالب الناس في أول يوم من رمضان ، فنادى القاضي الشافعي بالإمساك ، فثار عليه العوام وقصدوا الإخراق به ، فثبت برؤية الهلال قريب الظهر ، ولكن فطر غالب الناس في ذلك اليوم . - وفيه وقع بين ثم الضبع ٦ أحد الأمراء العشرات ، وهو أخو الأمير تاني بك الجمالي ، وبين القاضي أبو الفتح السوهاجي ، (١٧٦ آ) تشاجر ، بسبب هدم مكان ، فسبّ ثم الضبع القاضي السوهاجي ، فشكاه السوهاجي إلى الأمير يشبك ، فطلب ثم ، فلما حضر أمر بضربه ٩ بين يديه فُضرب ، ولم يوقره لأخيه تاني بك الجمالي ، فحصل بسبب ذلك بعض قلقلة بين الأمراء .

- ١٢ وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن السلطان لما توجه إلى الفراء أقام هناك أياما ثم عاد إلى حلب ، ورحل عنها وقصد التوجه إلى حماة ، فلما دخلها وأقام بها حصل له هناك مرض حاد ، فلما ثقل في المرض وعجز عن الحركة أحضروا له محفة ، فحُمِلَ فيها وتوجه إلى دمشق ، فدخلها وهو مريض على غير استواء ، فكثر القال والقال بين ١٥ الناس ، وصار في كل يوم يشاع بالقاهرة خبر جديد بأن السلطان قد مات ودُفن هناك ، فاضطربت أحوال الأمراء في بعضهم ، وأظهر كل أحد منهم ما في نفسه من السلطنة ، وأرجفت القاهرة بموت السلطان غير ما مرة ؛ ونُقِلَ للأمير يشبك ١٨ الدواidar بأن بُرد بك جيس ، أحد الأمراء الآخورية ، وكان من أخصاء جاني بك الفقيه أمير سلاح ، بأنه قد مشى بين طائفة المالك الخشقدمية بأن يكونوا من عصبة جاني بك الفقيه ، وإذا صحّ موت السلطان يقومون مع جاني بك الفقيه حتى ٢١ يسلطوه ، وكان جاني بك الفقيه تحدّثه نفسه بالسلطنة ، ويقرب أرباب الفلسكية والمنجمين ، وحظي عنده جماعة من خواصه بسبب ذلك .

ثم إن الأمير يشبك أرسل خاف بُرد بك حبس وذكر له ما نُقل عنه ، فأنكر ذلك وحلف أيمانا عظيمة أنه لم يصدر منه شيء من ذلك ، فقامت عليه البيّنة وكذبوه في وجهه ، فسكت ولم ينطق بحرف واحد ، فعند ذلك أمر الأمير يشبك بضربه ، فضرب بين يديه ضربا مبرحا حتى أشرف (١٧٦ ب) منه على الهلاك ، ثم أقامه وأحضر له عمامة يهودى صفراء وألبسها له ، وقصد يشهره في القاهرة ، فشفع فيه بعض الأمراء ، فأركبه على حمار وجرت به بين يديه في الدوّار ، ثم شكّه في الحديد وأمر بنفيه إلى الواح ، فنفي ، وكل ذلك جرى والسلطان مسافر لم يُعلم له خبر ، وكانت هذه الواقعة سببا لنفي جاني بك الفقيه أمير سلاح ، كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه . ٩

وفيه ختم قراءة البخارى بجامع الأزهر ، وحضر به القضاة الأربعة ، وفرقت هناك الخلع والصرر على الفقهاء والعلماء ، وكان قراءة البخارى من أول شهر رمضان ١٢ في الجامع الأزهر ، وعند الدعاء يدعون للسلطان بالسلامة . - فبينما القاهرة في اضطراب وإذا بمخاصكى حضر من عند السلطان ، يقال له بُرد بك سُكر ، وعلى يده عدّة مكاتبات ، منها للخليفة والقضاة الأربعة والأتابكى أربك وبقية الأمراء قاطبة ، فكان من مضمونها أن السلطان كان قد حصل له توقعك في جسده ، وقد بعث الله تعالى بالعافية والشفاء ، وحصل البرء ، فضربت البشائر بالقلمة ، ودخل على بُرد بك سُكر عدة كوامل بصمور من الأمراء والخليفة وقضاة القضاة وأرباب الدولة ، ودُقت البشائر على أبواب الأمراء ، وتخلّى الخدام بالزعفران ، ونودى في القاهرة بالزينة سبعة أيام ، فزينت وأظهر الناس الفرح والسرور بمافية السلطان ، وسكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة ، وبطل القال والقال الذى كان بين الأمراء ، وفى ذلك يقول الشهاب المنصورى :

بمافية السلطان مولى الأنام قد تهلّل وجهه الدهر فهو جميل
وقد صحّت الدنيا لصحّة جسمه فليس بها غير النسيم عليل
وكان الأمير يشبك الدوادار ، من حين توجه السلطان للسفر ، وهو مجتهد فى ٢٤

توسيع الطرقات ، وإصلاح وجوه (١٧٧ آ) أبواب الجوامع والمساجد ، وجلاء
 رخامهم وتبييض حيطانهم ، وكشف عن أبواب جامع الصالح وظهر منه عواميد
 رخام فجلام ونعمهم ، وأمر بتبييض الدكاكين ووجوه الربوع التي أطلت على ٣
 الشوارع ، وأخلع على شخص من أبناء الناس وجعله مشد الطرقات ، فصار
 يستحث الناس في سرعة البياض والدهان ، حتى عادت القاهرة كأنها كما استجدت
 في بنائها وتزخرفها ، وصارت كالروس التي تجلى ؛ ثم إن الأمير يشبك أمر بقلع ٦
 عتبة بابي زويلة ، وعلا القبة وقلمها وأصلحها ، فإن الأرض كانت مليت عن
 الباب ، فقطع الأرض ومهد قدام الباب ، واستمر باب زويلة مغلقاً أياماً حتى
 انتهى منه العمل ، فمد ذلك من النواذر ، وصارت الناس تدخل إلى القاهرة من باب ٩
 الفرج حتى انقضى أمر العمارة .

وفيه حضر هجان من عند السلطان وأخبر أنه خرج من الشام ، بعد ما جلس في
 القصر الذي بالميدان ، وحكم بين الناس ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء ، فأخلع ١٢
 الأمراء على ذلك المهجان ؛ ثم حضر عقيب ذلك هجان ثاني ، وأخبر أن السلطان
 خرج من غزة وهو قاصد للديار المصرية ، فشرع الأمراء في أسباب الخروج إلى
 ملاقاته السلطان ، ثم جاءت الأخبار بأن السلطان قد وصل إلى قطيا . ١٥

وفي شوال جاءت الأخبار بأن السلطان قد وصل إلى الصالحية وصلى بها صلاة
 عيد الفطر ، فعند ذلك خرج الأتابكي أزبك والأمير يشبك الدواidar ، وبقية الأمراء
 قاطبة ، إلى ملاقاته السلطان ؛ ثم وصل السلطان إلى الخانكاه ، فخرج إليه قضاء ١٨
 القضاء والمسكر قاطبة ، ومعهم الشاش والقماش ، ونودي في القاهرة بالزينة فزينت
 زينة حافلة .

فلما كان يوم الخميس رابع شوال دخل السلطان إلى القاهرة في موكب حافل ، ٢١
 وقدامه القضاء الأربعة (١٧٧ ب) والأمراء بالشاش والقماش ، والمسكر قاطبة ،
 فدخل من باب النصر وشق القاهرة ، والأتابكي أزبك رافع القبة والطير على رأسه ،

وقدّاه الجنائب بالسروج الذهب والكنائش الزركش والكجاوتين الزركش ،
 ولعبوا قدّاه بالفواشي الذهب ، والجنائب التي بالأرقاب الزركش قدّاه ، والنفير
 السلطاني يزعق والجاويشية والدَفّ والشبابة والأوزان عمّال ، ومشت قدّاه ٣
 الروس النوب بالمصى ، ومشت قدّاه الخصاصكية بالشاش والقماش ، وفُرشت له
 الشقق الحرير من باب زويلة إلى القلعة ، ونُثرت عليه خفائف الذهب والفضة في
 عدة أماكن ، واستمرّ في هذا الموكب على ما ذكرناه حتى طلع إلى القلعة ، وكان له ٦
 يوم مشهود ؛ فلما طلع إلى القلعة فرشت له خوند شقق حرير وأتواب نخل من باب
 القلعة إلى الحوش ، ونُثرت عليه خفائف من الذهب والفضة ، ولاقته المغانى ،
 ومدّت له أسيطة حافلة ، فلما انتهى أمر المدّة أخلع السلطان عدّة خلع على من كان ٩
 مسافرا صحبته .

ولما وصل السلطان إلى الفراءة قدم عليه هناك شخص من أولاد حسن الطويل ،
 وهو ابن محمد أغرلو بن حسن الطويل ، وكان شابا جميل الصورة ، له من العمر نحو ١٢
 من ثمان عشرة سنة ، تخافت عليه أمّه أن لا يقتلوه أعمامه ، فأتت به إلى السلطان ،
 فحضر معه إلى القاهرة وحظى عنده ، وكان يشقّ من القاهرة وقدّاه الساعى ،
 واستمرّ بمصر حتى مات كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه ، وكان اسمه حسين ١٥
 بك ، وقيل مرزاه .

ولما عاد السلطان من هذه السفرة عظم أمره جدا ، وقد وصل إلى الفراءة
 وكشف على عدّة قلاع بنفسه ، ودخل إلى الشام وحلب وحماة (١٧٨ آ) وطرابلس ، ١٨
 وغير ذلك من البلاد الشامية ، ودخل عليه من النواب وأعيان الناس جملة تقادم
 وأموال جزيلة ، وعُدّت هذه السفرة من النوادر الغريبة ؛ وكانت مدّة غيبة السلطان
 في هذه السفرة نحو من أربعة أشهر إلا أياما ؛ وفي هذه الواقعة يقول الشيخ ٢١
 بدر الدين محمد بن الزيتوني هذه القطعة الزجل ، وهي من محاسن هذا الفن ، كلها
 غرر وجناس تام ، وهي هذه القطعة :

٢٤ سلطاننا الأشرف خرج في أربعين من المساكر حين سافر حماه

- ومن حلب عدى يروم الفُراة فأسقى الخيول من ماء ورَبُو حماء
 في مصر فرسان أربمين بالمَدَد ورُعَبهم ساكن قلوب الملوك
 لدورة المحمل يسوقوا الجياد يردّوا الخارج وأهل العناد
 ٣ بهم على ساير ملوك البلاد ولد حسن بك بالخِدم ما أباه
 وأُخِل عليه اطمَنّ وأُخِل على ولد حسن خلعة وشَتَّ أباه
 ٦ كامل مظفّر بالمَدَد لم يزل خرج لتطمين المباد في البلاد
 فكم شكر عادل وظالم نَهَر إمامنا الأعظم ملك الزمان
 ٩ بالعدل في هذا الوجود اشتهر كشف على النّواب فن حاف وجار
 أنكر عليه فعله وبالغزل جاء (١٧٨ب) ومن رآه عادل وفعله حسن
 خلع عليه واعطاه منازل وجاه
 ١٢ لا شك في أنّه قطب في الدايه هذا الملك صالح وسرّه ظهر
 بدر الدجا حوله نجوم زاهر لما خرج في الاربعين خلّتهم
 شيء للرصد شأنه وشيء سايره لهم منازل كل حدّ منزله
 ١٥ واحد رفع قدره وآخر سماه كَشَفَ بلاده واعتبر أهلها
 وأُخِفَت البدر النير في سماه وظلّمته فاقت شمس الضحا
 من الهوا والشرب من ما العيون لما دخل للشام توَعَكَ وكان
 ١٨ توَعَكَ حِرْزُهُ لدفع العيون فقلت كادت عين تصيبه فكان
 سالم وقرّت به جميع العيون وربّنا عافاه وجِبُّهُ لِنَا
 أن ينثني غزمه الشديد ما ثناء ومهد الدنيا وأن يمدلوه

- وفاز بتاريخ ما فرح به ملك قبله ونال قصده وبيض ثناء
 ٣ أهل الفضائل والمعلوم ورخوا يكتب تواريخ الملوك بالمداد
 هو فارس الإسلام وليث الوغا (١٧٩آ) وخالفه علامقامه الشريف
 ٦ وكل ذا في اللوح قديم في الأزل
 تاريخ سنة اثنين جماد الأخير
 ٩ من هجرة الهادي عليه السلام تجهز السلطان يريد السفر
 وفر لبيت المال خزائن ذهب وريح المسكر وكم من ضعيف
 ١٢ لأجله الدوادار الكبير قد برز وكشف أبواب المساجد وما
 وصلح الأبواب وشمى بيضه ووكله بالقاهرة كل يوم
 ١٥ ويأمر الناس بالبياض والدهان
 صارت مدينتنا عروس للملك وتقشوها بالدهان في البياض
 ١٨ (١٧٩ب) ومثدت اللذات نهار الفرح وبان لها سيقان عواميد رخام
 ٢١ ودقت الكوسات نهار الدخول
 أمره بتوسيع الطريق المضيق بين المدارس كان على غير طريق
 وأخلع على واحد مشد الطريق بقى يدور راكب وفي إيده عصاه
 طاع الجميع أمره ولا حد عصاه
 وذا عجب كيف العريس هو الولي وأضحت عروسه بالطراز تنجلي
 وزينسوها بالحلل والحلى جلاهم الصانع ونتم جلاه
 وكان دخوله في المواكب جلاه

- وقبل ذا صلوا على المصطفى
فكل مرة من صلاتك عليه
وبالشفاعة يُدخلك جنته
هو أول الرسل الكرام في الوجود
وأُزل القرآن عليه العزيز
- في ليلة المعراج بخير الأنام
نزل عليه جبريل وقله الإله
ركب عليه حتى صعد للسماء
لجنة الماوى رقا وارتقا
وافرض عليه الخمس كان أصلها
- هذا المعاني والبديع والجناس
(١٨٠ آ) أبو النجاء العوفى نظم في الملك
فإن تجدد له عيب فسد الخلل
سلطاننا الأشرف خرج في أربعين
ومن حلب عدى يروم الفؤاة
- من نظم زيتونى لفقه دخول
من حين خروجه في السفر للدخول
إذا سمعته في نظامه يقول
من المساكين حين سافر حماء
فأسقى الخيول من ماء ورثه حماء
- انتهى ذلك . - وفي الثامن عشر منه خرج الحاج ، وكان أمير ركب المحمل
جاني بك الفقيه أمير سلاح ، وبالأول آقبردى الأشرفى ؛ فلما خرج جاني بك
الفقيه ، رسم السلطان بهدم سبيله الذى كان قد أنشأ بالرملة ، فأخذ الناس يلهجون
لا بقى يعود إلى القاهرة ، وكذا جرى .
- وفي ذى القعدة قدم قجماس الإسحاق نائب الإسكندرية ، فأقام يباب
السلسلة ، وكان قد جمع بين نيابة الإسكندرية وبين أمرة الآخورية الكبرى . -

وفيه نزل السلطان وتوجه إلى برّ الجزيرة ، فكشف عن خيوله ، وأقام هناك أياما ،
ثم توجه إلى جهة منوف العليا ، وكشف عن جسورها ، وأمر بإصلاحهم ، وأقام
هناك أياما وعاد إلى الجزيرة ؛ ثم سافر من هناك إلى الفيوم ، وكان عزم عليه خاير ٣
بك من حديد ليرى البستان الذى أنشأه هناك ، وهذه ثالث سفرة إلى الفيوم ، وكان
معه فى هذه المرة الأتابكي أربك وتمرّاز الشمسى رأس نوبة النوب ، وكان معه من
الأمراء العشرات ومن الخاصكيه عدة وافرة ، فلما وصل إلى الفيوم تلقاه خاير بك ٦
من حديد ، وكان مقبلا بالفيوم ، فأخلى عليه خلعة حافلة ، وأقام (١٨٠ ب) هناك
أياما وهو فى أرغد عيش على سبيل التّزّه ، فبينما هو على ذلك إذ ورد عليه من جهة
الصعيد بأن عرب هوّارة ثاروا ، مع يونس بن عمر ، على سيّاي كاشف الوجه ٩
القبلى ، فكسروه ، ووقع بينهما مقتلة قتل فيها جماعة كثيرة من الجند والبلاسية ،
فتنكّد السلطان لهذا الخبر وقصد بأن يتوجه من هناك إلى جهة الصعيد ، فتموه
الأمراء من ذلك ، وكان الأمير يشبك متمرضا برّجله وهو بالقاهرة ، فأرسل ١٢
السلطان يستحثّه فى سرعة السفر إلى جهة الصعيد .

وفى ذى الحجة عاد السلطان من سفره من الفيوم ، فلما استقر بالقلمة أخلع على
بركات بن يحيى بن الجيمان ، وقرّره نائب كاتب السرّ ، عوضا عن نور الدين ١٥
الإنبابى بحكم موته ، وهذه أول عظمة الزينى بركات بن الجيمان . - وفيه توفى
الناصرى محمد بن قرقاس الحنفى ، وكان عالما فاضلا من أعيان الحنفية ، وكان يدعى
معرفة الحرف وعلم الكيمياء ، وكان ولى مشيخة تربة الظاهر خشقدم ، ومولده سنة ١٨
اثننتين وثمانمائة ، وكان ناظما ناثرا ، وله عدة مصنفات ، منها : كتاب زهر الربيع فى
شواهد البديع ، وغير ذلك من التّأليف ، وله عروض مقامات الحريرى ، وكان يدعى
دعاوى عريضة ، ومن نظمه الرقيق وهو قوله : ٢١

إذا منّ منّ تهوى عليك بنظرة أماط الجوى من نار قلبك والبلوى
فكن شارباً صبوا لمرّ صدوده فاذاق من الوصل من همّ بالسوى

وقوله في ملبح من ركاب الخيل وأجاد :

وظي من العرب الكرام سألته لمن في الوري تُعزى (١٨١ آ) فقال مؤنبي

أنا ابن الذي تمشي الملوك أمامه إذا ما رأوه راكباً يوم موكب ٣

وفيه خرج الأمير يشبك الدوادار إلى جهة الصعيد ، بسبب تلك الفتنة التي وقعت

بين يونس بن عمر وبين داود بن عمر قريبه ، وأخذ معه جماعة كثيرة من الجند -

وفيه توفي حسن بن محمد بن أيوب الكردي ، نائب القدس ، ونائب الكرك ، وكان ٦

ريسا حشماً لا بأس به ، وكان قد شاخ وناف عن الثمانين . - وتوفي القاضي شهاب

الدين أحمد الطولوني الحنفي ، أحد نواب الحكم ، وكان مفرطاً في السمن جداً بحيث

لم يكن في عصره أسمن منه ، ولما مات حمله ستة عشر حملاً بالنوبة ، ومات مخنوقاً ٩

بالشحم ، فأوصى لكل حمال بأشرفي ؛ ومما وقع له أن جماعة من الفلاحين تحاكوا

عنده على دين ، فأنكر الذي عليه الدين فألزمه القاضي بيمين ، فلما أراد أن يحلف ،

قال له الخصم : إن كنت ما أخذت مني شيئاً تبقى في سمن هذا القاضي ، فاعترف لخصمه ١٢

بالدين ولم ينكره ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة

١٥ فيها في الحرم أخلع على العلای علی بن الصابونی ، وقرر في وكالة بيت المال ،

عوضاً عن النابلسي ؛ وقرر في قضاء الشافعية بحلب عز الدين الحشفاوي ، وصرف

أبو البقا بن الشحنة . - وفيه جاءت الأخبار بأن السلطان قبض على جاني بك

الفتية أمير سلاح ، الذي توجه أمير ركب الحمل ، فقبض عليه من العقبة وأرسله ١٨

من هناك إلى القدس بطالا ، ونفى أيضاً قايتباي الخشقدمي إلى جهة حلب ، ونفى أيضاً

يشبك جنب الظاهري جقمق إلى جهة دمشق ، لكونهما كانا من أصحاب جاني

بك الفتية . ٢١

وفيه دخل (١٨١ ب) الحاج إلى القاهرة ، وقد قاسى في هذه السفرة شدائد

عظيمة ، من الغلاء وموت الجمال ، وانقطع جماعة من الحجاج من رجال ونساء ؛

وقتل في هذه السنة قاضي المدينة المشرفة وخطيبها ، وقد قتله بمض الرفض ، وسبب ذلك أن الخواجاشمس الدين بن الزمن ابتدأ بعارة مدرسة للسلطان ، فأخذ مكانا يسكنه هذا الرافضي وأدخله في بناء المدرسة ، فتمصّب القاضي على الرافضي في هدم مكانه ، وكان ذلك سببا لقتله ، وأنا حججت تلك السنة وشاهدت هذه الوقائع ؛ ونفي جاني بك الفقيه من العقبة .

٦ وفيه أخلع السلطان على قرابته جاني الشريفي ، وقرّر في نظر الجوالى ، وهذا أول إظهار جاني الشريفي في الوظائف ، فأقام في نظر الجوالى مدة يسيرة ثم أنعم عليه بتقدمة ألف ، وهى مقدمة جاني بك الفقيه أمير سلاح ، فعظم أمر جاني جدا ، وكان أمردا لم يلتج .

١٢ وفي صفر أخلع على شاد بك الصغير ، وقرّر في نيابة سيس ، عوضا عن أزدمر قريب السلطان ، وقدم أزدمر إلى القاهرة . - وفيه كان عقد جاني الشريفي قريب السلطان على أخت خوند ، وهى ابنة العلاى على بن خاص بك ، وكان العقد بجامع القلعة ، وحضر القضاة الأربعة وأرباب الدولة ، وكان عقدا حافلا ، وأخلع فيه على قاضي القضاة ولى الدين الأسيوطى لكونه تولى العقد ، وأخلع على كاتب السرّ ابن مزهر لكونه كان وكلا عن جاني .

١٨ وفي ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا . - وفيه عيّن السلطان وردبش الظاهرى بأن يخرج إلى الجون ، بسبب إحضار الأخشاب ، وعيّن معه جماعة من الجند ، وأمرهم بأن يدخلوا (١٨٢ آ) إلى قبرس ويطلبوا صاحبها بالجزية ، ويتوجهوا من هناك إلى الجون لإحضار الأخشاب .

٢١ وفيه وقف الشهابى أحمد بن أسنبغا الطيارى إلى السلطان بقصة يشكو فيها من قانصوه خمسمائة ، بسبب المكان الذى أنشأ قانصوه خمسمائة في قناطر السباع تجاه بيت ابن أسنبغا الطيارى ، وذكر في القصة أن قانصوه خمسمائة قد جار عليه ، وفتح

(٤) وأنا حججت ، ابن لياس يعنى نفسه . (٢١) تجاه : تجاه .

(تاريخ ابن لياس ج ٣ - ١٠)

من عنده بابا بغير طريق شرعى ، وقطع من عنده عدة أشجار ، وقد أضرّ ذلك بحاله ؛
 فلما سمع السلطان ذلك وبخ قانصوه خمسمائة بالكلام ، وأمره بأن يسدّ الباب الذى
 فتحه ، ويرضيه فى قيمة الأشجار التى قطعها من عنده ، وأنصف ابن أسنبغا الطيارى
 على قانصوه خمسمائة ، فعدّ ذلك من النوادر كونه أنصف ابن أسنبغا الطيارى على قانصوه
 مع خصوصيته بالسلطان ، ولكن كان قانصوه خمسمائة متمديا على ابن أسنبغا الطيارى .
 وفى ربيع الآخر أخلع السلطان على قجماس الإسحاقى ، أمير آخور كبير ،
 وقرّره فى أمرة الحاج بركب المحمل ، وأخلع على فارس الركنى وقرّره بأمرة الركب
 الأول ، فاستغنى فارس من ذلك ، فأعفاه السلطان ، وقرّر عوضه آقبردى الأشرقى على
 عادته ، وقيل إن فارس سعى بمال حتى أغنى من أمرة الحاج .

وفيه جاءت الأخبار بأن الأمير يشبك الدوادار قد قبض على يونس بن عمر
 الهوآرى ، وقد تنبّه إلى بلاد النوبة ، وجرى له معه أمور يطول شرحها ، وآخر
 الأمر قبض عليه وحزّ رأسه ، وقبض على أخيه أحمد وعلى جماعة من أقاربه ،
 وانتصر على بنى عمر نصرّة عظيمة ، وبعث برأس يونس إلى القاهرة فطيف بها
 وعُلّقت على باب زويلة أياما ؛ وكان يونس هذا (١٨٢ ب) من خيار بنى عمر ،
 وهو يونس بن إسماعيل بن يوسف أمير عربان هوآرة ، وكان مشهورا بالشجاعة .
 وفيه كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى رابع مسرى ، فتوجّه الأتابكى أزبك
 وفتح السدّ على العادة . - ومن الحوادث الغريبة أن فى ليلة الوفاء انقطع جسر أبى
 المنجا وانقلب عن آخره ، فحصل للبلاد التى تحته غاية الضرر ، وغرق الكثير من
 أموال الناس والمقطعين ؛ ومن العجائب أن البحر لم يتأثر لقطع جسر أبى المنجا ،
 وأوفى تلك الليلة وزاد عن الوفاء اثنى عشر أصبغا ، فعدّ ذلك من النوادر الغريبة ،
 ثم فى ثانى يوم من كسره زاد ستة عشر أصبغا ، فأكل الذراع السابع عشر فى يومين
 حتى تعجّب الناس من ذلك ، وقد قال القائل فى المعنى :

أرى النيل قد وقا وزاد ولم يزل يجود على أهل القرى بالمكارم

أفاض عليها الماء من بسط راحة أصابها فافت أبادى حاتم

٣ وفى جمادى الأولى جاءت الأخبار من حماة بأن سيف أمير بُعير ، وقرابته الناقوى قد خرجا عن الطاعة ، وأن نائب حماة تقاتل مع الناقوى ، فكسر نائب حماة وقتل من عساكر حماة ما لا يحصى ، ثم خرج إليه نائب حلب واتفق معه ، ففر منه ، فقتلته وقد اضطربت أحوال حماة بسبب ذلك .

٦ وفيه ثارت فتنة كبيرة بالقلمة بين المماليك الجلبان ، حتى تفازعوا بالسيوف ، فحق منهم السلطان ورمى النجعة والترس من يده ، ونزل من القلمة وتوجه نحو شطونف ، فلما تحقق الجلبان ذلك أخذوا فى أسباب (١٨٣ آ) تلافى خاطره ، وسكن أمر الفتنة التى كانت بينهم ، ثم توجه الأتابكي أزبك وكاتب السر إلى السلطان وتلافوا ٩ خاطره وتلقفوا به فى عوده إلى القلمة ، فلم يجب إلى ذلك ، واستمر مصمما على عدم عوده إلى القلمة ، فلا زالوا به حتى عاد إلى القلمة بعد جهد عظيم .

١٢ وفيه وصل الأمير يشبك الدوادار من جهة الصعيد ، وحضر صحبتته الأمير أحمد ابن عمر الهوارى ، أخو يونس الذى حُرّت رأسه ، وأحضر صحبتته جماعة من بنى عمّ يونس وأقاربه وهم فى الحديد ، فلما تمثل بين يدى السلطان أخلع عليه خلمة حافلة ، ونزل إلى داره ومعه أحمد بن عمر فى الحديد .

١٥ وفى جمادى الآخرة عُرض أحمد بن عمر على السلطان ، فرسم بتسله إلى الوالى ، هو ومن معه ، وكانوا سبعة أنتار ، فأركبهم على جمال ، ونزلوا بهم من القلمة ، وأتوا بهم إلى باب زويلة ، فكلبوم وعلقوم على الباب ، ووسطوا منهم جماعة ، ١٨ وكان لهم يوم مشهود ، وتأسف عليهم الكثير من الناس ، فإنهم كانوا خيار بنى عمر ، ولكن كان للأمير يشبك عليهم ثأر قديم فاقتصه منهم ، كما يقال :

الموت فى طلب الثأر ولا حياة فى العار

٢١ وفيه نزل السلطان إلى قبة يشبك التى بالطرية ، فأضافه هناك كاتب السر ابن مزهر ضيافة حافلة ، وبات هناك ثم طلع إلى القلمة .

٢٤ وفى رجب أخلع السلطان على الشريف سبع ، وقرره فى أمرة الينبع ، عوضا عن سقر ، بحكم القبض عليه . - وفيه أخلع على يوسف بن أبى الفتح المنوفى نائب

- جدة ، وقرّر في كتابة المالك ، عوضا عن عبد الكريم بن جلود بحكم وفاته ، وكان متحدثا فيها بنير تقرير . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة جاني بك الفقيه ، الذي كان أمير سلاح ونفى من العقبة إلى القدس ، فأت هناك ، وكان (١٨٣ ب) أصله من ٣ ممالك الظاهر جقمق ، وكان يعرف بجاني بك من ططخ ، وكان إنسانا حسنا وله اشتغال بالعلم ، وتولّى عدة وظائف ، منها أمير آخور ثاني ، ثم بقي أمير آخور كبير ، ثم بقي أمير سلاح ، ثم نفى إلى القدس ، ومات به بطالا . ٦
- وفيه توفي دولات باي حمام الأشرفي ، وكان يعرف بدولات باي من تغرى بردى ، ومات وهو نائب ثغر الإسكندرية ، وكان لا بأس به . - وفيه عزل تاج الدين بن المقسى من الاستدارية ، وأعيد إليها الأمير يشبك الدوادار ، وأقام ابن ٩ المقسى في الترسيم على مال ، وكان ذلك آخر سمعه .
- وفي شعبان أخلع على بدر الدين محمد بن الكويز ، وقرّر في نظر الخاص ، عوضا عن تاج الدين بن المقسى ، بحكم انفصاله عنها . - وفيه أخلع السلطان على محمد بن ١٢ عجلان وأعادته إلى مشيخة العرب بالشرقية ، وكان له نحو من عشر سنين وهو في البرج بالقلمة . - وفيه أخلع على آقباي الطويل ، وقرّر في كشف الشرقية ، وآقباي هذا هو الذي ولي نيابة غزّة فيما بعد . - وفيه توفي دولات باي سكسان الأشرفي ١٥ بربساي ، توفي بحماة ، وكان أتابك المساكر بها ، وكان من أعيان الأشرفية ولا بأس به .
- ١٨ وفيه جاءت الأخبار بموت حسن بك الطويل ملك العراقيين ، وأن ولده خليل تولى على العراقيين بعده ، وقيل كان موته في رجب ، وكان ملكا جليلا عاقلا سيوسا ، كثير الحيل والخذاع ، اقتلع ملك العراق من أخيه جهان كير بحيل غريبة ، وقتل عمّه الشيخ حسن ، وانقرضت دولة بني أيوب على يده ، ثم قوى على جهان شاه ٢١ وحاربه حتى أن قتله وشتت أولاده ، وملك تبريز والعراقيين ، (١٨٤ آ) وبلغ مبلغا لم يصل إليه أحد من أجداده ولا من أقاربه ، وقد تحرّش بآب عثمان ملك الروم بأن يأخذ من ملكه شيئا فقاد عليه ، ثم تحرّش بسلطان مصر وجرى له مع الأشرف ٢٤

قايتباى أمور يطول شرحها ، وكان الأشرف قايتباى يخشى من سطوته ، فلما مات
عبد ذلك من جملة سعد الأشرف قايتباى ، وقد قيل فى المعنى :

٣ أيا ملكا صار من سمده بموت الأعادى حقيقا يفوزا

لقد أهلك الله عنك المداة وينصرك الله نصراً عزيزا

وفيه نزل السلطان من القلعة وتوجه إلى نحو جهة القرين ، ثم إلى الخطارة ،
٦ وكشف عن الجامع والسبيل الذى أنشأها هناك ، والحوض الذى أنشأه على الدرب
السلطاني ، وكان الشاد على المارة الأمير يشبك الجمالى ، فجاءت هذه المارة فى غاية النفع .
وفى رمضان أخلع على أبنال الأشرفى مملوك السلطان ، وقرّر فى نياابة
٩ الإسكندرية ، عوضا عن دولات باى حمام . - وفيه كان ختم البخارى بالقلعة على
المادة ، وكان ختما حافلا .

وفى شوال ، فى يوم عيد الفطر ، أخلع السلطان على الأمير يشبك من مهدى
١٢ الدوادار ، وقرّر فى أمرة السلاح ، عوضا عن الأمير جاني بك الفقيه ، بحكم نفيه
إلى القدس بطالا ، فعظم أمر الأمير يشبك جدا ، وصار : أمير سلاح ، دوادار كبير
ووزيرا ، وأستادارا ، وكاشف الكُشاف ، ومدير الملكة ، وغير ذلك ، فصار يجلس
١٥ رأس الميسرة وهو بالقصر ، ويقف فى الحوش فى منزلة الدوادارية ، ولم تجتمع هذه
الوظائف فى أحد من الأمراء قبله . - وفيه توفى شمس الدين الماقل ، أحد الموقعين
والشهود والمدول ، وكان لا بأس به . - وفيه خرج الحاج من القاهرة فى (١٨٤ ب)
١٨ تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل قجماس الإسحاقى أمير آخور كبير ، وأمير الركب
الأول آقبردى الأشرفى ، وحجّ فى تلك السنة الشيخ صلاح الدين الطرابلسى الحنفى .
وفى ذى القعدة خرج قانصوه الألفى مسافرا إلى بلاد جركس ، وكان قد حصل
٢١ له توعك فى أذنه وعينه ، فتوجه هناك للتداوى ، وكان يومئذ خاصكى ، فتاب هناك
مدّة طويلة ، ثم عاد إلى القاهرة . - وفيه توفى أبو يزيد من طراباى الأشرفى رأس
نوبة الجندارية ، وهو والد الناصرى محمد بن أبى يزيد ، وكان لا بأس به .

وفي ذي الحجة نزل السلطان من القلعة ، وعدى إلى برّ الجزية ، وكشف على القناطر التي أمر بإنشائها على يد الأتابكي أذربك ، وكان الوقت محتاجا لإصلاح تلك القناطر، وكانت تهدمت فأصرف عليها جملة مال حتى جدّدها ، وهي باقية إلى الآن. - ٣

وفيه جاءت الأخبار من دمشق ب وفاة نائبها جاني بك قلعسيز ، وكان أميراً جليلاً ريساً حشماً ، وأصله من ممالك الأشرف برسبای ، وكان موصوفاً بالشجاعة والفروسية ، وتولّى عدة وظائف سنية ، منها : حجوبة الحجاب الكبرى ، وأمرة مجلس ، وأمرة ٦ السلاح ، ثم ولى الأتابكية بمصر ، وترشّح أمره إلى السلطنة غير ما مرّة ، ثم أسر عند سوار ، ثم أطلق وأعيد إلى أمره السلاح ، ثم تولى نيابة الشام ومات بها ، وكان كفواً للمناصب والمهمات وغير ذلك . ٩

وفيه أرسل السلطان الخواجه محمد بن محفوظ المغربي إلى ملك الكيتلان الفرنجي ، وأرسل له على يده هدية حافلة ، فسار إليه . - وفي عقيب ذلك أرسل صاحب قبرس ما عليه من الجزية ، وكان له (١٨٥ آ) مدّة سنين وهو عاصى لم يرسل ما عليه من ١٢ الجزية المقررة ، وقصد السلطان أن يجهز له تجريدة ، فلما أرسل ما عليه سكن الأمر. - وفي هذه السنة توفيت خوند فاطمة ابنة الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أيتال ، وهي زوجة الأمير يشبك الدوادار أم ولده منصور ، وكانت شابة جميلة وفيها خير ، فخرن ١٥ عليها الناس . - وفيه توفى شاهين الظاهري الفقيه ، أحد الأمراء المشرات ، وكان لابأس به ، انتهى ذلك .

١٨ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثمانمائة

فيها في المحرم توجه الأمير يشبك الدوادار إلى نهر دمياط ، وكان السلطان قد جعله متحدثاً عليها . فلما توجه إلى هناك أنشأ على فمّ البحر الملح ، عند برج الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، سلسلة من حديد زنتها نحو من مائتي وخمسين قنطاراً ٢١ من الحديد ، وكانت هذه السلسلة قديماً هناك ، ثم بطل أمرها فجدّدها الأمير يشبك الدوادار في هذه السنة ، وحصل بها النفع لطردها كعب الفرنج الكبار . - وفيه وصل

الحاج إلى القاهرة ، ومُحدث سيرة الأمير قجماس أمير ركب الحمل .

- وفيه في يوم السبت رابع عشرينه كانت وفاة أمير المؤمنين الجمالي يوسف المستنجد بالله العباسي بن محمد المتوكل على الله بن المعتض بالله أبي بكر بن المستكن بالله سليمان ابن الإمام أحمد الحاكم بأمر الله العباسي الهاشمي ، وكان الثالث عشر من خلفاء بني العباس بمصر ، تولى الخلافة بعد خلع أخيه حمزة ، ودام في الخلافة نحواً من خمس وعشرين سنة وأشهر ، وكان ريساً حشماً ، وعنده لين جانب مع تواضع زائد ، ورأى في خلافته غاية العز ، وقد فيها خمسة من السلاطين ، وهم : المؤيد أحمد بن الأشرف أينال ، والظاهر خشقدم ، والظاهر يلباي ، والظاهر ترمينا ، والأشرف قايتباي ، ومات وله من العمر (١٨٥ب) زيادة عن ثمانين سنة ، ومولده بعد التسعين والسبعائة ؛ ولما مات دفن عند أقاربه بجوار مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وهو أول خليفة سكن بالقلمة ودام بها حتى مات ، وقد مات عن غير ولد ذكر ، بل خلف بنتاً تسمى ست الخلفاء ، فمهد بالخلافة من بعده لابن أخيه العزى عبد العزيز .

ذكر خلافة المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب بن محمد

المتوكل على الله بن المعتض بالله أبي بكر بن المستكن بالله

سليمان بن الإمام الحاكم بأمر الله أحمد العباسي الهاشمي

- وهو الرابع عشر من خلفاء بني العباس بمصر ، بويح بالخلافة بعد موت عمه الجمالي يوسف بمهد منه ، وكانت ولايته في يوم الاثنين سادس عشرين المحرم من هذه السنة ، فطلبه السلطان ، فحين حضر حضر قضاة القضاة الأربعة وأرباب الدولة ، وكان يومئذ عمه موسى موجوداً ولكنه كان غير صالح للخلافة ، فلم يكن في بني العباس يومئذ أمثل من العزى عبد العزيز ، فوقع الاتفاق من السلطان والأمراء على ولايته ، فتولى الخلافة في ذلك اليوم ؛ أقول ولم يل الخلافة من اسمه عبد العزيز سواء ، ثم إنه أراد أن يلقب نفسه بالاستعز بالله ، فعورض في ذلك ، ولقبه بالمتوكل على الله كلقب جده

- بعد المتوكل ، فأحضر إليه شعار الخلافة وأفيض عليه ، وقُدِّمت إليه فرس النوبة بالسرّج الذهب والكنبوش ، فنزل من القلعة في موكب حافل وقدّامه قضاة القضاة وأعيان الدولة ، فتوجّه إلى مكان تسكن فيه الخلفاء ، ثم تحوّل من يومه وطلع ٣ إلى القلعة وسكن بدار عمّه يوسف ، التي هي داخل الحوش السلطاني ، وطالت أيامه في الخلافة ، وكان كفوا لذلك ، وكان سنّه لما تولى الخلافة نحواً من اثنين وستين سنة أو أكثر من ذلك ، وكان مولده سنة تسع (١٨٦ آ) عشرة وثمانمائة ، وكانت أمه ٦ تسمى حاج ملك بنت مُقبل ، وهو شخص من المماليك السلطانية ، انتهى ذلك . وفي صفر تغيّر خاطر السلطان على أزدمر الطويل الإبراهيمي الأينالي حاجب الحجاب ، فرسم بنفيه إلى مكة ، وبعث إليه بألفي دينار يتجهّز بها . - وفيه نزل ٩ السلطان وتوجّه إلى سنيت ، وأقام بها أياماً ، ثم عاد إلى القلعة ، وسبب ذلك أن القال والقليل قد كثر بسبب نفى أزدمر الطويل ، وأن جماعة الأينالية تثير فتنة ، فلم يتأثر السلطان إلى هذه الإشاعة وتوجّه إلى سنيت وأقام بها أياماً . ١٢
- وفي ربيع الأول أنعم السلطان على تاني بك قرا الأينالي بتقدمة ألف ، وهي تقدمة أزدمر الطويل ، وعيّن الدوادارية الثانية إلى قانصوه خمسمائة ، وأخلع عليه بها بعد أيام . - وفيه نُقل السيّفى قانصوه اليحياوى من نيابة حلب إلى نيابة الشام ، عوضاً ١٥ عن المرحوم جاني بك قلقسيز بحكم وفاته ؛ ونقل أزدمر قرابة السلطان من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب ، عوضاً عن قانصوه اليحياوى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام ؛ وقرّر في نيابة طرابلس بُرد بك المعمار نائب صفد ، عوضاً عن أزدمر قرابة السلطان؛ ١٨ وقرّر عوضه في نيابة صفد جاني بك أحد مماليك السلطان ، وكان مقبياً بالشام بطالاً . - وفيه توفي جانم الأعور من يلباي أمير شكار أحد العشرات ، وأصله من مماليك الملك الأشرف برسباي . ٢١

وفيه ضرب الأمير يشبك الدوادار الكُرة مع السلطان ، فسقط صولجان الأمير يشبك من يده ، فترجّل الأمير جانم الشريفى قريب السلطان أحد المقدمين عن فرسه

وأخذ الصولجان من الأرض وناوله للأمير يشبك ؛ فلما كان في يوم الثاني صنع الأمير يشبك وليمة حافلة جدا ، وعزم على جانم قرابة السلطان وقانصوه خمسمائة (١٨٦ ب) وآخرين من الأمراء ، فلما حضروا أصلح الأمير يشبك بين جانم وبين قانصوه خمسمائة وكان بينهما وحشة ، ثم أخلع على كل واحد منهما كملية بصمور ، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ، وكانت هذه الوليمة من نوادر الضيافات الحافلة . ٦

وفي ربيع الآخر كان نهاية ضرب الكرة ، وأضاف السلطان الأمراء ضيافة حافلة ، ونزلوا إلى دورهم . - ومن الحوادث في هذا الشهر كانت وفاة الأمير جانم الشريفى قريب السلطان ، أحد المقدمين ، وكان من حين أضافه الأمير يشبك وخرج من عنده وهو مريض ، حتى اتهم به الأمير يشبك أنه قد أشغله في ذلك اليوم في شيء من الحلوى ؛ فلما تزايد به المرض وتورمت قدماه حمل في محفة وتوجهوا به إلى بولاق ، فأقام هناك بعض أيام ومات ؛ فلما بلغ السلطان ذلك أظهر التأسف عليه والحزن ، ثم أحضر الأمير جانم من بولاق في محفة وهو ميت إلى داره ، ففصل هناك وأخرجت جنازته من هناك إلى سبيل المؤمنين ، ومشيت قدّامه الأمراء وأرباب الدولة ، ونزل السلطان وصلى عليه ، ثم توجهوا به إلى تربة السلطان فدفن بها ، واستمرّ المزاء قائما بالقلمة بدور الحرم ثلاثة أيام . ٩

وقيل إن السلطان جلس بقاعة البحرة ، ورسم لنساء عرب اليسار أن يدقوا ويلطموا على الأمير جانم وهو ينظر إليهن ، وقد جلس للمزاء وصارت الأمراء تتلفّ به وتسليه ؛ وقيل إن جانم كان يقرب للسلطان من جهة النساء ، وكان جميل الصورة حسن الهيئة ، كما بدا عذاره ، وكان ريسا حشما ، وافر العقل ، جليل القدر ، ورأى غاية المزمّ والعظمة على صغر سنّه ، أقام في الطبقة مدّة يسيرة ، ثم بقي خاصكيا ، ثم بقي أمير عشرة ، ثم (١٨٧ آ) بقي ناظر الجوالى ، ثم بقي شاد الشراب خاناء ، ثم بقي مقدّم ألف ، وجاءت إليه السمادة سريما ، وزالت عنه في مدّة ٢١

يسيرة ، وقد دمه الموت فتوفى وله من العمر دون العشرين سنة ، وكان كريما سخيا سمحا بالمطاء حتى قيل فيه :

- فُقَّتَ الكرام في الورى يامطلبا لرايم ما أنت إلا خاتم تصحفت بجانم ٣
 وكان تزوج بأخت خوند زوجة السلطان ، فكان له مهم حافل ، وكان له زفة لم يسمع بمثلها ، وزينت له القاهرة بالشموع والقناديل ، وعلقت له التنانير من سويقة المزى إلى بين القصرين ، ومشى في زفته الأمراء المقدمون ، وكان الأمير ٦
 يشبك الدوادار ماسك لجام فرسه ، هو والأمير أزدمر الطويل حاجب الحجاب ، وبقية الأمراء مشاة قدّامه بالشموع من سويقة المزى إلى دار العلاى على بن خاص بك ، فجلى هناك ، فكان أبهى من العروسة التى جليت عليه ، كما قد قيل : ٩
 ما سمعنا والله فيما سمعنا بعروس تجلى عليها عروس

- وكان عرس الأمير جانم من الأعراس المدودة بحيث لم يقع بعده مثله ؛ فلما انقضت وفاة الأمير جانم كثر الكلام فى حق الأمير يشبك بسبب جانم ، ونسب إلى ١٢
 قتله بالسم ، وصار فى تهديد ووعيد من المالك الجلبان ، ووقع بسبب هذه الحادثة أمور شنيعة يطول الكلام فى شرحها ، وقصدوا قتل الأمير يشبك غير ما مرّة ، وصار السلطان يرجع الجلبان عن الأمير يشبك ، وصار الأمير يشبك يترضى خاطر ١٥
 المالك الجلبان بكل ما يمكن ، حتى سكنت هذه الفتنة قليلا ، وصار على رأس الأمير يشبك طيرة من الجلبان ، حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه .

- وفى هذا الشهر قدم الملك المؤيد أحمد بن الأشرف أيتال من ثغر الإسكندرية ، ١٨
 وكان سبب قدومه أن والدته خوند زينب حصل لها توقعك شديد (١٨٧ ب) قد أشرفت فيه على الموت ، فأتى إليها الأمير يشبك ليعودها ، فسألت فضله ن يسأل السلطان فى حضور ولدها الملك المؤيد إلى مصر لتنظره قبل أن تموت ، فلما طلع ٢١
 الأمير يشبك إلى القلعة تسكّم مع السلطان فى ذلك ، فرسم بإحضاره ؛ فلما حضر طلع إلى القلعة ودخل الحوش وهو راكب ، ومعه ولده على ، فقام إليه السلطان

وترحب به ، وأخلع عليه وعلى ولده ، ونزل من القلعة في موكب حافل ، ومعه الأمير يشبك الدوادر ، وتانى بك قرا ، وآخرون من الأمراء ، فنزل في داره التى بالجسر الأعظم عند والدته . ٣

وفى جمادى الأولى فى ثالثه كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى فى تاسع عشرين أيب القبطى ، وكسر فى آخر يوم من أيب فعد ذلك من النوادر ، فلما أوفى توجه الأتابكى أزبك وفتح السد على العادة ، وكان يوما مشهودا ؛ ثم بعد يومين من كسره زاد النيل عشرين أصبعا ، فغلق الذراع السابع عشر وستة أصابع من الذراع الثامن عشر ، فعد ذلك من النوادر القريبة . - وفيه أخلع السلطان على ألماس الأشرفى ، وقرّر فى شادية الشراب خاناه ، وقرّر بيبرس الرجبى قريب السلطان فى أستاذارية الصحبة ، عوضا عن ألماس . ٦ ٩

وفيه سافر السلطان إلى ثغر الإسكندرية ، وهى السفرة الثانية ، فتوجه من البحر فى عدة مراكب كثيرة ، وكان سبب توجه السلطان من البحر لعدم الطريق من كثرة ماء النيل على افتراش الأراضى ، وكان معه من الأمراء : الأتابكى أزبك ، ويشبك الدوادر ، وخاير بك من حديد ، والأمير أزبك اليوسفى الخازندار أحد المقدمين ، وآخرون من الأمراء المقدمين ، وعدة وافرة من الأمراء الطليخانات والعشرات ، والجم الغفير من الخالصكية ومن الماليك السلطانية ، وكان معه من المباشرين : القاضى كاتب السر ابن مظهر ، وغيره من أعيان المباشرين ، وكان (١٨٨٨) معه الشهابى أحمد بن العيى ، وسيدى منصور بن الظاهر خشقدم ، وغير ذلك من الأعيان ، فكان له بيولاقيوم مشهود عند نزوله إلى البحر . ١٢ ١٥ ١٨

وكان سبب سفر السلطان إلى الإسكندرية فى هذه المرة لأجل البرج الذى أنشأه هناك وقد انتهى العمل منه ، فتوجه إليه ليرى هيئته ؛ فلما دخل مدينة الإسكندرية لم يوكب بها مثل أول مرة ، ولا مملت القبة والطير على رأسه ، فلما نزل بالخيم مد له نائب الإسكندرية مدة حافلة ، ثم توجه إلى رشيد ، وكشف على ٢١ ٢٤

البرج الذى أنشأه بها ، ثم كشف عن البرج الذى أنشأه بئفر الإسكندرية مكان النار القديم ، فجاء من محاسن الزمان ، ومن أعظم الأبنية ، وأجل الآثار الحسنة ، ومن نوادر أفعال الملوك ، كما قيل :

٣

ليس الفتى بفتاء يستضاء به حتى يكون له فى الأرض آثار

وقيل صفة بنيان هذا البرج أن دهليزه عُقد على قناطر فى البحر الملح من الساحل حتى ينتهى إلى البرج ، وقد بُنى على أساس النار القديم الذى كان بالإسكندرية ، وأنشأ بهذا البرج مقعدا مطلقا على البحر ، يُنظر منه من مسيرة يوم إلى مراكب الفرنج وهى داخله إلى المينة ، وجعل بهذا البرج جامعا بخطبة ، وطاحونا وفرنا وحواسلا ، وأشحنهم بالسلاح ؛ وجعل حول هذا البرج ، مكاحلا ممترة بالمدافع ليلا ونهارا ، بسبب أن لا تطرق الفرنج للثغر على حين غفلة ، وجعل به جماعة من المجاهدين قاطنين به دائما ، وأجرى عليهم الجوامك والرواتب فى كل شهر ، وجعل عليهم شادا من خواصه يقال له قانصوه المسمى ، وهو الذى ولى نيابة الشام فيما بعد ، وصار يعرف بقانصوه البرجى ؛ وقيل إن السلطان أصرف على بناء هذا البرج زيادة على المائة (١٨٨ ب) ألف دينار ، وأوقف عليه الأوقاف الجليلة ، وجاء من أحسن الآثار والمعروف ؛ ثم إن السلطان أقام بئفر الإسكندرية أياما ورحل عنها ؛ ثم جاءت الأخبار بأن السلطان دخل إلى دسوق وزار سيدى إبراهيم الدسوقي وهو ماشى ، وحوله الأمراء ؛ واستمر السلطان غائبا فى هذه السفرة إلى أواخر هذا الشهر .

١٨

ومن الحوادث فى غيبة السلطان توفيت خوند زينب والدة الملك المؤيد أحمد ، وهى زوجة الأشرف أيتال ، وكانت من أجلّ الخوندات قدرا ، ورأت فى دولة زوجها الأشرف أيتال غاية العزّ والمظمة ، حتى صارت تدبّر أمور المملكة من ولاية وعزل ، وكانت نافذة الكلمة وافرة الحرمه ، فى سعة من المال ، ولم تتزوج غير

٢١

(١) ثم كشف - الإسكندرية : هذه الجملة ناقصة فى الأصل ، وقد نقلناها عن نسخة

الفايكان .

- الأشرف أينال ، ولم يتزوج هو أيضا غيرها ؛ وصادرها الظاهر خشقدم غير ما مرة
وأخذ منها جملة مال ، وهى باقية على نظامها ، وعقد ناموسها لم يتغير إلى أن ماتت ؛
٣ وقد جاوزت من العمر فوق الثمانين سنة ، وهى زينب بنت حسن بن خليل بن
خاص بك ، ولم ينجى بعدها فى الخواندات مثلها ، وكانت من مشاهير الخوندات ،
وكانت إذا دخلت على الأشرف قايتباى يقوم إليها ويعظمها ؛ ولما مات لم يحضر
٦ جنازتها أحد من الأمراء القدمين غير تانى بك قرا ، وسبب ذلك أن السلطان كان
غائبا ، فلم يجسر أحد من الأمراء ينجى إلى عند الملك المؤيد ، ومع هذا ما سلم الأمر
من القال والقال ، فحضر جنازتها قضاة القضاة وأعيان الدولة .
- ٩ ثم فى سلخ الشهر حضر السلطان من السفر فى البحر أيضا وطلع من بولاق ،
وكان له يوم مشهود ، وقد عُدَّ سفره من النوادر كونه توجه إلى (١٨٩ آ) نذر
الإسكندرية وترك الملك المؤيد بالقاهرة ، مع أن ممالك أبيه الأشرف أينال كانوا فى
١٢ غاية التمرد ينتظرون لوقوع الفتن ، وظهر منهم فى غيبة السلطان بعض حركة ،
وانكشف رُخ جماعة منهم فى هذه الحركة ، ونفى فيما بعد منهم جماعة كثيرة ، كما
سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه .
- ١٥ وفى جمادى الآخرة أضاف السلطان للملك المؤيد ضيافة حافلة بالبحر ، وأخلع عليه
وعلى ولده ، وأذن له بالعود إلى الإسكندرية ، وقدم الملك المؤيد للسلطان مقدمة حافلة
من مال وتحف ، بسبب موجود والدته الذى خلّفته . - وفيه ثبت النيل المبارك على
١٨ عشرين أصبعا من عشرين ذراعا ، فوافق ذلك مثل العام الماضى حتى عُدَّ من النوادر .
وفى رجب سافر الملك المؤيد إلى الإسكندرية ، وقد أقام بالقاهرة نحو شهرين إلا
أياما . - وفيه ظهر للسلطان بأن طائفة الأيناليه قصدوا إثارة فتنة فى غيبة السلطان ،
٢١ فلما تحقق ذلك صار ينفى منهم جماعة شيئا فشيئا ، ثم نفى مملوكه بُرد بك سُكر
الخاصكى إلى البلاد الشامية ، وكان قد نُسب إلى أشياء من هذه الإشاعة ؛ وقد
تممّرت قلوب الممالك الجلبان بمداوة الأمير يشبك الدوادار ، وقد نُسب على أنه
٢٤ قد سمّ الأمير جانم قريب السلطان ، فانقطع يشبك عن طلوع القلعة أياما ، وكثر

الكلام في حقّه بسبب ذلك .

وفيه أخلع السلطان عليّ على باي ميّق ، الذي كان كاشف الشرقية ، وقرّره في

نيابة سيس ، عوضا عن أزدمر قريب السلطان ، وقرّر أزدمر قريب السلطان في نيابة ٣

حماة ، عوضا عن قراجا الطويل الأيّنالي ، بحكم صرفه عنها ، وسجنه بقلعة دمشق . -

وفيه رسم السلطان بنفى ستة أنفار منهم ثلاثة من طائفة الأيّنالية ، ومنهم : أبو يزيد

ومسيد (١٨٩ ب) وشاد بك ، وكانوا الثلاثة من الأمراء العشرات ، وثلاثة منهم من ٦

مشتروات السلطان ، فتوجّهوا بهم إلى نحو البلاد الشامية ، ثم تتابع النفي لجماعة من

الأيّنالية ، وكثر الكلام في ذلك جدا . - وفيه قرّر في قضاء الحنفية بدمشق تاج الدين

ابن عرب شاه ، عوضا عن ابن عيد . ٩

وفي شعبان رسم السلطان بنفى الطواشي معروف اليشبكي شاد الحوش ، فنفاه

إلى جهة قوص لأمر أوجب ذلك . - وفيه أخلع السلطان على برسباي قرا المحمدي

الظاهري ، وقرّر في حجوية الحجاب ، عوضا عن أزدمر الطويل ، بحكم نفيه ، وقرّر ١٢

في شادية الحوش سرور السيفي جرباش كُرد ، عوضا عن معروف اليشبكي . - وفيه

وصل قانصوه الأتلي ، الذي كان قد توجّه إلى بلاد الجركس ، فأحضر معه عدّة من أقارب

السلطان ، فأخلع عليه ونزل إلى داره . ١٥

وفيه حضر قاصد من عند بمض ملوك الهند ، حجة أبو الفتح نائب جدّة ، وعلى

يده هديّة حافلة إلى السلطان . - وفيه أنعم السلطان على آقبردي قرييه بتقدمة ألف ،

وهي تقدمة جانم الشريفى ناظر الجوالى ، ثم بعد مدّة أرسل إليه بشاش ، ورسم له ١٨

بأن يلفّ له تخفيفة ، وكذلك قانصوه خمسمائة فإنه بقى دودار ثانى ، وهو بكوفية

بقنّدىس . - وفيه توفى جانم السيفي تمرباي الزردكاش الكبير ، وكان أحد الأمراء

الطيبخانات . ٢١

وفي رمضان احتفل صاحب خشقند الزمام في مسابقة حافلة ، وكان قد قرّر في

أمرة الحاج بركب المحمل ، وقرّر شاهين الجمالى في أمرة الركب الأول ، وكان

قرّر بها أولا جانم الزردكاش الذى توفى ، فكانت للصاحب خشقند يوم مشهود ٢٤

بتلك المسيرة ، وقد (١٩٠ آ) أشيع بين الناس أن السلطان يقصد أن يحجّ في هذه السنة ، فعمل هذه المسيرة الحافلة ، بسبب توجه السلطان إلى الحجاز . - وفيه أخلع السلطان على مملوكه قان بردى أحد الخاصكية ، وقرّر في كشف الشرقية ، عوضا عن على باى ميق الذى استقرّ في نيابة سيس ، وقرّر آقبای الطويل في كشف الغربية . وفيه قدم بُرد بك حبس ، وكان منفيا في البلاد الشامية ، فشفع فيه بعض الأمراء ، فرسم السلطان بإحضاره ، فحضر ورضى عليه . - وفيه توفى معروف الشبكي الطواشي شاد الحوش ، مات وهو منفى بالواح ، وجرى عليه ما لا خير فيه ، وكان لا بأس به ، غير أنه كان عنده تكبر في نفسه وتعاظم . - وفيه جاءت الأخبار ب وفاة مساید الإبراهيمى الأينالى ، وكان من الأمراء العشرات ، فتغيرّ خاطر السلطان عليه ، فنفاه إلى الشام ، فمات بها . - وفيه رسم السلطان بنفى جاني باى الخشن الأينالى تاجر الماليك ، أحد العشرات ، وتقى أبوزيد أذربك الخاصكى الأينالى ، ونفى تفرى برمش أحد العشرات ، والكل أيتالية ، وقد سقط نجمهم وبدأ عكسهم ، وصار السلطان في كل شهر ينفى منهم جماعة في أما كن شتى .

وفي شوال أخلع السلطان على يشبك الجمالى ، وقرّر في الزردكاشية الكبرى ، عوضا عن جانم السيفى تمرباى ، وقد جمع يشبك الجمالى بين الحسبة والزردكاشية الكبرى . - وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل صاحب خشقدم الزمام ، وقد احتفل بعمل يرقى حافل بسبب سفر السلطان إلى الحجاز ، فكان معه نحو من مائتى وخمسين جملا ، وقيل إن السلطان بعث إليه بثلاثين ألف دينار بسبب عمل هذا اليرق ، فكان لخروج صاحب خشقدم يوم مشهود .

وفي هذا الشهر رسم السلطان بنفى مئقال الطواشي مقدم الماليك ، وكان يعرف بمئقال البرهاني ، فخرج منفيا إلى (١٩٠ ب) طرابلس ، وكان هذا كله بسبب خروج السلطان إلى نحو البلاد الشامية وتوَعَّكه هناك ، وقد ترايدت الأقوال بموته ، وحصل بين الأمراء نقل كلام في من يلى بعه السلطنة ، وانكشف رُخّ جماعة من الأيتالية .

في هذه الحركة ، ولم يعلم باطن الأمر في حقيقة ذلك ، فصار السلطان ينفي كل قليل جماعة من الأيتالية ومن مماليكه ، واستمر الأمر على ذلك .

- ٣ فلما خرج الحاج من القاهرة ، ورحل المحمل من بركة الحاج ، نزل السلطان من القلعة في يوم الخميس ثالث عشرين شوال ، ولم يشعر بسفره أحد من الناس ، فخرج على حين غفلة ، فسافر معه بمض أمراء عشرات ، منهم يشبك الجالى الزردكاش وآخرون من الأمراء من أخصائه ، وعدة وافرة من الخاصكية والماليك السلطانية ، وجماعة من المباشرين ، منهم أبو البقا بن الجيمان ، وغير ذلك من الأعيان ، منهم برهان الدين بن الكركى الإمام ؛ فخرج السلطان من بين التراب ، وسافر بعد صلاة الظهر ، فنزل معه الأتابكى أذربك ، ويشبك الدوادار ، فودّعه ورجعا من أثناء الطريق ، فأوصاهما السلطان بحفظ الرعية ، ثم سار على ظهر للبؤيب ، ولم يتوجه معه أحد من الأمراء المقدمين ، فعدّ سفره على هذا الوجه من النوادر .

- ١٢ وفي ذى القعدة رسم الأمير يشبك الدوادار ليشبك من حيدر والى القاهرة بأن يتحدث في الحسبة ، عوضا عن يشبك الجالى ، بحكم سفره مع السلطان ، وكان الأمير يشبك الدوادار هو المشار إليه في غيبة السلطان . - وفي هذا الشهر شرع الأمير يشبك الدوادار في بناء القبة التى أنشأها في (١٩١ آ) رأس دور الحسينة ، وأخرب عدة ترب كانت هناك ، ثم أنشأ بهذا المكان غيطان ومجارى وسواقى ، وقصد أن يجعله من جملة مفترجات القاهرة ، ولو عاش لفعل ذلك ، فجاءت القبة من محاسن البناء في ذلك المكان .

- ١٨ وفي ذى الحجة كان انتهاء عمارة الربع الذى أنشأه السلطان بمجرة الكباش ، وكان الشاد على العمارة نانق المؤيدى أحد العشرات . - وفيه قدم مبشر الحاج ، وهو شخص من الخاصكية يقال له أسنباي ، وقد استمر اسمه بالبشر بعد ذلك ، فأخبر ٢١ بسلامة السلطان ، وأنه دخل إلى مكة في موكب حافل ، وكان له يوم مشهود ، ولاقاه أمير مكة من مسيرة يومين ، وأنه تصدق على فقراء مكة بخمسة آلاف دينار ، ووقع منه

تواضع وخضوع إلى الناية ، وكان بطول الطريق لا يتكلم في شيء يتعلق بالأحكام بين الناس ، وفعل في الطريق أشياء كثيرة من وجوه البرّ والمعروف ، فحصل لأُسْنَبَايَ المبتسر جملة خلع وماله صورة من الأمراء وأعيان الناس ، ومن خوند زوجة السلطان وغير ذلك من أرباب الدولة .

وفيه جهّز الأتابكي أذربك ويشبك الدوادار وجماعة من الأمراء إقامات للملاقة ٣
السلطان بالمقبة ، وخرج الأمير أذربك اليوسفى أحد المقدمين صحبة ذلك ، وخرج معه جماعة كثيرة من أرباب الدولة للملاقة السلطان من المقبة ، واهتمّ الأمير يشبك الدوادار بيباض أما كن بالقلمة ، ودهان أبوابها ، وضرب الرنوك السلطانية عليها ، ٦
وجلاء واجهة القصر الأبلق وما يليه ، حتى ظهر رخامه الملون ، وقد احتفل في إصلاح ذلك جدا . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة خليل بك بن حسن الطويل ملك المراقين ، وكان أكبر أولاد حسن الطويل ، فثار عليه بعض أمرائه فقتله ، فلما مات ٩
ولى من بعده أخوه (١٩١ ب) يعقوب ، وكان من خيار بني حسن الطويل . - ١٢
وتوفى تانى بك الأشقر المحمدى البواب ، أحد العشرات ، وكان كاشف المنوفية ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثمانمائة ١٥

فيها في المحرم بعث السلطان نجابا إلى الأمراء ، وأخبر النجّاب بأن السلطان دخل إلى المدينة الشريفة ، وزار وأنعم بها على الفقراء بخمسة آلاف دينار ، وأنه ١٨
رحل إلى نحو الينبع قاصدا للمقبة ، ثم رحل عنها وهو واصل عن قريب ، ثم رسم لهم بأن لا يخرج إلى ملاقاته أحد من الأمراء ، وأن السلطان ينزل بقبة الأمير يشبك التى بالمطرية ، فبادر الأمراء بالخروج إلى هناك ونصبوا الخيام ، ثم جاءت الأخبار ٢١
بأن السلطان قد وصل إلى البُويب ، فلما تحقق الأمراء ذلك ركب الأتابكي أذربك والأمير يشبك الدوادار ، وبقية الأمراء ، من المطرية وتوجّهوا إلى ملاقة السلطان ،

فلما وصلوا إلى البُوب اجتمعوا بالسلطان هناك ، وساروا قدّامه حتى وصل إلى
الوطاق الذي بالمطرية ، وكان له هناك موكب حافل ، وكان دخوله في ثانی عشر المحرم
قبل دخول الحاج بثمانية أيام ؛ فلما نزل بقبة الأمير يشبك مدّه له الأتابكي أربك هناك ٣
مدّة حافلة جدا ، وبات السلطان هناك ، وحضر إلى عنده قضاة القضاة ومشايخ العلم
وهنّوه بقدمه .

فلما كان يوم الاثنين رابع عشره أوكب السلطان من هناك ، وحمل الأتابكي ٦
أربك على رأسه القبة والطير ، وركب قدّامه الأمراء والمسكر وهم بالشاش والقماش ،
وسارت القضاة الأربعة قدّامه ، فدخل من باب النصر ، وشقّ من القاهرة وقد
زينت له زينة حافلة ، واستمرّ في هذا الموكب الحافل ، وطلب طلبا حافلا ، ولعبوا ٩
قدّامه بالفواشي الذهب ، ومشت بين يديه الجنائب وهي بالأرقاب الزركش ، ولاقاه
الأوزان والشعراء والشبابة السلطانية وابن رحاب المغني ، وجماعة الجاوشية ،
واصطفّت له جوق المغاني من النساء (١٩٢ آ) على الدكاكين ، وفُرشت تحت حافر ١٢
فرسه الشقق الحرير من التبانة إلى القلعة .

فلما طلع فرشت له خوند عدّة شقق من باب القلعة إلى الحوش ، ونثرت على
رأسه خفائف الذهب والفضة ، وتوشّحت الخدّام بالبندود الحرير الأصفر ، وتخلّقت ١٥
بالزعفران في شاشاتها ، فلما دخل السلطان إلى الحوش مدّه له هناك الأمير يشبك
الدوادر مدّة حافلة ، أعظم من مدّة الأتابكي أربك التي مدّها بالقبة ؛ ثم إن السلطان
أخلع على من كان معه من أرباب الوظائف ، ونزلوا إلى بيوتهم ، وانفضّ ذلك ١٨
الموكب ؛ وعُدّت هذه الحجة للسلطان من النوادر الغريبة ، ودخل عليه جملة تقادم
من مال ونحف ما يعدل مائتي ألف دينار ، من أمير مكة وقضاتها ومن أعيان التجار
الذين بها ، وكذلك من أمير المدينة الشريفة وقضاتها ، ومن أمير ينبع ، وغير ذلك ، ٢١
اتمهي ؛ وقد نظم الشعراء في هذه الواقعة عدّة قصائد ، فمن جملة ذلك قول الشهاب
المنصوري :

- قدم السرور بمقدم السلطان من حجة القبول بالرضوان
سلطاننا الملك الهمام الأشرف الوراق سماء الحسن والإحسان
٣ فدعاؤنا ببقائه في نعمة وسلامة فرض على الأعيان
ولقد علمنا أن طاعة أمره أو نهيه دين من الإيمان
لما نوى حجة ولبي محرماً عم الأمان مراتع الفزلان
٦ والوحش في أبياتها والدوح في أنباتها والطيور في الطيران
فالحن سهل والخاوف مأمّن والضنك رحب والتباعد دان
حُظيت به أم القرى مذ زارها واشتاقه مصر أبو البلدان
٩ فكلامها يدعو بمزة نصره وبقائه ملكا لكل زمان
والكمة افتخرت وودت أنها في خد دولته من الخيلان
نصبت ستارها لرفع مقامه ثم اثنت مجرورة الأردن
١٢ (١٩٢ب) لو أنها عقلت لخرت حُرمة لله ساجدة على الأذقان
أو أحسنت رقصا لفرحتها به رقصت له بمطاف الأركان
ولسّمت جهرها عليه وأبذلت سرّ السلام عليه بالإعلان
١٥ فاطوف الملك الهمام بها إلى سبع ولولا الحدّ زاد ثمان
وصفا له قلب الصفا والمرّة أسـ ترقّت به مرق بني مروان
وأفاض منذ أفاض من عرفاتها دمع اشتياق سال كالفردان
١٨ وعلى منى بلغ النى من ربّه ورى الجمار بمهجة الشيطان
وقضى مناسك حجه فاتها مختومة بالحمد والشكران
بأبي حنيفة مقتد في دينه فليتمجّ بشقائق النعمان
٢١ واما كعبد التّم بين نجومه حسن المحجة واضح البرهان
فاستبشرت مصر وهما بعضها نعما بعودته إلى الأوطان
فالحمد لله الذي جبر لورى ورعى الهوى بسلامة السلطان
٢٤ ثم الصلاة على النبي المصطفى خير الأنام وآله الشجعان

- ما لاح فجر أو تأتق بارق أو غرّدت وُرُق على العيّدان
فلما استقرّ السلطان بالقلمة أخذ في أسباب تفرقة الهدية على الأمراء ، فابتدأ
٣ بالأتابكي أذربك ، ثم على بقية الأمراء ، ثم على المباشرين وأرباب الدولة ، وكان
الأمراء والمباشرون قدّموا للسلطان (١٩٣ آ) أيضا تقادم حافلة ، ما بين مال وخيول
وقاش وغير ذلك . - وفيه دخل الحاج إلى القاهرة ، وحدث سيرة صاحب خشقدم
الزمام أمير ركب الحمل . - وفيه زل السلطان وتوجّه إلى القرافة ، فزار ثم رجع
٦ من جهة مصر العتيقة ، وطلع من على قناطر السباع ، وأتى إلى الكباش فكشف عن
عمارته التي أنشأها هناك ، ثم طلع إلى القلمة من جهة الصليبية ، وكشف عن عمارة
سبيله الذي أنشأه برأس سويقة عبد المنعم التي بالرملة ، وكان الشاذّ على عمارته الأمير
٩ تاني بك قرا أحد المقدّمين ، ثم طلع من باب السلسلة إلى القلمة . - وفيه جاءت
الأخبار بوفاة قراجا الطويل الأينالى الذى كان نائب حماة ، مات بطالا بالقدس ،
وكان لا بأس به . - وفيه ضرب السلطان قائم الأشرفى الذى كان كاشف الشرقية
١٢ فضر به بين يديه ورسم بنفيه إلى طرسوس .

- وفى صفر قرّر خالص التكرورى الطواشى فى تقدمة المالك ، عوضا عن متقال
البرهاني ، وقرّر سرور الشامى نائب المقدّم ، عوضا عن خالص . - وفيه قدم تراز
١٥ الشمسى رأس نوبة النوب من البحيرة ، وقد أتى ليُهنّى السلطان بعوده من
الحجاز . - وفيه جاءت الأخبار بوقوع فتنة كبيرة بحماة ، وقتل فيها نائب حماة
أزدمر من أذربك قريب السلطان ، وسبب ذلك أن سيف أمير آل فضل كان قد
١٨ خرج عن الطاعة ، فخاربه أزدمر نائب حماة المقدّم ذكره ، فقتل فى المركة ، وقتل
معه جماعة من أمراء حماة ، فانزعج السلطان لهذا الخبر جدا .

- وفى ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى بالقلمة ، وكان حافلا ؛ ومما وقع فى
٢١ ذلك اليوم أن السلطان لما تكامل المجلس بالقضاة الأربعة والأمراء ، واتمّى أمر
السماط ، (١٩٣ ب) حضر كاتب السرّ ابن مزهر ، وأبو البقا بن الجيمان ،
وخشقدم الزمام ، وخلفهم ستة أطباق على رءوس ستة طواشية ، فخطّت بين يدي
٢٤

السلطان بحضرة القضاة والأمراء ، وكشفوا عنها فإذا فيها ستون ألف دينار ذهب
عين ، فأخذ كاتب السرّ يقول في المجلس العام إن السلطان نصره الله تعالى ، لما حجّ
٣ في العام الماضي ، رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأفوات ، فنذر
مولانا السلطان في نفسه بأن يفعل بالمدينة المشرفة خيرا يكون مستمرا من بعده ،
وقد خرج عن هذا المال لله تعالى ، وهو من وجه حلّ من خالص ماله دون مال بيت
المسلمين ، ليُشترى به ما يوقفه على فقراء المدينة من ضياع وأما كن وربوع ، وغير
٦ ذلك ، ما يُصنع بالمدينة في كل يوم من الدشيشة والخبز والزيت وغير ذلك ، كما يُفعل
بمدينة الخليل عليه السلام ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء في ذلك المجلس ؛ ثم أمر
السلطان بأن يكون هذا المال تحت يد قاضي القضاة الشافعي حتى يُشترى بها أما كن
٩ أو ضياع ، فامتنع القاضي من ذلك واعتذر عن تسليمه حتى عُفي من ذلك ؛ ثم شرع
السلطان في بناء تلك الربوع التي أنشأها في باب النصر ، وفي البندقانيين والحشابين
والدجاجين ، وغير ذلك من الأماكن وغيرها ، انتهى ذلك . ١٢

وفيه نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك ، فلما عاد وقف له جماعة من العوام ،
وشكوا له من أمور الحسبة بأنها ضائعة ، وأن من بعد المصر ما يوجد الخبز على
١٥ الدكاكين ، فلما طلع إلى القلعة وأصبح ، رسم للصاحب قاسم شفيقة بأن يتكلم في
الحسبة ، عوضا عن يشبك الجمال ، وكان لما تولى الزردكاشية أهل أمر الحسبة ،
وضاعت المصالح في أمور البضائع وغيرها ، وزاد سعر الغلال ، (١٩٤ آ) ووقع
١٨ بالقاهرة تشحيطة في الخبز في تلك الأيام ، وكادت أن تكون غلوة .

وفيه عين السلطان الأمير يشبك الدوادار للخروج إلى حماة ، بسبب قتال سيف
أمير آل فضل الذي قتل أزدمر نائب حماة ، كما تقدم ذكر ذلك ؛ وهذه السفرة كانت
٢١ آخر العهد بالأمير يشبك ، ولم يعد منها إلى مصر ؛ وعين معه من الأمراء المقدمين
برسباى قرا حاجب الحجاب ، وتانى بك قرا ، وعدة من الأمراء الطبلخانات
والعشرات ، وعدة وافرة من الجند ، وقد لهج الناس بأن هذه التجريدة قد خرجت

لسيف ، وكان الأمر كذلك ، وراح أكثر الأمراء والعسكر على السيف ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه ، فكان كما قيل فى المعنى :

٣ لا تَنْطِقَنَّ بما كرهتَ فَرَبَّما نَطَقَ اللسان بِمُحَادَثِ سَيَكُونُ
وقال آخر :

احفظ لسانك أن تقول فتنبلى إنَّ البلاء موكل بالمنطق

- ٦ وكان الأمير يشبك له عرض تام فى سفره إلى ديار بكر ، وقد سأل السلطان فى ذلك بنفسه ، والسبب فى ذلك أن الأمير يشبك كان قد وقع بينه وبين جلبان السلطان بسبب جاتم الشرى قريب السلطان ، وقد اتهم به أنه أشغله ، فصار مع الجلبان فى تهديد ، وقصدوا قتله غير ما مرة ، فحسن له بعض الأعاجم بأن مملكة حسن الطويل سايبة ، والعسكر مختلف على ابنه يعقوب ، ومتى حاربهم لا يقووا على محاربتك ويسلموك مملكة المراق قاطبة ؛ فانصاع الأمير يشبك إلى هذا الكلام ، وسأل السلطان فى السفر بنفسه ، حتى يجعل الله لكل شىء سبب (١٩٤ ب) لينفذ القضاء والقدرة ، فكان كما قيل فى المعنى :

أَنطَمِعَ من لى بوصول وإنما تَقَطَّعَ أعناق الرجال المطامع

- ١٥ فلما عين السلطان الأمراء عرض بعد ذلك الجند وكتب منهم نحواً من خمسمائة مملوك ، وكان الأكثر منهم من طائفة الأينالية ، فلما عرضهم نفق عليهم وأمرهم بسرعة التجهيز والخروج صحبة الأمير يشبك ، فبلغت النفقة عليهم فى هذه الحركة زيادة على المائة ألف دينار . - وفيه أخلع على الأمير تفرى بردى ططر أحد المتقدمين ، وقرّر فى أمرة ركب المحمل ، وقرّر يشبك من حيدر وإلى القاهرة فى أمرة الركب الأول . - وفيه توفى السيد الشريف زين العابدين القادرى ، وهو محمد بن محمد بن على بن على ابن حسين القرشى الهاشمى السنجارى الحنبلى ، وكان ريساً حشماً فى سعة من المال ، كثير التواضع حسن الملقى .

- وفيهِ أخلع السلطان على قانصوه خمسمائة دوا دار الأمير يشبك ، وجعل له التحدث فى الأستاذارية إلى أن يموت أستاذه ، فاستغنى من ذلك وأظهر السفر صحبة أستاذه ، ٢٤

- فقرّر في التكلم فيها مجد الدين بن البقرى . - وفيه قرّر جانم دوادار الأمير يشبك في كشف أسيوط ، عوضا عن قرقاس الأعور ، فاستعفى جانم من ذلك ، واستقرّ بها سيباي كما سيأتى ذكر ذلك في موضعه ، وطلب قرقاس للسفر بحجة يشبك . ٣
- وفي سلخ هذا الشهر كانت وفاة شيخ مذهب الشافعية بمصر الشيخ سراج الدين عمر ابن حسن بن حسين الشافعى العبادى ، وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم مفتيا ، وصار أحفظ أهل زمانه بمذهبه بمصر ، وكان متطرح النفس جدا ، وولى عدة وظائف سنية ، منها : نظر الأحباس ، (١٩٥ آ) ومشیخة خانقاة سعيد السعداء ، وغير ذلك من الوظائف ، ومولده سنة إحدى وثمانمائة . - وفيه نودى بأن تكون معاملة الفضة بالميزان ، وكانت قد خفت جدا . ٩
- وفي ربيع الآخر خرج الأمير يشبك إلى التجريدة من غير تطليب ، وكان عليه خدمة زائدة ، ففأهل الناس بأنه لا يمود إلى مصر أبدا ، وكذا جرى ، وصار الناس يقولون خرج لسيف فكان هذا فألا عليه . - وفيه قرّر جانم الأمرج السيفى حانى بك نائب جدة في نيابة حماة ، عوضا عن أزدمر قريب السلطان .
- ومن الحوادث أن السلطان برز أمره إلى سيباي كاشف الوجه القبلى ، بأن يقطع رأس أزدمر الإبراهيمى الطويل الأينالى ، الذى كان حاجب الحجاب وتغيير خاطر السلطان عليه فنفاه إلى مكة ، ثم نقله بعد مدة من مكة إلى أسيوط ، فأحضر من على جهة القصير وسُجن بأسيوط ، وكان بينه وبين الأمير يشبك عداوة ، وقصد أزدمر قتل يشبك غير ما مرّة ، بل وقتل السلطان أيضا ، فلما برز الأمير يشبك خامه بالريدانية ، عند سفره إلى تجريدة سيف أمير آل فضل ، أرسل يشبك يقول للسلطان ما أرحل من هنا حتى تقطع رأس أزدمر الطويل وتجيّ إلى ، وبقي عدة أيام لا يرحل وهو فى انتظار ذلك ، فأرسل السلطان يوسف النوام ، الذى كان والى قوص ، إلى سيباي كاشف الوجه القبلى بقطع رأس أزدمر الطويل ، فتوجّه إليه فى الخفية إلى أسيوط وعلى يده مرسوم السلطان إلى سيباي بقطع رأس أزدمر ، فُخِزَت رأسه بأسيوط ووضعت فى علبة وأحضرت إلى بين يدى (١٩٥ ب) السلطان ، فنظر إليها ثم أرسلها ٢٤

- إلى عند الأمير يشبك فنظر إليها ، وكُتِمَ هذا الأمر عن الناس ، بل وما خفي واستفاض من يومه ؛ وكان أزدمر هذا من أعيان الأينالية ، شجاعا بطلا مقداما في الحرب ، عارفا بأنواع الفروسية ؛ ثم إن الأمير يشبك رحل من الريدانية وقد نال قصده من أزدمر الطويل ، فما عن قريب حتى قُطعت رأس الأمير يشبك بعد ذلك بمدة يسيرة ، والمجازاة من جنس العمل ، كما سيأتي الكلام على ذلك .
- ٦ وفيه توفي يُرد بك التاجي الأشرفي أحد المشرات ، وكان لا بأس به . - وفيه تغير خاطر السلطان على قاضي القضاة الشافعي ولي الدين الأسيوطي ، وعلى قاضي القضاة الحنبلي بدر الدين السعدي ، فعزل القاضي الشافعي ، ورسم بنى القاضي الحنبلي إلى قوص ، ولم يكن سبب ذلك كبير أمر يستحق لهذه الكاينة ، بل كان من أمر القاضي الشافعي ما هو بسبب تركه إنسان ، والقاضي الحنبلي بسبب كتاب وقف أو نحو ذلك ، فاستمر أمرها في اضطراب مدة أيام ، وتكلموا مع السلطان فيمن يلى قضاء الشافعية وقضاء الحنابلة ، وكتبت قائمة بأسماء جماعة من طائفتي المذهبين ، ثم آل الأمر إلى إعادتهما إلى ما كانا عليه بشفاعة الأتابكي أربك ، فأخلع على القاضيين ونزلا إلى دورها ، وكان لهما يوم مشهود .
- ١٥ وفي جمادى الأولى توفي القاضي شرف الدين يحيى بن الجيمان ، مستوفى ديوان الجيش ، وهو يحيى بن شاكر بن عبد الغنى القبطى الشافعي ، وكان عالما فاضلا ريسا حشما ، وله اشتغال بالعلم ، وكان علامة في الفرائض . - وفيه تغير خاطر السلطان على القاضي تاج الدين بن المقسى ناظر الخالص كان ، فرسم بتسميره ، فسُمر على جمل وطيف به القاهرة ، وتوجهوا به إلى قنطرة (١٩٦ آ) الحاجب ليوسطوه هناك ، وكان هيئته وهو مسمر على الجمل وعلى رأسه عمامة صغيرة وهو لابس كبر أبيض ، فلما وصل إلى هناك وقع فيه شفاعة ، فمادوا به وقد أركبوه على فرس ، وفرح الكثير من الناس بسلامته .
- وفي جمادى الآخرة رسم السلطان بشنق تاج الدين بن المقسى بعد أن عفى عنه ، فتوجهوا به إلى غيط الحاجب ، فشنقوه على حميزة هناك ، وشنق معه في ذلك اليوم
- ٢٤

٣ قاسم بن بقر أمير عربان جدام بالشرقية ، وكان لهما يوم مهول ، وكان اسمه عبد الله ابن نصر الله القبطى ، وكان ريسا حشما ، كيتسا حسن الهيئة ، لطيف الذات ، وولى عدة وظائف سنية ، منها : كتابة المالك ، ونظر الدولة ، ونظر الجيش ، ونظر الخصاص ، والأستادارية ، وغير ذلك من الوظائف ، ومات وهو فى عشر الخمسين ، فكثر عليه الأسف والحزن من الناس ، وقاسى فى أواخر عمره أهوالا وشدائد ومحناء ، وضرب بالمقراع على أجنابه فى يوم شديد البرد ، وآخر ذلك شُنق ؛ ووسطوا ٦ مجد الدين بن البقرى الذى كان أستاذارا فى بركة الكلاب . - وفيه كان وفاء النيل المبارك ، وتوجه الأتابكى أزبك وفتح السد على العادة . - وفيه نزل السلطان فى مركب ٩ وتوجه إلى نحو قليوب ، ثم طاب له رؤية البحر ، فأقلع من هناك وتوجه إلى جهة الوجه القبلى ، حتى وصل إلى نحو طنبدى ، ثم عاد إلى القلعة .

وفى رجب جاءت الأخبار بقتل سيباى الملاى الأبنالى كاشف الوجه القبلى ، ١٢ قتله بمض العرب بمنجى فى بطنه وهو راقد على فراشه بساحل طما ، وكان شابا حسن الهيئة ، شجاعا بطلا من خيار الأبنالية ، وهو الذى حَزَّ رأس أزدمر الطويل ، فكان بينه وبين قتل أزدمر الطويل شهرين وبمض أيام . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق بوفاة برهان الدين بن إبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر الجرباوى ١٥ البقاعى الدمشقى الشافى ، وكان عالما فاضلا محدثا ماهرا (١٩٦ ب) فى الحديث ، وليس من مساوئه سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض ، فلما قامت عليه الدائرة بسبب ابن الفارض توجه إلى دمشق فمات بها . - وفيه جاءت الأخبار بأن الأمير يشبك الدوادار لما دخل إلى الشام أخذ معه نائب الشام قانصوه اليعياوى وتوجه إلى حلب ، وأن قانى باى صلق توفى بحلب ، وكان صحبة الأمير يشبك ، وكان قانى باى ٢١ صلق أصله من ممالك شاد بك الحكى ، وارتقى حتى بقى أمير طبلخاناه رأس نوبة ، وكان لا بأس به ، ورأى غاية المزم فى دولة الأشرف قايتباى .

وفى شعبان كان انتهاء عمارة القناطر التى بالجيزة ، وأخلع على الأتابكى أزبك ٢٤ بسبب ذلك كون أنه كان شادا على العمارة ، فجاءت من أجل آثام الملوك ، وقيل

إن السلطان أصرف على عمارة هذه القناطر نحواً من مائة ألف دينار . - وفيه توفى
بدر الدين بن الكُويز ، وهو محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن داود بن خليل
الشوبكي ، وكان ريساً حشماً ، وولى عدة وظائف سنية ، منها : معلم المعلمين ، ونظر
الخاص ، وغير ذلك من الوظائف ، ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

وفي رمضان كان ختم قراءة البخارى بالقلمة ، وفُرقت الخلع والصرر على
القضاة ، وعلى مشايخ العلم ، وكان قارىء الحديث الشريف برهان الدين بن السكركى
إمام السلطان ، فأخلع عليه وتزل من القلمة فى جمع حافل . - وفيه أمر السلطان
بتجديد عمارة قبة الإمام الشافعى رحمة الله عليه ، وكان الشاذلى على عمارتها الخواجا
شمس الدين بن الزمن .

وفيه كانت وفاة قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الأمشاطى محمد بن أحمد بن
حسن بن إسماعيل بن يعقوب المينتابى الكجكاوى (١٩٧ آ) الحنفى ، وكان عالماً
فاضلاً بارعاً فى علوم مذهبه ، وافر العقل فكه المحاضرة ، وناب فى القضاة مدة
طويلة ، ثم ولى القضاء الأكبر وبأشره بمقعة زائدة وحرمة وافرة ، ومُحدث سيرته ،
وامتاز على غيره من قضاة عصره ، وصتم على عدم حلّ الأوقاف فى أيامه ، وجمع بين
القضاء ومشيشة البرقوقية ، وكان نادرة فى عصره ؛ فلما توفى الأمشاطى تكلموا مع
السلطان فيمن يلى القضاء عوضاً عن الأمشاطى ، فلم يوافق على أحد يوليه من أهل
مصر ، ثم أرسل خلف شخص من الشام يقال له شرف الدين موسى بن عيد ليملى
القضاء ، واستمرّ منصب قضاة الحنفية شاغراً إلى أن يحضر ابن عيد .

وفى شوال جاءت الأخبار من الرّها بوقع كائنة عظيمة طامة ، قُتل فيها الأمير
يشبك الدوادار ، وانكسر المسكر قاطبة ، وقُتل الأكثر منهم ، وكان سبب ذلك
أن الأمير يشبك لما دخل إلى حلب ، كان صحبته نائب الشام ، ونائب حلب ، ونائب
حماة ، ونائب طرابلس ، والمسكر المصرى والشامى والحلبى وغير ذلك من المساكر ،
فلما استقرّ بحلب بلغه أن سيف أمير آل فضل الذى خرج بسببه قد فرّ وتوجّه إلى

نحو الرُّها ، فقوى عزم الأمير يشبك بأن يعدّ من الفراء ويتبع سيف في أى مكان كان فيه ، فكان كما قيل في المعنى :

وكم من طالب يسمى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري ٣

فعدّ من الفراء هو والمساكر ، فاجتمع معه فوق العشرة آلاف إنسان ، فلما عدّ توجه إلى نحو الرُّها وكان المتولى أمرها يومئذ شخصا يقال له بايندر ، أحد نواب يعقوب بك بن حسن الطويل ، فحاصر الأمير يشبك (١٩٧ ب) مدينة الرُّها أشدّ المحاصرة ، فلما أشرف على أخذها أرسل بايندر يتلطّف بالأمير يشبك ، وقال له : ضمان مسك سيف علىّ ، وأرسل يقول له : ارحل عن الرُّها وأنا أجمع لك من أهل المدينة مالا له صورة ، فأبى الأمير يشبك من ذلك لما رأى كثرة تلك المساكر التي معه ، فطمعت آماله في أخذ مدينة الرُّها ، ويزحف من بعد ذلك على مُلك المراق كما قد حسّنوا له ذلك ، فزعى النفير وركب المسكر قاطبة ، فبرز إليهم بايندر بمن معه من المساكر ، وتحارب معهم . ١٢

فلم يكن إلا ساعة يسيرة وقد كُسر عسكر مصر ، وبقية المساكر قاطبة ، فأسر الأمير يشبك وهو راكب على ظهر فرسه ، فأتوا به إلى بايندر ، وأسر معه نائب الشام قانصوه اليحياوى ، ونائب حلب أزدمر ونائب حماة جانم الجداوى ، وقتل بُرد بك قريب السلطان نائب طرابلس ، وأسر برسباى قرا حاجب الحجاب ، وتانى بك قرا أحد القدمين ؛ وقتل من الأمراء العشرات ، ومن أمراء الشام وحلب ، ما لا يحصى ، وقتل من المساكر التي كانوا مع الأمير يشبك ما لا يحصى عددهم ، فكانت حوافر الخيول لا تغطّ إلا على جثث القتلاء من المسكر . ١٨

فكان ما قُتل من أعيان عسكر مصر ، وهم : بُرد بك قريب السلطان نائب طرابلس ، وهو بُرد بك الممار السيفى جرباش كُرد ، وجانى باى أخو سيباى أحد الأمراء العشرات ، وجانى باى أخو تانى بك قرار ، وسوّزار الأشرقى ، وكان علامة في الرمي بالنشاب ، وطقطمش الخشقدمى أحد الأمراء بحلب ، وسليمان بك من ٢١

(١٩٨ آ) أقارب سوار ، وقانصوه البواب الأينالى أحد العشرات ورءوس النوب ،
وَقُرُقاس قَرَأَش المَحمَدى الظاهرى أحد العشرات ورءوس النوب ؛ وأما الذى قُتِلَ
من الخاصكية والماليك السلطانية فما ضُبط لكُثرته ، وقُتِلَ من المساكر الشامية ٣
والحلبية وغير ذلك ما لا يحصى عددهم ، وكانت مصيبة عظيمة مهولة قلّ أن يقع مثلها
لمسكر مصر .

وأما ما كان من أمر يشبك الدوادار ، فإنه أقام عند باينذُر فى الأسر ثلاثة أيام، ٦
ثم فى اليوم الرابع بعث إليه بعبد أسود من عبيد التركان ، قطع رأسه تحت الليل
وأحضرها بين يدى باينذُر ، وقيل إنه حزّ رأسه بالسيف عدّة مرار ، وهى لا
تنقطع ، فقطعها بسكين صغيرة ، وعذّبه غاية التعذيب ، فلما طلع النهار وجدوا ٦
جثته بغير رأس ، وهى مرمية على قارعة الطريق ، وعورته مكشوفة ، حتى
ستره بعض الغلمان بحشيش من الأرض ، فسبحان من يمزّ وينذلّ ، فكان كما قيل
فى المعنى :

ما أعجب الدهر فى تقلّبه والدهر لا تنقضى عجائبه
وكم رأينا فى الدهر من أسد بالّ على رأسه ثماله
وقيل إن الأمير يشبك حلق رأسه قبل أن يُقتل بيوم ، ثم نظر وجهه فى مرآة ١٥
وقال : يا ترى يا رأس بقيت تدخلى إلى مصر ، أو تدخلى إلى ماردین ؟ ومن العجائب
أن الأمير يشبك كان جماعة من المنجمين يخبروه بأنه يُقتل على يد شخص يسمى أزدمر ،
فظن أنه أزدمر الطويل ، فبادر إلى قتله ، فلما أحضر إليه باينذُر ذلك العبد الأسود ١٨
ليقتله ، فقال له يشبك : ما اسمك ؟ قال : أزدمر ، فعند ذلك تيقن بأنه هو الذى يقتله
بيده ، وراح أزدمر الطويل ظلما ، فكان هو ذلك العبد الأسود ، انتهى ذلك .
فلما قُطعت رأس الأمير يشبك ، بعث بها باينذُر إلى بلاد المعجم ، إلى عند يعقوب ٢١
ابن حسن الطويل ، فكان لها يوم مشهود بمدينة ماردین ، فطافوا بها بلاد المعجم وهى

(١٥-١٦) وقيل - ماردین : كتبت فى الأصل على هامش صفحة ١٩٧ ب .

(١٧) يخبروه : كذا فى الأصل .

على رمح ، وألبسوا رأس الأمير يشبك تخفيفته الكبيرة لما طافوا بها ؛ وطافوا بالنواب والأمراء الذين أسروا وهم في قيود وزناجير ، والماليك الذين أسروا مشاة ، وأرسل باينذر إلى يعقوب بن حسن بجميع ما نُهب للمسكر ، من خيول ومال وسلاح وقاش وبرك ، وغير ذلك أشياء كثيرة ما لا تُحصى ، (١٩٨ ب) وكانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة .

وكانت قتلة الأمير يشبك في العشر الأخير من رمضان سنة خمس وثمانين وثمانمائة بالرُّها ، فكانت مدة الأمير يشبك في الدواديرية الكبرى نحو أربع عشرة سنة ، إلى أن قُتل بالرُّها كما تقدم القول على ذلك ؛ وكان الأمير يشبك أميراً جليلاً معظماً ، في سعة من المال ، ذات شهامة زائدة ، وحرمة وافرة ، وكلمة نافذة ، وكان أسله من مشتراوات الظاهر حقيق ، وكان يعرف بيشبك من مهدى ، ورقى في دولة الأشرف قايتباى حتى صار صاحب الحلّ والعقد بالديار المصرية ، واجتمع فيه عدة وظائف سنية ، منها : الدواديرية الكبرى ، وأمرة السلاح ، والوزارة ، والأستادارية الكبرى ، وكاشف الكُشاف ، ومدير المملكة ، وغير ذلك من الوظائف السنية ، فعظم أمره جداً ، ووقع له أشياء غريبة لم تقع لغيره من أبناء جنسه في عصره ، ومات وله من العمر نحو من ستة وخمسين سنة ، وقد وكزه الشيب قليلاً ، وكان صفته أبيض اللون ، ومدور الوجه ، أشهل العينين ، أشقر اللحية ، طويل القامة ، مليّ الجسد .

وأنشأ أشياء كثيرة من المماثر بالديار المصرية ، ما بين ربوع وحوانيت ، ودور جليلة ، وصهاريج ، والمفسل ، وأسبلة ، وزوايا ، وأنشأ قبة بالطرية ، وقبة برأس الحسينة ، وتربة عظيمة بالقرب من زاوية كهنوش ، وغير ذلك من الزوايا والآثار الحسنة ؛ وكان له في كل سنة عدة شقاف محملة على جمال ، ومعها الزاد والماء ، تلاقى الحجاج من العقبة ، بسبب المنقطعين من الحجاج ، وله غير ذلك أشياء كثيرة من وجوه البرّ والمعروف ؛ وكان له محاسن ومساوئ ، وفيه الخير والشر ، وقد ساقه أجله حتى

خرج (١٩٩ آ) في هذه التجربة بسبب سيف أمير آل فضل ، فكانت منيته بالرُّها ،
وكان الأمير يشبك باغيا على بايندُر ، فإنه قصد محاربته من غير سبب ولا موجب
لذلك ، فكان كما قيل :

- ٣ من لآعب الثعبان في وكره يوما فلا يأمن من لسمته
وقد نهى بعض الحكماء عن التوجه إلى بلاد الشرق من غير حاجة ، فقال :
٦ إذا شئت أن تلقى دليلا إلى الهدى لتقفوا لآثار الهداية من كاف
فخلّ بلاد الشرق عنك فإنها بلاد بلا دال وشرق بلا قاف
ولكن قدّر في الأزل بأن قبض روح الأمير يشبك يكون بالرُّها ، فسبّب له
الأسباب لذلك ؛ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا أراد الله
٩ تعالى قبض روح عبد بأرض جعل له إليها حاجة ؛ ومن النكت اللطيفة ما روى في
بعض الأخبار أن ملك الموت زار سليمان بن داود عليهما السلام ، فجعل ينظر إلى رجل
من جلسائه ويطلّل النظر إليه ، فقال ذلك الرجل لسليمان عليه السلام : ومن هذا
الرجل الذي يطلّل إلى النظر ؟ فقال له سليمان : هذا ملك الموت ؛ فاضطرب ذلك الرجل
منه ، وقال لسليمان عليه السلام : يا نبي الله أقسمت عليك بالله تعالى ألا ما أمرت الريح
يحملني من هنا ويلقيني خلف جبل قاف ؛ فأمر سليمان الريح بأن تحمل ذلك الرجل
١٢ وتلقيه خلف جبل قاف ، فلما حملته الريح إلى هناك ، قال ملك الموت لسليمان عليه السلام :
كان نظري إلى هذا الرجل تعجّبا منه ، لأنني أمرت بقبض روحه (١٩٩ ب) خلف جبل
١٨ قاف ، وقد وجدته بحضرتك ، فصرت متعجّبا من ذلك ؛ فلما مضى الرجل خلف
جبل قاف قبض ملك الموت روحه هناك كما أمر ، وهذا مصداق للحديث الشريف ،
فكان قبض روح الأمير يشبك بالرُّها ، انتهى ذلك .

- ٢١ فلما ورد هذا الخبر على السلطان اضطربت أحواله ، وماجت القاهرة عن آخرها ،
وكان يوما مهولا ؛ ثم أشيع بين الناس أن الأمير يشبك في قيد الحياة ، وهو في الأسر
عند بايندُر ، وقيل إنه قرّب بنفسه وهو محتقن عند بعض التراكمية ، واختلفت الأقوال
في أمره ، وصارت دكة النقباء على بابه بعد قتله مدة طويلة ، ونظامه باق على حاله ،
٢٤

ووقع الشك في حقيقة قتله ؛ ثم أشيع بين الناس أن السلطان قصد السفر إلى حلب بنفسه ، ويقم بها خوفاً من عسكر يعقوب بن حسن أن لا يطرق حلب والشام ، فإن النواب قاطبة كانوا في الأسر عند يعقوب بن حسن .

ثم إن السلطان عين الأتابكي أزيك إلى السفر إلى حلب ، وعين معه وردبش أحد القدمين ، وأخلع عليه وأقره في نيابة حلب ، عوضاً عن أزدهر ، وعين من الأمراء الطبلخانات والمشترات عدة وافرة ، منهم جاني بك حبيب أمير آخور ثاني ، وآخرين من الأمراء ، ثم عرض الجند وكتب منهم جماعة كثيرة ، ونفق عليهم واستحثهم على الخروج بسرعة ، قبل أن تهجم عساكر الشرق على حلب ، ولولا فعل ذلك خرج من يده غالب جهات حلب .

ثم بعد أيام خرج الأتابكي أزيك من القاهرة هو والعسكر في تجمل ، وكان لهم يوم مشهود ، وفوتض السلطان أمر البلاد الشامية والحلبية (٢٠٠ آ) للأتابكي أزيك ، وجعل له التكلم في أمور المملكة من ولاية وعزل ، ولما أراد الرحيل من الريدانية نزل إليه السلطان ووادعه ، وجلس عنده ملياً ، واشتورا فيما يكون فيه المصلحة بسبب هذه الكاينة ، ثم إن الأتابكي أزيك سافر فيما بعد .

وفيه عين السلطان تمتاز الشمسي قريبه لنيابة الشام ، فامتنع من ذلك وادعى الفقر وعدم اليرق ، فوبخه السلطان بالكلام ، فحنق منه تمتاز ونزل إلى داره وأغلق بابه ، ولم يجتمع بأحد من الناس ، وصرف تقباءه عن بابه ، وكثر القال والقليل في ذلك ، فأرسل السلطان يقول له : توجه إلى مكة وأقم بها بطالا ؛ واستمر في هذه الحركة أياماً وهو في اضطراب ، والسلطان يستحثه في سرعة الخروج إلى مكة ، ثم إن الأتابكي أزيك مشى بينه وبين السلطان بالصلح ، فطلع إلى القلعة وقابل السلطان ، وأخلع عليه ونزل إلى داره في موكب حافل ، وقد زال ما كان بينه وبين السلطان من الوحشة بسبب نيابة الشام ؛ ثم تحول أمر نيابة الشام إلى قجماس الإسحاق أمير آخور ، كبير فأخلع عليه وقرر في نيابة الشام ، عوضاً عن قانصوه اليحياوى ، بحكم أسره عند

يعقوب بن حسن الطويل .

وفي عقيب ذلك وقف الأمير خاير بك من حديد إلى السلطان ، وسأله في إقطاع

الأمير يشبك الدوادار ، فنتز فيه السلطان ، فنزل إلى داره مغضبا ، وأغلق بابه ٣

وصرف غلمانه ، وامتنع من الاجتماع بالناس ، وتكلم بكلمات كثيرة في حق

السلطان ، وكان الأمير خاير بك صعب المراس ، شديد الخلق ، قوى الرأس ؛ فلما

بلغ السلطان ذلك بعث بإحضاره ، فاخفى خاير بك وخرج من داره ، ولبس له جبة ٦

صوف أبيض ، وتعمم بمنزر صوف أبيض ، وأخذ بيده سبحة ، وادعى أنه

(٢٠٠ ب) قد ترك الدنيا ، وبقي فقيرا مجردا ، فتوجه إلى جامع قيدان الذي بقناطر

الأوز ، وكان أنشأ به جوسقا مُطلّا على البركة التي هناك ، فأقام به ، فلما بلغ الأمير ٩

تمراز ذلك توجه إليه وتلطّف به في عوده إلى داره ، فلم يوافق على ذلك واستمرّ

مصمّما على عدم عوده ، وبقي هناك أياما .

ثم إن السلطان أرسل إليه قانصوه خمسمائة ، فأخذه من هناك وشكّه في الحديد ، ١٢

وطلع به إلى القلعة وهو ماشى ، فلما مثل بين يدي السلطان وبّخه بالكلام وقصد

أن يفتك به ، ثم آل أمره من بعد ذلك إلى أن أخرجه منفيّا إلى دمشق ، صحبة

الأتابكي أذربك لما خرج إلى التجريدة القدم ذكرها ، فسجن هناك وجرى عليه ١٥

شدائد كثيرة وعمن إلى الناية ، واستمرّ في هذه النفيّة إلى أن مات بمكة ، ويأتى

الكلام على ذلك في موضعه ؛ وكان خاير بك من أخصاء السلطان ، وكان من أكبر

أصحابه من حين كان السلطان خاصكيا ، فأقلب عليه كأنه لم يعرفه قط ، فكان كما ١٨

يقال : ثلاثة لا يؤمن إليهم ، المال وإن كثر ، والملك وإن قربوا ، والمرأة وإن

طالت صحبتها .

وفيه طلع الأمير لاجين الظاهري إلى السلطان واستعفى من أمرة مجلس ، وذكر ٢١

للسلطان أنه قد شاخ وكبر سنّه وعجز عن الحركة ، فأعفاه السلطان من ذلك ورتّب له

ما يكفيه ، واستمرّ طرخانا إلى أن مات . - وفيه أخلع السلطان على الشيخ

ناصر الدين بن الإخيمى الحنفى ، أحد أئمة السلطان ، وقرّر فى مشيخة البروقية ،
عوضاً عن قاضى القضاة الأمشاطى . - وفيه خرج المحمل من القاهرة فى تجمّل زائد ،
وكان أمير ركب المحمل تفرى بردى ططر (٢٠١ آ) أحد القديمين ، وأمير ركب
الأول يشبك من حيدر والى القاهرة .

وفى ذى القعدة وصلت جثة الأمير يشبك الدوادار من الرّثا وهى فى سحلية ،
وهى جثة بنير رأس ، فوقع الشك فى أمرها ، هل هى جثته أم لا ؟ فوجدوا بها
أماير تدلّ على أنها جثته ، فكفّنوها ودفنوها فى تربته التى عند زاوية كهنبوش ،
وتحقّق موته ، وانقطعت الإشاعات بأنّه فى قيد الحياة ؛ وحضر صحبة جثته قانصوه
دواداره ، وأخبر بحقيقة موته وكيفية أمر الواقعة ، ومن أسر من الأمراء ، وأخبر
بقتل قائم قريب السلطان الذى كان أتابك المساكر بحلب ، قُتل على ماردین ، وكان
من جملة من أسر من المسكر ، وكان شجاعاً بطلاً لا بأس به ؛ فلما ثبت موت الأمير
يشبك قامت النقباء من على بابّه وشالوا الدكة ، وزال كأنه لم يكن بمصر . - وفيه
وصل شرف الدين بن عید الدمشقى الحنفى ، الذى أرسل السلطان خلفه ليلى قضاء
الحنفية ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان ، وأقرّه فى قضاء الحنفية ، عوضاً
عن الأمشاطى .

وفى ذى الحجة أخلع على تفرى بردى من يلباى الظاهرى ، خازن دار الأمير
يشبك الدوادار ، وقرّر فى الأستاذارية ، عوضاً عن مجد الدين بن البقرى ، ورسم على
مجد الدين ليقم الحساب ، وكان فى ذلك دماره . - وفيه توفى دولات باى بطيخ
الأبوبكرى المؤيدى ، أحد العشرات ورءوس النوب ، وكان لا بأس به . - وفيه
جاءت الأخبار من حلب بقتل محمد بن حسن بن الصوّا الحلبي ، نائب قلعة حلب ،
وكان من أخصاء السلطان ، ناروا عليه أهل حلب بسبب مظالم أحدثها بحلب ،
فقتلوه العامة ، (٢٠١ ب) وقُتل أيضاً فرج بن أغلبك حاجب الحجاب بحلب ،
وكان ريساً حشماً من أعيان أهل حلب ، وكان لا بأس به . - وفيه مات مشنوقا

شيخ عربان الشرقية قاسم بن بيار بن بقر بن راشد ، وكان من خيار بني بقر . -
وتوفى أبو بكر جر كس ، مقدم البريدية ، وأحد الحجاب بمصر ، وكان ريسا حشما
لا بأس به ، انتهى ذلك .

٣

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمائة

- فيها في المحرم في رابعه أخلع السلطان على آقبردى من على باى قرابته أحد المقدمين ،
وقرّره في الدوايرية الكبرى ، عوضا عن يشبك من مهدى ، بحكم قتله بالرُّها ،
فزل من القلعة في موكب حافل ، وسكن في دار الأمير يشبك ، ورسم له السلطان
بجميع فرش الأمير يشبك وبركه وأوانيه ، وما كان في بيته عن آخره ، فجاءت إليه
السعادة بفتة وهو لا يشمر بها ، كما قيل : مصائب قوم عند قوم فوائد .
- وفيه أخلع السلطان على ألامس وقرّره في نيابة صفد ، فخرج عن قريب ، وخرج
صحبته تانى بك الجمالى ، أحد المقدمين ، إلى جهة حلب ، هونة للأتابكي أربك ،
فطلب وخرج ، وكان له يوم مشهود . - وفيه ثارت ريح شديدة عاصفة ، وثارت منها
غبار أصفر يأخذ بالأنفاس ، واستمرّ من قبل الزوال إلى نصف الليل ؛ ثم في عقيب
ذلك في يوم الأربعاء سابع عشر هذا الشهر ، كانت زلزلة مهولة بمصر والقاهرة ،
ماجت منها الأرض ، وتحركت المآذن ومالت ، وتمع للأرض دوى كدوى الرحا ،
وكان ذلك بعد العصر ، فاستمرت نحو ثلاث درج وهى في اضطراب ، حتى دهشت
منها الناس ، وخرجن النساء من البيوت وهن حاسرات (٢٠٢ آ) عن وجوههن ،
وحصل للناس غاية الرعب .

- ومات من هذه الزلزلة قاضى القضاة شرف الدين موسى بن عيد الدمشقى الحنفى ،
كان جالسا بإيوان المدرسة الصالحية ، فقام حين وقعت الزلزلة ، فسقط عليه ساقط من
أعلا الإيوان ، فمات لوقته ، وكان عالما فاضلا دينيا خيرا ، بمث السلطان خلفه من
دمشق إلى مصر ، وولاه قضاء الحنفية ، فأقام بها ثمانية وخمسون يوما ومات ،

وكان سبب موته من الزلزة ، وكان أصله من عجلون ، وهو موسى بن أحمد بن عبيد
الدمشق الحنفي ، وكان تولى قضاء دمشق ، ثم طُلب وولى قضاء مصر ، وكان مولده
سنة ثلاثين وثمانمائة ، فلما أخرجت جنازته نزل السلطان من القلعة وصلى عليه ،
وَدُفِنَ بالصحراء .

ومات من الزلزة عقيب ذلك الزيني أبو بكر بن القاضي عبد الباسط ، ناظر
الجيش كان ، وكان ريسا حشما ، نادرة في أبناء الناس ، ذات شهامة وعظمة ، وكان
من أخصاء السلطان ، وكان عليلا فمات مرجوحا من الزلزة حين ماج به البيت ،
وكان في سعة من المال وانفماش والبرك ، وولى من الوظائف نظر الجوالى ، وأستادار
الأغوار ، وغير ذلك من الوظائف .

وفيه أخلع السلطان على قانصوه من طراباي المعروف بخمسة الأشرفي ، وقرّر
في الأمرة الآخورية الكبرى ، عوضا عن قجاس الإسحاق ، بحكم انتقاله إلى نيابة
الشام ، وكان قانصوه خمسة يومئذ شابا كما بدا عذاره ، وولى الدوادارية الثانية
وهو لابس الكوفية التي بالقندس ، فلما بقي أمير آخور كبير بمث له السلطان
بشاش فلف له تخفيفة كبيرة . - وفي هذا الشهر أنعم السلطان على جماعة من الأمراء
بتقادم ألوف منهم : أزدمر تمساح ، ويشبك الجمالى الزردكاش الكبير ، وأزدمر
المسرطن (٢٠٢ ب) الظاهري .

وفيه قرّر في قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين بن القصيف ، عوضا عن تاج الدين
ابن عرب شاه ؟ وقرّر شهاب الدين بن فرفور الدمشقي في قضاء الشافعية بدمشق ،
عوضا عن العبدوى ، وعزل العبدوى ، وكان ابن فرفور قرّر قبل ذلك في نظر الجيش
بدمشق ، فجمع بين نظارة الجيش وبين قضاء الشافعية ، وعزل عن نظارة الجيش
الشريف موفق الدين الحموى ، وأودع في السجن بقلعة دمشق ؟ وأخلع على قطب الدين
الخيضرى ، وقرّر في كتابة السرّ بدمشق ، فانفرد بكتابة السرّ دون قضاء الشافعية ،
وكان قبل ذلك متولّى قضاء الشافعية بدمشق .

وفيه قدم قاصد ملك الحبشة ، فأوكل له السلطان بالحوش موكبا حافلا ،

من غير شاش ولا قاش ، فجلس السلطان على الدكة وحوله الأمراء ، فلما دخل قاصد ملك الحبشة على السلطان ، كان صحبته جماعة من الحبشة ومعهم كراسي يجلسون عليها بمحضرة السلطان ، فنموم الروس النوب من ذلك ؛ ثم إن ٣ السلطان أكرم القاصد وأخلع عليه ، وأنزله في مكان قد عُدَّ له ، ورتب له ما يكتفيه في كل يوم إلى أن عاد إلى بلاده ؛ وحضر صحبته مقدمة حافلة للسلطان ، فأكرم ذلك القاصد جدا ؛ وسبب حضوره أنه جاء يسأل البطريرك بأن يوَلَّى شخصا ٦ يكون نائبا عنه بيلادم .

وفي صفر أخلع السلطان على الأمير قنبك جشعة ، وقرّر في الرأس نوبة الثانية عوضا عن أزدمر تمساح ، بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وقرّر في الحجوبية الثانية تاني ٩ بك الأينالى ، عوضا عن قنبك جشعة ، بحكم انتقاله إلى رأس نوبة تاني . - وفيه نزل السلطان إلى جهة قليوب ، وكان يوم الجمعة ، فلما عاد صلى الجمعة في قبة الأمير يشبك التي بالطرية ، وتوجّه قاضي القضاة الشافى وخطب به هناك . ١٢

وفيه جاءت الأخبار من المدينة الشريفة ب وفاة أئبال الإسحاق الظاهري ، أحد العشرات ، وشيخ الحرم الشريف النبوي ، وكان إنسانا حسنا (٢٠٣ آ) خيرا دينيا ، وله اشتغال بالعلم ، وكان لا بأس به . - وفيه أخلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين محمد الغزى بن الغربى ، وقرّره في قضاء الحنفية ، عوضا عن ابن عيد ، ولم يكن هذا الغزى أهلا لولاية قضاء الحنفية ، ودُلّس على السلطان أمره ، وكان الساعى له في هذه الوظيفة تفرى بردى الأستاذ دار يعقوب شاه المهندار ، وقد مرّ ذلك على جماعة ١٨ من الحنفية ، وكان فيهم يومئذ من هو أولى بذلك من الغزى .

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن الأتابكى أزيك ، لما وصل إلى حلب ، وجد أمر الفتنة التي وقعت بين عسكر مصر وبين باينذر قد سكن أمرها ، وأن يعقوب ٢١ ابن حسن الطويل شقّ عليه ما فعله باينذر من سرعة قتله للأمير يشبك الدوادار ولأمره على ذلك ؛ ثم إن الأتابكى أزيك أرسل جاني بك حبيب قاصدا إلى عند يعقوب ابن حسن ، فتلطف به في الكلام ، وكان الأمير جاني بك حبيب سيوسا دربا حلو ٢٤

اللسان ، فأكرمه يعقوب وأجلّه ، ثم أطلق من كان عنده من الأسراء من النواب والأمراء وغير ذلك ، فسلمهم للأمير جاني بك حبيب ، فأتى بهم إلى حلب محبته ، فلما سمع السلطان بهذا الخبر سُرّ به جدا .

وفيه أخلع السلطان على البدرى حسن بن الطولونى ، وأعادته إلى معلمة المعلمين وكانت قد أخرجت عنه مدة طويلة . - وفيه نزل السلطان وتوجه إلى الخانكة ، فأعجبه مكان عند قناطر المرج والزيات ، فأمر ببناء زاوية هناك وحوض وسبيل ، وأخذ في أسباب ذلك وجاء من أحسن البناء . - وفيه توفى القاضى (٢٠٣ ب) سعد الدين الكماخى ، أحد نواب الحنفية وهو إبراهيم بن محمد بن محمد بن قطلو بك الحنفى ، شيخ المدرسة الظاهرية المتيقة ، وكان عالما فاضلا ريسا حشبا أدوبا ، محمود السيرة فى قضائه ، وكان لا بأس به .

وفى ربيع الأول جاءت الأخبار بوفاة السلطان المعظم الفخّم المجاهد المغازى ، ملك الروم ، وصاحب مدينة القسطنطينية العظمى ، وهو محمد بن مراد بن أبى يزيد ابن عثمان ، وكان ملكا جليلا معظما ، ساد على بنى عثمان كلهم ، وانتشر ذكره بالعدل فى سائر الآفاق ، وحاز الفضل والعلم والعدل ، والكرم الزائد ، وسعة المال ، وكثرة الجيوش ، والاستيلاء على الأنفاليم الكفرية ، وفتح الكثير من حصونها . وقلاعها ، وكان ملك أمر الروم فى حياة أبيه ، ثم استقلّ به من بعده ، ومكث به مدة طويلة يزيد على إحدى وثلاثين سنة ، ومولده بحد الأربمين والثمانمائة ، ولما مات تولى بعده ابنه أبو يزيد يلدرم الموجود الآن ؛ فلما بلغ السلطان ذلك أظهر الحزن والأسف عليه .

وفيه أخلع على الملاى على بن الصابونى ، وقرّر فى نظر الخاص ، عوضا عن بدر الدين بن الكؤيز ، بحكم وفاته ، وقد جمع بين نظر الخاص ووكالة بيت المال . - وفيه عمل السلطان الولد النبوى ، وكان حافلا . - وفيه أخلع على يشبك من حيدر والى القاهرة ، وقرّر فى أسرة الحاج ركب المحمل ، وقرّر الشهابى أحمد بن الجمالى يوسف

ناظر الخاص في أمرة الحاج بالركب الأول ، وقرّر (٢٠٤ آ) شاهين الجمالي في نيابة جدة ، ويخرج حجة الشهابي أحمد ناظر الجيش ، ويكون هو المتكلم على الحاج بالركب الأول .

٣

وفي ربيع الآخر نزل السلطان وتوجّه إلى قبة يشبك التي بالمطرية وبات بها ، وصلى صلاة الجمعة هناك ، وخطب به محمد بن دمرداش إمام القبة ، وعمل هناك بعد الصلاة ميمادا بحضرة السلطان ، فأنتم عليه بمائة دينار . - وفيه نزل السلطان وعدّى إلى جهة الروضة ، وأمر بتجديد الجامع الذي هناك تجاه المنشية ، وكان ثلاثى أمره فأمر بهدمه وتجديده ، وكان الشاد على عمارته البدرى حسن بن الطولونى .

٩

ثم إن السلطان توجّه إلى المقياس ، ونزل عن فرسه ، ودخل إلى قاعة المقياس ، وأمر بتجديد بعض أماكنه وإصلاح أساسه وغير ذلك ؛ ثم إن السلطان صار يتردّد إلى الروضة ويكشف عن بناء هذا الجامع ، حتى انتهى العمل منه في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقد جاء غاية في الحسن والتزخرف ، وصار يعرف بجامع السلطان ؛ وكان أصل من أنشأ هذا الجامع الفخر ناظر الجيش ، وهو صاحب القنطرة ، الذى أنشأه في دولة الناصر محمد بن قلاون ، ثم جدّد بناءه الصاحب شمس الدين محمد بن المقسى ، فرُف به ، ثم جدّد بناءه الأشرف قايتباى ، فرُف به ، وجاء من أحسن البناء هناك .

١٥

وفي جمادى الأولى توفى علان الأشقر من ططخ الأشرفى ، أحد العشرات ورءوس النوب ، وهو الذى أنشأ الحوض والسبيل بطريق بركة الحاج ، وكان لا بأس به . - وفيه أخلع السلطان على أبنال السلحدار نائب الإسكندرية ، وقرّره في نيابة طرابلس (٢٠٤ ب) عوضا عن بُرد بك الممار ، بحكم قتله في واقعة بايندر ؛ وأخلع على جكم قرا الظاهرى أمير آخور الجمال ، وقرّره في نيابة الإسكندرية ، عوضا عن أبنال السلحدار ، بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس .

٢١

وفيه توفى الأمير لاجين الظاهرى أمير مجلس كان ، وقد شاخ وكبر وجاوز التسعين سنة من العمر ، وكان ديناً خيراً ، ريساً حشماً ، وكان في شبابه من الشجمان ،

٣ وولى عدة وظائف سنّية ، منها : الزردكاشية الكبرى ، ثم شادية الشراب خاناه ، ثم بقى مقدّم ألف ، ثم بقى أمير مجلس ، واستعفى من ذلك ومات بطالا ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى شاد بك طاز اليوسفى الظاهرى أحد العشرات ، وكان لا بأس به . - وفيه أخلع على قائم الفقيه الأشقر الظاهرى ، وقرّر فى مشيخة الخدام بالحرّم الشريف النبوى ، عوضا عن أينال باى الإسحاق بحكم موته .

٦ وفى جمادى الآخرة جاءت الأخبار من حلب من عند الأتابكى أوزبك ، بأن الجمجمة بن عثمان ملك الروم قد وقع بينه وبين أخيه أبو يزيد ، وأن جمجمة قد وصل إلى أطراف بلاد السلطان ، وبمّ يستأذن فى الدخول إلى حلب ، فماد الجواب من السلطان للأتابكى أوزبك بأن يحضر إلى القاهرة فى قليل من عسكره ، ثم إن السلطان أخذ فى أسباب تجهيز الملاقة إليه إلى أن يصل إلى مصر . - وفيه كان وفاة النيل المبارك ، وقد أوفى فى خامس عشر مسرى ، فلما أوفى رسم السلطان للأمير أوزبك اليوسفى بأن يتوجه ويفتح السدّ ، وكان الأتابكى أوزبك غائبا فى حلب كما تقدم . ١٢

وفى رجب طلع (٢٠٥ هـ) القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فوقع فى المجلس كلام يتعلّق بالشهابى أحمد بن العيى ، بسبب تركه شرف الدين بن كاتب غريب ، وكان أثبت بعض نواب المالكية دعوى ابن العيى وحكم له ، ثم وقف أمر هذه الدعوى مدة طويلة ، فلما طلع القضاة فى أول هذا الشهر ، فأخذ السلطان يسأل القاضى المالكي والشافى : ما السبب فى تأخّر ذلك بعد أن ثبت حق ابن العيى وحكم له بذلك ؟ فطال الكلام فى المجلس بين القضاة ، فحنق منهم السلطان ، فقام كاتب السرّ ١٨

يتكلم للقضاة من نوع المساعدة لهم ، فقال له السلطان : أنت معزول ، والقاضى الشافى والقاضى المالكي ؟ فنزلوا إلى دورهم وهم فى غاية الفكّد ، وكان ذلك آخر عزل ولى الدين الأسيوطى ، ولم يل بعد ذلك القضاء ، وكذلك برهان الدين اللقانى ، فكانت مدة ولى الدين الأسيوطى فى قضاء الشافمية نحو من ست عشرة سنة ، وكان مشكور السيرة فى قضائه .

٢٤ ثم أخذ السلطان فى أسباب من يلى قضاء الشافمية ، فترشّح أمر الشيخ زين الدين

- زكريا ، فطلب وأخلع عليه وولى القضاء ، وقد تمتع من ذلك إلى الغاية ، ثم أشرط على السلطان شروطا كثيرة ، فأجيب إلى بعضها ، ونزل من القلعة في موكب حافل ، واستمر في هذه الولاية مدة طويلة ، وقد أخذ عن ولى الدين الأسيوطى بحكم صرفه ٣ عنها ، وكان الشيخ زكريا يومئذ رأس الشافعية ؛ ثم إن السلطان طلب الشيخ محي الدين ابن تقي المالكي ، وأخلع عليه وأقره في قضاء المالكية ، عوضا عن برهان الدين اللقاني بحكم صرفه عنها ، واستمر (٢٠٥ ب) في هذه الولاية إلى أن مات . ٦
- وأما القاضي كاتب السر ابن مظهر ، فإنه أقام في داره نحو ثمانية عشر يوما وهو منفصل عن كتابة السر ، ثم إن بعض الأمراء مشى بينه وبين السلطان في عودته إلى وظيفته ، بعد ما كان قد ترشح أمر قطب الدين الخيضرى بأن يلى كتابة السر ، ٩ ثم إن ابن مظهر أورد للسلطان مالا له صورة حتى رضى عليه ، فلما طلع إلى القلعة أخلع عليه السلطان وأعادته إلى وظيفته ، ونزل من القلعة في موكب حافل ، وتخلق جماعته بالعرفان ، وزُيِّنَتْ له حارة برجوان ، وهنأه الأديب أبو الخير بن النحاس بقوله فيه : ١٢
- مقام ابن مظهر فوق السها وقد زاد رقى إجلاله
وظيفته الدهر تسمو به ولم تكن تصلح إلآ له
- وقال آخر : ١٥
- يا كاتب الأمرا ر يا من فضله قد جمل الدنيا وزان المنصبا
هذى وظيفتك التى فارقتها عادت إليك فرحبا بك مرحبا
- وفيه حضر برقوق الساقى الأبنالى أحد العشرات ، وكان ممن أُرْسِر عند بايندُر ١٨ وحضر محبته إياس مملوك الأنابكى أربك ، وأخبر بأن النواب والأمراء الذين كانوا فى الأمر عند بايندُر قد أطلقوا أجمعين ، ودخلوا إلى حلب محبة جاني بك حبيب ، وقد أخلع عليهم يعقوب بن حسن الطويل ؛ ثم أخبر إياس المذكور بأن جمجمة ٢١ ابن عثمان قد خرج من غزّة وهو قاسد للديار المصرية ، فلما أخبر (٢٠٦ آ) السلطان بذلك أخذ فى أسباب ملاقة الجمجمة . - وفيه توفيت خوند بنت الملك

النصور عثمان بن الظاهر جقمق ، وهى زوجة الأمير تمتاز الشمسى رأس نوبة النوب ، وكانت شابة جميلة ماتت نفسها بعد أن وضعت . - وفيه قرر عماد الدين إسماعيل الناصر الحنفى الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق ، عوضا عن ابن القصيف بحكم انفصاله عنها .

٣

وفى شعبان خرج الصاحب خُشقدم الزمام إلى ملاقاتة ججيمة بن عثمان ، فدّله أسمطة حافلة ببليس والخانكة ، ثم لاقته الأمراء المقدّمين والمسكر ورءوس النوب والحجاب من المرج والزيات ، فسار فى موكب حافل حتى طلع إلى القلعة من بين التّرب ، فأقام له السلطان الموكب بالحوش ؛ فلما مثل بين يدى السلطان وهو جالس على الدكة ، فتحرّك له ولم يقم ، فمدّ ذلك ناقصة من الأشراف قايتباى ؛ ثم أخلع على الججيمة كاملية بصمور حافلة ، وأركبه فرسا خاصا من مركوبه بسرّج ذهب وكنبوش زركش ، ونزل من القلعة فى موكب حافل ، وقدّاهم الأمراء ورءوس النوب ، وكان له يوم مشهود ، وقد قلت فى المعنى :

١٢

يا أيها الملك الهمام ومن له أسدُ الفلا تاتى إليه مُلجَمَه

قد فاق قدرك فى الملوك تماظا مُدْصَح بين يديك نطقُ الججُمه

فأنزلوه بدار ابن جلود ، كاتب المالك ، التى بقمُ الخور ، وقد حضر صحبة الججيمة والدته وأولاده وعياله ، وقد فرّ من أخيه أبو يزيد خوفا على نفسه من القتل ، فالتجأ إلى سلطان مصر . - وفيه قبض يشبك من حيدر وإلى القاهرة على امرأة يقال لها خديجة الرحابية ، وكانت من أعيان مغانى مصر ولها إنشاد لطيف ، وكان أصلها من مغانى العرب ، ثم عظم أمرها جدا وحظيت عند أرباب الدولة ورؤساء مصر ، وكانت جميلة الشكل حسنة الغناء ، فافتتن بها الكثير من الناس ، حتى (٢٠٦ ب) قال فيها بعض الشعراء :

٢١

رَحَابِيَّة تحفى الشموس جمالها لها حسن إنشاد تزين مقالها

وقد خايلتُ بالبدر ليلة نمتها فما زال من عيني وقلبي خيالها

وكانت تحايل مع مغانى العرب فى السامر بالشامية ، ثم عظم أمرها وصارت

٢٤

من جملة الأعيان ، فلما قبض عليها يشبك كانت في بعض الأفراح ، فقبض عليها من هناك ، فلما مثلت بين يديه قال لها : أأنتى التى أفسدتى أعيان الناس ؟ ثم أمر بضربها بين يديه ، فصُربت نحواً من خمسين عصاة ، وقرّر عليها مبلغ له صورة ، وكتب ٣ عليها قسامة بأنها لا تنفى ولا تحضر فى مقام ؟ فلما خلصت من ذلك أقامت مدة وهى مريضة من الرجفة التى وقعت لها ، ثم ماتت عقيب ذلك ، وكان لها من العمر دون الثلاثين سنة ، فتأسّف عليها الكثير من الناس ، انتهى ذلك . ٦

وفى هذا الشهر كان ختان أولاد القاضى كاتب السرّ ابن مُزهر ببركة الرطلى ، فكان له مهمّ حافل جداً ، وحضر عنده جماعة من الأمراء المقدمين والمشرّات ، وحضر عنده جمجمة بن عثمان وبات عنده ، وكان النيل فى أواخره ، فأمر كاتب السرّ ٩ سكان البركة بأن يوقدوا فى البيوت وقدة حافلة ، وشرع يرسل لكل بيت فى البركة عشرة أرطال زيت وطبيلة فيها أكل فاخر من طعام ذلك المهمّ ، فاحتفلوا فى الوقدة وعلقوا فى الطيقان الأحمال والتنانير والأمشاط معمّرة بالقناديل ، حتى كانت البركة ١٢ تضىء بالنور ، ويكاد الإنسان أن يدخل الحيط فى حُرْم الإبرة من عظم ضوء (٢٠٧ آ) النور ، وأحرق حراقة نطق حافلة لم يُسمع بمثّلها ، حتى خرجت البنت فى خدرها بسبب الفرجة على ذلك ، وبلغ كرى كل مركب أربعة أشرفية ، واستمرت هذه الوقدة وحراقة النفط ثلاث ليال متوالية ، حتى عُدت ذلك من النوادر التى لم يقع مثّلها ، واجتمع ١٥ بالبركة نحو أربعمائة مركب موسوقة بالخلايق ، وصار ابن رحاب المغنى عمّال فى كل ليلة ، وسائر مغاني البلد من رجال ونساء ، وانطلقت ألسن النساء بالزغاريت ، واتفق ١٨ فى تلك الليالى من الأموال ما لا يحصى ، حتى قيل ابتاع من عصفور الجبّان على المتفرّجين بنحو مائة وعشرين ديناراً جُبن مقلّى ، وكذلك ابن الزبيق الحلوانى ابتاع منه حلوى بنحو ذلك ، وقد خرجت الناس فى القصف والفرجة عن الحدّ ، ٢١ وقد رسم السلطان للقاضى كاتب السرّ أن لا يبقّى ممكناً فى هذا المهمّ لأجل الجمجمة ابن عثمان ، كونه كان حاضراً فى هذا المهمّ ، وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء :

طابت على بركة الرطلى ليلتُنّا حتى تباغت على الخلجان والبرك ٢٤

خُفَّتْ بضوء مصابيح زهت وغدت تضيء في حندس الديجور والحلك
فكان لما تنأهى حسن وقدها تخفى شمس الضحى في دارة الفلك
وقال الشمس القادري :

٣

ناه الأنام بجنح الليل فاتخذوا لهم دليلا لذا الظلاء من الذهب
(٢٠٧ب) حتى كأن جلايب الدجى رغبت عن لونها وكأن الشمس لم تمب
اتمى ذلك . - وفيه عزم السلطان على الجحمة بن عثمان وأضافه بقبة الأمير شبك
التي بالمطرية ، وحضر ذلك الأمراء المقدمين ، وكانت ضيافة حافلة جدا ، وأخلى
السلطان على جحمة كاملية بصمور . - وفيه قرر الجمال يوسف بن شاهين الكركي ،
سبط بن حجر ، في وظيفة قراءة الحديث الشريف بالقلمة ، عوضا عن برهان الدين
ابن الكركي الإمام ، وكان السلطان تغيّر خاطره على ابن الكركي واختفى مدة
طويلة . - وفيه أحضر شخص من العرب بين يدي السلطان سينا من نواجد بني آدم
من نسل المعاليق ، فكان زنته ستة أرتال ونصف ، فتمجّب السلطان من ذلك .
وفي رمضان ثارت رياح من جهة الغرب ، وكانت عاصفة جدا ، وأظلم بسببها
الجوّ وأرعد وأبرق ، ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا ، وكان ذلك للطرف غير أوانه
في أواخر بابه ، ثم جاءت الأخبار من دمياط بأن هذا الريح كان قوته بدمياط ، وقد قلع
عدة أشجار وهدم بعض أماكن وأغرق عدة مراكب من مراكب الفرنج ، وكان
ريحا مهولا جدا .

١٢

وفيها جاءت الأخبار من المدينة الشريفة ، بأن في ليلة ثالث عشر هذا الشهر ،
سقطت صاعقة عظيمة في أواخر الليل على المسجد الشريف النبوي ، فأحترق منها المنارة
التي تجاه القبر الشريف ، واحترق سقوف المسجد جميعها ، والمنبر والحيطان والأعمدة
والأبواب ، وما سلم من ذلك سوى القبة الشريفة وبعض حيطان القصور ، وقُتل
المؤذن الذي كان على المنارة وقت نزول (٢٠٨ آ) الصاعقة ، وقُتل أيضا جماعة ممن
كان بالحرم الشريف ، فكتب بذلك محضر وثبت على قضاة المدينة ، وكان مما كُتب

٢١

في المحضر أن المؤذن لما طلع على المئذنة الشرقية لأجل التسييح ، فرأى ساعة عظيمة
 نزلت من السماء على المسجد الشريف ، فعملت فيه النار ، فلما عاين المؤذن ذلك خرس
 ونزل من المئذنة ، فأقام ساعة ومات ، وقد عاينوا الناس عدة أطيّار بيض بأعناق ٣
 طوال طائفة حول المسجد ، تمنع النار أن لا تحرق البيوت التي حول المسجد ، وأن
 المسجد جميعه قد احترق حتى صار كالتنور ؛ فلما سمع السلطان ذلك بكى وبكى من كان
 حوله ، وتعجب الناس لهذه الواقعة كيف جرت في مثل هذا المكان الشريف ، ٦
 فأخذ شيخنا شمس الدين محمد القادري يمتدّر عن ذلك ، وهو قوله :

بطيبة سيّئات الركب بدّلها ربّ الملا حسنات عند ما زاروا
 وعند ما قبلت ضاهت لدى حرم المختار من أكلت قربانه النار ٩
 واعتذر آخر عن ذلك :

لم يحترق حرم النبي لحادث يُخشى عليه ولا دهاه المار
 لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجنب فطهرته النار ١٢
 واعتذر آخر عن ذلك :

قالوا لقد غاب الصواب لحادث تبني عليه رضام الكفار
 بل ضمّ شمل السحت وهو محرم عند الرسول فحرّقه النار ١٥
 ثم إن السلطان شرع في تجديد عمارة المسجد الشريف ، فعين الخواجا شمس
 الدين محمد بن الزمن ، بأن (٢٠٨ ب) يتوجّه إلى المدينة الشريفة لعمارة المسجد ،
 وأرسل معه عدة من البنائين والنجارين والمرخين وغير ذلك ، وأمر بهدم القبّة ١٨
 الشريفة وإعادتها ، وتغيير المقصورة وتجديد غيرها من الحديد المحرم ، وكانت من
 الخشب ، وتغيير المنبر والمآذن التي كانت بالحرم ؛ ثم توجّه ابن الزمن إلى هناك
 وشرع في البناء ، حتى انتهى منه العمل في أواخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، فجاء ٢١
 غاية في الحسن ، من أجل الأبنية وأعظمها ، حتى قيل إن السلطان أصرف على بنائه
 نحواً من مائة ألف دينار ، وجدّد سائر معالنه وتناهى في زخرفته ورخامه إلى الغاية ؛

ووقع مثل هذه الحادثة في حرق المسجد الشريف سنة إحدى وخمسين وستائة ، في
أواخر دولة أيك التركاني .

٣ وفي هذا الشهر وصل قاصد يعقوب بن حسن الطويل ، وعلى يده مكاتبة من عند
يعقوب ، وهو يمتدّر فيها مما وقع من بايندُر ، وأن ذلك لم يكن يعلمه ، فكتب
السلطان القاصد بسبب ما وقع من بايندُر ، وسرعة قتله للأمير يشبك ، ثم أضاف
٦ القاصد ، وأخلع عليه ، وأذن له بالسفر . - وفيه نزل السلطان إلى قبة الأمير يشبك
الدوادر التي في رأس دور الحسينية ، فكشف عليها ورسم للأمير تفرى بردى
الاستادار بأن يكمل عمارتها ، فإن الأمير يشبك مات ولم يتمّ بنائها .

٩ فلما رجع السلطان شقّ من القاهرة ، فقام إليه الناس قاطبة وضجّوا له بسبب
الفلوس الجدد وغلوّ البضائع ، فلما طلع إلى القلعة رسم بمقد مجلس بالمدرسة
الصالحية ، فاجتمع القضاة الأربعة وكاتب السرّ وناظر الخالص الملاي بن الصابوني
١٢ والمحتسب ، ثم أخذوا يتكلمون في أمر الفلوس ، وكان ناظر الخالص ضرب فلوسا
جددا عليها اسم السلطان ، وقصد أن يخرجها بأعلى من الفلوس (٢٠٩ آ) المتق ،
فلما تكلموا في أمر الفلوس المتق أخذ ناظر الخالص يمارض في ذلك لأجل غرضه ؛
١٥ فلما سمع العوام بذلك ثاروا عليه في وسط المدرسة الصالحية ورجوه ، ولولا كاتب
السرّ كانوا قتلوه ، فلما طال المجلس في ذلك اتّفق الحال على أن تكون الفلوس كلها
المتق والجدد بالميزان ، بستة وثلاثين الرطل ، فنادوا في القاهرة بذلك ، فسكن
١٨ الأمر قليلا .

وفي شوال كان موكب العيد حافلا ، ورسم السلطان للجمجمة بن عثمان بأن
يلبس الشاش والقماش ، ويطلع يصليّ مع السلطان صلاة العيد ، فطلع وصليّ وحضر
٢١ الموكب ، وأخلع عليه السلطان مثمرا وفوقاني بطرز عريض ، ونزل مع الأمراء
المقدمين وهو بالشاش والقماش . - وفيه أخلع السلطان على بيبرس الرجبى قريبه ،
وقرّره في شاذية الشراب خاناه ، عوضا عن ألماس بحكم انتقاله إلى نيابة صغد . -

- وفيه أخلع السلطان على قريبه تميز الشمسى ، وقرّره فى أمرة السلاح ، وكانت هذه الوظيفة شاعرة من حين قُتل الأمير يشبك الدوادار . - وفيه خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان أمير الحمل يشبك من حيدر والى القاهرة ، وأمير ٣ الركب الأول الشهابى أحمد بن الجمال يوسف ناظر الخاص ، وسافر صحبته جمجمة بن عثمان هو وأمه وعياله ، وقد هبّا له السلطان بركا حافلا ، أصرف عليه مالا له صورة . - وفيه جاءت الأخبار بوصول الأتابكى أزبك إلى غزّة ، وصحبته النواب ٦ والأمراء الذين كانوا قد أسروا عند بايندر ، فأرسل السلطان هجانا إلى الأتابكى أزبك بأن يقبض على قانصوه اليحياوى ، الذى كان نائب الشام وأسر (٢٠٩ ب) عند بايندر ، ويرسله إلى القدس بطالا ، وأن بقية الأمراء والنواب يحضرون إلى ٩ القاهرة ، وكان قد بلغ السلطان بأن قانصوه اليحياوى كان سببا لكسرة العسكر وقتله يشبك الدوادار ، فعمل له ذنبا كبيرا بسبب ذلك ، فكان كما يقال :
- ١٢ له ألف ذنب لا يقرّ بواحد ولى كل يوم ألف عُذر بلا ذنب
- وفيه كان وصول الأتابكى أزبك إلى القاهرة ، فدخل فى موكب حافل ، وصحبته أزمير نائب حلب الذى كان قد أسر عند بايندر ، وكذلك برسباى قرا حاجب الحجاب ، وتانى بك قرا أحد المقدمين ، وكانوا أسروا أيضا ، فكان لدخولهم يوم ١٥ مشهود ؛ وحضر محبة الأتابكى أزبك مثقال البرهاني ، الذى كان مقدّم المالك ونقى إلى القدس بطالا ، فلما حضر من غير إذن السلطان شقّ عليه ذلك وأمر بنفيه إلى مكة فلحق بالحاج ، ثم إن الأتابكى أزبك شفع فيه وبأس رجل السلطان مرارا عديدة ١٨ فرسم بموده إلى القاهرة بطالا ، فعاد من أثناء الطريق .
- وفى ذى القعدة أخلع السلطان على قريبه أزمير ، الذى كان نائب حلب ، وقرّره فى أمرة مجلس ، وكانت شاعرة من حين عُفى عنها لاجين الظاهري ، فقرّر بها أزمير ٢١ بنير إقطاع ، فكان له فى كل شهر ألف دينار مرتبة على الذخيرة ؛ ثم أخلع على برسباى قرا ، وقرّره فى الرأس نوبة الكبرى ، عوضا عن تميز الشمسى ، بحكم
- (٧) الذين : الذى . (٩) يحضرون : يحضروا .

انتقاله إلى أمرة السلاح ؛ وأُخلع على تنرى بردى ططر ، وقرّره في حجوية الحجاب
عوضا عن برسبای قرا ، بحكم انتقاله (٢١٠ آ) إلى الرأس نوبة الكبرى ؛ وأُخلع
٣ على قانصوه النورى ، وقرّره في كشف الوجه القبلى ، وقانصوه هذا هو الذى تسلطن
فيما بعد .

وفى ذى الحجة قرر سيباى نائب غزّة في حجوية الحجاب بدمشق ، عوضا عن
٦ يشبك الملاى ، بحكم انتقاله إلى نيابة حماة ، عوضا عن جانم الجداوى ، بحكم
انتقاله إلى أنابكية دمشق ، عوضا عن شاد بك الجلبانى ، بحكم القبض عليه وسجنه
بقلمة دمشق ؛ وقرّر سودون الطويل الأينالى فى مقدمة ألف بدمشق ؛ وقرر فى
٩ نيابة غزّة دولات باى الأجرود الأينالى ، عوضا عن سيباى الذى قرر فى حجوية
دمشق .

وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى الروضة ، وكشف عن الجامع الذى أنشأه هناك . -
١٢ وفيه توفى طوخ الذى كان زردكاشا كبيرا ونُفى إلى دمياط ، ثم شُفع فيه وعاد إلى
مصر بطالاً فأت بها ، وكان أصله من ممالك المؤيد شيخ ، وكان لا بأس به . - وفيه
توفى شيخ عُربان الشرقية محمد بن عجلان بن بقر ، وكان لا بأس به ، وجرت عليه
١٥ شدائد كثيرة ومحن وكان قد شاخ وكبر سنّه ؛ وتوفى أبرك الظاهرى أحد المشرات ؛
وتوفى شاهين التاجى دوادار جانم نائب الشام ، وكان لا بأس به ؛ وتوفى فى أواخر
هذه السنة جماعة كثيرة من الأعيان لم نذكرهم خوف الإطالة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثمانمائة ١٨

فهباق المحرم جاءت الأخبار بوفاة جكم قرا الملاى الظاهرى ، نائب نهر الإسكندرية ،
وكان لا بأس به . - وفيه قدم الحاج إلى القاهرة ، وحضر ججمة بن عثمان صحبة
٢١ الشهابى (٢١٠ ب) أحمد بن الجمالى يوسف ناظر الخالص أمير الركب الأول ، فأُتم
عليه السلطان بأشياء كثيرة . - وفيه أفرج السلطان عن أمير ركب الحمل العراقى

والقاضي الذي كان معه ، وكأنا بالبرج الذي بالقلعة من أيام حسن الطويل ، وقد تقدم سبب ذلك .

وفيه تقلق جمجمة بن عثمان من إقامته بمصر ، وطلب التوجه إلى بلاده ليحارب أخيه ، فجمع السلطان الأمراء واستشارهم في ذلك ، ثم أحضر جمجمة وتكلم مع الأمراء بكلام كثير ، فأغلق عليه الأنابكي أزبك في القول ، وهو لا ينتهي عن السفر إلى بلاده ، فطال الكلام بينه وبين الأمراء في ذلك ، ثم انقض المجلس وقد أذن له السلطان بالسفر إلى بلاده على كره منه ؛ وكان ذاك عين الخطأ ، وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها ، وسندكر ذلك في مواضعه .

وفي صفر أخلع السلطان على شخص من الأراذل ، كان أصله من العوام ، يقال له محمد بن العظمة ، وكان صنعتته فرّا ، ثم سعى له عند السلطان وسائط السوء بأن يقرّره في نظر الأوقاف ، فأخلع عليه بذلك ، فلما استقر في هذه الوظيفة خصل على الناس منه غاية الضرر الشامل ، فالتزم للسلطان بما لا يورده في كل شهر له صورة ، ١٢ فصار يرسل خلف أعيان الناس من رجال ونساء ، ويرسم عليهم بسبب الأوقاف ، ويحاسبهم على الماضي والمستقبل ، ويأخذ منهم جملة مال ، وصار بابُه أنحس من باب الوالي ، والتفت عليه جماعة من الناحيس ، وصاروا يفرّغوا له الأذى تفرّما ، وكان هذا في صحيفة الأشرف قايتباي ، الذي قرب مثل هذا وسلطه على الناس ، فكان كما (٢١١آ) قيل :

لبابك بواب عن الخير مانع أضاف لقيح الوجه سوء خطابه
فساويت فيه من غدا بمنع القرى ومن يربط السكب العقور ببابه
فكان يرد هذه الأموال للسلطان ، لا يدري هي من حلال أو حرام ، كما يقال :
٢١ قيل للصبّ خرفيه حرام فتمنّى حرامه وحلاله
وفيه توفي جاني بك كوهية الإسماعيل المؤيدي ، الذي كان أحد مقدمين الألوف بمصر ، ونفى ثم عاد إلى مصر ، واستمر بطالا حتى مات ، وكان لا بأس به . -

(١٠) فرا : كذا في الأصل ، ولعله : فرّان . (٢٢) مقدمين : كذا في الأصل .

وفيه أخلع على موفق الدين الأسلمى ، المعروف بابن القمص ، وقرّر في نظارة الدولة ، وكان في خدمة صاحب خشدقم ، وهي أول شهرته . - وفيه توفى آقبردى من أصباى الأشرفى ، أحد العشرات ورءوس النوب ، وكان من ممالك الأشراف برسباى ، وسافر إلى الحجاز أمير الركب الأول غير ما مرّة ، وكان لا بأس به ، ومات فجأة ، وكان قد جاوز السبعين سنة من العمر .

٦ وفى ربيع الأول عُقد للأمير آقبردى الدوادار ، على أخت خوند زوجة السلطان ، وهي ابنة الملاى على بن خاص بك التى كانت زوجة الأمير جاتم قريب السلطان ، ناظر الجوالى أحد المقدمين ، وكان له يوم دخوله عليها مهمّ حافل . - وفيه ، فى أول يوم من بشنس ، قلع السلطان الصوف ولبس البياض ، وقد خالف العادة فى قلع الصوف بأيام ، ثم عمل المولد النبوى ، وضرب الكرة . - وفيه ضرب السلطان شخصا يقال له بلبان الكاشف ، فلما ضربه لم يعجبه ضرب الرءوس النوب ، فنزل من على الدكة وتولّى ضربه بيده من عظم (٢١١ ب) حنقه عليه . ١٢

وفى ربيع الآخر وقع بين قاضى القضاة زين الدين زكريا ، وبين الأمير دولاباى الحسنى شاد الشون ، فكانت حادثة عظيمة ، قام فيها القاضى الشافى ، فما حصل من ذلك على طائل ، وهذه الواقعة مشهورة بسبب وقف . - وفيه أخلع السلطان على الأمير أربك اليوسفى أحد المقدمين ، وقرّره فى أسرة الحاج بركب الحمل ، وقرّر دولاباى الحسنى شاد الشون فى أسرة الركب الأول . - وفيه كان ختان ولد الملك المؤيد أحمد بن الأشراف أيتال بنغر الإسكندرية ، وكان حافلا ، فأرسل يطلب على بن رحاب المغنى بسبب الرقة . ١٨

وفيه أخلع السلطان على الشيخ صلاح الدين الحنفى الطرابلسى ، وقرّره فى مشيخة المدرسة الأشرافية التى بجوار الوراقين ، عوضا عن البرهان بن الكركى ، بحكم اختفائه لما تغيّر عليه خاطر السلطان . - وفيه أخلع السلطان على أحد مماليكه ، يقال له على باى ، ٢١

وقرّره في نيابة نجر الإسكندرية ، عوضا عن حكم قرا بحكم موته ، وكان على باى هذا كاشف الشرقية يومئذ .

- ٣ وفي جمادى الأولى جاءت الأخبار بقتل سيف أمير آل فضل ، الذى خرج الأمير يشبك الدوادار بسببه كما تقدّم ، وقد قتله ابن عمه عساف في بعض بلاد العراق . -
وفيه خرج السلطان وسافر على المحجن ، ولم يُعلم إلى أين توجه ، فكثرت الكلام في ذلك بسبب سفره ، ثم ظهر بعد ذلك أنه سافر إلى بعض جهات العباسية وغيرها ، ٦ ثم رجع بعد أيام .

- وفيه جاءت الأخبار من مكة المشرفة بوفاة الأمير خاير بك من حديد ، الذى كان أحد المقدمين بمصر ، وتغيّر خاطر (٢١٢ آ) السلطان عليه كما تقدّم فنفاه إلى الشام ، ٩ فأقام بها مدة ثم نقله إلى مكة فأت بها ؛ وكان أصله من مماليك الأشرف برسباى ، وكان ديناً خيراً عارفاً بأنواع الفروسية ، وله اشتغال بالعلم وخط جيّد وفصاحة بالعربية ، مات وله من العمر زيادة على الستين سنة ، وكان من جملة الأمراء المقدمين ١٢ بمصر ، وهو صاحب المدرسة التى بزقاق حلب .

- وفي أثناء هذا الشهر كانت وفاة شاعر مصر ورأس الأدباء على الإطلاق ، ١٥ الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن خضر بن على السلى المنصورى المعروف بالهايم القاهرى الحنبلى ، وكان له شعر جيّد ونظم رقيق جدا ، وفيه يقول الناصرى محمد ابن شادى خُجا المنبرى ، وهو قوله :

- ١٨ اخترنا ملوك علم القوافى في بديع المنظوم والنثور
ما وجدنا خليفة في الممانى ملكا في البيان كالمنصورى
وكان الشهاب هذا جميل الهيئة ، نير الوجه ، متعففا عن الناس ، ولما بلغ خمس وسبعين سنة من العمر أنشأ يقول :

- ٢١ بلغتُ من دنياى سنّا به رتعتُ في سبعين والخمس
فالحمد لله الكريم الذى متعنى بالسنّ والخرس
فلما بلغ الثمانين سنة من العمر أنشأ يقول :

نحو الثمانين من العمر قد قطعتها مثل عقود الجمان
ما أحوجت يوما يميني إلى عصي ولا سمي إلى ترجمان
٣ ثم عرض له في أواخر عمره فالج ، فلزم الفراش مدة طويلة ، وانقطع في داره
عن الحركة ، فأنشأ يقول :

آه يا درهمي ويا دينارى ضعت بين الطبيب والمطّار
٦ كنت أنسى في وحدتي وشغاي من سقاي وصحتي في انكساري
(٢١٢ب) كنت تقضى ماحلى من غداء وعشاء يا منيتي أوطاري
قد حماني الطبيب عن شهواتي فاحمر يا ربّ قلبه بالنار
٩ طال شوق إلى الفواكه والبطيخ والجبن واللّبأ والخيار
ضاع لُبي على مُقاساة لُبّ القرع والمنهدبا وبزر الشمار
كلا جمع اختياري خطاما فرقته مني يد الاضطرار
١٢ ليت شمري وللزمان خطوب وبلاء يختص بالأحرار
هل ليت قضي عليه طبيب من كفيل أو آخذ بالثار
واستمر بهذا الفالج إلى أن مات ، وكان مولده سنة ثلاث وثمانمائة . - وفيه نار
١٥ جماعة من المالك الجلبان بالقلمة ، وقصدوا قتل مقدم المالك حتى فرّ منهم واختفى ،
وأحرقوا باب الزردخانه ، وكانت فتنة كبيرة ، ثم سكن الحال قليلا . - وفيه جاءت
الأخبار بأن جمجمة بن عثمان لما خرج من مصر وتوجّه إلى بلاد ابن قرمان ، بمث
١٨ إليه أخوه جماعة من عسكره فتحاربوا معه ، فانكسر جمجمة وفرّ هاربا ولا يُعلم
أين توجّه ، فندم السلطان على خروجه من مصر . - وفيه كان وفاء النيل المبارك
وتوجّه الأتابكي أزبك وفتح السدّ على العادة ، وكان له يوم مشهود . - وفيه هجم
٢١ للصمص تحت الليل على قيسارية جركس ، وقتلوا البوّاب وأخذوا من الدكاكين
أشياء كثيرة (٢١٣آ) ولم تنقطع في ذاك شاتان .

وفيه أنعم السلطان على الناصري محمد بن الأتابكي أزبك بأمره عشرة ، وأرسل

- إليه بشاش فلف له تخفيفة . - وفيه توفيت خوند شقرا ابنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق ، زوجة الأتابكي جرباش كُرت ، وكانت من مشاهير الخوندات ، فزل السلطان وصلى عليها . - وفيه جاءت الأخبار بأن جمجمة بن عثمان لما فر من عسكر أخيه خرج عليه بمض الفرنج ، وكان في مركب في البحر الملح ، فأسره ، وقد ذهب جميع ما كان معه من مال وقاش وغيره ، فكان خروجه من مصر عين الغلط . -
- ٦ وفيه هلك بطرك النصارى اليعاقبة ، وكان عند أهل ملته مشكورا .
- وفي شعبان صنع الأتابكي أربك في الأربكية حراقة نفط ووقدة حافلة ، وكانت ليلة مشهودة . - وفيه رسم السلطان بعمارة سور البيرة ، فجاء من أحسن الباني ، وأتفق عليه مال له صورة . - وفيه جاءت الأخبار من المدينة الشرفة ، بأن السلطان أنشأ هناك مدرسة وجعل لها شبائيك مطلة على الحرم النبوى ، فقامت على السلطان الأشلة بسبب ذلك ، وأفتى بعض العلماء بأن ذلك لا يجوز ، فإن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت كرمته وهو حي ، وقد أجاز ذلك بعض علماء الجاه . - وفيه
- ١٢ توفى الناصرى محمد بن الأتابكي جرباش كُرت ، وهو ابن خوند شقرا الماضى ذكر وفاتها ، فكان بينه وبين وفاة والدته نحو من شهر ، وقد مات فجأة ، وقيل وقع بينه وبين سرور شاد الحوش السلطانى ، (٢١٣ ب) وكان طواشى والدته قديما ، فحق منه الناصرى محمد فتناول فصا من الماس وابتلمه ، فمات من ليلته ، وكان ريسا حثما ، لطيف الذات ، فكه المحاضرة ، لا بأس به .
- ١٨ وفي رمضان توجه صاحب خُشقدم إلى جهة الوجه القبلى بسبب ضمّ الملّ . - وفيه كان قراءة صحيح البخارى ، وختم وقرئت الخلع على القضاة والعلماء ، وكذلك الصرر ، وكان ختما حافلا . - وفيه خسف جرم القمر ، ودام في الخسوف نحو من خمسين درجة . - وفيه توفى قاضى الحملة أوحى الدين محمد الميجيمى ، وكان ريسا حثما لا بأس به . - وفيه رسم السلطان بنى دولات باى من مصطفى نائب غزّة ، فنفى إلى مكة الشرفة .

وفي شوال ظهر قاسم شغيتة الذي كان وزيرا ، وكان له مدة وهو مختفى ، فلما ظهر أخلع عليه السلطان كاملية حافلة ، وقرّره في نظر الدولة ، عوضا عن موفق الدين بن القمص الأسلى . - وفيه حضر صاحب خُشقدم من السفر ، فلما حضر رسم السلطان عليه لعمل الحساب . - وفي هذا الشهر وُلد للسلطان ولد ذكر من سريته أصل باى الجركسية ، فسماه محمدا ، وهو الذى تسلطن من بعده . - وفيه خرج الحمل من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل أربك اليوسفى أحد المقدمين ، وبالركب الأول دولات باى الحسى شاد الشون .

وفي ذى القعدة رسم السلطان للقضاة والشهود أن لا يمددوا لمملوك من ممالكه ، حتى يأخذوا الإذن من أغاته . - وفي هذه الأيام تزايد شرّ جماعة من المالك الجلبان وصاروا يأخذون شئ الناس (٢١٤ آ) بلاش من دكاكين التجار وغيرهم ، وحصل للناس منهم غاية الضرر الشامل . - وفيه توفى محب الدين كلب المعجم ، واسمه عبد الرحمن بن حسن بن الأمين الحلبي الحنفى ، توفى بالبيارستان ، وكان فاضلا شاعرا ماهرا ، وله خط جيد ، وكان عشير الناس فكه المحاضرة ، وكان من أخصاء الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير كان ، لكنه كان مسرفا على نفسه يميل إلى محبة الأحداث ، وله فيهم أشعار كثيرة ، وكان جاهلا مخترقا ، ومما داعبه به الشهاب المنصورى رحمة الله عليه ، وهو قوله :

في ملاح لك شتى صَيَّف القلب وشتا

كم ليال مع مليح يا محب الدين بَقا

خده بستان حُسن حبذا البستان بُستا

أنت بالصبيان صبّ لو رأيت البنت بنتا

٢١ وفيه توفى أبو الفتح محمد المنصورى أحد الباشرين ، وكان ريسا حشما لابأس به . - وفيه قدم الأمير تمرّاز الشمسى أمير سلاح ، وكان مسافرا في البحيرة ، فأخلع عليه

(١٠) يأخذون : يأخذوا . (١٥) مخترقا ، أورد المؤلف هنا بيتين من الشعر ، يمكن قراءتهما في طبعة لستانبول ج ٣ ص ١٩٢ .

السلطان ونزل إلى داره في موكب حافل .

وفي ذى الحجة كانت الأنحية غالية ولا توجد إلا قليلا ، فحصل للناس غاية القلق

- بسبب ذلك . - فيه قبض السلطان على شخص يقال له الشريف الألفاني ، زعموا ٣
أنه قد قتل زوجته ، (٢١٤ ب) فضرَب بين يدي السلطان فلم يقر بشيء ، فرسم
بسجنه فسجن مدة طويلة ، ثم آل أمره إلى أن صالح ورثة زوجته بمال ، وأطلق
بمد ما قاسى شدائد ومحن . - وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة ، وقد ثبت الشهر ٦
بالأرباء في اليوم التاسع من ذى الحجة ، فحنق السلطان من القاضي زكريا وأشيع
عزله ، وقد فات الناس صوم يوم عرفة والتكبير في صبحته ، وانطلقت ألسن العامة
على القاضي زكريا وسبوه مجهرا . ٩

- وفيه وصل مبشر الحاج وأخبر أن وقع بمكة سيل عظيم ، حتى دخل الحرم وعام
منه المنبر ووصل إلى قريب عتبة البيت الشريف ، وقُتل بالفرق بسببه نحو من سبعين
إنسانا ، وهدم عدة دور ، وكان أمرا مهولا ؛ وأخبر المبشر ب وفاة بدر الدين الدميري ، ١٢
المعروف بكتكوت ، أحد نواب الشافعية ، مات بالأزمن من طريق الحجاز ، وهو
محمد بن يوسف بن علي بن محمد بن أحمد بن سلطان الدميري الشافعي ، وكان فاضلا
طارفا بصنعة التوقيع ، وكان موقع الدست وأحد نواب الحكم ، وكان فكه المحاضرة ، ١٥
كثير العشرة للناس ، طلق اللسان في حق الناس بالتعليق ، وكانت الشعراء تهجوه
كثيرا ، فمن ذلك قول بعضهم :

- ١٨ قد عيل صبرى من خطب ألم به عقى وطرفى مذهول ومبهوت
فإن غدا الديك سلطانا فلا عجب فقد غدا قاضيا فى الناس كتكوت
(٢١٥ آ) وفيه يقول الأديب على بن بُرد بك :

- ٢١ إن الدميرى صديق فلا أسمع فيه قول واشٍ ولاح
ولا أرى كالتفسير تبييحه بل هو عندى من ملاح الملاح
والنكتة هنا أن الكتاكيت ينادى عليهم يا ملاح الملاح . - وفى أواخر هذه

- السنة جاءت الأخبار من بلاد الغرب أن أبا عبد الله محمد بن حسن بن علي بن أبي نصر
ابن سعد بن الأحمر ، قد ثار على ابنه الغالب بالله صاحب غرناطة وملك منه الأندلس
بسبب أمه ، فحقد عليه ذلك وأخرجه من غرناطة وملكها من ابنه ، وجرت بينهما ٣
أمور يطول شرحها ، وآل الأمر بعد ذلك إلى خروج الأندلس عن المسلمين وملكها
الفرنج ، والأمر لله في ذلك . - وفيه توفى طرنتاي المحمودي أحد المشرات ، وأصله
من ممالك الأشراف برُسباي ، وكان جُلب هو والسلطان قايتباي في سنة واحدة ؛ ٦
وتوفى يونس الكاتب المجيد ، وكان أكتما ويكتب ييسده اليسرى خطا جيّدا ؛
وتوفى في أواخر هذه السنة جماعة كثيرة من الأعيان ، لم نذكرهم خوف الإطالة ، ٩
انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانمائة

- فيها في المحرم أخلع السلطان على محمد بن عبد الرحمن ، وقرّر في نيابة جدّة ،
عوضا عن أبي الفتح التتوي بحكم صرفه عنها . - وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى جهة ١٢
سيفيت ، بسبب الكشف على الجسور ، ثم زار سيدي أحمد (٢١٥ ب) البدوي
رحمة الله عليه . - وفيه كان الغلال بمصر قليلا ، والأسعار مرتفعة في سائر البضائع
والغلال . - وفيه توفى الشيخ علاي الدين الحصني الشافعي ، وكان عالما فاضلا ، ١٥
ريسا حثما متواضعا . - وفيه وصل الحاج إلى القاهرة وقاسى مشقة زائدة ، ولم تُحمد
سيرة أمير ركب الحمل أزيك اليوسفي .
وفي صفر وقع أن كرتباي من مصطفى المعروف بالأحر ، الذي ولى نيابة الشام ١٨
فيما بعد ، وكان يومئذ أحد الدوادارية ، وقع بينه وبين ناظر الجيش كمال الدين بعض
تشاجر ، فلكنه كرتباي الأحمر أطاح عمامته عن رأسه في وسط الحوش السلطاني
بين الناس ، وراحت في كيسه . - وفيه توفى الصارمي إبراهيم بن منجك ، وكانت ٢١
وفاته بدمشق ، وكان ريسا حثما من الأعيان .

وفيه توفي الشيخ أبو حامد المقدسى ، وهو محمد بن خليل المقدسى الشافعى ،
وكان من أهل العلم والفضل ، وله عدة مصنفات نفيسة ، ومولده بعد العشرين
والثمانمائة ، لكنه كان سهيلا ، بليد الذهن قليل الفهم ؛ ومما وقع له أن الزينى
أبو الخير بن النحاس الشاعر ، داعبه بهذين البيتين ، وكتبهما له فى ورقة ودفعهما
إليه فى مجلس القاضى كاتب السرّ ابن مُزهر ، فلما قرأها استحسّنها ولم يفهم ما فيها
من الدسيسة عليه ، فكتبهما بخطّه فى بعض مصنفاته ، وأوردّها لابن النحاس ،
وكان من قوله فيه :

أبا حامد أنت الذى شاع ذكره بكثرة تأليف وجمع (٢١٦ آ) به انقرد
فأنت الذى ما مثّل حفظك فى الورى وأنت الذى ما مثّل ذهنك فى البلد
وفيه جاءت الأخبار بوقاة جانم الجداوى ، نائب حماة وأتابك دمشق ، وكان
لا بأس به . - وفيه أشيع عن منقال الساق الطواشى الظاهرى ، رأس نوبة السقاة ،
بأنه يضرب فى بيته الرّغل ، فأرسل السلطان كبس داره وقبض عليه .

وفى ربيع الأول رسم السلطان بمعمل حساب قاضى القضاة الحنفى شمس الدين
الغزنى ، بدار بُرسباى قرأ رأس نوبة النوب ، فقامى من البهدة والأنكاد ما لا
يُعبّر عنه . - وفيه ثار بالناس فى فصل الربيع دموية وأمراض حادة ، ومات بذلك
جماعة كثيرة ، حتى أطلق عليه الفصل الصغير ، ومات به من الأعيان سيدى
فرج بن تميم نائب الشام ، وكان شابا جميل الوجه لم يلتح بعد ، فتأسفت عليه
الناس قاطبة .

وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا ، واجتمع الأمراء والقضاة
الأربعة ، وكان السلطان شرع فى عمل خيمة كبيرة مدوّرة برسم المولد الشريف ،
وقيل إن مصروفها ثلاثة وثلاثون ألف دينار ، فنصبها فى ذلك اليوم بالحوش . - وفيه
توفى القاضى نجم الدين يحيى بن حجتى ، وهو يحيى بن محمد بن أحمد بن حجتى بن موسى
ابن أحمد الحسبانى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى ، وكان عالما فاضلا ، ريسا حشما ،

وعُدَّ من العلماء ، وكان كريما سخيا ، وولى نظارة الجيش بمصر ، وكان من أعيان
الرئيسا بمصر والشام ، فلما مات وجد عنده زيادة على ثلاثة آلاف مجلد من
الكتب النفيسة . ٣

وفى آخر يوم من برمودة قلع السلطان (٢١٦ ب) الصوف ولبس البياض ، وقد
عجل بلبس البياض قبل أوانه بعشرة أيام . - وفيه جاءت الأخبار من القدس بأن
قائصوه اليحياوى ، الذى كان نائب الشام ونفى إلى هناك بطالا ، قد أجرى عين ماء
بالقدس ، وكانت معطلة مدة طويلة ، فأصرف عليها مالا له صورة من ماله ، وحصل
بها غاية النفع . - وفى هذه السنة توفى أبو الفدا ، الواعظ الناشد المادح ، وكان من
أعيان دواخل مصر فى حسن الصوت وجودة الغناء ، وكان لا بأس به . ٩

وفى ربيع الآخر أخلع على أزدمر تمساح أحد المقدمين ، وقرّر فى أمرة الحاج بركب
المحمل ، وقرّر أزدمر الأشقر أحد العشرات فى أمرة الركب الأول . - وفيه قرّر
شاد بك الحمدي الظاهري أحد العشرات ، فى نيابة دمياط . - وفيه ثارت فتنة
كبيرة بين مماليك آقبردى الدوادار ، وبين مماليك أزدمر أمير مجلس ، الذى كان
نائب حلب ، فوقع بينهما فتنة بالرملة ، حتى شهروا السلاح على بعضهم ، فثار جماعة
من مماليك السلطان مع مماليك آقبردى الدوادار ، فكادت أن تكون فتنة كبيرة بين
الأمراء ، ثم سكن الأمر قليلا . ١٢

وفيه توفى الشيخ الصالح سيدى أبو الفضل من أولاد ابن أبي الوفا ، وكان حصل
له انجذاب واستمرّ به إلى أن مات ، وكان من بيت كبير الولاية . - وفيه وقع زلزلة
بالقاهرة بعد العشاء ، لكنها كانت خفيفة ولم تدم ، ولو دامت قدر درجة حصل
منها غاية الفساد . - وفيه أخذ قاع النيل ، فجاءت القاعدة ستة أذرع وأربعة أصابع . -
وفيه سافر الأمير آقبردى الدوادار إلى جهة الصعيد بسبب ضم الغل ، وكان صحبته
(٢١٧ آ) أمير عربان هوارة داوود بن عمر ، وكان قد أعاده السلطان إلى أمرته بالوجه
القبلي ، وصرف عنها محمد بن يونس ولد عمه . ١٨

ومن الحوادث فى جمادى الأولى أن فى يوم الثلاثاء عاشره نار جماعة من المالك الجلبان ، وتوجهوا إلى دار برسبای قرا ونهبوا كلها وأحرقوها عن آخرها ، ونهبوا الربوع التى بمجوارها وأحرقوها ، حتى نهبوا بسط المدرسة الأيوبكرية والفخرية ، ٣ حتى أخذوا القناديل التى بهما ، وكانت مصيبة شنيعة ؛ وهى أول فتك الجلبان بالقاهرة واستخفافهم بالسلطان ، واستمرت الفتن من يومئذ تتزايد حتى كان منهم ما سئد كره فى موضعه ؛ وكان سبب كايته برسبای قرا أن شخصا من المالك الجلبان دخل إلى ٦ سوق الشرب ليشتري ثوب بملبكي من بعض التجار ، فتمترس عليه وضربه ضربا مبرحا وأخذ منه الثوب البملبكي غصبا ، فشكاه التاجر من باب برسبای قرا ، وكان يومئذ رأس نوبة النوب ، فطلب ذلك المملوك ، فلما حضر قامت عليه البيّنة بما فعله ٩ فى سوق الشرب ؛ فأدّبه برسبای قرا وضربه بين يديه ، فلما بلغ خشداشينه ذلك ناروا على برسبای قرا وفعلوا به ما فعلوا وراموا يحرقوا سوق الشرب ، حتى أخذوا ١٢ منه التجار قاطبة وكادت أن تكون فتنة كبيرة نعم البلد ؛ ثم إن الأتابكي أزيك مشى بين المالك الجلبان وبين برسبای قرا بالصلح ، وسكن الحال قليلا .

وفى جمادى الآخرة جاءت الأخبار بأن على (٢١٧ ب) دولات بن ذلنادر قد أتى إلى ملطية فى جمع كبير من المساكر ، وقد حاصر البلد أشد المحاصرة ، فازعج ١٥ السلطان لهذا الخبر . - وفيه توفى قاتى باى الفلاح الأشرفى أحد العشرات ، وأصله من ممالك الأشرف برسبای ، وكان بارعا فى فنون الرمح ؛ وتوفى مُغلباى الفقيه أحد العشرات ، وكان أصله من ممالك العزيز ، وكان له اشتغال بالعلم . ١٨

وفيه عرض السلطان الجند وعين تجريدة إلى حلب بسبب على دولات بن ذلنادر ، وعين بها من الأمراء أزد مرأمر مجلس ، الذى كان نائب حلب ، والأمير تفرى بردى ططر حاجب الحجاب ، ومن الأمراء الطبلخانات الأمير قنبك جشحة رأس نوبة ٢١ ثانى ، ومن العشرات تانى بك الأيتالى الحاجب الثانى ، وسودون الصغير الملاى ، ويرد بك المحدى الخازندار ، ونانق ، ومن الجند نحو من خمسمائة مملوك ،

ونفق عليهم ، فبلغت النفقة على الأمراء والجند زيادة على السبعين ألف دينار .
 وفيه حصر شمس الدين الحلبي تركه يحيى بن حجتى ، فرأى بين كتبه كتاب
 الفصوص لابن عربى ، فقال : هذا الكتاب ينبغي أن يحرق وإن ابن عربى كان كافرا
 أشد من كفر اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ؟ فقال له بعض الحاضرين : كيف
 تحرق كتاب الفصوص وفيه آيات من كلام الله تعالى ؟ فقال : ولو كان ، فسكوا عليه
 ذلك وأرادوا تكفيره ، فبادر وترامى على كاتب السر ابن مزهر ، فقام معه وآل
 أمره أن عزّره وكشفوا رأسه ، ثم حكم بإسلامه وحُفِنَ دمه ، (٢١٨ آ) وقد
 قامت عليه الدائرة بسبب ذلك ، وفيه يقول أبو النجاة القمى :

أقصدت يا حلبي بالصنع في قفاكا
 لما ادّعت جهلا حرق الفصوص يا كا
 وما خلصت حتى أقت شاهداكا

وفيه توفى قانصوه الداقف الحمدي أحد العشرات ، وكان أصله من ممالك
 الظاهر جقمق ، وكان علامة في الدقاق .

وفي رجب خرج الأمراء والعسكر إلى التجريدة التي عُيِّنَت إلى على دولات
 ابن ذلنادر ، وكان آخر العهد بالأمير أزدى أمير مجلس ، الذي كان نائب حلب ،
 فإنه لم يدخل إلى مصر بعد ذلك . - وفيه كان وفاء النيل المبارك وقد أوفى ثامن عشر
 مسرى ، فلما أوفى توجه الأتابكي أزيك وفتح السدة على المادة . - وفيه توفى بُرد بك
 الطويل الحمدي أحد العشرات ، وكان شادا على أوقاف الأشرف برسباي ، وكان
 لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بوفاة محمد بن عبد الرحمن ناظر جدة ،
 وكان ريسا حثما لطيف الذات عشير الناس ، ولما مات دفن بمكة .

وفي شعبان عرض السلطان المقصورة الحديد التي صنعها للحجيرة الشريفة ،
 فنصبها بالحوش في أول هذا الشهر ، وقيل زنتها أربعمائة قنطار من الحديد ، فحملت
 إلى المدينة الشرفة على سبعين جملا . - وفيه توفى جانيهم الفهلوان أحد العشرات ،
 وأصله من ممالك الظاهر جقمق ، وكان رأسا في الصراع ، توفى بحلب ؛ ومات أيضا

بجلب منتطباى الملاى الظاهرى أحد المشرات ، (٢١٨ ب) وكان رأسا فى الرى بالنشاب ، وكان من ممالكك الظاهر جقمق .

٣ وفى رمضان خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى أظلمت الدنيا ، ودام فى الخسوف نحواً من خمسين درجة . - وفيه ، فى يوم ختم قراءة صحيح البخارى ، وقع بين الشيخ بدر الدين بن الفرس الحنفى ، وبين الشيخ صلاح الدين الطرابلسى ، تنافس حتى خرجا فيه عن الحد ، بسبب الجلوس فيمن يرتفع عن صاحبه ، وكان الصلاح الطرابلسى متمديداً على ابن الفرس ، فاشكر على ذلك ، وكان مجلساً فاحشاً لا خير فيه .

٩ وفى شوال خرج الحاج من القاهرة فى تجمل زائد ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج معهم شاد بك أمير آخور ثانى ، وقد قرّر على باشية الجند بمكة ، ومعه خمسون مملوكاً ، وأرسل معه السلطان القصورة الحديد التى صنعها للحجرة الشريفة ، ثم أرسل معه مصحفاً كبيراً يحمل على جل بمفرده ، وكان من النوادر ، كتبه شاهين ١٢ النورى ، ومات ولم يكمله ، فأكله الشيخ خطاب بأمر السلطان ، وهو باقى إلى الآن فى الحجرة الشريفة . - وفيه كان عرس الركنى عمر بن أبى البقا بن الجيمان ، وكان مهمّاً حافلاً . ١٥

وفى ذى القعدة أخلع السلطان على آقبای كاشف الشرقية ، وقرّر فى نيابة غزة ، عوضاً عن دولات باى من مصطفى الماضى خبره بما جرى عليه ، وآل أمره إلى أن نُقِيَ إلى مكة . - وفيه أنعم السلطان على ستة أتقار من الخاصكية الظاهرية بأمرات ١٨ عشرة ، منهم : يشبك دجاج ، وأبو يزيد ، ويبرس اليوسفى ، وملاج الأشقر ، وجانى بك البواب ، وقائم السواق ، (٢١٩ آ) وأنعم بإقطاع جانم الفهلوان السافر فى التجريدة على : سودون الصغير ، وقانصوه قرا ، وكسباى الشرىنى ، ٢١ وآخرين من جلبانه ، وكان هذا الإقطاع أمرة عشرة ، وخرج بحكم وفاة جانم الفهلوان .

٢٤ وفى ذى الحجة قرّر محمد بن البلاح فى التسكّم على جهة الجزية ، عوضاً عن

٣ ابن الصميدى . - وفيه كان عيد النحر يوم الجمعة ، وكانت الأضحية مشحونة وغالية ، بسبب قلّة الجالب من أذى الممالك الجلبان . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة قاضى الجماعة الأندلسى الغرناطى المالكى ، توفى بفرناطة ، وكان من أهل العلم والفضل .
 ٦ وفى أواخر هذه السنة كثر الأذى من المبيد والزعر ، وكثر قتل القتلا ، حتى أن شخصا من البيطرة قُتل بالجزيرة الوسطى ولا يُعلم من قتله ، ووُجد شخص من الممالك الأيبالية مقتولا بمنزله ولا يعلم من قتله ، وغير ذلك جماعة كثيرة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثمانمائة

٩ فيها فى المحرم توفى الجمالى يوسف الحنبلى بن الشهابى أحمد بن نصر الله بن أحمد البغدادى ، قاضى قضاة الحنابلة ، وكان ريسا حشما ، ولى تدريس الحنابلة بالمدرسة البروقية ، وكان شاهد ديوان الأمير تمتاز الشمسى أمير سلاح ، وكان لطيف الذات
 ١٢ عشير الناس ، لا بأس به . - وفيه أعيد أبو الفتح التنوفى إلى نيابة جدّة ، عوضا عن محمد بن عبد الرحمن بحكم وفاته . - وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد المجذوب سيدى على القليوبى ، وكان له مكاشفات وكرامات خارقة .
 ١٥ وفيه قبض على شخص بالقرافة يترايا بزي (٢١٩ ب) أهل الصلاح ، وله شعرة برأسه ، فدخل إلى مزار سيدى أبو العباس الحرار وسرق الستر من على ضريحه ، وقد فعل ذلك فى عدّة مزارات ، وكان فى زى حسن لا يظن به سوء ، فلما اشتهر بذلك
 ١٨ ضرب وشهر فى القاهرة . - وفيه توفى الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآمار النبوى ، وقاضى ثغر دمياط ، وكان دينا خيرا ، حسن السيرة ، لا بأس به .
 ٢١ وفيه دخل الحاج إلى القاهرة ، وقد تأخر دخول الحمل إلى رابع عشرينه ، مما حصل لهم فى هذه السنة من المشقة الزائدة من موت الجمال والعطش . - وفيه عين السلطان تجريدة ثانية إلى حلب تقوية لمن تقدّم من المسكر ، وعين تمتاز الشمسى ،
 (٤) القتلا : كذا فى الأصل .

أمير سلاح، باشا على المسكر، ومن المتقدمين أربك اليوسفي، وعين من الجند نحواً من أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية؛ وكان سبب تعيين هذه التجريدة أن السلطان قد بلغه أن ابن عثمان ملك الروم قد أمدّ على دولات بن ذلنادر بمسار ٣ كثيرة، وهذا أول تحرّك ابن عثمان على بلاد السلطان، واستمرت الفتن من بعد ذلك تتزايد إلى أن كان ما سنذكره في موضعه.

٦ وفي صفر توفي الشيخ شهاب الدين الأبناسي، وهو أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن محمد الشافعي، وكان عالماً فاضلاً، صالحاً ديناً خيراً، منقطعاً إلى الله تعالى. وفيه توفي يحيى بن شاذ بك المعروف بقاصد الحبشة، أحد أجناد الحلقة، وكان ريساً حشماً (٢٢٠ آ) عارفاً ببلغة الحبش، فكاه المحاضرة، ومولده بعد العشرة والثمانمائة. ٩ وفيه توفي شيخ عربان جبل نابلس، وهو حرب بن أبي بكر بن محمد بن علي بن عبد القادر، مات وهو مسجون بالبرج في القلعة، وجرى عليه شذائد وعن، وآل أمره إلى أن مات مسجوناً. ١٢

وفي ربيع الأول جاءت الأخبار بأن المسكر الذي خرج من القاهرة قد تقاتل مع علي دولات أخى سوار، وقد كسر المسكر وقتل منهم جماعة كثيرة من الجند، ومن الأمراء قانبك جيشة رأس نوبة ثاني، أحد الأمراء الطليخانات، ١٥ وقتل معه جماعة من أمراء حلب والشام، وكان قانبك هذا إنساناً حسناً شجاعاً بطلاً، تولى من الوظائف شادية الشون، ثم الحجوية الثانية، ثم الرأس نوبة الثانية، وبقى أمير أربعين، وأصله من ممالك الظاهر جقمق، وكان لا بأس به. ١٨ وفيه رسم السلطان بممل مولد للسيدة نفيسة رضى الله عنها، ورسم للخليفة بأن يحضر به، والقضاة الأربعة وأعيان الناس، واجتمع هناك قراء البلد قاطبة، ومُدّت هناك أسبطة حافلة، وهو أول من أحدث هذا المولد بالشهد النفيسي، وصار ٢١ يقال له مولد الخليفة. وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة على العادة، وكان حافلاً.

(٧) تعالى، كتب بعدها في الأصل ما يأتي ثم شطب: ولما مات دفن بزاوية الشيخ شهاب التي بالقرب من حجرة القول التي بجوار بركة الرطلى.

وفيه توفى المسند رضى الدين الأوكالى ، وهو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن المرز الشافعى القاهرى ، وكان عالما فاضلا محدثا مسندا القاهرة ، وكان لا بأس به . - وتوفى الشيخ عباس المغربى القاسمى المالكي زليل القاهرة ، وكان لا بأس به .

وفى ربيع الآخر أخلع السلطان على الجمالى يوسف بن الزرازيرى كاشف البهنساوية ، وقرّر (٢٢٠ ب) فى الوزارة ، عوضا عن خشقدم الطواشى بحكم صرفه عنها ، وقرّر قاسم شقيقة فى نظر الدولة . - وفيه كان تفرقة النفقة على الجند المعين إلى التجريدة بسبب على دولات ، ثم بعث النفقة إلى الأمراء ، وقد تقرّر إلى السفر تمتاز الشمسى أمير سلاح ، وأزبك اليوسفى أحد المقدمين ، وكان تمين آقيردى الدوادار إلى السفر صحبة المسكر ثم بطل بعد ذلك ، فشقّ على المسكر بطلانه ، وكثر القال والقليل بسبب ذلك .

وفيه توفى آقيردى اليوسفى أحد العشرات ، وكان أصله من ممالك الملك الأشرف بُرسباى ، وكان لا بأس به . - وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانصوه النورى بأمرة عشرة ، وعين إلى التجريدة ، وقانصوه هذا هو سلطان مصر الآن . - وفيه توفى بايردى المشرف الأينالى ، وكان لا بأس به ، وقد تأمر بحلب أمرة عشرة .

وفى جمادى الأولى توفى تاج الدين محمد بن السكردى الحنفى ، وكان عالما فاضلا لا بأس به . - وفيه توفى الخواجا السكارى بدر الدين حسن بن إبراهيم بن علقية السكندرى ، أخو الخواجا عبد القادر تاجر السلطان ، وكان لا بأس به . - وفيه كان خروج الأمير تمتاز أمير سلاح ، وأزبك اليوسفى أحد المقدمين ، ومن عين معهما من الأمراء العشرات والجند ، فكان لهم يوم مشهود ، وكان عدة الجند الذين خرجوا مع الأمراء نحوًا من ألف مملوك .

وفى هذا الشهر وقع الرخاء بالديار المصرية ، حتى ابتاعت البطة الدقيق بأربعة أنصاف ، وكل أردب قح بنصف دينار ، وانحطت الأسعار فى سائر البضائع بعد تلك الفلوة التى تقدمت ، وكان قد (٢٢١ آ) اشتد الأمر جدا فانخرج عن قريب . -

- وفيه توفى التاجر نور الدين على بن مقلع المصرى ، وكان فى سعة من المال ؛ وتوفى السيد الشريف شهاب الدين أحمد الأرسونى المالكي ، أحد نواب الحكم ، وكان عالما فاضلا مفتيا متواضعا علامة فى مذهبه ، ومولده سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ٣
- وفى جمادى الآخرة توقف النيل عن الزيادة وقلق الناس ، ثم تزايد واستمرت الزيادة عمالة حتى كان الوفاء . - وفيه عزل الجمالى يوسف بن الزرايرى عن الوزارة ، وقرّر بها قاسم شفيثة على عادته . - وفيه أخلع السلطان على القاضى شهاب الدين ٦ أحمد الدرسانى ، وقرّر فى قضاء الإسكندرية ، عوضا عن عفيف الدين بحكم صرفه عنها . وفيه كثرت المرافعات فى قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الغزنى ، بسبب أوقاف الحنفية ، فرسم السلطان بأن يتوجه إلى بيت برسباى قرا رأس نوبة النوب ، ٩ وتحضر القضاة الثلاثة ، ويُعقد مجلس بسبب حساب أوقاف الحنفية ، فلما حضر إلى هناك حصل له غاية البهدة من العجبة وغيرها . - وفيه توفى جاني بك من تمرى ابن أخت السلطان ، وكان شابا صغير السن ، جميل الصورة ، عاقلا حثما ، لا بأس ١٢ به . - وفيه توفى الشيخ الصالح المعتقد المجذوب سيدى محمد السدار ، رحمة الله عليه ، وكان له الكرامات والكشافات الخارقة .
- وفى رجب توفى العلامة شمس الدين الجوجرى ، وهو محمد بن عبد النعم بن محمد ١٥ ابن عبد النعم بن إسماعيل القاهرى الشافعى ، وكان عالما فاضلا بارعا فى العلوم ، عارفا بمذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وله عدة مصنفات ، وولى عدة تداريس ، (٢٢١ ب) وشهرته تغنى عن مزيد التعريف به . - وفيه توفى الشيخ نور الدين على ١٨ السنهورى المالكي ، وهو على بن عبد الله بن على الأزهرى ، وكان ديننا خيرا صالحا مباركا ، وكان إماما فى مذهب المالكية ، وله شهرة طائلة ، وكان بارعا فى الفقه والعربية ، والقراءة بالروايات السبع ، وغير ذلك من العلوم ، وألف الكتب ٢١ النفيسة فى العلوم الجليلة ، ومات وهو كفيف ، ومولده سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وكان عنده انطراح نفس مع تقشف ، وقد كُفّ فى آخر عمره ، فكان كما قيل فى المعنى :

- كفيف بالإفادة لى كفيف ضرير ما له فينا ضريب
سليب الكبر ذو قلب سليم قرين للتقى منا قريب
- ٣ وفيه أخلع السلطان على شمس الدين محمد بن بدر الدين حسن بن المزلق الدمشقي ،
وقرّر في قضاء الشافعية بدمشق ، عوضا عن الشهابي أحمد بن فرفور بحكم صرفه عنها . -
- ٦ وفيه كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى في ثاني عشرين مسرى ، فلما أوفى توجّه
الأتا بكى أربك وفتح السدّ على جرى العادة ، وكان يوما مشهودا . - وفيه قبض السلطان
على محمد بن العظمة ناظر الأوقاف ، وسلّمه إلى خشقدم الزمام ، وألّمه بعمل الحساب .
- وفي شعبان أخلع السلطان على شرف الدين عبد الباسط بن البقرى ، وقرّر في
٩ نظر الأوقاف ، عوضا عن ابن العظمة بحكم صرفه عنها . - وفيه توفى جاني بك التمني
نائب السكر ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى القاضي ولي الدين بركات بن الجيعان ،
وهو أبو البركات أحمد بن يحيى بن شاكر القاهري الشافعي ، وكان ريسا حشما عارفا
١٢ بأحوال المملكة ، تولى نيابة كتابة السرّ وصار (٢٢٢ آ) من أخصاء السلطان ،
ورُشّح أمره إلى كتابة السرّ وهرعت الناس إلى بابه ، ومات وهو شاب في عشر
الثلاثين ، وكان جميل الهيئة حسن الشكل ، عاقلا بشوشا ، وله برّ ومعروف
١٥ وصدقات كثيرة ، وفيه يقول الشهاب المنصوري :

قال المواذل ما لدحك قد غدا يزداد في الحركات والسكنات

فأجبتهم لا تمجلوا وتأملوا ما زاد إلا وهو في بركات

- ١٨ فلما مات تأسّف عليه السلطان وقال: لو كان ينفدى بمال لفديته ، وكان يتصرف
في أشغال السلطان كما ينبغي ؛ ولما توفى القاضي بركات قرّر أخوه صلاح الدين في نيابة
كتابة السرّ ، عوضا عن أخيه بركات بحكم الوفاة . - وفيه انهبط النيل سريما ،
٢١ وقد ثبت على اثنين وعشرين أصبعا من ثمانية عشر ذراعا ، فشرق أكثر البلاد ،
وزاد سمر الغلال ، ولا سيما القمح ، وكان هذا سببا للغلوة التي وقعت في السنة الآتية ،
كما سندك ذلك في موضعه .

- وفي رمضان جاءت الأخبار من حلب بأن وردبش نائب حلب خرج في جمع من العساكر ، واتّفق مع على دولات أخى سوار ، وقد أمدّه ابن عثمان بجمع كبير من عساكره ، فلما التقى العسكران وقع بينهما وقعة مهولة ، فانكسر العسكر الحلبي ، ٣ وقتل وردبش نائب حلب ، وجماعة كثيرة من العسكر الحلبي والمصرى ؛ وكان وردبش شجاعا بطلا ، وأصله من ممالك الظاهر جقمق ، يعرف بوردبش من محمود شاه ، وتولى عدة وظائف سنية ، منها : نيابة سبسي ، ثم نيابة قلعة الروم ، ولم يباشرها ، ٦ ثم ولى نيابة البيرة ، ثم بقى أنابك العساكر بحلب ، ثم بقى مقدم ألف بمصر ، (٢٢٢ ب) ثم بقى نائب حلب ، واستمرّ بها إلى أن قتل على يد على دولات ، قيل إنه ضرب عنقه بين يديه . ٩
- وقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة منهم ألباس نائب صفد ، وكان ديننا خيرا ، عارفا بأنواع الفروسية ، وولى عدة وظائف سنية ، منها : أستاذارية الصحبة ، وشادية الشراب خاناه ، ثم بقى نائب صفد ، واستمرّ بها حتى قُتل ، وكان شابا عاقلا ١٢ حشما لا بأس به ؛ وقتل أيضا أزبردى الأشرفى أحد الأمراء العشرات بحلب ؛ وقتل تمتاز حشيش من بخشاش الأينالى أحد الخاصكية ؛ وقتل أيضا طراباى الأشقر الإبراهيمى الأينالى أحد الأمراء بحلب ، وتفرى بردى بن محمد بن قاسم أحد العشرات ١٥ بحلب ، وغير ذلك جماعة كثيرة من العسكر ، وتوفى طقطباى الحمدي الأشرفى نائب قلعة حلب ، وكان لا بأس به .
- ثم جاءت الأخبار من بعد ذلك بأن الأمير تمتاز ، لما حصلت هذه الكسرة ١٨ لمسكر حلب ، ركب هو وأزدمر أمير مجلس والعسكر المصرى وتوجّه إلى نحو على دولات ، فاتفق معه ، فانكسر على دولات هو وعسكر ابن عثمان ، ونهب جميع بركهم ، وأخذوا صانجق ابن عثمان ودخلوا بها إلى حلب وهى منكسة ؛ ٢١ وكانت هذه الحركة أول فتن ابن عثمان ، واستمرّت من يومئذ عمالة بينه وبين سلطان مصر ، حتى كان ما سنذكره في موضعه من أمرها ؛ وكان أصل هذه الفتنة تمصّب ابن عثمان لعل دولات ، وكان ابن عثمان متحمّلا على سلطان مصر في الباطن ٢٤

بسبب أشياء لم تظهر للناس .

٣ وفيه رسم السلطان بنقل قانصوه الخسيف الأينالى من دمياط إلى مكة ، وقد بلغه عنه ما (١٢٣ آ) يوجب تغير خاطره عليه . - وفيه زاد النيل زيادة مُفرطة في غير أوانها بعد انهباطه ، وقد شرق غالب البلاد ، فدخل الماء خليج الزربية بعد ما كان قد نشف ، فتمعجب الناس من ذلك ، ولكن لم يُفد من هذه الزيادة شيء في رى البلاد التي شرقت قبل ذلك . ٦

وفي شوال خرج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب الحمل أزدمر تسماح أحد القدمين ، وبالركب الأول برسبای العلاى أحد العشرات ، وحجّ صحبته سيدى منصور بن الظاهر خشقدم ، وكان برسبای العلاى زوج أم سيدى منصور ؛ وحجّ في هذه السنة أبو البقا بن الجيمان ، وصحبته جانبلاط ومامای الخاصكيان ، وقد توجه بسبب ما رتبته السلطان في المدينة الشريفة من أمر تفرقة الدشيشة التي رتبها هناك ؛ وحجّ في هذه السنة عالم سمرقند الشيخ أبو بكر اللينى ، وولده العلامة ، وكانا قدما من سمرقند لأجل الحج ؛ وحجّ في هذه السنة الشيخ عبد اللطيف شيخ ركب المغاربة ، وكان قدم صحبة الركب من تونس يروم الحج ، وكان بالركب نحو من ألف وخمسمائة إنسان من المغاربة يقصدون الحج . ١٥

وفيه رسم السلطان بنقى مثقال الطواشى رأس نوبة السقاة ، فخرج صحبة الحاج منفيا إلى مكة ، وقد بلغ السلطان عنه بأنه يضرب دراهم مفشوشة ، فقبض عليه وعلى شخص من ممالك الأتابكي أزيك يقال له تمرنا ، فوجدوا في بيت مثقال آلة الضرب التي يصنعون بها الدراهم الزغل ، فرام السلطان قطع أيديهما ، فشفع فيهما من القطع ، فنقى مثقال الساقى وسجن تمرنا حتى مات وهو في السجن . - وفيه مات على بن (٢٢٣ ب) قَتَّى ، رأس نوبة النقباء ، وكان من كبار الظلمة ، مات تحت العقوبة ، وكان من أعيان الناس ، خدم جاني بك نائب جدة لما كان دوادارا كبيرا ، وخدم السلطان قايتباى لما كان رأس نوبة النوب ، وخدم يشبك الدوادار ، ثم تسلم في بعض

- جهات السلطان فوقف عليه مال ، واستمرّت تحت العقوبة حتى مات ، وكان من الأشرار .
- وفيه توفى سودون الصغير الملاى الظاهرى ، أحد الأمراء الطبلخانات ، توفى بحلب ، وكان يعرف بسودون الخازندار ، وكان لا بأس به . - وفيه ضرب السلطان ٣
- محمد بن المظلة ناظر الأوقاف بالمقارع فى وسط الحوش ، وكتب عليه قسامة أن لا يمود قط يسمى فى نظر الأوقاف ، ومتى سمى فى ذلك يكون دمه هدر ، ثم بمث به إلى المقشرة ، وكتب من هذه القسامة أربع نسخ ، وبعث إلى كل قاض منها نسخة . - ٦
- وفيه توفى قرقاس من بنحسبای الظاهرى البواب ، أحد الأمراء العشرات ، وكان موته فجأة ، وكان من خواص السلطان . - وفيه توفى أربك أبو زيد الأينالى ، أحد أمراء حماة ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى المسند السيد الشريف محمد أبو السمود ٩
- الملوى الهاشمى الشافعى ، وكان من الفضلاء بارعا فى الحديث .
- وفى ذى القعدة جاءت الأخبار بأن على دولات قد أطلق أينال السلحدار نائب طرابلس ، وكان عنده مأسورا . - وفيه أرسل السلطان خلعة إلى أزدمر أمير مجلس ١٢
- ورسم له بعوده إلى نيابة حلب كما كان أولا ، عوضا عن وردبش بحكم قتله عند على دولات . - وفيه أرسل السلطان خلعة إلى مملوكه أينال الخسیف ، الذى كان أتابك المساكر (٢٢٤ آ) بحلب ، ورسم له بأن يكون نائب صفد ، وكان من أخضاء ١٥
- السلطان ، ثم تغیر خاطره عليه فنفاه إلى البلاد الشامية ، فأقام بها مدة ، ثم رضى عليه وولاه نيابة صفد بعد نيابة سيس وأتابكية حلب ، ثم ولّاه فيما بعد نيابة حماة .
- وفيه اقترن المشتري وزحل ببرج القرب ، وذكر أرباب الفلكية بأن هذا ١٨
- القران لم يقع من منذ مائتين وستين سنة ، وأن ذلك يدلّ على وقوع فتن عظيمة ، وكان الأمر كذلك ، كما سيأتى الكلام عليه فى محله . - وفيه حضر قاصد من عند ملك الهند ، فأكرمه السلطان وأخلع عليه . - وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن ٢١
- بعض الجند ، يقال له جرباش المجنون ، وكان غاية فى الرى بالنشاب ، وقف إلى السلطان فى طلب إقطاع عن شخص توفى ، فلم يجبه السلطان إلى ذلك ، فلما نزل إلى داره ذبح نفسه بيده من حنقه من السلطان ، فراحت روحه ولم يرث له أحد . ٢٤

- وفيه توفي الزينى عبد الباسط بن علم الدين شاكر بن الجيمان ، وكان ريسا حشما ،
متحدنا على مباشرات عديدة من مدارس وجوامع وأوقاف ، وكان دينا خيرا ، عفيفا
عن الرشوة ، صلبا فى أموره ، ومولده بمد الثلاثين والتمانائة . - وفيه عز وجود ٣
القطن جدا ، حتى بلغ سعر كل قنطار ألفين وأربعمائة ولا يوجد . - وفيه أخلع
السلطان على قريبه بيبرس الرجبى ، وقرره فى نيابة طرابلس ، عوضا عن أبنال
السلحدار بحكم أسره عند على دولات . ٦
- وفى ذى الحجة ارتفع سعر البرسيم ، حتى بلغ سعر كل فدان عشرة أشرفية . -
وفيه عز وجود الضحايا من الغنم والبقر ، بواسطة أذى الممالك الجلبان (٢٢٤ ب) . -
وفى يوم عيد النحر أمطرت السماء مطرا غزيرا ، حتى أوحلت الأرض ، وحصل ٩
للناس مشقة فى مرورهم فى الشوارع إلى صلاة العيد . - وفيه حضر جماعة من الجند
ممن كان أسر عند على دولات ، وقد قطع أصابع جماعة منهم من حد إبهامه وأطلقه .
وفيه جمع السلطان الأمراء وضربوا مشورة فى أمر ابن عثمان ، بسبب ما وقع ١٢
منه فى تعصبه لعل دولات ، فأشار الأتابكى أزبك وغيره من الأمراء بأن السلطان
يرسل إليه بهدية على يد قاصد ، وتزول هذه الوحشة من بينهما ، فانصاغ السلطان
لهذا الكلام وعين فى ذلك المجلس الأمير جاني بك حبيب أمير آخور ثانى ، وكان ١٥
حلو اللسان سيوسا دربا ، وقد تقدم أنه توجه إلى يعقوب بن حسن الطويل وتلطف
به فى الكلام ، حتى أطلق من كان عنده فى الأسر من النواب والأمراء والجند كما
تقدم . - وفيه خرج بيبرس الرجبى الذى قرر نائب طرابلس ، فكان له يوم مشهود . - ١٨
- وفيه توفي ناظر جيش غزه إبراهيم بن عبد الرحمن ، وكان ريسا حشما لا بأس به ؛
وتوفى الشيخ المتقد أحمد السيموى ، وكان من أعيان الصوفية وله خصاصة بالأتابكى
أزبك . ٢١

وفيه وصل مبشر الحاج وهو شخص من الخاصكية يقال له قايتباى من ممالك
السلطان ، وأخبر بسلامة الحجاج ، وأن القاضى كمال الدين ناظر الجيش اختار المجاورة
بمكة ، وكان حج فى هذه السنة ؛ وحضر حجة المبشر دولات باى (٢٢٥ آ) من ٢٤

مصطفى ، الذى كان نائب غزّة ونفاه السلطان إلى مكة ، فبعث بحضوره ، فلما حضر أنتم عليه بتقدمة ألف بدمشق ، فتوجه إليها . - وفيه جاءت الأخبار ب وفاة صاحب قونية من بلاد ابن قرمان ، وهو عبد الله أخو الججمة بن عثمان ، تولى على قونية بعد أخيه مَجْجَمَة ، وكان حسن السيرة لا بأس به ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة تسعين وثمانمائة

٦ فيها فى المحرم كانت وفاة قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة الحنفى ، وهو محمد ابن محمد بن محمد بن محمود بن غازى الثقفى ثم الحلبي ، وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهب أبى حنيفة ، وكان ناظما ناثرا ريسا حشما ، جميل الهيئة حسن الشكل ، تولى عدة وظائف سنّية ، منها : قضاء حلب ، وكتابة سرّها ونظر جيشها ، ثم ولى كتابة السرّ بمصر وقضاية قضاة الحنفية عدة مرار ، ثم ولى مشيخة الخانقة الشيعونية ، ومات وهو شيخ بها ، وجرى عليه شذائد وعن شتى ، واعتراه فى آخر عمره مرض الفالج واستمرّ به إلى أن مات ، وقد ذهل فى عقله ، وكان مولده سنة أربع وثمانمائة ، ومات وقد قارب التسعين ، وكان من أعيان رؤساء مصر ، وله عدة تأليف جليلة ، ومن شعره قوله :

١٥ قلت له لما وفا موعدى وما بقلبي لسواء نفاق
وجاد بالوصل على وجهه حتى سمي كل حبيب وفاق

فلما مات تولى ابنه الشيخ سرى الدين عبد البرّ مشيخة الشيعونية ، عوضا عن أبيه . - وفيه دخل الحجاج إلى القاهرة ، وحضر أبو البقاء بن الجيعان وجان بلاط وماماي ، وجماعة من أقارب السلطان كانوا فى الحجاز فى تلك السنة . - وفيه وصل قرقاس التنىمى نائب طرسوس ، وكان ممن أسر عند على دولات . - وفيه وصل سيف يشبك الملاى (٢٢٥ ب) نائب حماة ، وكان لا بأس به ، وولى عدة وظائف سنّية ، منها : أسرة عشرة بمصر ، وبقي من جملة رؤوس النوب ، ثم تولى نيابة الكرك ، ثم نيابة غزّة ، ثم حجوبية الحجاب بدمشق ، ثم نيابة حماة ومات بها .

وفي صفر أرسل السلطان خلعة إلى سيباى الطيورى حاجب دمشق ، وقرّره
 فى نياية حماة ، عوضا عن يشبك العلای بحكم وفاته ، وقرّر فى حجویة دمشق يلبای
 ٣ أحد الدوادارية بدمشق، وقرّر فى الدوادارية جانی بك الطویل أحد ممالیک السلطان۔
 وفيه كان توجه جانی بك حبيب أمير آخور ثانی إلى ابن عثمان ، وقد تقدّم القول
 بأن السلطان قد عمّنه قاصدا إلى ابن عثمان، فتوجه إليه من البحر الملح من الإسكندرية،
 ٦ وأرسل السلطان صحبته هدية حافلة بنحو عشرة آلاف دينار ، وقيل أكثر من ذلك ،
 وأرسل السلطان صحبته تقليدا من الخليفة إلى ابن عثمان ، بأن يكون مقام السلطان
 على بلاد الروم وما سيفتحه الله تعالى على يده من البلاد الكفرية ، وأرسل إليه
 ٩ الخليفة أيضا مطالعة تتضمن تحميد هذه الفتنة التي قد انتشت بينه وبين السلطان ،
 وفي المطالعة بمض ترقق له .

والذى استفاض بين الناس أن سبب هذه الفتنة الواقعة بين السلطان وبين
 ١٢ ابن عثمان ، أن بمض ملوك الهند أرسل إلى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار
 الهند ، فلما وصل إلى جدة احتاط عليها نائب جدة وأحضرها صحبته إلى السلطان ،
 وكان من جملة تلك (٢٢٦ آ) الهدية خنجر قبضته مرصعة بفصوص مثمنة ، فطمع
 ١٥ السلطان فى تلك الهدية وأخذ الخنجر ، فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق ؛ وجاء فى عقيب
 ذلك أن على دولات ترمى على ابن عثمان وشكا له من أفعال السلطان وما يصدر منه ،
 فتمصّب لملى دولات وأمدّه بالعساكر ، واستمرت الفتنة تتسع حتى كان ما سنذكره
 ١٨ فى موضعه ؛ وقد طمع غالب ملوك الشرق فى عسكر مصر بموجب ما وقع لهم مع
 سیوآر وبايندُر وغير ذلك من ملوك الشرق ؛ ثم إن السلطان أرسل إلى ابن عثمان
 ذلك الخنجر والهدية التى بعث بها ملك الهند ، وأرسل يعتذر لابن عثمان عن ذلك
 ٢١ بعد ما صار ما صار ، فكان كما قيل :

جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط وعذر أتى سرّا فأكد ما فرط
 ومن ظنّ أن يححو جلىّ جفائه خفىّ اعتذارٍ فهو فى غاية الغلط
 ٢٤ ثم إن جانی بك حبيب لبس خلعة السفر ، ونزل فى موكب حافل ، وتوجه إلى

- نفر الإسكندرية ، ونزل من هناك في مراكب وتوجه إلى بلاد ابن عثمان من البحر
الملح . - وفيه قرر في أتاككية حلب قرقاس التمني ، عوضا عن أبنال الخسیف بحکم
انتقاله إلى نيابة صفد ، وقرر في نيابة السكرک أمير زاه بن حسن الدوکاری ، عوضا
عن جانی بك الطویل . - وفيه توفي خليفة سيدى إبراهيم الدسوقي رحمة الله عليه ،
وهو خير الدين أبو الكرم الشافى ، وكان لا بأس به .
- ٦ وفي ربيع الأول عرض السلطان العسكر وعین تجريدة إلى على دولات ،
(٢٢٦ ب) وعین بها من الأمراء برسبای قرا رأس نوبة النوب ، وتانى بك الجمالى
أحد المقدمین ، ورسم لهم بأن يتقدموا جالیش العسكر إلى أن يخرج الأتابكى
أزبك ، ثم نفق على العسكر الذى تعین للتجريدة ، فبلغت النفقة على هذه التجريدة
٩ زيادة على مائة ألف دينار . - وفيه توفي قاضى قضاء الشافعية كان ، وهو بدر الدين
محمد أبو السعادات بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الكنانى البلقينى الشافى ، وكان
عالما فاضلا بارعا ، تولى قضاء الشافعية بمصر فى دولة الظاهر خُشقدم ولم تطل مدته
١٢ بها ، وكان عنده خفة زائدة ورهج فى الأمور . - وفيه توفي عبد القادر الحامى
الجابى ، وكان ريسا حشما سيوسا ، وكان لا بأس به .
- ١٥ وفيه عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا ، ونصب فى ذلك اليوم الخيمة
المعظمة التى أقامها على يده ، وجاءت غاية فى الحسن والتزخرف ؛ وحضر فى هذا
المولد ملك التجار أحمد بن محمود بن كاوان ، وكان قدم صحبة الحجاج من مكة ، فعظم
أمره بمصر جدا . - وفيه جاءت الأخبار من القدس ب وفاة الواعظ المحدث شهاب
١٨ الدين أحمد العميرى المقدسى ، وكان عالما فاضلا ، علامة فى فن الوعظ ، دينا خيرا ،
ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة . - وفيه توفي برسبای من تمر بنا الظاهرى المعروف
بمحشيش ، وكان من العشرات لا بأس به .
- ٢١ وفيه مُعمل مولد السيدة نفيسة رحمة الله عليها ، وحضر الخليفة والقضاة الأربعة
وكان حافلا . - وفيه جاءت الأخبار من (٢٢٧ آ) القدس ب وفاة الشيخ سعد الله
٢٤ الهندى الحنفى ، إمام المسجد الاقصى ، وكان من أهل العلم والفضل ، عارفا بالقرآت

السبع ، وكان أحد نواب الحكم بدمشق . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة يشبك
الْبُجاسي ، الذي كان نائب حلب وعُزل عنها ، مات بصفد ، وقد قاسى شدائد
ومحنا ، ولا سيما ما وقع له مع النابلسي وكيل بيت المال ، وكان ريسا حشما تولى عدة
وظائف سنّية ، منها : نيابة ملطية ، ونيابة حماة ، ونيابة طرابلس ، ونيابة حلب ،
وصودر وسجن بدمشق ، ثم نقل إلى صفد فمات بها . - وفيه رسم السلطان بأن
أحدا من القضاة والشهود لا يقد نكاحا على جلب من مماليكه ، فتقلق المالك
من ذلك ، ثم تزوجوا فيما بعد ولم يلتفتوا إلى قول السلطان .

وفي ربيع الآخر وجد شخص من الممالك السلطانية ، يقال له فارس الزردكاش ،
مقتولا بالصوة بعد صلاة الصبح ، ولا يُعلم من قتله . - وفيه خرج المسكر الميعن
إلى على دولات ، وكان باش المسكر بُرسباى قرا رأس نوبة النوب ، وصحبته تانى بك
الجالى أحد المقدمين ، وعدة من الأمراء العشرات ، وقد خرجوا المقدمين بغير
طلب . - وفيه قبض آقبردى الدوادار على جماعة من أولاد ابن عمر ، وسجنهم فى
البرج الذى بالقلمة ، وكان أحضرهم صحبته لما توجه إلى الوجه القبلى ، وقد تغير خاطر
السلطان على بنى عمر .

وفى جمادى الأولى قرّر فى أمرة الحاج بالمحمل أزدمر السرطن أحد المقدمين ،
(٢٢٧ ب) وبالأول بُرسباى اليوسفى أحمد الطبلخانات . - وفيه قرّر دولات باى
الحسنى الظاهرى شاد الشون فى الرأس نوبة الثانية ، عوضا عن قانى بك جشحة ،
وكانت هذه الوظيفة شاغرة مدة طويلة . - وفيه توفى قراجا نائب جدّة ، وكان أصله
من ممالك جاني بك نائب جدّة ، وكان لا بأس به . - وفيه وصل إلى القاهرة أبنال
السلحدار الأشرفى ، الذى كان نائب طرابلس ، فأكرمه السلطان وأخلع عليه وأقرّه
فى شادية الشراب خاناه .

وفيه أخذ قاع النيل ، فجاءت القاعدة فى هذا العام ثمانية أذرع وعشرين أصبعا ،

(٧) من ذلك ، أورد المؤلف هنا بيتين من الشعر يمكن قراءتهما فى طبعة إستانبول

فقد ذلك من النوادر . - وفيه توفي الشيخ المتقد نور الدين على من أولاد سيدي يوسف المعجمي رحمة الله عليه ، وكان لا بأس به . - وفيه أعيد القاضي شهاب الدين ابن فرفور دمشق إلى قضاء الشافعية بدمشق ، مضافا إلى نظر الجيش ، وصرف عنها ٣ ابن المزلق . - وفيه هجم المنسر على الناس وهم في زيارة الإمام الليث بن سعد رحمة الله عليه ، فأخذوا عمام الزوار حتى أزر النساء وعمرّوا الناس بطول الطريق ، حتى وصلوا إلى باب القرافة ، وكانت كائنة عظيمة جدا . ٦

وفي جمادى الآخرة ضرب السلطان السيد الشريف إبراهيم ، الذي كان كاتب سرّ دمشق ، وأودعه بالمقشرة ولم يرث إلى شرفه . - وفيه قرّر الشيخ كمال الدين بن أبي شريف المقدسي في مشيخة مدرسة السلطان التي أنشأها بالقدس ، وجاءت غاية ٩ في الحسن . - وفيه أخلع السلطان على السيد الشريف موفق الدين الحموي ، وقرّر في كتابة السرّ بدمشق . - وفيه رسم السلطان بقطع يد مملوك من جلبانه وقد سرق غير ما صرة ، (٢٢٨ آ) فلما أرادوا قطع يده شفع فيه بعض الأمراء ، فحنق منه ١٢ السلطان ، فرسم بقطع رجلين ذلك المملوك أيضا .

وفيه رسم السلطان للأمر آقبردى الدوادار ، وأبي البقا بن الجيمان ، وجان بلاط ، وماماي ، ورمضان المهتار ، وجماعة من القراء والوعاظ ، بأن يتوجهوا إلى ١٥ القدس ، بسبب عمل وليمة لمدرسة السلطان التي أنشأها بالقدس ، وقد انتهى منها العمل ، وخرج ابن أبي شريف محبتهم ، وقد قرّر شيخ هذه المدرسة . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة كوكك ، وكان بها ١٨ شخص من ممالك السلطان يقال له طوغان الساعي ، فلما حاصروه أسلمها إليهم بالأمان ، وكانت هذه أول وقائع ابن عثمان ، ثم اتسع الأمر بعد ذلك ، وكان ما سندكره في موضعه . ٢١

وفي رجب جاءت الأخبار بوفاة ملك الأندلس ، صاحب غرناطة ، وهو الغالب بالله أبو الحسن على بن سعد بن محمد بن الأحمر ، وكان من خيار ملوك الغرب ، مشتهرا بالعدل ، عارفا بتدبير الملكة ، حسن السيرة ، لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار ٢٤

من مكة المشرفة بأن الأمطار كانت قليلة بها جدا ، وأن الآبار قد نشفت ، والمين
التي أجراها السلطان قد وقفت ، وحصل لأهل مكة الضرر الشامل بسبب ذلك . - وفي
هذا الشهر تزايد شرور الماليك الجلبان والزعر والمبيد بمصر ، حتى أعيا أمرهم الوالى
وحاجب الحجاب ، وصارت الأحوال فى اضطراب .

وفى شعبان فى ثانيه كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى فى المشرين من مسرى ،
فلما أوفى توجه الأتابكى أزبك وفتح السد على المائدة ، وكان له يوم مشهود . -
وفيه قرّر البدرى محمود بن أجا (٢٢٨ ب) فى قضاء الحنفية بحلب ، عوضا عن
ابن الخلاوى ، وهذا كان أول شهرة البدرى محمود بن أجا . - وفيه كان أول فتح
خليج بركة الأربكية ، وكان له يوم مشهود ، وعزم على الأمراء المقدمين بالقصر
المطل على بركة الأربكية ، ومدّ لهم هناك أسحلة حافلة . - وفيه جاءت الأخبار بأن
الفتن قاعة ببلاد المغرب بتونس وبفاس وغير ذلك من البلاد ، وأن الفرنج استولوا
على مدينة مالقة . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة يبيرس الرجبى قريب السلطان الذى
كان نائب طرابلس ، وكان أشيع ذلك وما صحّ ، والآن قد صحّ .

وفيه جاءت الأخبار بأن عساكر ابن عثمان قد استولى على أطراف بلاد السلطان ،
وأرسل أزدمر نائب حلب يستحث السلطان بخروج تجريدة ثقيلة أو يخرج السلطان
بنفسه ، فازعج السلطان لهذا الخبر ، ونادى للمسكر بالعرض ، ثم عرض الجند
بحضرة الأتابكى أزبك ، وكان هو المشار إليه فى تعيين الجند بما يختاره منهم ،
ثم عرض القرانصة وأولاد الناس ، وصار الذى لا يطيق السفر منهم يقيم له بديلا
كاملا بفرس ولبس وغير ذلك ، أو يورد مائة دينار من له إقطاع وجامكية ؛ ثم إن
الماليك المعينة للسفر أطلقوا فى الناس النار ، وصاروا يأخذون أبغال الناس وخيولهم
غصبا ، حتى أخذوا أبغال الطواحين والأكاديش التى بها ، وتمطّلت الطواحين
بسبب ذلك ، وتشحط الخبز من الدكاكين ، وكادت أن تكون غلوة كبيرة ، حتى
وبّخ السلطان الماليك بالكلام ، ونادى (٢٢٩ آ) فى القاهرة بالأمان والاطمان ،

وأن كل من أخذ له بفل أو فرس يطلع إلى أمير آخور كبير يخلصه ، فسكن الحال قليلا .

- ٣ وفي رمضان توفى بُرسباى الخازندار المحمودى ، وكان من أخصاء السلطان من الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بوفاة القاضى كمال الدين ناظر الجيش ، وكان مجاورا بمكة فأتاه الأجل هناك ، وهو محمد بن يوسف ناظر الخصاص المعروف بابن كاتب حكيم ، وكان ريسا حشما وله اشتغال بالعلم ، وولى ٦ ناظر الجيش وهو فى حداثة سنه ، وباشرها أحسن مباشرة ، ومُحَدث سيرته بها حتى مات . - وفيه كان ختم البخارى بالقلمة ، وكان حافلا جدا ، وفُرِّقت الخلع والصرر على الفقهاء والعلماء . ٩

- وفي شوال خرج العسكر المعين إلى على دولات ، وكان باش العسكر الأتابكى أوزبك ، وكان صحبته قانصوه خمسمائة أمير آخور كبير ، وتانى بك قرا حاجب الحجاب ، وتغرى بردى ططر أحد المقدمين الأتوف ، وقد تقدمهم ستة من الأمراء ١٢ المقدمين ، وهم : أزدمر أمير مجلس ، وتغرى بردى ططر أحد المقدمين ، ثم خرج بعدهم تراز الشمسى أمير سلاح ، وأوزبك اليوسفى أحد الأمراء المقدمين ، ثم خرج من بعدهما بُرسباى قرا رأس نوبة النوب ، وتانى بك الجمالى أحد المقدمين ، وكان ١٥ جملة الأمراء الذين خرجوا أولا وآخرا تسعة أمراء مقدمين ، ومن الجند نحو من ثلاثة آلاف مملوك بما تقدم فى الأول والآخر ؛ وكانت هذه التجريدة من أعظم التجاريد ، وطلب الأتابكى أوزبك طلبا حافلا ، حتى رجّت له القاهرة ، وكذلك ١٨ قانصوه (٢٢٩ ب) خمسمائة ، فكان طلبه غاية فى الحسن بحيث لم يُعمل قط مثله ، قيل كان مصروف طلب قانصوه خمسمائة نحو من ثمانين ألف دينار ، وخرج العسكر وهم لا بسون آلة الحرب ، وكان ذلك يوما مشهودا ، وكان مع الأتابكى أوزبك عدة ٢١ أمراء طبلخانات وعشرات ، والجم الخفير من الخاصكية والماليك السلطانية ، فمُدت هذه التجريدة من النوادر .

وفي هذا الشهر كانت وفاة الخوaja محي الدين عبد القادر بن إبراهيم بن حسن ،
المعروف بابن عُلمية السكندري ، تاجر السلطان ، وكان ريسا حثما من أعيان
التجار . - وفيه أخلع السلطان على القاضي شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص ٣
يوسف وقرّر في نظر الجيش ، عوضا عن أخيه كمال الدين بحكم وفاته بمكة ، وكان
متكلما في نظر الجيش نيابة عن أخيه . - وفيه أخلع السلطان على علي بن عامر
وقرّره في أسرة آل فضل بحماة ، عوضا عن عساف بحكم قتله . - وفيه خرج الحاج ٦
من القاهرة ، وكان أمير ركب الحمل أزدمر السرطن ، وبالركب الأول برسباي
اليوسفي . - وفيه طيف برأس شخص من المرابان الفسدين ، يقال له محمد بن عامر ،
أحد مشايخ فزارة ، بعث بها ابن الزرايزري الكاشف ، وعدة رعوس من العرب ٩
الفسدين .

وفي ذى القعدة ، في ثالث عشر هاتور ، زاد النيل زيادة مفرطة نحو الذراع ،
حتى تعجّب الناس من ذلك . - وفيه عاد جاني بك حبيب الذي توجه قاصدا إلى ١٢
ابن عثمان ، وقد سافر من البحر الملح وعاد من البرّ من على ملطية ، فلما طلع بين
يدي السلطان كان عليه خلة ابن عثمان ، فأخلع عليه وعلى من كان معه من الخاصكية؛
ثم إن جاني بك حبيب خلا بالسلطان وأخبره عن أحوال ابن عثمان بأنه غير راجع ١٥
عن أذاه لعسكر مصر ، وأنه لم ير منه إقبالا (٢٣٠ آ) ولا أكرمه ، وأنه غير
ناصح للسلطان ، فكثرت القيل والقال بسبب ذلك . - وفيه توفي شمس الدين الوفاي
قاضي الخانكاه ، وكان ريسا حثما لا بأس به . ١٨

وفي ذى الحجة توفي قائم الفقيه الظاهري أحد العشرات ، وكان باش المجاورين
بمكة المشرفة ، وكان ديننا خيرا لا بأس به . - وفيه أعيد الزيني أمير حاج إلى نقابة ٢١
الجيش على عادته ، وصُرف عنها موسى بن الترجمان بعد كايته عظيمة وقعت له ،
وكان غير محمود السيرة سيّء التصرف في أفعاله . - وفيه قرّر كرتباي من مصطفى
المعروف بالأحمر في كشف البحيرة ، عوضا عن قرّاكز مملوك تمتاز أمير سلاح . -
وفيهِ جاءت الأخبار من نائب حلب بأن على دولات أرسل يسأل في الصلح ، ٢٤

بعد ما اتسع الخرق على الراقع ، كما قيل :

أتروض نفسك بعد ما هزمت^٣ ومن العناء رياضة الحرم

- وفي عاشره كان عيد النحر ، وكانت الأضحية رخيصة لغياب المسكر عن مصر . - ٣
وفيه توفي قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن محمد الفلجاني التونسي المالكي ، وكان عالما
فاضلا بارعا في مذهبه ، قدم إلى مصر وأقام بها مدة ، ثم عاد إلى بلاده فمات بها . - وفيه
جاءت الأخبار ب وفاة المنتصر بالله محمد ، من أولاد الملك مسعود صاحب تونس ، وكان
أكبر أولاده مستولى على إحدى جهات المغرب ، وكان شابا حسن السيرة عادلا في
الربة ، فتأسف عليه والده جدا .

- وقد خرجت هذه السنة عن فتن وشروخ ببلاد الشرق وبلاد الغرب ، وحصل في
مصر تشحيط في سائر الغلال ، واشتد السعر ، ووقع الاضطراب بسبب تلك التجاريد ،
وحصل على الناس من المالك (٢٣٠ ب) ما لا خير فيه ، من أخذ البغال والخيول
وغير ذلك ، مما حصل به الضرر الشامل ، وزيادة على ذلك ظلم أرباب الدولة ،
وحصل للناس وقوف حال بسبب ضرب الفلوس الجدد ، وبطل أمر المتق ،
والأمر لله .

١٥ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثمانمائة

- فيها في المحرم كان يومئذ خليفة الوقت الإمام أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو المزمز
عبد العزيز ؛ وسلطان مصر الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمدي الظاهري
الجركي ؛ وأما القضاة الأربعة فالقاضي زين الدين زكريا الأنصاري الشافعي ، والقاضي
شمس الدين محمد الغزالي الحنفي ، والقاضي محيي الدين بن تقي المالكي ، والقاضي بدر
الدين محمد السعدي الحنبلي .

- وأما الأمراء القدماء فكان عدتهم يومئذ خمسة عشر أميرا مقدم ألف ، منهم ٢١

(١٥) ثم دخلت ، من هنا يبدأ مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ ، الذي روجع على مخطوط
الفاتيكان رقم ٨٦٩ ، وقد رمزنا إلى مخطوط الفاتيكان فيما يلي بحرف « ف » .

أرباب الوظائف : الأتابكي أزبك من طُطح أمير كبير ، وتمراز الشمسي أمير سلاح ،
 وأما امرأة مجلس كانت شاعر من حين أعيد أزدمر قريب السلطان إلى نيابة حلب ،
 ٣ وُرسبای قرا الظاهري رأس نوبة النوب ، وقانصوه من طرابای المعروف بخمسمائة
 أمير آخور كبير ، وأقبردي من على باي دوادار كبير ، وتقرى بردی ططر حاجب
 الحجاب .

٦ وأما الأمراء المتقدمين غير أرباب الوظائف : أزبك اليوسفي المعروف بالخازندار ،
 وتاني بك الجمالی ، وتاني بك قرا الأينالی ، وأزدمر تمساح ، وأزدمر السرطن ،
 ويشبك الجمالی السيفي ناظر الخاص يوسف ، وقد جمع بين التقدمة والزرذكاشية
 ٩ الكبرى ، ويُنظر في ذلك هل تقدم وجانم وأينال وشاد بك في هذه السنة أو بعد
 ذلك ، وشاد بك من مصطفي ، وجانم من تاني بك ، وأينال من يشبك ؛ وأما
 الأمراء الطبلخانات فكان عدتهم يومئذ نحو عشرة أمراء ؛ وبلغت مدة خاصكيته
 ١٢ في هذه السنة نحو أربعين خاصكيا لا غير ؛ وأما الأمراء العشرات فكان (٢٢ آ)
 عدتهم يومئذ نحو من ستين أميرا .

وأما أرباب الوظائف من المتممين : فالقاضي كاتب السرّ تقى الدين أبو بكر
 ١٥ ابن مُزهر ، ونائبه صلاح الدين بن الجيعان ، وناظر الجيش الشهابي أحمد بن الجمالی
 يوسف ناظر الخاص ، ومستوفي ديوان الجيش أبو البقا بن الجيعان ، وناظر الخاص
 علاي الدين بن الصابوني ، وقد جمع بين نظارة الخاص ووكالة بيت المال ، والوزارة
 ١٨ بيد قاسم شُفيقة متحدث فيها ، وشرف الدين بن البقرى ناظر الدولة ، وقد جمع بين
 نظارة الدولة ونظارة الأوقاف في تلك الأيام ، والبدرى بدر الدين ابن مُزهر محتسب
 القاهرة ، ووالی الشرطة يشبك من حيدر الأينالی ، والأستادارية بيد تقرى بردی
 ٢١ المعروف بالقادرزي ، ونقابة الجيش بيد أمير حاج بن أبي الفرج ، وكتابة الخزانة بيد
 عبد الغني بن الجيعان ، وكتابة المالک بيد يوسف بن أبي الفتح نائب جدة ، ونظارة

(٩-١٠) وينظر - أو بعد ذلك : كتبت هذه الجملة في الأصل على الهامش .

(١١-١٢) وبلغت - لا غير : كتبت هذه الجملة في الأصل على الهامش .

الأسطبل بيد يحيى بن البقرى ، ونظارة الزردخانه بيد عبد الباسط بن تقي الدين ،
ونظارة الكسوة الشريفة بيد رمضان المهتار ، ونظر الجوالى بيد نور الدين على البتنونى
المعروف بالحنبل .

٣

وأما أرباب الوظائف من الطواشية : فحشقدم الأحمدي متولى الزمامية ، وخالص
التكرورى مقدم المالك ، ونائبه عنبر ، وسرور شاد الحوش ، وغير ذلك من
أرباب الوظائف لم نذكرهم هنا خوف الإطالة فى ذلك ، وإنما ذكرنا منهم الأعيان ؛
فهذا كان ترتيب أرباب الوظائف فى مستهل هذه السنة على حكم ما ذكرناه ، ثم
انتقلت الوظائف من بعد ذلك إلى جماعة كثيرة من الأتراك والمباشرين ، كما سيأتى
الكلام على ذلك فى مواضعه من ولاية وعزل و وفاة ، انتهى ذلك .

٩

وفيه ، أعنى هذا الشهر ، توفى السيد الشريف أبو عوان ، واسمه أحمد بن أبى بكر
التونسى المالكى ، وكان يعرف بالعوانى ، وكان ديناً خيراً جميل الهيئة حسن الشكل
ويقال إن فيه أشياء من شبيهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده بعد الأربعين
والثمانمائة . - وفيه توجه السلطان إلى جهة (٢ ب) الشرقية ، بسبب أنه كشف على
الجسور ، فغاب هناك أياماً ثم عاد إلى القلعة . - وفيه تنهى سعر البرسيم كل فدان
مخضراً باثنى عشر ديناراً ، وأبيع الدريس كل مائة قنة بأربعمائة درهم ، حتى عدت
ذلك من النوادر ، وسبب ذلك أن حبة البرسيم كان غالباً فى تلك السنة ، وكان النيل
خسيساً ، والذي طلع من البرسيم أكلت غالبه الدودة ، وكان سعر الفلال جميعه
مرتفعاً فى هذه السنة ، حتى غلا سعر الراوية الماء من عدم العلف لجمال السقاين .

١٨

وفيه نزل السلطان وتوجه إلى الروضة ، وعدت وهو راكب ، وكان معه القاضي
قطب الدين الخيضرى وجماعة عن خاصكيتيه ، فتوجه إلى خرطوم الروضة وأقام به إلى
آخر النهار ، ونصب له هناك سحابة وموخر ، فطاب له رؤية ذلك المسكان ، فأمر بأن
يبنى هناك قصر مطلق من الأربع جهات ، فلم يتم له ذلك . - وفيه تأخر دخول
الحجاج إلى خامس عشرينه ، وكان أمير ركب الحمل أزدمر المسرطن ، وبالركب الأول

٢١

برسباى اليوسفى ، وحصل لها بموت الجبال وشدة الغلاء مشقة زائدة ، وقد جاور أكثر الناس وانقطع آخرون بالينبع ، ولم يدخلوا القاهرة إلا بعد أيام .

٣ وفيه توجه السلطان إلى قبة يشبك التى بالمطرية ، فلما رجع نزل عن فرسه وزار تربة الظاهر برقوق وكشف عن أحوالها ، ثم عاد إلى القلعة ، وألزم سرور شاد الحوش بعمل مصالح الصوفية الذين بتربة الظاهر برقوق . - وفيه توجه آقبردى الدوادار إلى جهة الصعيد ، بسبب فساد بنى عمر . ٦

وفى صفر قُتل القاضى تقى الدين أبو بكر ، المعروف بخروف ، قُتل ببولاك ولا يُعلم من قتله ، وكان رئيسا حشما لا بأس به ، وكان ترشح أمره بأن بلى قضاء الحنفية فى دولة الظاهر خشقدم ، وقد سعى له ابن العينى . - وفيه خسف جرم القمر واظم الجوّ ، واستمرّ على ذلك نحو من خمسين درجة . - وفيه توفى سيدى موسى ابن الخليفة التوكّل على الله عمّ أمير المؤمنين أبى العزّ عبد العزيز ، وكان رئيسا حشما ، وفاتته الخلافة (٣٣ آ) عدّة مرار ، وقد تولى أربعة من إخوته وهو مبعد لقلّة حظّه ، وكان مولده قبل العشرين والثمانمائة . ١٢

وفيه جاءت الأخبار بوقوع فتنة عظيمة بين عربان جبل نابلس ، وقُتل فيها آقبردى من بخشايش الأينالى أستاذار الأغوار ، وقُتل أيضا جماعة كثيرة من العربان ، منهم أبو بكر أمير جرم ، ويوسف بن الجيوسى أحد مشايخ نابلس ، وجماعة كثيرة من أولاد إسماعيل وأولاد عبد القادر ، وكانت فتنة شنيعة مهولة ؛ فلما بلغ السلطان ذلك عين آقبردى الدوادار بأن يتوجّه إلى جبل نابلس ويخمد هذه الفتنة التى بين العربان ، فخرج مبادرا إلى ذلك . ١٥

وفيه كانت وفاة قاضى قضاء الشافعية كان ، وهو ولى الدين أحمد الأسيوطى بن أحمد بن عبد الخالق بن عبد الحمى بن عبد الخالق بن عبد العزيز بن محمد القاهرى الشافعى ، وكان عالما فاضلا محمّدا فى أيام قضائه ، رئيسا حشما سيوسا فى أفعاله ، ٢١

(٥) الدين : الذى . (١٨) ويخمد : ويحمل .

(تاريخ ابن لياس ج ٣ - ١٥)

ولى القضاء الأكبر ومشیخة الجمالية والناصرية وعدة تداريس ، وأقام فى القضاء وهو ماشى مع الناس أحسن سيرة ، ودام بها ما يزيد على ست عشرة سنة والناس عنه راضية ، وكان مولده سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

٣

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن العسكر المصرى تقاوت مع عسكر ابن عثمان ، فكانت النصرة بها لعسكر مصر على عسكر ابن عثمان ، وقتل منهم جماعة كثيرة نحو من أربعين ألف من توابع عسكره ، وقبض على أحمد بك بن هرسك ، وكان من أجل أمراء ابن عثمان ، فلما قبض عليه أسر وأودع فى الحديد ، فلما بلغ السلطان ذلك سرّ بهذا الخبر جدا .

٩

وفى ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى وكان حافلا ، لكن كان أكثر الأمراء غائبا فى التجريدة ، ولم يكن بمصر منهم سوى ثلاثة أمراء مقدمين . - وفيه توفى القاضى أبو الحسن بن عرب ، وهو على بن عمر الطنبدى الشافى ، أحد

١٢

نواب الحكم بالديار المصرية ، وكان لا بأس به . - وفيه اختفى القاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش أخو كمال الدين ، فلما اختفى أخلع السلطان على البدرى محمد بن القاضى كمال الدين ناظر (٣ ب) الجيش وقرّره فى نظر الجيش ، عوضا عن عمه

١٥

الشهابى أحمد بحكم اختفائه ، وكان البدرى هذا حديث السن لما تولى نظر الجيش لم يلتحق بعد . - وفيه قرر شاهين الجمالى فى مشيخة الحرم النبوى .

وفيه توفى السند شمس الدين محمد البساطى الشافى ، وكان علامة فى الحديث ،

١٨

دينا خيرا لا بأس به . - وفيه وصل دوادار نائب حلب ، وأخبر بصحة كسرة عسكر ابن عثمان والقبض على أحمد بك بن هرسك ، وجماعة صحبته من أمراء ابن عثمان من أعيانهم ، وقد أخذ العسكر المصرى من النهب ما لا يحصى ، من خيول وسلاح

٢١

وبرك وغير ذلك ، وأخذوا سناجقهم ، وكان عدّتهم نحو من مائة وعشرين سنجق ، وقد قُطعت عدة وافرة من رموس عسكر ابن عثمان ، وسيحضرون صحة قيت الساق الخالصى ، فسّر السلطان لهذا الخبر وأخلع على دوادار نائب حلب خلة حافلة ، وأظهر الفرح والسرور . - ثم فى عقيب ذلك اليوم سقط الصارى الخشب الذى تعلّق

٢٤

فيه القناديل في رمضان بمنارة جامع القلعة ، فأخذ الناس يتفألون بشيء يحدث للسلطان عن قريب .

٣ فلما كان اليوم الثاني من انكسار الصاري ، ركب السلطان على فرس حرون ، وسير في الحوش ، ثم ساق ونحى الفرس باللاجام ، فشب به واتقلب على السلطان ، فسقط إلى الأرض وبقيت رجله تحت جنب الفرس ، فانكسرت رجل السلطان من عند عظمة فخذ كسرا بالغا ، فأغمى عليه وسال منه الدم ؛ فأرجفت القلعة بموته ، واضطربت القاهرة بسبب ذلك ، وكثر القال والقال بين الناس ، ولم يشك في موته أحد بل تيقنوا ذلك ؛ فحمله بعض الخاصكية وهو مغمى عليه ، فأدخله إلى قاعة الدهيشة ، فتسامع الأمراء بذلك فطلعموا إليه ، ثم طلع كاتب السر ابن مزهر ، فلما دخل عليه ، قال له السلطان : اكتب في هذه الساعة مراسيم وارسلهم إلى حلب ، لتطمئن الأمراء والعسكر بسلامة السلطان من هذا العارض ، وقد يحصل له السلامة والشفاء عن قريب ، فكتبت المراسيم بصورة الحال وأخرجت على يد (٤ آ) هجان في أثناء ذلك اليوم ، وتوجهت إلى حلب ؛ وقد نظم بعض شعراء مصر ، وهو الشهاب المنصوري ، يعتذر عن هذه الواقعة بهذين البيتين ، وهو قوله :

١٥ وقد زعموا أن الجواد كبا به وحاشاه من عيب يضاف إليه
ولكن رأى سلطان عز وهيبة فقبل وجه الأرض بين يديه

وفيه توفي الشيخ الصالح زين الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن حجاج الأنباى
١٨ القاهرى الشافعى ، وكان عالما عاملا دينيا خيرا صالحا ، منجمما عن بنى الدنيا ، متصوفا على طريقة السلف ، متواضعا جدا ، وذكر للقبضاء غير ما مرة وهو يأبى من ذلك ، ولما مات دفن بزاوية الشيخ شهاب ، التى بمحدرة الفول ، عند بركة الرطلى .
٢١ وفي ربيع الآخر طلع القضاة إلى القلعة للتهنئة بالشهر ، فأذن لهم بالدخول على السلطان وهو فى القاعة التى بين الدهيشة وقاعة الحرم ، فلما دخلوا عليه وجدوه على سرير ، وقد قوروا له الفرش من تحته ، ورجله قد آماه وهو لا ينام ولا يتحرك ، فكان الأمراء والمباشرون يدخلون عليه كل يوم ويمطونه الخدمة وهو جالس

على ذلك السرير فيدعون له وينصرفون .

- وفيه وصل قيت الساق ، وهو قيت من آقبای ، من حلب ، ومعه عدة رؤوس
 من التي قطعت من عسكر ابن عثمان ، فلما دخل القاهرة زُيّنت له زينة حافلة ، ٣
 واصطفّت الناس للفرجة على الدكاكين ، فدخل وقدامه الرؤوس محمولة على الرماح ،
 وكان عدتها ما يزيد على مائتي رأس ؛ فلما طلع إلى القلعة ضربت له البشائر ، وأقيمت
 الخدمة بالحوش ، ووقف أبواب الدولة كل أحد في منزلته على العادة ، وغطيت الدكة ٦
 التي يجلس عليها السلطان بالملاءة الحرير ، فلما صعد قيت الساق باس الأرض إلى نحو
 الدكة ، فأحضرت له خلة ولن كان صحبته من المالك السلطانية ، فلبسوا تلك الخلع
 وتزلوا من القلعة في موكب حافل . ٩

- وكل هذا جرى والسلطان منقطع في قاعة الدهيشة ، وهو في غاية التألم من
 رجله ، وقيل (٤ ب) إن السلطان فرّق على الفقراء في مدة انقطاعه بهذا المارض
 نحواً من ألف دينار على يد قطب الدين الخيصرى ، ثم إنه بعد أيام علم على أربعة ١٢
 مراسيم ، وكانت العلامة قد تمطّلت أياماً . - وفيه توفي الشيخ جلال الدين البكرى ،
 وكان علامة في مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكان اسمه محمد بن عبد الرحمن
 ابن أحمد بن محمد الديروطى الشافعى ، وكان عالماً فاضلاً بارعاً في العلوم ، ناب في القضاء ١٥
 مدة طويلة وولى قضاء الإسكندرية ، ثم ولى مشيخة الخانقاة البيبرسية ، وكان بيده
 عدة تداريس ، ومولده سنة سبع وثمانمائة .

- وفيه رسم السلطان على لسان القاضى كاتب السرّ ابن مُزهر بأن يجمع رؤوس ١٨
 النوب والنبقاء الذين بأبواب الحُكّام ، ويكتب عليهم قسائم بأنهم لا يأخذوا من
 الأخصام إذا طلبوا من أبوابهم أكثر من نصفين فضة لكل نقيب ، حسب رسم
 السلطان بذلك ، فجمعهم وكتب عليهم قسائم بذلك ، فأقام هذا الأمر مدة يسيرة ٢١
 ثم عادوا لما كانوا عليه . - وفيه قرّر شيخنا الجلال الأسيوطى في مشيخة البيبرسية ،
 عوضاً عن الجلال البكرى بحكم وفاته ، وكان الساعى له الخليفة عبد العزيز .

وفيه هم جماعة من النسر على سوق باب الشعرية ، وقتلوا البواب ، وفتحوا
عدة دكاكين ، وأخذوا ما فيها ، وخرجوا من الباب ، ولم ينتطح في ذاك شاتان .

٣ وفي جمادى الأولى مُحمّل السلطان وهو على السرير وخرج إلى الدهيشة ، وجلس
بالشباك المطلّ على الحوش ، وعرض قدّامه عدة خيول ، فحصل للناس الاطمأن
عليه . - وفيه حصل للسلطان الشفاء ودخل الحمام ، فلما كان يوم الجمعة ركب من
باب الدهيشة وتوجّه إلى الجامع وصلى الجمعة ، وكان له بالقلمة يوم مشهود ،
وتخلّق الخدّام بالزعفران ، وفرّقت خوند على الناس البنود الحرير الأصفر ، فوضعوهم
في أوساطهم جماعة من الخدّام والخاصكية ، حتى الزمام ، ومقدّم المالك ، وغلّمان
٩ السلطان قاطبة ، وأعيان الناس من الحجاب ، ورءوس (٥ آ) النوب ، ونقيب
الجيش ، وغير ذلك من الأعيان ، ولما رجع السلطان من الجامع لاقته المغاني ، ونثرت
خوند على رأسه خفاف الذهب والفضة ، وفرشت له الشقق الحرير تحت حافر
١٢ فرسه ، وكان يوما حافلا بالقلمة ؛ وأخلع على الأطباء والرزنيين الخلع السنية ، ودقّت
البشائر بالقلمة ، ونودى بالزينة في القاهرة .

فلما كان غد ذلك اليوم طلع الخليفة والقضاة الأربعة وهنّوا السلطان بالمافية ،
١٥ وجلس على الدكة وحكم بين الناس ، وكان مدّة انقطاعه بهذا المارض نحو من ثلاثة
وخمسين يوما ، وكان الناس قد أيسوا منه ، فعدّ ركوبه من النوادر بعد ذلك
المارض المهول ، وقد قال القائل في المعنى :

١٨ الله يدفع عن نفس الإمام لنا وكلنا للمنايا دونه عرض

فليت أن الذي يعروه من مرض بالمايدين جميعا لا به المرض

ففي الإمام له من غيرنا عوض وليس في غيره منه لنا عوض

٢١ فما أبالي إذا ما نفسه سلمت لو باد كلّ عباد الله وانقرضوا

وفي جمادى الآخرة جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان ، بعد أن حصل لهم تلك
الكسرة ، تجمع جيشا كثيفا ورجع إلى المحاربة ثانيا ، وأن عسكر السلطان بعد أن
٢٤ رجع إلى حلب خرج ثانيا إلى نحو كوكك ؛ فانهزم السلطان لهذا الخبر ، ثم نادى

للمسکر بالعرض ، فمرض وعین جماعة من الأمراء والجند ، فكانوا نحوا من خمسمائة مملوك ، وكان الباش عليهم يشبك الجمالی أحد المقدمین الزردكاش الكبير ، فلما عرض تفق على الجند المعینین للسفر واستحثهم على الخروج إلى حلب ؛ ولما ضاق الأمر بالسلطان قصد أن يخرج إلى التجريدة بنفسه ، وأرسل إلى كرتباى الأحمر كاشف البحيرة بأن يجمع له من طائفة العربان الذين بالبحيرة ما قدر عليه ، ثم عرض جماعة من الزعر وقصد أن يتفق عليهم لكل واحد ثلاثين دينارا وأن يخرجوا صحبته ، وصار ينتظر ما يرد عليه من الأخبار .

وفيه جاءت الأخبار بوقوع فتنة كبيرة ببلاد فاس من أعمال الغرب ، وقد حصل (هـ) بين صاحب فاس والفرنج ما لاخير فيه من الحروب وقتل العساكر ، وأن صاحب غرناطة توجه إلى عمه يسأله في أن يرسل إليه نجدة تعينه على قتال صاحب قشتالة ، وأن الفتن هناك قائمة ، والأمر لله . - وفيه خرج الأمير يشبك الجمالی ، ومن تعين معه من المسكر ، إلى جهة حلب ، فكان لهم يوم مشهود .

وفي رجب جاءت الأخبار بوقاة دولات باى المحوجب الشرفى نائب مطية ، وكان عنده شجاعة وفروسية ؛ وتوفى قائم أمير شكار المحمدى الظاهرى ، أحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى السيد الشريف على أخو أمير مكة ، وهو على بن بركات بن حسن بن عجلان الهاشمى العلوى ، وكان مقبلا بالقاهرة من حين فرّ من أخيه وحضر إلى مصر ، فأناه الأجل بها ، وكان رئيسا حثما فاضلا ذكيا لا بأس به ، ومولده بعد مضى الحسين والثمانمائة .

وفي شعبان طلع القضاة الأربعة إلى القلعة للتهنئة بالشهر ، فكثرت المرافعات في قاضى قضاة الحنفية شمس الدين الفزرى ، فحنق منه السلطان ورسم لتقيب الجيش بالقبض عليه في المجلس العام ، وتوجه به إلى المدرسة الصالحية ليقیم حساب أوقاف الحنفية ، وجرى عليه ما لاخير فيه ، واستمرّ في الترسيم إلى أن عزل . - وفيه كان وقاء النيل المبارك ، وقد أوفى في ثامن عشر مسرى ، فتوجه أضرار تمساح وفتح السد ،

وكان الأتابكي أذربك غائبا في التجريدة ؛ ومن النوادر أن النيل زاد في ذلك اليوم
عشرين-أصبعا من الذراع السابع عشر ، فكانت من النوادر في يوم كسره ،
واستمرت الزيادة عمالة ، حتى أنه زاد في ثلاثة أيام متوالية بعد الوفاء تسعة ٣
وأربعين أصبعا ، حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة في الزيادات ، وقد قيل
في المعنى :

٦ وفا النيل إذ وَفَى البسيطة حقّها وزاد على ما جاده من صنائع
فإذا تقول الناس في جود منعم يشار إلى إنعامه بالأصابع
وفيه نزل السلطان إلى الميدان ، وجلس بالمقعد الذي به ، وعرض (٦ آ) المحاييس
٩ من رجال ونساء وأطلق منهم جماعة ، ثم أمر بتوسيط أحمد بن بشاره شيخ المشير
بيلاد صفد . - وفيه عاد الأمير آقبردى الدوادار من جبل نابلس ، ومعه عدة من
العربان وهم في الحديد ، وقد قبض على أعيان مشايخهم .
١٢ وفي رمضان كان أول ما خطب بمدرسة صاحب خشدقم الزمام ، التي أنشأها
بخط باب الرملة ، وقد جاءت من محاسن المباني ، وكان أصلها قاعة ،
فصنع بها محرابا ، واتخذها مدرسة ، وخطب بها . - وفيه توفي شمس الدين محمد
١٥ الدجوى ، أحد نواب الحكم الشافعية ، وكان إنسانا حسنا لا بأس به ، ومولده سنة
تسع وعشرين وثمانمائة . - وفيه قبض على إنسان وهو سكران في رمضان ، فضرب
بالمقارع وطيف به في القاهرة .

١٨ وفيه جاءت الأخبار بوفاة الملاى على بن شاهين العثماني نائب قلعة دمشق ، وكان
رئيسا حشما لا بأس به . - وفيه كان ختم قراءة صحيح البخارى بالقلعة بالحوش ،
وكان ذلك على خلاف العادة . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على خشدقم الزمام لأمر
٢١ وقع له ، وكانت كايته عظيمة ، وقصد الإخراق به ، وأمر بضربه حتى شفع فيه ،
ثم آل أمره من بعد ذلك إلى أن نفاه إلى جهة قوص ، كما سيأتى الكلام على ذلك .
وفي شوال جاءت الأخبار بوفاة برد بك سُكر أتابك المساكر بطرابلس ،

وكان شابا رئيسا حثما لا بأس به ، ولكن وقع له شذائد وعن ونفى من مصر ، وكان من خواص السلطان ثم تغير خاطره عليه ، وجرى له أمور شتى . - وفيه أخلع السلطان على الشيخ ناصر الدين محمد بن الإخميمي شيخ المدرسة البروقية وقرره ٣ في قضاء الحنفية ، عوضا عن شمس الدين الغزنى بحكم انفصاله عنها ، وجرى على الغزنى أمور يطول شرحها .

٦ وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل أذمر تمساح على العادة . - وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من أعيان المفسدين في الأرض ، يقال له حمور ، ووُسط معه شخص آخر (٦ ب) من المفسدين ، فزلوا بحمور من القلعة وهو مسمر على لعبة من الخشب غريبة الهيئة تجرّ بالمجل ، ولها ٩ حركات تدور بها ، فرجت القاهرة في ذلك اليوم ، وكان له يوم مشهود ، فتوجهوا به إلى جزيرة النيل فوسطوه هناك ، وأراح الله الناس منه .

١٢ وفيه أرسل السلطان تجريدة إلى البحيرة ، بسبب فساد محمد الجوبلى شيخ عربان البحيرة ، وكان باش الجند قرقاس المعلم أحد الأمراء العشرات ، وأسنبای المبشر ، وأزبك قفص ، ومامای ، ونحو من مائتين مملوك من المالك السلطانية ، فلما وصلوا إلى البحيرة تقاتلوا مع الجوبلى أشد قتال ، وقتل من الترك والعرب جماعة كثيرة ، ١٥ ورجع المسكر من غير طائل ، ولا حصلوا من الجوبلى على شيء .

وفيه وقعت نادرة غريبة ، وهو أن مركبا بيولاقي عدت بجاعة تحت الليل ، ففرقت في وسط البحر بمن فيها من الناس والدواب ، ومن العجائب أن كان بها ١٨ إنسان علامة في السباحة يعوم من البرّ إلى البرّ ، وفرق ولم يُعلم له خبر ، وكان إلى جانبه صبي صغير لا يعرف السباحة فجاء من الفرق وطلع إلى البرّ ، فعدّ ذلك من النوادر ، كما قيل :

وقد يهلك الإنسان من باب أمنه وينجو بعون الله من حيث يحذر

(١٠) يوم مشهود : يوما مشهودا . (١٤) مائتين : كذا في الأصل .

(١٩) لإنسان : لإنسانا . (٢٠) صبي صغير : صبيا صغيرا .

وفيه توفي الشيخ قلعج الرومي الأدهمي ، شيخ زاوية السلطان التي بالمرج والزيات ،
فلما مات قرّرت في مشيخة الزاوية امرأة ، وهي زوجة قلعج المذكور ، فمدّت ذلك
٣ من النواذر ، وكانت المرأة تقرب لجهان شاه . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن
العسكر قد ثار على الأتابكي أزيك وقصد العود إلى القاهرة ، فقتشوش السلطان لهذا
الخبر ، وأرسل يقول للأتابكي أزيك بأن ينفق على العسكر هناك لكل مملوك خمسين
٦ دينارا ، ففعل ذلك وسكنت الفتنة قليلا .

وفيه ثار جماعة من المالك الجلبان ، وتوجّهوا إلى بيت البدرى (٧٧) بدر الدين
ابن مَـزهر المحتسب ، وقصدوا حرق بيته ، فاخفق ، وذلك بسبب تسعير البضائع من
٩ اللحم والخبز والجبن وغير ذلك ، ثم توجّهوا إلى الشون وكسروا أبوابها ونهبوا ما
فيها من شعير وقح ، ففعلوا ذلك بشون السلطان والأمراء ، وكانت فتنة مهولة ؛
فلما بلغ السلطان ذلك بعث إليهم جماعة من الخاصكية ومقدم المالك ، فما قدروا على
١٢ ردّهم ، فركب السلطان بنفسه بعد العصر وتوجّه إلى بولاق ، فلما رأوه فروا من
وجهه ، ثم أتوا إلى دار الصاحب قاسم فنهبوا كل ما فيها ؛ فلما أصبحوا لم ينتهوا عما هم
عليه ، ولم يطلع أحد من المباشرين إلى القلعة ؛ ثم إن القاضي كاتب السرّ ترامى على
١٥ السلطان وقبّل رجله ثلاث مرات بأن يعفى ولده بدر الدين من الحسبة ، فما أجاب إلا
بمدّ جهد كثير .

وفيه توفي الكاتب المجيد الزيني خطاب بن عمر بن خطاب الأزهرى الشافعى ،
١٨ وكان فاضلا وله اشتغال بالعلم ، وكتب المنسوب من الخط الجيّد ، وكان له في ذلك
دعاوى عريضة ، وفيه يقول الشهاب المنصورى ، وهو قوله :

بذى التهذيب خطّابٌ تسامت صحايف زانها خطّا وضبطا
٢١ فلو نطق الطروس لفضّلته وقالت أجود الكتاب خطّا

وفيه وصل قيت الساقى الخاصكى ، وهو قيت من آفباى ، وكان توجّه قاصدا إلى
يعقوب بن حسن الطويل ، فعاد ومعه مكاتبة بإظهار التودّد وصدق المحبة للسلطان . -

وفيه توفيت خوند آسية ، ابنة المؤيد شيخ ، ووالدة سيدى يحيى بن يشبك الفقيه ،
الذى كان دوادارا كبيرا ، وكان حصل لها تأسف على ولدها يحيى لما مات ، فكفّت
بصرها في أواخر عمرها ، ومولدها سنة اثنى عشرة وثمانمائة ، وكانت آخر من توفى ٣
من أولاد الملك المؤيد شيخ .

وفى ذى القعدة ظهر برهان الدين بن السكركى إمام السلطان ، وكان محتفيا من
حين تغير خاطر السلطان عليه ، فشفع فيه بعض الأمراء حتى ظهر وقابل السلطان ، ٦
ونزل إلى داره بطالا . - وفيه أخلع على آقردى (٧ ب) الدوادار وقرّر فى الوزارة
وكان متكلمها فيها بغير تقرير ، وقرّر موفق الدين بن القمص الأسلمى فى نظر الدولة ،
عوضا عن قاسم شغيتة بحكم صرفه عن الوزارة ونظر الدولة ، فوكل به وأقام فى ٩
الترسيم حتى يعمل الحساب .

وفيه أخلع على كسباى الشرىنى وقرّر فى الحسبة ، عوضا عن البدرى بن مزهر
بحكم استعفائه منها . - وفيه رسم السلطان بتوسيط عبد العزيز المعروف بمزوز من ١٢
أولاد بنى عمر أمير عربان هواره ، ووسط معه جماعة من أقاربه ، وهو شخص يقال له
يعقوب بن سليمان ، وآخر يقال له موسى بن عبيد الله ، وآخر يقال له موسى بن
أبى لاسون ، وعلى أخى عزوز ، وشخص يقال له محمد بن بشارة ، فكانت آجالهم ١٥
مقاربة من بعضهم . - وفيه بلغ سعر الأرز إلى ستة دنانير كل أردب ولا يوجد ،
ثم عزّ جدا حتى تناهى سعره إلى اثنى عشر دينارا كل أردب ، حتى عدّ ذلك من
النوادر الغريبة . - وفيه رسم السلطان بتوسيط شخص من كبار المنسر ، يقال له ١٨
أحمد الدنف ، وله حكايات فى فن السرقة يطول شرحها .

وفيه حضر جماعة من الجند ممن كان مسافرا فى التجريدة ، وقد حضروا من
غير إذن من السلطان ، وقصدوا الإخراق بالأتابكى أزبك باش العسكر وهو بحلب ، ٢١
فقال لهم : الذى يقصد الرواح إلى مصر يروح ويقابل أستاذة ؛ فصاروا يحجوا فى الدس ،

(٢) دوادارا كبيرا : دوادار كبير . (١٩) الدنف : الدفق . وفى ف : الدنف .

(٢٢) يحجوا : كذا فى الأصل .

ثم قويت الإشاعة بوقوع فتنة كبيرة ، وصاروا جماعة من المالك الجلبان يقفون
للأمراء بسلم المدرج ، ويقولون لهم : قولوا للسلطان ينفق علينا وإلا يقع منا فتنة
كبيرة ، وصاروا ينظفون عليهم في القول ، وصار القيل والقال عمّالا كل يوم ،
والإشاعات قائمة بوقوع فتنة ، وقصدوا الإخراق بالأمير آقبردى الدوادار غير مأمرة
حتى امتنع أياما عن طلوع القلعة .

وفيه قرّر في قضاء الحنفية بدمشق القاضي زين الدين عبد الرحمن الحسباني ،
عوضا عن عماد الدين إسماعيل الناصري ، بحكم صرفه عنها . - وفيه جاءت الأخبار
ب وفاة قاضي مكة (٨٨٠) البرهان بن ظهيرة الشافعي ، وهو إبراهيم بن علي بن محمد
ابن حسين بن علي بن أحمد بن ظهيرة الشافعي ، وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم ،
رئيسا حثما انتهت إليه رئاسة مكة ، وكان المرجع إليه بها ، ولما مات قرّر في قضاء
الشافعية بمكة ولده أبو السعود عوضا عنه .

وفيه كان دخول الأتابكي أزبك وبقية الأمراء والجند ، ممن كان مسافرا في
التجريدة إلى على دولات وعسكر ابن عثمان ، فلما دخل المسكر إلى القاهرة كان لهم
يوم مشهود حتى رجّت لهم القاهرة ، وكان قدّامهم الأسرى من عسكر ابن عثمان
وهم مشاة في زناجير ، وصناجق ابن عثمان منكسة ، وكان صحبتهم جماعة من أمرائه
وهم في زناجير على خيول ، ودخل الأمير أحمد بن هرسك راكبا وفي عنقه زنجير ،
وكان ابن هرسك من أعيان أمراء ابن عثمان ؛ فلما عرضوا على السلطان وهو بالحوش
عاتب أحمد بن هرسك ووتّجه بالكلام ، ثم سلّمه إلى الأمير قانصوه خمسمائة أمير
آخور كبير ، ثم وزع بقية الأسرى على جماعة من المباشرين ، حتى قضاء القضية ، ثم
أخلع على الأتابكي أزبك وبقية الأمراء ، ونزلوا إلى دورهم لما انقضى أمر هذه الحركة .

ففي عقيب ذلك نار جماعة من المالك الجلبان على السلطان ، ولبسوا آلة الحرب
وأشبهروا السلاح ، وكان ذلك في سلخ هذا الشهر ، فاضطربت الأحوال ووزع أكثر
الأمراء والناس حوائجهم في الحواصل ، وغلقت الأسواق والدكاكين ، وجاءت

الزعر أفواجا أفواجا ؛ وكان قبل ذلك توجه جماعة من المالك الجلبان إلى بيت
آقبردى الدوادار ، وتكلموا معه فى أن يتكلم مع السلطان بأن ينفق عليهم فى نظير
تعبر رّهم ، بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم على عسكر ابن عثمان ، وسألوا أيضا ٣
فى أن يعمل مصالحهم فى مرتب اللحم والعليق ، فلما اجتمع آقبردى بالسلطان
وكلمه فى ذلك غير ما مرة ، وهو مصمم على عدم إجابتهم إلى شىء مما سألوه فيه ،
فلما عاد الجواب لهم بعدم الإجابة (٨ ب) فى ذلك ثاروا عليه ، واتسعت الفتنة ، ٦
وغلقت الأمراء أبوابها ، واستمرت الحال على ذلك .

وفى ذى الحجة لم يطلع أحد من القضاة إلى القلعة بسبب التهنئة بالشهر ، وكانت
الفتنة قائمة كما تقدم ، ثم طلع الأتابكى أزبك إلى القلعة واجتمع بالسلطان ، وكلمه ٩
فى أمر النفقة على المالك ، وتلطف به فى القول ، فاجاب إلى ذلك إلا بعد جهد كبير ،
فتقرر الحال على أنه ينفق عليهم على كل مملوك منهم خمسين دينارا ، ثم نادى فى القاهرة
بأن النفقة ستكون فى أول السنة الجديدة ، فخدمت هذه الفتنة شيئا قليلا . ١٢

وفيه جلس السلطان على الدكة التى بالحوش ، وحضر الأتابكى أزبك ، وفرت
الأقايص الشاغرة عن توفى فى هذه التجريدة من الجند ، وصار الأتابكى أزبك هو
الشار إليه فى هذا الأمر . - وفيه أنعم السلطان على آقبای من جانب الظاهرى خشقدم ١٥
بأمره عشرة ، وهى أمرة أصباى السيفى قرقاس الشعبانى ، بحكم أنه كان مريضا
منقطعا فى داره ؛ وأنعم على قائم أبو شعرة بأمره عشرة ، وهى أمرة قراكرز ، بحكم
عجزه أيضا . - وفيه كانت الضحايا قليلة جدا ، ولا سيما الغنم . ١٨

وفيه جلس السلطان لتفرقة الجامكية ، فامتنع المالك من أخذها ، وصمّموا ،
وقالوا : ما نأخذ إلا النفقة مع الجامكية ، ولا نصبر إلى الشهر الآتى ؛ فلما رآهم
قد صمّموا على ذلك نفق عليهم ، فأعطى المالك الجلبان لكل واحد منهم خمسين ٢١
دينارا ، وللقرانصة خمسة وعشرين دينارا ، ولم يعط ممن لا توجه فى هذه التجريدة
من المالك المقيمين ، ومن أولاد الناس ، شيئا ، ووقع القيل والقال بسبب ذلك ،
فلم يلتفت إلى شىء من كلامهم ، وخدمت هذه الفتنة ، انتهى ذلك . ٢٤

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة

فيها في المحرم كانت الأسعار مشتقة في سائر البضائع ، وتشحط الخبز من
 ٣ الدكاكين حتى ابتاع كل رطل من الخبز بنصف فضة ، وكانت أحوال الناس واقفة
 بسبب الفلوس الجدد ، وصار النصف الفضة يصرف بأربعة وعشرين درهما من الفلوس
 الجدد ، وصارت البضائع من المأكول [والمشرَب بِسَعْرَيْن] ، حتى غلا سعر الراوية
 ٦ الماء وعزّ وجود جمال السقاين ، وصار الغلاء في المأكول والمشروب ، هذا والمال يك
 قد طغوا في حق الناس ، وتزايد بهم الضرر الشامل ، والعربان قد تزايد ضرورهم
 في البلاد من الشرقية والغربية ، وابن عثمان في غاية التحرك على البلاد الحلبية ،
 ٩ والسلطان في غاية الظلم والمصادرات للناس بسبب خروج التجريدة إلى ابن عثمان
 ثانيا ، وصار العسكر في أمر مريع بسبب ذلك ، والإشاعات قادمة بوقوع فتنة بين
 الجلبان ، وقد صاروا فرقتان ، فرقة مع قانصوه خمسمائة ، وفرقة مع آقبردي الدوادار ،
 ١٢ والاضطراب بينهما عمال .

وفيه جاءت الأخبار من ثغر دمياط بوفاة السلطان الملك المنصور عثمان بن الملك
 الظاهر جقمق ، وكان ملكا جليلا وله اشتغال بالعلم على مذهب أبي حنيفة رضي الله
 ١٥ عنه ورحمه ، حتى صار مفتيا في طبقة العلماء ، ومات وهو في عشر الخمسين من العمر ؛
 فلما بلغ السلطان وفاته رسم بنقل جثته إلى مصر ، ودفن على أبيه الملك الظاهر
 جقمق ، وشرع في أسباب ذلك ، وعين من يتوجه إلى هناك ليحضره .

١٨ وفيه رسم السلطان بفك قيد أحمد بن هرسك الذي قد أسر ، وكذلك فك قيود
 من أمر من عسكر ابن عثمان ، وأخذوا في أسباب تجهيزهم إلى بلادهم ؛ وقد أشيع
 أمر الصلح بين السلطان وابن عثمان . - وفيه اشتد أمر الغلاء جدا ، حتى أبيع
 ٢١ القمح كل أردب بستة دنانير ، وأبيعت البطة الدقيق بأربعمائة وخمسين درهما ،

(٥) من المأكول ، تنقص هنا ورقة من مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ الذي نقل عنه ، وقد
 آتينا المتن من صفحتي ٦٥ ب و ٦٦ آ من مخطوط الفاتيكان رقم ٨٦٩ .

وأبيع خبز الذرة ، ولم يظهر خبز الذرة فيما تقدم من الغلات المشهورة ، حتى صنفوا
الموام رقصة ، وهم يقولون :

٣ زويحي ذى السخرة يطعمنى خبز الذرة
وصار يموت الكثير من الفقراء على الطرقات من شدة الجوع ؛ ثم إن السلطان
فتح عدة شون وباع منها القمح على حكم خمسة أشرفية كل أردب ، وصار المحتسب
٦ يضرب الناس من السوق على عدم بيع الخبز وإظهاره على الدكاكين . - وفيه أنعم
السلطان على مملوكه قيت الساقى بأمرية عشرة ، وكذلك مغلباى البجمقدار ، وقرّر
قيت الرجبى البجمقدار ، عوضا عن مغلباى . - وفيه حضرت جثة الملك المنصور
٩ عثمان من ثمر دمياط ، ودُفن على أبيه الظاهر جقمق بتربة قانى باى الجركسى .
وفيه قدم أبنال الخسيف نائب صفد أحد ممالك السلطان ، فلما حضر أرسل
السلطان خلعة وتقليدا إلى يلباى حاجب دمشق ، وقرّره فى نيابة صفد ، عوضا عن
١٢ أبنال الخسيف ؛ ثم بعد مدة قرّر أبنال الخسيف فى حجوبية دمشق ، عوضا عن
يلباى بحكم انتقاله إلى نيابة صفد . - وفيه توفى شمس الدين ابن سولة الفارسكورى ،
وكان من أعيان الشافعية ، من أهل العلم والفضل ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى
المنشد الطرب الواعظ المادح شمس الدين محمد بن حلة ، وكان من مشاهير الوعاظ ،
١٥ وله نظم جيد ، ومولده قبل العشرين والثمانمائة . - وفيه انحطّ سعر القمح ، وأبيع
الأردب القمح بأربعة دنانير ، بعد ستة أشرفية ، بواسطة كثرة جلب الذرة ، وقد
١٨ حصل للناس به غاية الرفق .

وفى صفر خسف جرم القمر ، واظلم الجو ، ودام فى الخسوف نحو من خمسين
درجة ، فلهج الناس بأن زوال السلطان قد قرب ، وما كان شيئا مما لهجوا به ، وأقام
٢١ السلطان بعد ذلك مدة طويلة ، ومما قيل فى المعنى :

لا تفعل الشمس شيئا لا ولا القمر وعن خسوفهما لا يصدر الكدر

(٦) الناس ، بداية صفحة ٦٦ آ من مخطوط الفاتيكانيان . (١١) حاجب : صاحب .
(١٦) انحط : انحل . (٢١) وما : مما .

وفيه توفي الشيخ نظام الدين محمد بن الحى بن الحنفى التركى ، وكان عالما فاضلا من أعيان الناس ، وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس ، فى سعة من المعيشة ، وفيه يقول المنصورى :

سبحان مَنْ مَنَّ بِمِيشِ الكلامِ على نظام الدين دون الأنام
(٩٩ آ) فلفظ أهل العلم درّ ولا يزّين ذاك الدرّ إلا النظام

وفيه جاءت الأخبار من مكة بوفاة الأمير قانصوه الخسيب الأحمدي الأينالى ، الذى كان أحد الأمراء المقدّمين ونفى إلى دمياط ، ثم نقل إلى مكة فأت بها ، وجرى عليه شدائد ومحن ، وكان من أعيان طائفة المماليك الأينالية ، وهو الذى تعصّب للأشرف قايتباى حتى تسلطن ، فما ناله منه خير ، كما يقال :

رُبَّ مَنْ تَرْجُو بِهِ دَفْعَ الأذى سوف يأتيك الأذى من قبله

وكان يقول فى مجالس بسطه : لولا أنا ما فرح قايتباى قط بالسلطنة ، فلما بلغ السلطان قايتباى ذلك جرى على قانصوه هذا ما لا خير فيه ، وكان يطلق لسانه فى حقّ الأشرف قايتباى بما لا يليق ، فحقّد ذلك عليه ، كما يقال :

وقد يُرجى لجرح السيف برء ولا برء لما جرح اللسان

وفى ربيع الأول توفي الأمير ملاج اليوسفى نائب القلعة ، وكان أصله من ممالك الظاهر جقمق ، وكان ديناً خيراً رئيساً حشماً عاقلاً ، عارفاً بفنون الفروسية ، وكان لا بأس به . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلاً على العادة . - وفيه تصدّى شخص من العوانية ، واحتكر بيع الملح وضمّنه بمكس ، ولم يكن يمهّد ذلك من قبل ، فلما جرى ذلك نشفت الملاحة فى تلك السنة حتى عزّ وجود الملح جداً .

وفى ربيع الآخر توفي الشيخ الصالح المعتقد سيدى عبد العظيم السدار ، الذى كان يبيع الصدر والحنّا عند الغرابليين ، وكان للناس فيه اعتقاد زائد ، وهو عبد العظيم بن ناصر بن خلف المصرى ، ومولده بعد العشرين والثمانمائة . - وفيه توفي

الشيخ محي الدين عبد القادر الفرصى ، وكان علامة في الفرائض ، وهو عبد القادر ابن على بن شعبان القاهري الحنفى ، وكان إمام جامع أصلام .

- ٣ وفي جمادى الأولى توفى الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن (٩ب) عبد الرحمن ابن عمر البلقينى الشافعى ، وكان فاضلا ناب في الحكم ، وكان محمود السيرة . - وفيه جاءت الأخبار من عند الأمير آقبردى الدوادار ، بأنه قد انتصر على العرب الأحامدة ، وكان توجه إلى الوجه القبلى بسبب ذلك ، فقتل منهم ما لا يحصى ، وأسر نساءهم وأولادهم ، وبعث بهم إلى مصر ، فأباعوهم كما يباع الرقيق من الزنج ؛ ووقع لآقبردى مع الأحامدة أمور غريبة ، يطول الشرح في ذكرها ، وعذب منهم جماعة بالنار ، وطم منهم جماعة بالتراب وهم أحياء ، وتفنن في عذابهم تفنينا ، وقد مهد بلاد الصعيد منهم ، وكانوا أظهروا الفساد بها جدا .

- وفيه توفى القاضى سراج الدين عمر بن حريز المالكى ، وهو عمر بن أبى بكر بن محمد بن محمد محرز الهاشمى القریشى العلوى الحسينى المنفلوطى المالكى ، وكان عالما فاضلا ديننا خيرا ، وولى قضاء المالكية بمد أخيه حسام الدين ، وجرى عليه شذائد ومحن ، وعزل من القضاء ودام معزولا حتى مات . - وفيه افتتن طائفتان من الزعر ووقع منهم أمور يطول شرحها ، وصاروا يقتلون بعضهم بعضا جهارا ، حتى أعياى الوالى أمرهم .

- وفي جمادى الآخرة توفى برد بك طرخان الظاهري جقمق ، وكان إنسانا حسنا لا بأس به ، وكان بيده امرأة عشرة يأكلها وهو طرخان . - وفيه أمر السلطان بتجديد عمارة قناطر بنى المنجا ، فخرج البدرى حسن بن الطولونى ، ومعه جماعة من البنائين والمهندسين بسبب العمارة ، وصرف على ذلك نحو من سبعة آلاف دينار ، وكانت هذه القناطر قد تشعقت وآلت إلى السقوط ، فتدارك السلطان ذلك ، وجاءت من أحسن البانى .

- وفيه توفيت ست الخلفاء ، ابنة الخليفة المستنجد بالله يوسف ، وكانت بارعة فى الحسن ، فكثرت عليها الحزن والأسف من الناس ، وكانت أمها ابنة قاضى القضاة ٢٤

علم الدين صالح البلقيني ؛ وكان عُقد لها على الأمير خشكلى البيسقى ، ثم فسخ
المعقد قبل الدخول ، (١٠ آ) ثم تزوج بها القاضى كاتب السرّ أبو بكر بن مُزهر ،
٣ ثم تزوّجت بعده بالقاضى قطب الدين الخيضرى ، ثم تزوّجت من بعده بالسيد
الشرىف إسحق البردينى وماتت تحته ، وكان مولدها سنة ستين وثمانائة .

وفيه فى يوم الجمعة كان عقد قانصوه خمسمائة على ابنة الأتابكى أذربك من خوند
٦ ابنة الظاهر جقمق ، عُقد بجامع القلعة ، وحضر القضاة الأربعة وأعيان الناس ،
وكان عقدا حافلا ، وأحضر السلطان عدّة زباده صينى فيهم سُكّر ، ومشنات
فاكهة ، فرقت فى الجامع ، فكان كما يقال فى المعنى :

٩ على أيمن الساعات عقد مبارك بهى كما شاء الإله وأظهر
سنىّ المعالى يُسّرت حركاته إذا الله سنىّ أمر عقد تيسرا

وفيه جاءت الأخبار بأن جانم الأجرود الأينالى كاشف منفلوط قد فرّ إلى بلاد
١٢ النوبة ، وكان السلطان أرسل بالقبض عليه ، ففرّ من الخوف على نفسه ، وأقام مدّة
وهو هارب ، حتى بعث السلطان إليه بالأمان .

وفى رجب لما صعدوا القضاة للتهنئة بالشهر ، أمر السلطان بالقبض على جماعة
١٥ القاضى الشافعى زين الدين زكريا ، فقبض على علاى الدين الحنفى النقيب ، وعلى أمين
الحُكْم الصائى ، وجماعة من الجُباة ، ووكل بهم لعمل حساب أوقاف الشافعية
التي تحت نظر القاضى الشافعى ، فاستمرّوا فى الترسيم بسبب هذه الواقعة نحوًا من
١٨ ثلاث سنين ، والسلطان يتعافل عنهم . - وفيه أخلع السلطان على القاضى عزّ الدين

الحسناوى ، وأعادته إلى قضاء الشافعية بحلب ، عوضا عن أبى البقايين الشحنة . -
وفيه توقّف النيل عن الزيادة اثنى عشر يوما متوالية ، إلى تاسع أيب ، فزاد قلق
٢١ الناس بسبب ذلك ، ثم بعث الله تعالى بالزيادة ، واستمرّت إلى أن أوفى ، وقال الفائل :
فى أيب جاء حرّ : فوق ما قد كان عادة زاد فيه النيل دفقا : قلت حرّ بزاده

(٤) البردينى : كذا فى ف ، وفى الأصل : التروى . (١٩) الحسناوى : فى ف : الحساوى .

(١٠ ب) وفيه كان دخول قانصوه خمسمائة على ابنة الأتابكي أذربك ، فحمل الجهاز من الأذربكية إلى دار قانصوه خمسمائة التي بقناطر السباع ، فلما شقّ من القاهرة كان له يوم مشهود ، فسكان به من الحمّالين التي عليها الأمتعة زيادة على أربعمائة حمّال ، ٣ فدهش الناس لرؤيته ، ورجّت له القاهرة ، وعُدّ من النوادر ، قيل كان ما صرف عليه نحو من مائتي ألف دينار ، ولما كان ليلة المُرسُ عمل بالأذربكية ، وكان حافلا ، ومُدّت هناك الأسمطة الحافلة ، ثم إن قانصوه خمسمائة ركب بعد العشاء من باب ٦ السلسلة ، ومشت قدّامه الأمراء المقدّمين وهم بالشاش والقماش ، ومشت الخاصكية قدّامه وبأيديهم الشموع الموقدة ، فشقّ من القاهرة حتى وصل إلى الأذربكية ، وعُدّت هذه الزفّة من النوادر الغريبة ؛ لكن حصل تلك الليلة غاية الضرر من ٩ المالك الجلبان ، خطفوا الممائم ، وضربوا جماعة من الأمراء المقدّمين ، وخطفوا الشمع من أيدي الخاصكية ، وما حصل تلك الليلة منهم خير ، وكادت تكون فتنة عظيمة . ١٢

وفيه رسم السلطان لكسباى المحتسب بأنّ يجمع له أعيان التجار الذين بالأسواق ، فلما عرضوا عليه قال لهم : ساعدوني بشيء من المال على خروج ١٥ التجريدة ، ثم أفرض عليهم أربعين ألف دينار ، فضجّوا من ذلك ، وقالوا : ما نقدر على هذا القدر كله ، فلا زال يخفض عنهم من ذلك القدر والتجار يقولون : ما نقدر على هذا ، فلما طال الأمر بينهم وبين السلطان تقرّر الحال على أن يردوا اثني عشر ألف دينار إذا خرجت التجريدة ، فانقضّ المجلس على ذلك . ١٨

وفى شعبان توفيت الست فاطمة ابنة الجمالى يوسف ناظر الخاص ، التي كانت زوجة الأمير خاير بك سلطان ليلة ، وكانت رئيسة حشمة لا بأس بها . - وفيه توفى الشيخ تاج الدين بن قاضى القضاة سعد الدين الدميرى الحنفى ، وكان ولى بعد أبيه ٢١ مشيخة الجامع المؤيدى ، وكان عالما فاضلا ، أخذ العلم عن أبيه ومولده سنة خمس (١١١ آ) وثمانمئة . - وفيه كان وفاء النيل المبارك ، فى ثانى عشر مسرى ، وتوجّه

- الأتابكي أزبك وفتح السد على العادة . - وفيه قرّر قرقاس من وليّ الدين في الأمرة
آخورية الثالثة ، وكانت شاعرة مدّة ؟ وقرّر في باشية الجند بمكة الشرفة أزدمر
٣ الأشرفي برسباي ، عوضا عن شاد بك أمير آخور الظاهري ، بحكم وفاته .
- وفي رمضان أخلع السلطان على الشيخ بدر الدين بن الديري ، وقرّر في مشيخة
الجامع المؤيدي ، عوضا عن عمه تاج الدين ، فأقام بها مدّة يسيرة وسمى عليه محيي
٦ الدين عبد القادر بن الدهانة الحنفي ، فقرّره السلطان بها ، وقد أورد مالا له صورة . -
وفيه وصل الأمير آقبردي الدوادار ، وكان مسافرا نحو الوجه القبلي ، بسبب فساد
عربان طائفة الأحامدة ، وقد تقدّم ما جرى عليهم منه .
- ٩ وفيه أخلع السلطان على الشيخ بدر الدين بن قاضي القضاة صلاح الدين
المسكيني ، وقرّر في مشيخة الخشائية ، عوضا عن الشيخ فتح الدين محمد بن قاضي
القضاة علم الدين صالح البلقيني الشافعي ، بحكم وفاته في شهر رجب ؛ وقد سمي فيها
١٢ بدر الدين المسكيني بمال له صورة حتى قرّر بها . - وفيه توفي القاضي عبد الغفار
الميدومي الشافعي ، أحد نواب الحكم ، وكان لا بأس به . - وفيه ختم قراءة صحيح
البخاري بالقلمة ، وكان بالحوش كالعام الماضي ، وفرقت الصرر على الفقهاء بحكم
١٥ النصف ، وقطعت صرر من له خلع ، وقد شحّ السلطان في هذه الأيام جدا .
- وفي شوال جاءت الأخبار ب وفاة نائب الشام قجماس الإسحاق الظاهري ،
وكان ديننا خيرا في غاية الاحتشام مع لين جانب ، وكان إنسانا حسنا لا بأس به ،
١٨ وهو الذي أنشأ المدرسة التي عند درب الأحمر بقرب سوق الغنم ، وأنشأ مثلها
بدمشق ، وله آثار حسنة غير ذلك . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على يشبك من
حيدر والي القاهرة ، فأمر بنفيه إلى الكرك ، فشفع فيه الأتابكي أزبك وردّ
٢١ (١١ ب) من الخانكة ، فعزل من الولاية واستقر في أمرة عشرة .
- وفيه توفي الجلال أبو البقا بن الشحنة الحلبي الشافعي ، قاضي القضاة بحلب ،
وكان عالما فاضلا تقلّد بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكان والده حنفي

- المذهب ، فقدم إلى القاهرة معزولا ، ومات بها ، وكان لا بأس به . - وفيه أرسل السلطان خلف قانصوه اليحياوى ، الذى كان نائب الشام وعزل ، ونفى إلى القدس بطالا بسبب ما وقع فى فتنة بايندر كما تقدم ، فلما حضر أخلع عليه السلطان وأعادته ٣ إلى نيابة الشام ، عوضا عن قجاس الإسحاق بحكم وفاته .
- وفيه أخلع على مغلباى الشربى ، الذى كان أستاذار الصحبة ، وقرّر فى ولاية القاهرة ، عوضا عن يشبك من حيدر بحكم صرفه عنها ؛ ثم بعد مدة طويلة أخلع على ٦ أسنباى المبشر ، وقرّر فى أستاذارية الصحبة ، عوضا عن مغلباى بحكم انتقاله إلى الولاية . - وفيه جاءت الأخبار بفرار شاه بُضاع بن ذلغادر ، وكان مسجوننا بقلعة دمشق ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكّد إلى الغاية ، ورسم بشفق نائب قلعة دمشق ؛ ٩ ثم جاءت الأخبار بأن شاه بُضاع لما فرّ من قلعة دمشق توجه إلى ابن عثمان ، فأكرمه وأقام عنده إلى أن كان من أمره ما سندكره فى موضعه .
- وفيه خرج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب الحمل أزدمر تمساح ، وبالأول ١٢ خاير بك كاشف الحملة . - وفيه توفى مجد الدين إسماعيل الشطرنجى ، وكان عالية فى نقل الشطرنج ، وجيها عند الأمراء ، كثير العشرة للناس ، ومولده بعد الثلاثين والتمائة . -
- وفيه تغير خاطر السلطان على موفق الدين بن القمص الأسلمى ناظر الدولة ، فضربه ١٥ بالمقارع بين يديه بالحوش ، وسلّمه للأمير آقبردى الدوادار ؛ ثم أخلع على شرف الدين ابن البدر حسن وقرّره فى نظر الدولة ، عوضا عن موفق الدين بن القمص الأسلمى .
- وفى ذى القعدة قدم قاصد من عند ملك الغرب صاحب الأندلس ، وعلى يده ١٨ مكتابة من مرسله ، تتضمن بأن السلطان يرسل إليه تجريدة تعينه على قتال الفرنج ، فإنهم قد أشرفوا على أخذ غرناطة ، (١٢ آ) وهو فى المحاصرة معهم ؛ فلما سمع السلطان ذلك اقتضى رأيه بأن يبعث إلى القسوس الذين بالقيامة التى بالقدس ، بأن ٢١ يرسلوا كتابا على يد قسيس من أعيانهم إلى ملك الفرنج صاحب نابل ، بأن يكاتب صاحب قشتالية ، بأن يحمل عن أهل أندلس ويرحل عنهم ، وإلا يشوش السلطان
- (٢١) الذين بالقيامة : الذى بالقيامة . (٢٢) نابل : كذا فى ف ، وفى الأصل : بابل .

- على أهل القيامة ، ويقبض على أعيانهم ، ويمنع جميع طوائف الفرنج من دخول القيامة ويهدمها ؛ فأرسلوا قاصدهم وعلى يده كتاب إلى صاحب نابل كما أشار السلطان ، ولم يفد من ذلك شيء ، وملكوا الفرنج مدينة غرناطة فيما بعد . ٣
- وفيه توفى الشهاب الأبشيهي أحمد بن محمد المحلى الشافعي ، وكان عالما فاضلا ، وناب في الحكم مدة طويلة ، وكان رئيسا حشما وجيها عند الناس . - وفيه توفى أربك الأشرقي أحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به . - وفيه كان علف الدواب غاليا ، ففرّق السلطان الأضحية على الأمراء والجند من قبل عيد النحر بخمسة وعشرين يوما ، فمُدّ ذلك من النوادر .
- وفي ذى الحجة في سابع عشره خرج قانصوه اليحياوى إلى محل نيابته بدمشق ، وكان له يوم مشهود . - وفيه سقطت قبة جامع القلعة على المحراب والمنبر ، وقتلت تحتها بواب الجامع ، وولده ، فرجّت لها القلعة ، وخرج السلطان وهو ماشي حتى يرى ما سقط في الجامع ، وكان ذلك قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام ، فأمر السلطان بشيل الأتربة من الجامع ، ثم أخذ في أسباب عمل قبة غيرها ، فجدد هذه القبة الموجودة الآن ، وجدد المنبر ، وكان قبل ذلك من الخشب ، فجدد وجعله من الرخام الملون ، وجدد عمارة الميضة التي بالجامع ، وجاءت من أحسن الباني . ١٥
- وفيه أخلع السلطان على شخص من مماليكه يقال له سيباي من بمختجا ، وقرّره في نيابة سيس ، عوضا عن قانصوه الجمالى بحكم وفاته . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على الجمالى يوسف كاتب الممالك ، وأخذ منه تسعة آلاف (١٢ ب) دينار ، وجرت عليه وعلى والده أبى الفتح نائب جدّة أمور يطول شرحها ، حتى آل أمره إلى ذهاب عقله واعتراه جنون .
- ٢١ وفيه قويت الإشاعات بثوران فتنة من الممالك الجلبان ، وكثر القال والقليل في ذلك ، ونقل غالب الأمراء وأرباب الدولة أمّتهم من الدور خوفا من النهب عند وقوع الحركة ؛ فلما ترايد الكلام في ذلك صلى السلطان الجمعة ، فلما فرغ من الصلاة
- (١) القيامة : القامة . (٢) نابل : كذا في ف ، وفي الأصل : نابل .

دخل إلى الحوش وجلس على الدكة ، ثم أحضر أغوات الطباقي ، وأعيان المالك
الجلبان ، وكلمهم بكلمات كثيرة ، ووبّخهم بالسكلام ، حتى قال : إن كان قصدكم
قتل فدونكم ذلك ، فاستغفروا له ، ثم آل الأمر إلى صلحهم مع السلطان وسكون
هذه الفتنة قليلا ؛ فلما خرجوا من عنده عادوا لما كانوا عليه من ثوران الفتنة ،
حتى أشيع بين الناس أن السلطان قد تهيأ للفرار بنفسه ، ولا يعلم أين يتوجه ،
وقد ترايد القول في ذلك ، فكان كما يقال :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم في أمر مزيب ، وكانت الأسمار مرتفعة
في سائر البضائع ، والإشاعات قائمة برجوع عسكر ابن عثمان وزحفهم على البلاد
الحلبية ، والإشاعات قائمة بثوران فتنة كبيرة بمصر بين الجلبان ، والأحوال واقفة ،
والسلطان ناظر إلى الظلم وأخذ أموال الناس ، والأمر إلى الله ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة

فيها في المحرم سافر قانصوه اليحياوى إلى الشام ، وقد تقدّم بأنه تقرّر في نيابة
الشام ، نخرج في موكب حافل . - وفيه سمح خاطر السلطان بأن ينفق على مماليكه
توسعة على نزول خيلهم من الربيع ، فأعطى لكل مملوك عشرة دنانير والقراصة خمسة
دنانير وللسيقية ثلاثة دنانير ، فأصرف في هذه الحركة جملة مال كبير . - وفيه جاءت
الأخبار بقتل حسن بن سليمان بن عيسى بن عمر الهواري ، أخو داود بن عمر
أمير هوارة ، قتله بمضى أعدائه من العربان ، وكان شابا حشما لا بأس به (١٣ آ) .
وفيهِ توفي جاني بك حبيب العلای الأيئالی أحد الأمراء الطليخانات وأمير آخور
ثاني ، وكان رئيسا حشما حلو اللسان حسن العبارة ، سيموسا دربا عارفا ، فصيح
اللسان بالعربية ، توجه قاصدا إلى يعقوب بن حسن الطويل ، ثم توجه قاصدا إلى
ابن عثمان ملك الروم ، وكان مقبول الشكل حسن الوجه ، ومات ولم يظهر الشيب

بلحيته ، وجرى عليه شدائد وعمن في دولة الظاهر خشقدم ، وفرّ إلى بلاد الغرب وأقام بها حتى توفي الظاهر خشقدم ، فعاد إلى مصر ، وكان له خصاصة بالأشرف قايتباى . - وفيه توفي بيبرس اليوسفى الظاهرى أحد المشرات ، وكان لا بأس به .

وفيه بلغ سعر الراوية من الماء نحو من ثلاثة أنصاف ، ذلك بسبب عدم وجود الجبال ، تسلط الممالك الجلبان على السقاين لأجل حمل الدريس ، فحصل للناس غاية المشقة بسبب ذلك . - وفيه وصل الحاج إلى القاهرة ، وكان أشيع عنهم أمور شنيمة فظهر أن ذلك كذب ، وكان أشيع عنهم بأن طائفة عربان الأحامدة قد استولوا على الحاج ولم ينج منهم أحد . - وفيه جاءت الأخبار بأن ابن عثمان بمث عساكر عظيمة ، وقصد المحاربة لمسكر مصر ، فانزعج السلطان لهذا الخبر جدا .

وفي صفر أحضر خضر بك من مال باى نائب القدس ؛ فلما مثل بين يدي السلطان أمر بضربه ، فضرب ضربا مؤلما ، وأقام في الترسيم حتى أورد مالا له صورة ، وكان كثر فيه الشكاوى عند السلطان وآل أمره إلى أن عزل عن نيابة القدس . - وفيه قرّر دقاق السيفي أبنال الأشقر في نيابة القدس ، عوضا عن خضر بك بحكم صرفه عنها .

١٠ وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية ب وفاة السلطان الملك المؤيد أبى الفتح أحمد بن الملك الأشرف أبنال الملاى الجركسى ، وكانت وفاته بثر الإسكندرية في ليلة رابع عشر هذا الشهر ؛ فلما بلغ السلطان ذلك أخذ في أسباب إحضار جثته إلى القاهرة ، ودفنه على أبيه الأشرف أبنال ؛ وكان المؤيد (١٣ ب) هذا رئيسا حشما قليل الأذى ، وجرى عليه شدائد وعمن ، ونفى إلى الإسكندرية ودام بها إلى أن مات ، وكان في عشر المحسين ، وقد تقدّم ترجمته عند ما ولى السلطنة ، ثم أحضرت جثته فيها بمد ودفن على أبيه .

ومن الوقائع الغريبة أن محب الدين أبو الطيّب الأسيوطى بلغه أن السلطان قد تغيّر خاطره عليه وقصد الإخراق به ، فلما تحقّق ذلك توجه إلى القياس وألقى نفسه

في البحر عمدا ، ففرق ومات ، وكان عالما فاضلا من ذوى العقول ، رئيسا حشما ، وجيها عند الأمراء وأرباب الدولة ، وكان من أعيان موقعين الحكم ، وكان عارفا بأمور صنعة التوقيع ، وكان اسمه محمد بن محمد بن علي بن عمر بن حسين القاهري الشافعي ، ٣ ومولده سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، ولكن هانت عليه نفسه لما تأمل ما سوف يجري عليه ، وكان له أعداء كثيرة ، نخاف على نفسه من السلطان ، فكان كما يقال في المعنى :

لا تُظهِرنَ لما ذل أو عاذر حاليك في السراء والضراء
فلرحمة التوجعين حرارة في القلب مثل شماتة الأعداء

وفي ربيع الأول قرّر السيد الشريف موفق الدين الحموي في نظر الجيش بدمشق ، ٩ عوضا عن محي الدين عبد القادر بحكم موته ؛ وقرّر ولده عبد الرحيم في كتابة السراء بدمشق . - وفيه قررايدكي الأشرفي في نيابة القلعة بدمشق ، عوضا عن علي بن شاهين بحكم صرفه عنها . - وفيه عمل السلطان المولد النبوي ، وكان حافلا على العادة في ١٢ العام الماضي . - وفيه أحضر السلطان بطرك النصارى ، ورئيس اليهود ، وقرّر على طائفة اليهود والنصارى مالا له صورة بسبب خروج التجريدة إلى ابن عثمان ، وهذا أول فتح باب المصادرات للناس . - وفيه قرّر في أمرة الحاج بركب المحمل ١٥ جان بلاط الأشرفي الخاصكي أحد الدوادارية ، وقرّر بالركب الأول كرتباى كاشف البحيرة .

وفيهِ أنعم السلطان على مماليكهما : قانصوه الأتني ، وقانصوه الشامي ، بتقدمتي ١٨ ألف . - ومن الحوادث فيه أن السلطان رسم بتوسيط مجد الدين (١٤٤ آ) بن البقري ، وقد جرى عليه شذائد وعجن ، وسجن بالمقشرة ما يزيد على ست سنين ؛ وكان السلطان يكرهه طبعاً ، وقد بلغه أن مجد الدين هذا لما قتل يشبك الدوادار أظهر الشماتة به ، ٢١ وتخلّق عياله بالزعفران ، وكان حصل له مع يشبك كناية عظيمة ، فلما قتل فرح به وأظهر السرور ، فلما أن بلغ السلطان تأثر منه وجرى له ما جرى ؛ وكان مجد الدين

رئيسا حشما ، ولى الأستاذارية غير ما مرة ، وكذلك الوزارة ، وكان أصله من القبط واسمه شاكر بن علم الدين ، فوسطوه ببركة الكلاب ، ثم حملوه إلى تربة عمه يحيى فدفن بها ، وكان عنده بعض عسف وظلم .

وفيه عمل السلطان الموكب وأخلع على جماعة من الأمراء ، فقرر برسباى قرا فى أمرة مجلس ، عوضا عن أزدمر قريب السلطان ، بحكم عوده إلى نيابة حلب ، وكانت أمرة مجلس شاغرة فى هذه المدّة ؛ وقرر تغرى بردى ططر فى الرأس نوبة الكبرى ، عوضا عن برسباى قرا ، بحكم انتقاله إلى أمرة مجلس ؛ وقرر تانى بك الجمالى فى حجبوية الحجاب ، عوضا عن تغرى بردى ططر ، بحكم انتقاله إلى الرأس نوبة الكبرى ؛ وقرر يشبك من حيدر ، الذى كان والى الشرطة ، أمير آخور تانى ، عوضا عن جانى بك حبيب ، وكان بيده أمرة طبلخانات ؛ وقرر شاد بك أخوخ فى نيابة القلعة ، عوضا عن ملاج بحكم وفاته .

وفى ربيع الآخر أخلع على أسنباى المبشر الأشرفى ، وقرر فى أستاذارية الصحبة ، عوضا عن مغلباى ، بحكم انتقاله إلى ولاية الشرطة ؛ وقرر أيناى النقيسه الظاهرى فى الحجبوية الثانية ، عوضا عن تانى بك الألياسى ، وكانت هذه الوظيفة شاغرة ؛ وقرر كرتباى بن أخت السلطان فى مملكة الدلايين ، وهى وظيفة تاجر المالك ، عوضا عن قانصوه الشامى ، بحكم انتقاله إلى التقدمة .

وفى هذا الشهر أنعم السلطان بأمرىات عشرة على جماعة من خاصكيتيه ، منهم : قصره السيفى آقبردى ، وقانصوه من فارس المعروف بقرا ، ودولات باى الفلاح ، وجان بلاط النورى ، وسودون المعجمى ، (١٤ ب) وأصطمر من ولى الدين ، وآخرين منهم . - وفيه صرف شرف الدين بن البدر حسن عن نظر الدولة ، وضرب بين يدى السلطان ، وأخلع على قاسم شميعة وأعيد إلى نظر الدولة .

ومن الحوادث أن فى يوم الخميس عاشره جلس السلطان على الدكة بالحوش على

(١٠) أخوخ : فى ف : شاد بك من مصطفى المعروف بالحوش .

(١٤) الألياسى : فى ف : الايناسى .

العادة ، فثار ريح عاصف ، فوقعت من شدته السحابة التي بالحوش ، فأصابت جماعة من الأمراء ، وجرح تانى بك الجمالى حاجب الحجاب فى وجهه ، وقد وقع عامود السحابة ، وجرح أيضا دولات باى الحسنى ، وطاحت تخافيف الأمراء وعمائم ٣ المباشرين ؛ فقام السلطان من وقته ودخل إلى البحرة ، وتهارب العسكر وظنوا أنها القيامة ، وهرب الفراشون أصحاب النوبة خوفا على أنفسهم من السلطان ، وقد اظلم الجو ظلمة شديدة ، وقام رعد وبرق ، ثم أمطرت السماء مطرا غزيرا حتى جرى السيل ٦ فى الأسواق والشوارع ، وكان يوما مهولا .

وفيه جاءت الأخبار من سيس بأن فى ذلك اليوم وقع بها صاعقة مهولة ، هدمت سور قلعتها ، وقتل بها من الناس جماعة . - وفيه توفى شرف الدين عبد الباسط بن البقرى ، أخو مجد الدين شقيقه ، وكان رئيسا حشما ولى عدة وظائف سنية ، منها نظر الاسطبل ، ونظر الأوقاف ، ونظر الدولة ، وكان وجيها عند الناس حسن الهيئة ، فكان بين موته وموت أخيه مجد الدين نحوًا من شهر ، وقيل مات مسموما . ١٢

وفى جمادى الأولى جاءت الأخبار من حلب بأن أبا يزيد بن عثمان جهز عسكرا وقد وصل إلى أدنة ، فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت أحواله ونادى للعسكر بالعرض ، فحضر الأنايكى أذربك باشى العسكر ، فكتب بحضرته من الجند نحوًا من ١٥ أربعة آلاف مملوك ، وعين من الأمراء المقدمين أحد عشر أميرا ، ومن الأمراء الطبلخانات والعشرات زيادة على ستين أميرا ، حتى عدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد التى لم يسمع بمثلا ، وقد بلغ السلطان أن ابن عثمان جمع من المساكر ما لا يحصى ، فلما عرض الجند وعين الأمراء أخذ فى أسباب تفرقة النفقة ؛ ثم إنه عين ثلاثة من الخاصكية يسرون على الهجن (١٥ آ) لكشف أخبار ابن عثمان بما يكون من أمره واستحثهم على الخروج وردّ الجواب إليه بسرعة ؛ ثم عين آقبردى ٢١ الدوادر وكاتب السر ابن مظهر بأن يتوجها إلى جبل نابلس ، بسبب جمع العشران من عرب نابلس .

وفيه جاءت الأخبار بأن يعقوب بن حسن الطويل وقع بينه وبين صاحب هراة من الفتن ما لا يمتدّ عنه ، وآل الأمر إلى كسرة يعقوب وانهمزاه ، وقتل من عسكره ما لا يحصى ، فشقّ على السلطان هذا الخبر . - وفيه قرّر شرف الدين بن البدر حسن في نظر الأوقاف ، عوضا عن شرف الدين بن البقرى بحكم وفاته ، وقد وليها ابن البدر حسن غير ما مرّة .

وفيه تغيّر خاطر السلطان على الأمير دولات باى الحسنى وأمر بنفيه إلى مكة ، فخرج إلى الخانكة ، ثم طلع الأتابكي أزبك وشفع فيه ، حتى عاد إلى داره . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة جاني بك الإبراهيمي الأشرفي الطويل نائب صفد ، ثم دوا دار السلطان بحلب ، وكان لا بأس به ؛ فلما مات قرّر في دوا دارية السلطان بحلب أركاس من ولى الدين ، عوضا عن جاني بك الإبراهيمي بحكم وفاته . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن عسكر ابن عثمان قد استولى على قلعة إياس من غير قتال ولا مانع ، فانزعج السلطان لهذا الخبر .

وفي جمادى الآخرة بعث السلطان نفقات الأمراء المقدمين والعشرات ، فبلغت النفقة على الأمراء خاصة دون الجند مائة ألف دينار وثلاثة آلاف دينار ، وكانت الأمراء المعيّنين للتجريدة أحد عشر أميراً مقدّم ألف ، وهم : الأتابكي أزبك أمير كبير ، وتمرّاز الشمسى أمير السلاح ، وبرسباى قرا أمير مجلس ، وقانصوه خمسمائة أمير آخور كبير ، وتغرى بردى ططر رأس نوبة النوب ، وتانى بك الجلالى حاجب الحجاب ؛ وأما الأمراء المقدمين غير أرباب الوظائف وهم : أزبك اليوسفى المعروف بالخازندار ، وتانى بك قرا الأينالى ، وبشيك الجلالى السيفى ناظر الخاص يوسف ، وقانصوه الألقى ، وقانصوه الشامى ؛ وكانت الأمراء (١٥ ب) الطبلخانات والعشرات نحواً من خمسين أميراً ؛ ثم نفق على الجند فأعطى لكل مملوك مائة دينار وجامكية أربعة شهور ثمانية آلاف درهم ، وثمانى مائة شرفية .

فكان جملة النفقة على الأمراء والجند نحواً من ألف ألف دينار حتى عدّ ذلك من

النوادر ، ولم يُسمع بمثل ذلك فيما تقدّم من الدول الماضية ، أن أحدا من السلاطين فعل مثل ذلك ، فكانت نفقة الأتابكي أربك وحده ثلاثون ألف دينار ، وكانت عادة نفقة الأتابكية إلى دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف دينار ، ولم يُسمع بأوسع من ٣ هذه النفقة قط ، فكان كما يقال .

تهب أوفيا ولا تهاب أوفها هان العدو لديك والدينار

- ٦ فلما أخذوا الممالك النفقة ، أطلقوا في الناس النار ، وأخذوا الأبنال والخيول حتى أكاديش الطواحين ، وحصل منهم الضرر الشامل في حق التجار وغير ذلك . وفيه جاءت الأخبار من بلاد المغرب باستيلاء الفتن صاحب قشتالية على مدينة مالقة من بلاد الأندلس ، وكانت كائنة عظيمة وقعت هناك . - وفيه كان خروج الأتابكي أربك ومن عُيّن معه من الأمراء والعسكر ، فرجّت لهم القاهرة ، وكان يوما مشهودا ، واستمرت الأطلاب تنسحب من إشراق الشمس إلى بعد الظهر ، وخرج العسكر وهم لابسون آلة السلاح حتى عُدت ذلك من النوادر الغريبة ، وكان طُلب ١٢ الأتابكي أربك وطُلب قانصوه خمسمائة غاية في الحسن ، حتى قيل كان مصروف طُلب قانصوه خمسمائة بنحو من ثمانين ألف دينار ؛ ثم إن الأمراء نزلوا بالريديانية واستمروا هناك إلى أن رحلوا ، ولم تخرج من مصر تجريدة أعظم من هذه ، حتى ١٥ ولا في أيام برقوق .

وفيه قبض السلطان على أبي الفتح المنوفي نائب جدّة ، ورسم عليه بطبقة الزمام ،

- ١٨ وكان حصل له ماخولية وطرف جنون ؛ ثم أخلع على شاهين الجالي وقرّره في نيابة جدّة ، عوضا عن أبي الفتح ، ثم أمر السلطان بتوجه أبي الفتح إلى البيمارستان ، فإنه لما أحضر بين يديه كلمة السلطان ، فردّ له الجواب كجواب من في عقله خلل ، فأمر بضربه بالمقارع ، فشفع (١٦ آ) فيه بعض الأمراء ، وشهد جماعة من المباشرين ٢١ بأنه قد حصل له ماخولية ، فأمر بأن ينزلوا به إلى البيمارستان وهو عريان مكشوف الرأس ، ماشى وفي عنقه زنجير ، ورسم بأن يدعوه عند المجانين ، ففعلوا به ذلك ، فأقام

في البيارستان أياما ثم شُفع فيه ، فماد إلى طبقة الزمام وأقام في الترسيم ؛ وكان
 أبو الفتح في خدمة السلطان من حين كان شاد الشراب خاناه ، وكان عنده من القرّيين ،
 ٣ ثم عذر به ووقع له معه أمور يطول شرحها . - وفيه توفي برسباى أطلasha الشمسى
 الظاهرى أحد الأمراء العشرات ، وكان من خشداشين السلطان ، وكان لا بأس به .
 وفي رجب بلغ السلطان بأن العربان قالت : إن مصر ما بقى بها من الجند إلا قليلا
 ٦ وزاد طمعهم في حقّ الترك ، فرسم السلطان لن بقى في القاهرة من الجند بأن يركبوا
 في كل يوم أحد وأرباء ، ويسيروا إلى جهة المطرية ويعودوا ويشقوا من القاهرة ،
 وفي أوساطهم السيوف والترائكيش ، وهم راكبون الخيل ، فصاروا يفعلون ذلك
 ٩ في كل يوم أحد وأرباء ، ويدخلون إلى القاهرة أفواجا أفواجا ، وتقعد الناس على
 الدكاكين لرؤيتهم ، فأقاموا على ذلك مدة ثم بطل . - وفيه كان انتهاء عمل القبة ،
 التي جددها السلطان بجامع القلعة عوضا عن التي سقطت ، فجدها وجدّ المنبر ،
 ١٢ وصارت من أحسن المباني .

وفيه من الحوادث أن السلطان جدّد مظلمة شنيعة ، وهى أنه أرسل لكاشف
 الشرقية بأن يأخذ من البلاد الخمس من خراج المقيمين ، بسبب تجهيز خيالة من
 ١٥ فرسان عربان الشرقية ، يتوجّهون إلى المعسكر عونه ، بسبب قتال عسكر ابن عثمان ،
 فحصل للمقيمين غاية الضرر من كبس البلاد والقبض على الفلاحين ، ونسب ذلك
 إلى شرف الدين بن البدر حسن ، بأنه كان هو القائم في ذلك ، فتوعّده المماليك
 ١٨ الجلبان بالقتل ، ونهبوا بيته فيما بعد ، وقد جُبى الخمس من خراج المقيمين سنتين
 متواليه ، ولم تخرج خيالة من الشرقية ، وكانت زيادة مظلمة أخرى .

وفيه وصل الزينى أبو بكر بن مزهر كاتب السرّ ، وقد تقدّم القول إنه (١٦ ب)
 ٢١ خرج إلى نابلس صحبة الأمير آق بردى الدوادار ، بسبب جمع العشران من عرب نابلس
 لأجل التجريدة الماضى خبرها ، فحضر وهو متوّعك في جسده ، فلم يقابل السلطان
 ولا طلع إلى القلعة ، واستمرّ ملازما الفراش بداره حتى مات ، كما سيأتى الكلام

على ذلك في موضعه . - وفيه وصل قاصد ملك الفرنج صاحب الأنكرس من بني الأصفر ، وصحبته هدية حافلة للسلطان ، فأكرمه وأنزله في مكان عُدّ له .

وفي شعبان توفي دولات باي من مصطفى الأشرقي المعروف بالأجروود نائب ٣ غزّة ، ثم بقي أحد الأمراء المقدمين بدمشق ، وكان لا بأس به . - وفيه توفي الشيخ شمس الدين محمد بن قاسم بن علي الشافعي شيخ مدرسة كاتب السرّ ابن مُزهر ، التي أنشأها في حارة برجوان ، وكان من أهل العلم والفضل وله شهرة بمصر ، وكان لا بأس به .

وفيه جاءت الأخبار ب وفاة تغرى بردى ططر الشمسي الظاهري جقمق ، رأس نوبة النوب ، توفي بحلب ، وكان من أجلّ الأمراء ، وتولّى عدة وظائف سنّية ، ٩ منها : نيابة القلعة بمصر ، ثم بقي مقدّم ألف ، ثم بقي حاجب الحجاب ، ثم بقي رأس نوبة النوب ، وخرج مع العسكر في التجريدة فأت بحلب ، ومما وقع له أن الأمراء لما خرجوا في هذه التجريدة طلبوا كلهم على المادة لا خلان منه ، فإنه خرج بغير ١٢ طُلب ، فلما طلع إلى القلعة مقتته السلطان بسبب ذلك ، فقال له تغرى بردى ططر : لا تمقتني ولا أمقتك ، أنا ما بقيت أردّ من هذه السفارة ، وكان الأمر كذلك ، كما يقال : إن البلاء موكل بالمنطق . ١٥

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن ابن عثمان بعث عدة مصراكب من البحر الملح وهي مشحونة بالمساكر ، وقد وصلت إلى جهة باب الملك ، ليقاطع بها على العسكر المصري ، فأتّم له ذلك ، وأخذله الله تعالى ، وكانت النصرة لمسكر مصر ، كما سيأتي ١٨ الكلام على ذلك في موضعه . - وفيه كان وفاء النيل المبارك ، وقد أوفى حادي عشر مسرى ، فتوجّه آقبردى الدوادار وفتح السدّ ، ولم يتفق لآقبردى أنه نزل لفتح السدّ غير هذه السنة ، لموجب غيبة الأتابكي أزيك (١٧ آ) وبقية الأمراء ، وكان له يوم ٢١ مشهود . - وفيه أخلع على فارس المنصوري ، وقرّر في نيابة دمياط ، عوضا عن شاد بك الأشقر ، بحكم صرفه عنها .

وفى رمضان ، فى الثالث منه ، كانت وفاة الزينى أبو بكر بن مُزهر ، كاتب السرّ
بالديار المصرية ، وهو أبو بكر بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن عثمان
المعروف بمُزهر الدمشقى الأنصارى الشافعى ، وكان عالما فاضلا عارفا بالفقه ، رئيسا
حشما انتهت إليه رئاسة عصره ، وكان وجيها عند الملوك والسلاطين ، وولى عدة
وظائف سنّية ، منها : نظر الاسطبل ، ونظر الجيش ، وكتابة السرّ ، ودام بها نيّفا
وعشرين سنة ، حتى مات وهو مقرّر بها ، وتسكّم فى وظيفة قضاء الشافعية مدّة ،
ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة ، وكان قد شاخ وكبر سنّه ، فلما مات رثيقه
بقصيدة منها ، وهو قولى من أبيات :

٩ صارت مرامله كمثل أرامل تبكى بأعينها دما وتترّب
وكذا الدواة تسوّدت أقلامها حزنا عليه وأقسمت لا تكتب

فكانت جنازته مشهودة ، وغطى نعشه بمرقعة من الصوف ؛ فلما توفى أخلع
السلطان على ولده المقرّ البدرى محمد ، وقرّر فى كتابة السرّ بمصر ، عوضا عن أبيه
بحكم وفاته ، ذلك فى يوم الخميس سادس عشره ، وأخذ منه مالا له صورة حتى تولى
هذه الوظيفة ، وكان شابا فى عشر الثلاثين لما قرّر فى كتابة السرّ ، وكان السلطان
محتفلا به ، فاستخلص منه أموال أبيه بحسن عبارة ، ولما تولى كتابة السرّ قلت فيه
١٥ بيتان ، وهما :

١٨ تشرّفت الإنشاء من آل مُزهر بنجل سما قدرا وشاع له ذكر
أضأت به الأيام فى مصر بهجة ولم لا وقد أضحى يلوح لها البدر

وفيه جاءت الأخبار بأن الأتابكى أربك ملك باب الملك ، واستخلصه من أيدى
عسكر ابن عثمان ، بعد أن أنوا إليه فى نحو من ستين مركبا ، وهى مشحونة بالمقاتلين
٢١ وآلة السلاح ، فقتلّ العسكر المصرى من ذلك (١٧ ب) وانقطعت قلوبهم ، وظنّوا
أنهم هم المأخوذون ، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله تعالى عليهم بريح عاصف ، فأغرق
غالب تلك المراكب فى البحر الملح ، والذى فرّ من العثمانية وطلع إلى البرّ ، فقتلهم
٢٤ العسكر المصرى ، وكانت النصرة لهم على العثمانية ، وكان هذا على غير القياس ، فلما

تحقق السلطان هذا الخبر سرّاً به جداً ولم يصدق بذلك .

وفيه جاءت الأخبار من بلاد المغرب بوفاة صاحب تونس ، السلطان المتوكل على الله عثمان بن محمد بن محمد بن العزيز أحمد البهياني الموحدي ، وكان ملكاً جليلاً أقام في ٣ الملك نحواً من أربع وخمسين سنة ، ومات وهو في عشر السبعين سنة ، ومما مدح به وهو قول القائل من شعراء الغرب :

٦ بقيت ولا أبقى لك الدهر حاسداً فإنك في هذا الزمان فريد
عُلاك سوار والممالك معصم وجودك طوق والبرية جيد
ولما توفي تولى بعده ولد ولده يحيى ، المعروف بحفيده ، فلم تطل مدته وقتل ، واستطال عليه أعمامه . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة سييأى من قانى باى الطيورى ٩ الظاهري نائب حماة ، وكان لا بأس به . - وفيه ورد الخبر من الأتابكي أذربك ، بأن في ثامن شهر رمضان وقعت معركة عظيمة بين عسكر مصر والعثمانية ، وقتل من الفريقين ما لا يحصى ، فكان ممن قُتل من أمراء مصر : دولات باى الحسنى رأس ١٢ نوبة ثانى أصيب بمدفع ، وقُتل من المماليك السلطانية عدّة وافرة ، ومن العسكر العثماني أكثره ، وقد هزموا العثمانية وغنموا منهم عسكر مصر أشياء كثيرة ، من خيول وسلاح وغير ذلك ؛ فلما سمع السلطان بهذا الخبر أمر بدقّ البشار بالقلعة ، فدقّت ١٥ سبعة أيام .

وفي شوال وصل مغلباى البجقمقدار أحد العشرات من ممالك السلطان ، وصحبته عدّة رءوس ممن قُطعت من عسكر ابن عثمان ، وكانوا نحواً من مائتي رأس ، ١٨ فشقّ مغلباى من القاهرة وقدّامه تلك الرءوس وهى على الرماح ، وكان له يوم مشهود ، فأخلع عليه السلطان ونزل في موكب حافل ؛ ثم أخبر بوفاة مغلباى الفهلوان الحمدي الأشرقي أينال أحد العشرات ورءوس (١٨ آ) النوب ، وكانت وفاته ٢١ بحلب ، وكان عارفاً بفن الصراع علامة فيه .

وفيه جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان بعد ما حصل له هذه الكسرة عاد أيضاً إلى أذنة ، وأن العسكر المصرى شرع في حصارهم بها ، وقد تهادى الأمر في ذلك ٢٤

حتى أخذت بعد مضي ثلاثة أشهر ، وقتل في مدة المحاصرة من الفريقين ما لا يحصى ، وآل الأمر إلى أن أخذوها بالأمان ، وجرى أمور في ذلك يطول شرحها .

٣ وفيه خرج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل جان بلاط الخاصكى أحد الدوادارية ، وبالأول كرتباى الكاشف المعروف بالأحمر كاشف الغربية الأشرفى ، وحجّ في تلك السنة داود بن عمر أمير عربان هوارة . - وفيه توفيت دولات باى الجركسية ، سرية الظاهر جقمق ، وهى زوجة برقوق نائب الشام ، وكانت دينة خيرة لا بأس بها . - وفيه أرسل السلطان خلعة إلى أيتال الخسیف باستقراره في نيابة حماة ، وقد سعى له الأتابكى أزبك في ذلك .

٩ وفيه جاءت الأخبار بوفاة قائم دهيشة من أزدمر الأشرفى الخاصكى الساقى ، أحد خواص السلطان ، خرج إلى دمشق في بعض مهمات السلطان فمات بدمشق ، وكان شابا جميل الهيئة حسن الشكل لا بأس به . - وفيه أعيد زين الدين الحسبانى إلى قضاء الحنفية بدمشق ، وصرف عنها مجد الدين الناصرى وسجن بقلعة دمشق . - وفيه توفى الناصرى محمد بن محمد بن محمد بن سلامش بن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، وكان رئيسا حشما من مشاهير أولاد الأسياد .

١٥ وفي ذى القعدة توفى القاضى خير الدين الشنشى محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن موسى القاهرى الحنفى ، وكان من أعيان نواب الحنفية ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ، وترشح أمره بأن يلى قضاء الحنفية بمصر ، ولم يتم ذلك له ، ومولده سنة أربعين وثمانائة . - وفيه قرّر شخص يقال له محب الدين ، وكان أصله من الأقباط ، فقرّر في نظر الجيش بدمشق ، عوضا عن السيد الشريف موفق الدين ، بحكم صرفه عنها ، فأعيب ذلك على السلطان ، فاتفق أن محب الدين المذكور لما دخل إلى الشام أقام بها أياما ومرض ومات ، وكان قد جدت في السعى على الشريف موفق الدين وأورد مالا له صورة .

(١٨) وثمانائة : ومائة .

وفيه (١٨ ب) ضرب السلطان شخصا من نواب الحنفية يقال له شهاب الدين القصيف ، ورسم بنفيه إلى النواح ، فشُفِع فيه وكتب عليه قسامة بأنه لا ينوب في الحكم قط ، ولا يسمى في ذلك ، بل ولا يشهد في شيء من الأمور الشرعية ، لأمر ٣ أوجب ذلك . - وفيه أحضرت جثة دولات باي الحسنى ، رأس نوبة ثاني ، من أدنة ، ودُفنت بمصر في تربته .

وفى ذى الحجة توفى الشيخ تقي الدين السخاوى ، واسمه أبو بكر بن عبد الرحمن ابن محمد القاهرى الشافى ، وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث ، سمع على الحافظ بن حجر وغيره ، وكان لا بأس به . - وفيه قدم البدرى محمود بن أجا ، قاضى قضاة الحنفية بحلب ، فأقام بالقاهرة مدة ، ثم عاد إلى حلب على وظيفته . - وفيه توفى ٩ برسباى الملاى الطويل الظاهرى ، أحد الأمراء الطبلخانات ، وكان يعرف بالبواب ، خرج إلى التجريدة فأت هناك . - وتوفى قرقاس المحدى الظاهرى المعروف بالعلم ، وكان أحد الأمراء العشرات ، وكان عارفا بفنون الرمح علامة ١٢ فى ذلك .

وتوفى ملاج الظاهرى جتمع أحد العشرات ، وكان دينا خيرا من ذوى المقول ، ومما وقع له أنه كان بيده إقطاع خراب ، وعنده عيال كثير وله أولاد ، فوقف إلى ١٥ السلطان وشكى له حاله ، وأن إقطاعه خراب لا يحصل له منه شيء ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه ، فنزل إلى داره ودخل إلى طبقة مهجورة عنده ، وعمل إلى سلبية وربطها فى سقف الطبقة ، وعمل فيها خيَّة وشنق نفسه بها فمات ، وقد هانت عليه ١٨ نفسه من شدة قهره ، وكان ساكنا فى الجودرية ، فراح القتل فى كيسه ولا تأثر له أحد .

وفيه جاءت الأخبار بقتل صاحب طرابلس الغرب ، واسمه أبو بكر بن عثمان بن ٢١ محمد الحفصى ، قتله صاحب تونس ، وقتل ولده أيضا ، وجماعة من أعوانه . - وتوفى فى هذه السنة جماعة كثيرة من الأعيان ، منهم قاضى الإسكندرية محمد بن محمد بن عوض المالكي ، وكان لا بأس به ، انتهى ذلك . ٢٤

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثمان (١٩ آ) مائة

- ٣ فيها في الحرم ، لما طلع القضاة للتهنئة ، رسم السلطان بعرض نواب الشافعية ونواب الحنفية ، وكلهم كلاما مزججا ، وأمر بإبطال جماعة منهم ، وجرى أمور يطول شرحها ، ثم آل الأمر إلى التهجير عليهم في الأحكام الشرعية ، وأن لا يسجنوا الخصم إلا بإذن من القاضي الشافعي والحنفي ، وعم ذلك سائر النواب . - وفيه تغير
- ٦ خاطر السلطان على الطوائف خشقدم الزمام الخازندار والوزير أيضا ، فرسم بالقبض عليه في وسط الحوش ، وهم بضربه ثم آل الأمر إلى أن خرج منفيا إلى سواكن ، واحتاط على موجوده قاطبة ، واستمر منفيا إلى أن مات هناك ، وكان عنده عسف وظلم ، وشدة بأس ، وسفاهة اسنان ، وكان غير مشكور في أفعاله .
- ٩ وفيه وقعت نادرة غريبة ، وهو أن شخصا يقال له عبد القادر بن الرماح ، وكان له خصاصة بالسلطان ، فقال له إن الشيخ عبد القادر الدشطوطي ، وهو شخص من عباد الله الصالحين ، وكان قصد السلطان الاجتماع عليه ، فقبل له إنه يتردد إلى مكانه عند جامع محمود بالقرافة تحت الجبل المقطم ، فقال السلطان : لما يحضر هناك أعلمني ، فعمد عبد القادر بن الرماح إلى شخص كان يقرب في الشبه من الشيخ عبد القادر الدشطوطي ، وكان يدعى أنه شريف ، فأعلم السلطان بأن الدشطوطي يحضر تلك الليلة إلى المكان المذكور .
- ١٢ فصلی السلطان العشاء ونزل وصحبته ثلاثة أنفس ، فأتى إلى ذلك المكان ونزل عن فرسه ، فوجد ذلك الشخص جالسا ورأسه في عبّ ، فشرع السلطان يقبل رجله ، ويقول له : يا سيدي أحمد حملتي مع ابن عثمان ، فصار ذلك الشخص يتغرب عليه ، ويقول له : انت ما ترجع عن ظلم العباد ، فطال المجلس بينهما ، ثم إن السلطان دفع له كيسا فيه خمسمائة دينار ، وقيل ألف دينار ، فصار يمتنع من ذلك ، والسلطان يتلطف به ، ويقول له : فرق ذلك على الفقراء ، ثم ركب ومضى وهو يظن أنه الدشطوطي .
- ١٨
- ٢١

ثم بعد أيام انكشفت هذه الواقعة ، وظهر أنها مفتعلة ، فلما تحقق السلطان ذلك ، فأحضر عبد القادر بن الرماح ، والشخص الذى تزايا بزى الدشوطى ، وخادم المكان الذى كانوا به ، فضرُّوا بين يدى السلطان (١٩ ب) بالمقارع ، وأما ٣ عبد القادر بن الرماح الذى كان سببا لذلك ، رسم السلطان بحلق ذقنه ، وأشهره فى القاهرة على حمار ، ثم سجنه بالمقشرة إلى أن مات عقيب ذلك ؛ وكانت هذه الواقعة من أغرب الوقائع التى لم يُسمع بمثلها ، ومع أن عبد القادر بن الرماح كان من ذوى ٦ العقول ، ولاكن يجبو الزناد ، ويكبو الجواد ، كما يقال :

ولمَّا رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وفى صفر أنعم السلطان على مملوكه جنان بلاط من يشبك بأمرة عشرة ، وهى ٩ أول استظهاره فى العلو والرفعة ، وجان بلاط هذا هو الذى تسلطن فيما بعد - وفيه جاءت الأخبار أن صاحب فاس من بلاد الغرب ، بأنه قد غزا الفرنج واستخلص منهم عدّة بلاد كانت أخذت من يد المسلمين ، فأعادها لهم ، وقُتل ولده فى المعركة . - ١٢ وفيه صار المسكر من المالك السلطانية يدخلون إلى القاهرة شيئا فشيئا قبل حضور الأتابكي أربك ، فتنكّد السلطان لذلك .

وفى ربيع الأول عمل السلطان السولد النبوى ، وكان غالب الأمراء مسافرا فى ١٥ التجريدة ، فكان أمر السباط فيه بحكم النصف عن العادة . - وفيه بلغ السلطان أن المالك الذين حضروا من التجريدة ، يقصدون أن يثيروا فتنة كبيرة ، ويطلبوا من السلطان نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت لهم ، ثم بلغ السلطان أن المالك قالوا : ١٨ إن كان السلطان ما يعطينا نفقة قتلنا الأمراء والمالك الذين كانوا بمصر لم يسافروا ، وذكروا كلمات كثيرة من هذا النمط .

فلما تحقق السلطان ذلك أخذ فى أسباب تحصيل المال ، فاجتمع بالقضاة الأربعة ٢١ وذكر لهم أن الخزائن نفذ ما كان فيها من المال ، وأن المالك يقصدون نفقة وإن لم

(٧) يجبو . . . ويكبو : يجبوا . . . ويكبوا .

(١٧ و ١٩) الذين : الذى . (١٧) يقصدون : يقصدوا .

أنفق عليهم شيئاً وإلا يثيروا فتنة كبيرة ، فاتفق الحال على أن يفرضوا على أرباب الأملاك والأوقاف التي بمصر والقاهرة أجرة شهرين مساعدة للسلطان على النفقة ، فانقضّ المجلس على ذلك ، وبإلته كان اقتصر على هذه المظلمة فقط ، ولكن اتسع الأمر بعد ذلك حتى كان ما سذكركه (٢٠ آ) في موضعه ؛ ثم إن السلطان أمر تغرى بردى الأستاذار بأن يتكلم في ذلك ، هو وناظر الخاص ابن الصابوني ، فالتسموا التصرف في ذلك ، فشرعوا في جباية المال .

ثم بعد أيام من هذا الشهر دخل الأتابكي أذربك ومن كان معه مسافرا في التجريدة من الأمراء وبقية العسكر ، وكان لهم يوم مشهود ؛ ومن العجائب أن في حالة دخولهم إلى القاهرة أشيع بين الناس عودهم إلى حلب عن قريب ، فإن عسكر ابن عثمان قد استولى على سيس وعلى طرسوس وغير ذلك من البلاد الحلبية ؛ وحضر صحبة الأتابكي أذربك جماعة كثيرة من عسكر ابن عثمان ، أتوا طائمين باختيارهم ، فنزلهم السلطان في ديوانه وقرّر لهم الجوائفك ، وهم إلى الآن في الديوان يسمّون العثمانية . ثم قويت الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة ، وأن المماليك قد صمّموا على أخذ النفقة لكل واحد منهم مائة دينار ، فتقلق السلطان من هذه الإشاعات واشتدّ عليه الأمر .

وفي ربيع الآخر ، في يوم السبت رابعه ، جلس السلطان على الدكة بالحوش ، وأرسل خلف القضاة الأربعة وسائر الأمراء ، فلما تكامل المجلس ، قال السلطان للقضاة والأمراء : هذه المماليك يرومون منّي نفقة ، وقد نفذ جميع ما في الخزان من المال على التجاريد ، ولم يبق بها شيء من المال ؛ ثم أقسم بالله أن نفذ منه على التجاريد من حين ولي السلطنة وإلى الآن سبعة آلاف ألف دينار ومائة وخمسة وستين ألف دينار ، ثم قال للأمراء : اختاروا لكم من تسلطنوه غيري ؛ وأحضر فرس النوبة بالسرّج الذهب والكنبوش ، وأحضر القبة والطير ، ثم قام وقال للقضاة : انشدوا عليّ أني قد خلعت نفسي من السلطنة ؛ وشرع يفكك أزراره ، وقصد الدخول

- إلى قاعة البحرة ، فتملق به القضاة ومنعوه من ذلك ، وشرع قاضي قضاة المالكية محي الدين بن قتيبي ، وأظهر التأسف لهذه الواقعة ، وصار يتفارش ويتترّب .
- ثم إن الأمير تمتاز أمير سلاح صار يعيش بين الجلبان وبين السلطان في عمل ٣ المصلحة ، فكثير القال والقليل في ذلك ، (٢٠ ب) وضجّ العسكر ، وتردّت الوسائط بين السلطان وبين الجلبان ، ثم تقرّر الحال بعد جهد كبير على أن السلطان ينفق على الجلبان لكل واحد منهم خمسين دينارا ، من ذلك أربعين دينارا معجلا ٦ ويتأخر عشرة ينفقها عليهم بعد مضي شهرين ، وأن القرائصة ينفق عليهم خمسة وعشرين دينارا ، فتقرّر الحال على ذلك وسكن الاضطراب قليلا .
- ثم إن السلطان أرسل خلف الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز ، وكان ساكنا ٩ عنده بالحوش ، فلما حضر جدّد له مبايعة ثانية بحضرة القضاة الأربعة ، فكانت مدة سلطنته في هذه المرة الأولى ، إلى يوم خلعها هذا ، اثنين وعشرين سنة إلا ثلاثة أشهر ، ثم قام الخليفة ونزل القضاة إلى دورهم ، وانقضّ الموكب وكان يوما مهولا ١٢ .
- ثم إن السلطان أخذ في أسباب تحصيل جمع المال لأجل النفقة ، واستحثّ في إجصار ما يجبي من المال بسبب الشهرين الذي أفرضها على أرباب الأملاك ، ثم أفرض على الممالك القرائصة وأولاد الناس الذين لم يسافروا في التجريدة ، فقرّر ١٥ على من له جامكية ألفين ، أربعين دينارا ، ومن له ألف جامكية ، بحكم النصف من ذلك ، ومن لم يرد شيئا من ذلك تقطع جامكيته ستة أشهر حتى يغلق ما أفرض عليه ، ثم نفق على الممالك فيما بعد . ١٨
- وفيه نار جماعة من العوام على الشيخ شهاب الدين أحمد الشيشيني ، الذي ولى قضاء الحنابلة فيما بعد ، وكادوا أن يقتلوه لولا أنه اختفى مدة طويلة حتى سكن الأمر وسبب ذلك نقل عنه أنه فدأفت السلطان بحلّ ما يجبي إليه من أجرة الأملاك عن ٢١

(١٨) فيما بعد : أضيف بعدها في ف ما يأتي : وأن الأمير تمتاز شفع في القرائصة وأولاد الناس أن لا يردوا شيئا مما قرر عليهم ، وكان الغالب منهم أورد شيئا وراح عليه ، والمتأخر لم يحط شيئا بسبب الشفاعة .

الشهرين الماضى خبرها ، فلما بلغ العوام ذلك ناروا عليه وقصدوا قتله ، فاستمرّت مخفيا حتى توجه إلى مكة وجاور بها مدة .

٣ وفيه كانت وفاة الشيخ بدر الدين بن الفرس ، وهو محمد بن محمد بن محمد بن خليل ابن على بن خليل القطهرى الحنفى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ، عارفا بأصول الفقه ، وله نظم جيد ، وولى عدة تداريس سنّية ، وناب فى القضاء مدة ، ثم ولى مشيخة تربة الأشراف برسباى ودام بها حتى مات ، وكان من أعيان الحنفية وذكر (٢١ آ) إلى قضاء الحنفية غير ما مرّة ، ومن نظمه ، وهو قوله :

٩ إن جاءكم صبّ بكم فأكرموا مشوا تجزّون خيار الثواب
وجابوا العذال عن غدا من سقمه لا يستطيع الجواب

ولما مات رئاه شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى بقوله :

١٢ لقد اظلمت مصر واقفرت الدنيا لموت عديم المثل بل أوحده العصر
سأعجب إن ضاءت ليلالى عصرنا وكيف يكون الضوء مع عدم البدر

وفيه كانت الأسعار مرتفعة فى سائر البضائع ، ونسب ذلك إلى إهمال كسباى المحتسب ، فرفع بعض الناس قصّة يشكو فيها من أفعال المحتسب ، بأنه لم ينظر فى مصالح المسلمين ، فوجه السلطان بالكلام ، ثم بطحه بين يديه وضربه نحو من عشرين عصاة ؛ فلما نزل من القلعة أطلق فى السوق النار ، وكذلك سماءرة القمح ، وجرى بسبب ذلك أمور شتى . - وفيه كانت وفاة الحافظ قطب الدين الأخيضرى محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضميرة الرملى الدمشقى الشافعى ، وكان عالما فاضلا محدثا رئيسا حشما ، وكان من أخصاء الأشراف قايتباى ، وولى عدة وظائف سنّية ، منها كتابة سرّ دمشق ، ونظر جيشها ، وقضاء الشافعية بها ، وغير ذلك من الوظائف ، ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة .

٢٤ وفيه بعث السلطان بالقبض على مملوكه أربك النصرانى ، وكان قرّره فى نيابة كركر ، فوقع منه غاية الفساد هناك ، وآل أمره بأن حُرّت رأسه وعُلقت على باب قلعة كركر ، وكان من شرار الناس . - ومن الحوادث فى أثناء هذا الشهر ، أشيع

بين الناس بأن فرس البحر قد ظهرت عند شبرا ، وصارت تترامى للناس مدة ثم اختفت ، وتحققت الأقوال بذلك .

- وفيه أخلع السلطان على الأمير أربك اليوسفي المعروف بالخازندار وقرّره في ٣ الرأس نوبة الكبرى ، عوضا عن تغرى بردى ططر ، بحكم وفاته بحلب ؛ وأخلع على شاد بك أخوخ وقرّره في الدوادارية الثانية ، عوضا عن قانصوه الأنفي ، بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وكانت الدوادارية الثانية شاغرة مدة ؛ وأنعم على مملوكه طقطباى بأمرة ٦ عشرة (٢١ ب) وجعله متحدثا في نيابة القلعة ، عوضا عن شاد بك أخوخ حتى يرى من يوليّه نيابة القلعة ، فاستمرّ بها إلى الآن من غير أن يخلع عليه بها ؛ وأنعم على يشبك من حيدر الذي كان والى الشرطة بتقدمة ألف ، مضافا لما بيده من ٩ الأمير آخورية الثانية ؛ وأنعم على مملوكه جانم الذي كان أميرا بالشام بتقدمة ألف ، وكتب له بذلك وهو بالشام ؛ وقرّر أيضا مملوكه مغلباى الشريفي في تقدمه ألف ، مضافا لما بيده من ولاية القاهرة ، فأقام على ذلك مدة حتى تقرّر في الولاية غيره ١٢ وفيه كان ابتداء تفرقة النفقة على الجند كما تقرّر الحال عليه ، على أن للجلبان خمسين دينارا وللقرانصة خمسة وعشرين ، وقد أخرج للجلبان عشرة دنانير من الخسین، ووعدهم بأن يعطيها لهم فيما بعد . - وفيه توفي تقي الدين ناظر الزردخانا ، فلما مات ١٥ قرّر ولده عبد الباسط في نظر الزردخانا ، عوضا عن أبيه . - وفيه جاءت الأخبار بأن شاه بُضاغ بن ذلغادر حضر إلى الأبلستين ، ومعه طائفة من عسكر ابن عثمان ، وكبس على أخيه على دولات وقبض على اثنين من أولاده ، فلما بلغ السلطان ذلك ١٨ ازعج لهذا الخبر جدا . - وفيه أعيد الشهابي أحمد بن الجمال يوسف ناظر الخاص إلى نظر الجيش ، وصرف عنها بدر الدين بن أخيه كمال الدين .
- وفيه عين السلطان عدة من أمراء البلاد الشامية ، فقرّر في حجویية دمشق ٢١ يونس نائب البيرة ؛ وقرّر في نيابة البيرة أينال باي من جلبانه ، وكان يقرب له ؛ وقرر باكير بن صالح الكردي حاجب حلب في نيابة قلعة الروم ؛ وقرر مملوكه قانصوه الفوري في حجویية حلب ، عوضا عن باكير ، وقانصوه هذا هو الذي ولى السلطنة ٢٤

فيا بعد ؛ وقرر أركاس من طراباي في دوادارية السلطان بدمشق ؛ وقرر قنبك نائب بهسنا في دوادارية السلطان بحلب ؛ وقرر في نيابة بهسنا كرتباي الأشرفي من مماليكه ، فخرجت إليهم المراسيم بمعنى ذلك .

وفيه أخلع السلطان على تاني بك الجمالي الظاهري وقرر في أمرة مجلس ، عوضا عن برسباي قرا ، بحكم (٢٢ آ) وفاته في التجريدة بحلب ، وكان تغير خاطر السلطان على تاني بك الجمالي وقصد نفيه إلى مكة بسبب أمرة مجلس ، فإنه قصد أن يقرره في الرأس نوبة الكبرى ، فامتنع من ذلك وصمم على أنه ما يلي إلا أمرة مجلس ، فتغير خاطر السلطان عليه بسبب ذلك ، وأقام أياما لا يطلع إلى القلعة ، ثم أرسل خلفه وأخلع عليه وأقره في أمرة مجلس على كره منه . - وفيه أرسل السلطان خلعة إلى عبد الرزاق أخى على دولات ، وقرره في أتابكية حماة ، عوضا عن ابن طرغل ، ونقل ابن طرغل إلى نيابة طرسوس .

وفيه جاءت الأخبار من عند نائب حلب ، بأن عسكر ابن عثمان ، لما بلغهم رجوع العسكر المصري ، طمع في أخذ البلاد الحلبية ، وأرسل يستحث السلطان في خروج تجريدة بسرعة لحفظ مدينة حلب ؛ فلما بلغ السلطان ذلك عرض العسكر وعين تجريدة ، وكتب عدة وافر من الجند ، وجعل الباش على هذه التجريدة قانصوه الشاى أحد القدمين الألوف ، ومن الأمراء الطبايخانات يشبك جنب الرأس نوبة الثانى ، وأزدمر الفقيه الظاهري ، وكرتباي من تمرباي ابن أخت السلطان ، وأصطمر من ولى الدين أحد العشرات ، فلما عرض الجند نفق عليهم وعلى الأمراء ، وحرصهم في سرعة الخروج إلى التجريدة من غير إهمال .

وفي جمادى الأولى توفى الشيخ محب الدين ، أخو قاضى القضاة الشافعى ولى الدين الأسيوطى ، وكان عالما فاضلا ، وناب في الحكم ، وولى خطابة الجامع المؤيدى ، وكان لابأس به . - وفيه توفى القاضى شمس الدين محمد بن الجليس أحد نواب الحنابلة ، وكان من الأعيان مشكور السيرة .

وفي جمادى الآخرة رسم السلطان بسلخ شخص يسمى أحمد بن الديوان من

٣

٦

٩

١٢

١٥

١٨

٢١

٢٤

أهل حلب ، فسلخه في المقشرة ، وسلخ ولده محمد معه ، وأشهروها في القاهرة على جملين ، وكان أحمد بن الديوان من أعيان الرؤساء بحلب ، وكان من أخصاء السلطان ، فنقل عنه أنه كاتب ابن عثمان في شيء من أخبار المملكة ، فلما بلغ السلطان ذلك ٣
تغير خاطره عليه وجرى له أمور يطول شرحها ، وكانت (٢٢ ب) من الوقائع الموهلة . - وفيه أنتم السلطان على طوخ الحمدي البجمقدار بأمرة عشرة .

٦ وفيه خرجت التجريدة ومن تعين بها من الأمراء والعسكر ، وكان يوما مشهودا ، قيل بلغت النفقة على الجند والأمراء في هذه التجريدة الخفيفة نحوًا من مائة وخمسين ألف دينار ، غير جامكية أربعة أشهر ونحو الجلال ، وكان السلطان دربا في خروج هذه التجريدة لصون مدينة حلب . - وفيه قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان ، ٩
يشير على السلطان بأن يبعث قاصدا إلى ابن عثمان لعل يكون الصلح ، فأعيد له الجواب : إذا أطلق تجار المالك الذين عنده ، وبعث مفاتيح القلاع التي أخذها ، كاتبناه في أمر الصلح ، وأرسلنا إليه قاصدا ؛ ولكن جرى بعد هذه الواقعة أمور شتى . ١٢

وفي رجب أخلع على ثاني بك الحمدي الأيغالي أحد العشرات ، وقرّر في شادية الشون ، وأشركوا معه آقبردي ططر الظاهري أحد العشرات أيضا . - وفيه توفي الشيخ جمال الدين الكوراني ، شيخ خانقاة سميد السعداء ، وهو عبد الله بن محمد بن ١٥
حسن بن خضر بن محمد الأردبيلي الشافعي ، وكان عالما فاضلا دينا خيرا ، ومولده بعد الثلاثين والتمائة .

١٨ وفي شعبان قرّر في مشيخة خانقاة سميد السعداء الشيخ زين الدين عبد الرحمن السنطاوي الشافعي ، عوضا عن جمال الدين الكوراني بحكم وفاته . - وفيه ثارت فتنة من الممالك الجلبان بسبب العشرة دنانير التي تأخرت لهم من الخمسين التي تقرّر الحال عليها في أمر النفقة ، فما سكنت الفتنة حتى نفقها لهم . - وفيه حضر إسكندر ٢١
ابن ميخال أحد أمراء ابن عثمان ، وقد أسره بعض النواب ، وكان على دولات هو

(١١) الذين : الذي . (١٩) السنطاوي : في ف : الفناوي .

(٢٢) ميخال : في ف : جيجان .

القائم في القبض عليه ، فكان له بالقاهرة لما دخل يوم مشهود ، وأسر معه جماعة من العثمانية ، فلما عرضوا على السلطان رسم بسجنهم . - وفيه توفى سودون الثور ٣ أحد العشرات ، وكان لا بأس به ؛ وتوفى الطواشي مرجان الجمال المعروف بستائة ، وكان من أعيان الطواشية . - وفي آخر يوم من شعبان كان وفاء النيل المبارك ، وفتح السدّ في أول يوم من رمضان .

٦ وفي رمضان في أول يوم منه كان فتح السدّ عن الوفاء ، ووافق ذلك سادس مسرى ، فنزل الأتابكي أزبك وفتح السدّ على العادة ، وقيل (٢٣ آ) إن جماعة من أوباش العوام أظفروا ذلك اليوم من شدة الحرّ والعطش . - وفي أثناءه عمل الأتابكي أزبك وقدة حافلة وحرقة نقت في بركة الأزبكية ، وعزم على الأمراء وكانت ليلة حافله . ٩

وفي شوال كان أول توت ، وهو يوم النوروز عند القبط ، وكان عيد الفطر ١٢ عند المسلمين ، فعدّ ذلك من النوادر . - وفيه خرج الحاجّ على العادة ، وكان أمير ركب الحمل أذمر تمساح ، وكان الحاجّ في تلك السنة قليلا . - وفيه جاءت الأخبار من سواكن بوفاة الصاحب خشقدم الأحمدي ، وكان رئيسا حشما من أعيان الطواشية ، ١٥ وولى عدة وظائف سنّية ، منها الوزارة ، والزمّامية ، والحازندارية الكبرى ، وكان ظلما غاشما عسوقا من وسائط السوء . - وفيه توفى الشيخ أبو الفضل محمد المحلى الحنفى ، وكان من أعيان الحنفية .

١٨ وفي ذى القعدة توفى الطواشي مرجان التقوى ، وكان لا بأس به ؛ وتوفى نورروز أخو برسباي قرا أمير مجلس ، وكان من العشرات من خيار الظاهرية ، وكان لا بأس به ؛ وتوفى الشيخ جمفر بن إبراهيم السنهوري الشافى ، شيخ القراء بمصر ، ٢١ وكان يقرئ بأربعة عشر رواية ، وكان علامة في فن القراءات . - وفيه جاءت جماعة من تجار الإسكندرية يشكون من نائبها على باى بأنه جار عليهم في الظلم والمصادرات ، فأرسل إليه السلطان يحدّره من ذلك .

وفى ذى الحجة أنعم السلطان على سييأى نائب سيسى بأمرة عشرة ،
وكذلك كسبأى من أزبك الساقى . - وفيه توفى شعبان بن الزوارى شيخ
القبائين ، وكان علامة فى صنعة القبانة ، وتحريره فى الأوزان ؛ وتوفى سليمان ٣
ابن محمد المغربى إمام الخليفة ، وكان فاضلا فى علم الميقات ، وله شهرة فى ذلك ، انتهى
ما أوردناه من ذلك .

٦ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثمانمائة

فيها فى الحرم كسفت الشمس كسوفاً تاماً حتى اظلمت الدنيا ، وثار عقيب ذلك
أرباب عاصفة حتى فزع الناس من ذلك . - وفيه قدم إلى القاهرة (٢٣ ب) شاه
بضاغ بن ذلنادر ، وقد تقدم القول بأنه هرب من قلعة دمشق وكان ٩
مسجوناً بها ، فلما هرب توجه إلى ابن عثمان والتف على عسكريه وملك الأبلستين ،
واستمر فى عصيان مدة طويلة ، ثم وقع بينه وبين ابن عثمان وقصد قتله ، ففرّ
منه والتجأ إلى السلطان ؛ فلما حضر أكرمه وأخلع عليه ، ثم بعد مدة بمته ١٢
إلى أسبوط يقيم بها ، وأجرى عليه ما يكفيه ، فمُدّ ذلك من جملة سعد السلطان ،
وكانت من النوادر .

وفى صفر توفى الطواشى سرور السيفى قراخجا الحسنى ، وكان لا بأس به ، ١٥
وولى رأس نوبة السقاة وغير ذلك . - وفيه كان اقتران المريخ مع زحل فافرط البرد
فى تلك الأيام ، حتى أحرق الأشجار وجمد المياه ؛ وذكر بعض المنجمين أن هذا
الاقتران يدلّ على وقوع فتن ، وأن البرد يستمرّ أياماً متوالية ، وهو فى تزايد من ١٨
الإفراط حتى صار الثلج ينزل فى الليل وينعقد على الجدارات بناحية الجيزة ، ومات به
الكثير من الحرافيش من شدة البرد ، فكان كما يقال فى المعنى :

٢١ ويوم برد يد أنفاسه تَحْمَشُ الأوجُه من قَرَصِها

(٢) الزوارى : فى ف : الزواوى . (١٣) أسبوط : فى ف : منفلوط .

(١٥) خجا : فى ف : قجا .

يوم تَوَدَّ الشمس من برده لو جَرَّت النار إلى قُورصها
وفيه كثرت الشكاوى في محمد بن إسماعيل قاضي الواح ، فأمر السلطان بإحضاره ،
٣ فلما حضر عرّاه وضربه بالمقارع ، ثم أشهره في القاهرة وهو على حمار ، ثم
سجنه بالمقشرة فسات بها بعد أيام ، وكان من كبار الظلمة من المفسدين في
الأرض ، فلما أخرجت جنازته ثار عليه طائفة كثيرة من الألواحية ، ورجوه
٦ بالحجارة وهو في النمش ، وأرادوا حرقه بالنار ، فبا خلصوه ودفنوه إلا بعد
جهد كبير .

وفي ربيع الأول جاءت الأخبار من عند على دولات بأن ابن عثمان في تجهيز
٩ عساكر ، وقد وصل أوائلهم إلى كولك ، فلما بلغ السلطان ذلك تنسّد لهذا الخبر ،
وجمع الأمراء وأخذ رأيهم في ذلك ، فوقع الاتفاق على خروج تجريدة صحبة الأتابكي
أزبك ، ثم أخذ السلطان في أسباب جمع الخمس من ضواحي الشرقية ، كما فعل عند
١٢ خروج التجريدة الماضية (٢٤ آ) لأجل جمع فرسان العرب ، لتخرج صحبة أمير كبير
أمام المسكر ، فحصل للمقطعين بسبب ذلك غاية الأذى ، وقطع الخمس من خراجهم
مرتين . - وفيه أخلع السلطان على قيت من قائم الساق وقرّر في ولاية القاهرة ،
١٥ عوضاً عن مغلبى الشريفى ، بحكم انتقاله إلى التقدمة ، وكان متسكماً في الولاية مع
التقدمة . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلاً .

وفيه نادى السلطان للمسكر بالمرض ، وأشيع أمر التجريدة إلى ابن عثمان ،
١٨ فلما عرض المسكر بادر إليهم بتفرقة النفقة ؛ ثم وقع في ذلك اليوم بعض اضطراب
من الممالك الجلبان ، وقام السلطان من على الدكة ونزل وقال : أنا أترك لكم عن
السلطنة وأمضى إلى مكة ؛ فتلفّ به الأمراء ، ثم آل الأمر من بعد ذلك إلى أن

(٥) الألواحية : الألواحية ، وفي ف : أولاد أخيه .

(١٤) مرتين : أضيف هنا في ف ما يأتي : وفيه عرض السلطان أولاد الناس أصحاب

الجوامك من ألف درهم إلى دونه ، وكان أمرهم أن يتعلموا رمى البندق الرصاص قبل ذلك ، فلما
عرضهم وأرموا قدامه كتبهم إلى التجريدة ، ونفق عليهم كل واحد ثلاثين ديناراً ، وكل اثنين
شركهم في جل أعطاه لهم ، وخرجوا صحبة التجريدة .

نفق عليهم لكل مملوك مائة دينار على المادة ، وجامكية أربعة شهور ، وثمان جمل سبعة دنانير ، فنفق في ذلك اليوم على عدة طباق ، واستمر على ذلك حتى أكل النفقة ، ثم حلت نفقات الأمراء المقدمين والطليخانات والعشرات ، وقد تعينوا ٣ للسفر أجمعين ، ولم يبق بمصر من المقدمين سوى آقبردى الدوادر ، وأزدر تمساح فقط ، فكانوا على الحكم الأول كما تقدم ، فبلغت النفقة على الأمراء والجند نحواً من خمسمائة ألف دينار ؛ وكانت هذه التجريدة آخر تجاريد الأشرف قايتباى إلى ٦ ابن عثمان وغيره ، ولم يجرّد بعدها أبداً ؛ ثم نودى للمسكر بأن لا يخرج منهم أحد قبل الباش ، فاسمعوا له شيئاً .

وفيه قرّر تم الرجى الخاصكى الخازندار في نيابة جدّة ، عوضاً عن شاهين الجمالى ، ٩ وقد سأل الإعفاء من ذلك . - وفيه تدين كرتباى كاشف البحيرة في أمرة الحاج بركب الحمل ، وعين أيفال الفقيه الحاجب الثانى بالركب الأول .

وفي ربيع الآخر في ثانى عشرينه خرج الأتابكى أزبك من القاهرة قاصداً للبلاد ١٢ الحلبية ، وصحبته الأمراء المقدمين ، وكان عدتهم عشرة وهم على حكم ما ذكرناه في التجريدة الماضية ، وأما الأمراء الطليخانات والعشرات فكانوا زيادة على الحسين أميراً ، وأما المماليك السلطانية فكانوا زيادة على ثلاثة آلاف مملوك ، (٢٤ب) فكان ١٥ لهم يوم مشهود حتى رجّت لهم القاهرة ، واستمرت الأطلاب تنسحب من إثراق الشمس إلى قريب الظهر ، وخرج ممالك الأمراء وهم باللبس الكامل من آلة السلاح ، فعدت هذه التجريدة من نوادر التجاريد ، وقد طال الأمر بين السلطان ١٨ وبين ابن عثمان في أمر الفتن ، والأمر لله .

وفي جمادى الأولى رسم السلطان بنقل إسكندر بن ميخال من البرج التى في باب السلسلة إلى دار كاتب السرّ البدرى بن مزره ، وأمره بالحفظ عليه . - وفيه ٢١ جاءت الأخبار من مكة بوقوع سيل عظيم في خامس صفر ، فقيل إنه بلغ إلى الحجر الأسود ، وهدم عدة أماكن ، وحصل منه غاية الضرر .

وفى جمادى الآخرة قويت بالقاهرة الإشاعات بسفر السلطان بنفسه إلى حلب،
ونزل إلى الميدان وعرض الهُجْن وعيّن جماعة من الخاصكية للسفر معه ، وحرص
٣ على من بقي من المسكر فى عمل يرقهم وأن يكونوا على يقظة من السفر . -
وفيه وصل آقبردى الدوادار من البحيرة ، وكان قد خرج بسبب فساد العربان .
وفى رجب كان ختّان ولد السلطان المقر الناصرى محمد ، الذى تسلطن بعده،
٦ وكان عمره يومئذ نحواً من سبع سنين وأشهر ، وكان المهمّ بالقلمة سبعة أيام متوالية،
وكان من نوادر المهمّات ، فاجتمع سائر مغاى البلد ، ورسم السلطان بأن تزيّن القاهرة
فزُيّنت زينة حافلة ، حتى زيّنوا داخل الأسواق مثل : سوق الشرب ، والجواهر ،
٩ والوراقين ، وسوق الفاضل ، والباسطية ، وسوق الحاجب ، والصاغة ، وغير ذلك
من الأسواق ، وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحدّ ، وكان المسكر غائباً فى
التجريدة والناس فى أمن من أذى المالك ، فكانت تلك الأيام مشهودة لم يسمع
١٢ بمثلاً ، ودخل على السلطان من التقادم ما لا ينحصر من مال وخيول وقماش وسكر
وأغنام وأبقار وغير ذلك ، مما يزيد عن خمسين ألف دينار ، فكان من جملة ما أهداه
المقر الشهابى أحمد بن العيى طست وإبريق ذهب ، زنته نحو من ستمائة مثقال ، برسم
١٥ الختان ، وأشياء كثيرة (٢٥ آ) غير ذلك .

وتحتنّ مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد الأمراء والخاصكية ، فكانوا
زيادة عن أربعين ولداً ، فرسم لكل صبيّ بكسوة على قدر مقام أبيه ، فكان من جملة
١٨ أولاد الأعيان : ابن الخليفة ابن أبى يزيد أمير المؤمنين عبد العزيز ، وهو ابن
سيدى عمر ، وسيدى عثمان بن الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، وابن الجمجمة
ابن عثمان ، وأولاد العلّاي على بن خاص بك ، وغير ذلك من أولاد الأمراء
٢١ والأعيان .

فلما كان يوم الخميس عشرينه اجتمع الأمراء والمباشرون وأعيان الناس بالحوش
السلطاني ، وركب ابن السلطان من قاعة البحرة ، ومشت قدّامه الأمراء والخاصكية

وهم بالشاش والقماش ، ومشى قاضى القضاة الحنفى ناصر الدين بن الإخيمى ، وسائر
أعيان المباشرين وأولاد الجيمان وأعيان الخدام ، وكان ماسك لجام الفرس الأمير
آقبردى الدوادار ، والشهابى أحمد بن العيى ، وهما بالشاش والقماش ، ولم يكن بمصر ٣
من الأمراء المقدمين غير الأمير آقبردى الدوادار ؛ فاستمر ابن السلطان فى ذلك
الموكب من قاعة البحرة إلى باب الستارة ، والسلطان جالس فى المقعد ينظر إليه ،
وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير ، ونثر على رأسه خفاف الذهب والفضة ، ٦
ولاقاه المغانى ، فنزل عن فرسه بباب الستارة ودخل قاعة اليبسرية ، فسكان
الختان بها ؛ وقيل دخل على الزين نحو من خمسة آلاف دينار ، فأنعم عليه من
ذلك بألف دينار ، فتقاسمها الرؤساء من الزينين ، وعدة هذا الختان من النوادر؛ ٩
ثم نزل ابن الجمجمة ، وأولاد العلای على بن خاص بك ، وتوجهوا إلى بيوتهم ،
فشقوا من القاهرة فى موكب حافل ، ورسم السلطان للقضاة الأربعة بأن يركبوا
قدامهم ففعلوا ذلك . ١٢

وفى هذا الشهر كانت وفاة الزينى خضر بن سنان النوروزى الجركسى ، وكان
رئيسا حشما من أعيان أولاد الناس ، وله اشتغال بالعلم على مذهب أبى حنيفة رضى
الله عنه ، وكان فى سعة من العيشة ، ومات وهو فى عشر السنين . - (٢٥ ب) ١٥
وفيه خسف جرم القمر ، ودام فى الخسوف نحو من أربعين درجة حتى انجلى . -
وفيه عين السلطان جماعة من الجند إلى مكة يقيمون بها ، وجعل عليهم باشا
آقبردى تمساح الظاهرى أحد العشرات ، وعين الطواشى إياس الشامى فى مشيخة ١٨
الحرم النبوى .

وفيه ثاروا ممالك الأمير آقبردى الدوادار عليه وحاصروه وهو فى داره ، وطلبوا
منه زيادة فى جوامكهم ، فبعث إليه السلطان بالوالى ، فقبض على جماعة منهم وضرهم ٢١
بالمقارع ، وقطع أيدى جماعة منهم ، ففر الباقيون إلى الجامع الأزهر وأقاموا به أياما

(٤) الدوادار : أضيف هنا فى ف : والأمير أزدمر تمساح والأمير أزدمر السرطن .

(١٣) سنان : كذا فى ف ، وفى الأصل : شناف .

ثم آل الأمر بأن نفي طائفة منهم إلى جهة قوص ، وطائفة إلى البلاد الشامية ، فسكن الحال قليلا .

٣ وفيه جاء هجان من عند المسكر ، وأخبر بأن المسكر قصد التوجه إلى بلاد ابن عثمان ، وقد أرسلوا ماماي الخالصكي رسولا إلى ابن عثمان ، فلما أبطأ عليهم خبره زحف المسكر المصري على أطراف بلاد ابن عثمان ، ووصلوا إلى قيسارية ، وقتلوا بها ٦ ونهبوا عدة من ضياعها وأحرقوها ، ثم فعلوا مثل ذلك بعدة أماكن من بلاد ابن عثمان ، وانقسم المسكر على فرقتين ، فرقة إلى دارندة ، وفرقة مقيمة بكوك ينتظرون ما يكون من هذا الأمر ؛ ثم حضر جان بلاط النوري أحد عماليك السلطان ، وكان ٩ من الأمراء العشرات يومئذ ، فأخبر بأن المسكر في تعلق زائد بسبب الغلاء الذي هناك ، وأن المليك ما يوجد ، وأنهم قد عولوا على المجيء إلى مصر ، فما سر السلطان بهذا الخبر ولا أعجبه .

١٢ وفي شعبان رفعت امرأة قصة للسلطان ، تشكو فيها من بدر الدين بن القرافي أحد نواب المالكية ، فأمر السلطان بإحضاره ، فلما حضر بطحه وضربه ضربا مؤلما ، وآل أمره إلى أن غرم في هذه الكائنة مالا له صورة ، بعد عقود مجالس بينه وبين ١٥ المرأة التي رافقت فيه . - وفيه كانت البشارة بالنيل المبارك ، وجاءت القاعدة سبعة أذرع إلا ثمانية أصابع . - وفيه قرّر شهاب الدين الصيرفي في تدريس الشافعية بالخانقة الشيخونية ، (٢٦ آ) عوضا عن الجلال بن الأمانة بحكم نزوله عنها ؛ ولم ينزل ١٨ أحد عن هذه الوظيفة قبل اليوم قط ، إلا أن تخرج بحكم وفاة . - وفيه تغير خاطر السلطان على دقاق نائب القدس ، ونفخ الدين بن نسيبه ، من أعيان بيت المقدس ، فرسم بإحضارها ، فلما حضرا أمر بضربهما ، فضربا بين يديه ، وأمر بنفي ابن نسيبه ٢١ إلى الواح حتى شفع فيه .

وفي رمضان قبض الوالي على جماعة من المماليك الأروام ، وجدهم يشربون الخمر

(١٧) ابن الأمانة : في ف : ابن الأمانة .

- في رمضان نهارا ، فضر بهم وأشهرهم في القاهرة ثم سجنهم . - وفيه أخبرني ممن أثق به أنه رأى بأسوان شخصا أسود اللون ، وله عين واحدة في جبهته ، وله أنف نابت في جبهته تحت تلك العين ، وبين أنفه وفمه نحو من أربعة أصابع ، فكان من جملة المجائب . - وفيه ظهر بالقاهرة امرأة ولها ثلاثة أرباز ، أحدهم تحت إبطها .
- وفيه في رابع مسرى كان وفاة النيل المبارك ، ونزل أزدمر تمساح وفتح السد على العادة ، وكان الوفاء في طائر شهر رمضان ؛ ومن النوادر أنه زاد في اليوم الثالث من مسرى ثلاثة وثلاثين أصبعا في دفعة واحدة . - وفيه توفي برهان الدين التتاي ، أخو شرف الدين الأنصاري ، وهو إبراهيم بن علي بن سليمان التتاي الأنصاري المالكي ، وكان رئيسا حشما وله اشتغال بالعلم ، ومولده سنة عشرين وثمانمائة . - وفيه حضر هجان وأخبر أن العسكر على حصار قلعة كواره ، ومات في مدة المحاصرة قانسوه من فارس المعروف بقرا ، وهو من ممالك السلطان وكان من العشرات ، ثم أخذت هذه القلعة فيما بعد وهدمت إلى الأرض .
- وفي شوال كان الموكب السلطاني في يوم عيد الفطر بالحوش على العادة التي استجدها السلطان في غيبة الأمراء ، ولم يحضر في موكب العيد من الأمراء المقدمين سوى الأمير أزدمر تمساح فقط ، وكان آقبردى الدوادر مسافرا إلى جهة البحيرة بسبب فساد العربان ، فجلس السلطان على الدكة وأخلع على المباشرين وأرباب الدولة ، وانفض الموكب سريرا .
- وفيه تزايد شر المبيد حتى خرجوا في ذلك (٢٦ ب) عن الحدة ، وصاروا يقتلون بعضهم بعضا ، حتى أعيى الوالى أمرهم ، وصاروا طائفتين ، طائفة تهادى طائفة . - وفيه قرّر في قضاء الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن عثمان الزعيم ، عوضا عن عز الدين الحسناوى . - وفيه قرّر شمس الدين محمد بن أبي الفتح الكتبي في مشيخة القبايين ، ثم ولى بعد ذلك التحدث في مباشرة بندر جدّة .
- وفي ذى القعدة رسم السلطان بنقل سوق الحخير من عند باب الميدان إلى جهة

مدرسة قاني باى الجركسى ، واستمرّ على ذلك إلى الآن . - وفيه ابتداء السلطان
بمارة المكان الذى قد أنشأه فى بركة الفيسل برسم ولده المقر الناصرى ، وكان يظن
٣ أن ولده يسكن فيه بعده ، ويتمّ مقبلا بمصر كمثل أولاد السلاطين ، فجاء الأمر
بمخلاف ذلك . - وفيه أفرج السلطان عن علاى الدين الحنفى نقيب قاضى القضاة
الشافعى ، وقد قاسى شدائد ومحنًا ، وأقام فى الترسيم مدّة طويلة ، وغرم جملة من المال .
٦ وفيه رسم السلطان بإكمال عينى شخص يقال له على بن محمد المرجوشى ؛ فأكل
عينيه وقطع لسانه ، وكان والده من أعيان وجوه التجار بسوق الشرب ، وسبب ذلك
أنه أوحى إلى السلطان بأنه يعرف صنعة الكيمياء ، فانصاغ له السلطان حتى أتلف
٩ عليه جملة مال ، ولم يفد من ذلك شيء ، وفعل نظير ذلك بالأمير تمتاز الشمسى أمير
سلاح ، وأتلف على الآخر جملة مال ، ولم يفد من هذا شيء ، فحنق منه السلطان وفعل
به ما فعل . - وفيه خرج الأمير آقبردى الدوادار مسافرا إلى جهة نابلس ، وحصل
١٢ منه غاية الضرر للناس ، منها أنه أخذ جمال السقاين لحل سنيجه ، حتى عزّ وجود
الماء بمصر ، وغلا سعر الراوية بسبب ذلك ، وضاق الأمر .

وفيه أخلع على الطواشى فيروز وقرّر فى الزمامية ، عوضا عن صاحب خُشقدم
١٥ الزمام ، بحكم نفيه إلى قوص . - وفيه جاءت الأخبار بموت آقبردى ططر الظاهرى
جقمق أحد العشرات ، وشاد الشون ، وكان لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار
بأخذ قلعة كواردة من يد عسكر ابن عثمان ، فسرّ السلطان (٢٧ آ) لهذا ، ثم بعد
١٨ مدّة ورد عليه الأخبار بأن المسكر تقلّق وهو طالب الحجى إلى مصر ، فتنكّد لهذا
الخبر ، وأرسل عدّة مراسيم للأمراء بالإقامة فى حلب ، فاستمعوا له شيئا ، ثم جاءت
الأخبار بأن الأتابكى أزيك قد دخل إلى الشام ، هو والأمراء والنواب والعسكر ، وهم
٢١ قاصدون الدخول إلى القاهرة ، فازعج السلطان لهذا الخبر .

وفى ذى الحجة تكثر دخول العسكر إلى القاهرة من غير تسرُّ ، وقد جاءوا
طالبين وقور فتنه ، وصرّحوا بذلك ، ثم نودى من قبل السلطان بأن المسكر الذى

- قدم من التجريدة يصعد إلى القلعة ، فامتنع المالك من ذلك ولم يصعدوا إلى القلعة .
 وفيه جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأن الفرنج استولوا على مدينة غرناطة ،
 وهى دار ملك الأندلس ، ووقع بسبب ذلك أمور شتى يطول شرحها ، وقتل من ٣
 عساكو الغرب والفرنج مقتلة عظيمة ، ثم بعد ذلك وقع الصلح بين أهل غرناطة
 والفرنج ، وقرروا للفرنج فى كل سنة شيئا من المال يردونه لهم .
 وفيه توفى قاضى قضاء المالكية محيى الدين بن تقي ، وهو عبد القادر بن أحمد ٦
 ابن محمد بن أحمد بن على بن تقي الدميرى المالكي ، وكان عالما فاضلا من أعيان المالكية ،
 رئيسا حشما ، وناب فى الحكم مدة ، وكان لا بأس به ، وأخذ العلم عن جماعة من
 الأقدمين كاللباسطى ، والشيخ عبادة ، والشيخ طاهر ، وغير ذلك من المشايخ . ٩
 وفى هذه السنة كانت وفاة الشيخ الصالح المعتقد سيدى أحمد بن عقبة البينى ، وكان
 من كبار أولياء الله تعالى ؛ وتوفى القاضى فتح الدين محمد السوهاجى ، وكان من أعيان
 نواب الشافعية ؛ وتوفى زين الدين الطوخى الخالدى ، وكان من الفضلاء وله نظم جيد ؛ ١٢
 انتهى ما أوردناه من أخبار سنة خمس وتسعين وثمانمائة .

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثمانمائة

- فيها فى المحرم ، فى يوم مستهله ، كان دخول الأتابكى أزبك ومن معه من ١٥
 الأمراء والعسكر ، فدخلوا إلى القاهرة فى موكب حافل ، وكان لهم يوم مشهود ،
 فلما طلّموا إلى القلعة أخلع السلطان على الأتابكى أزبك وبقية الأمراء ونزلوا إلى دورهم ،
 وهذه آخر تجاريد الأتابكى أزبك إلى البلاد الحلبية . - (٢٧ ب) وفيه قرر كرتباى ١٨
 ابن أخت السلطان فى شادية الشراب خاناه ، وقرّر مملوكه جان بلاط من يشبك فى
 تجارة المالك . - وفيه أشيع بين الناس أن المالك يقصدون إثارة فتنة ويرومون
 نفقة على جارى العادة ، فأقسم السلطان بالله العظيم لئن طلبوا منه نفقة يتوجّه تحت ٢١
 الليل إلى مكة ويقيم بها .

وفيه توفى قاضى قضاة المالكية كان ، وهو إبراهيم بن عمر بن محمد بن موسى ابن مجيل اللقاني المالكي الأزهرى ، وكان عالما فاضلا بارعا فى مذهبته ، ديننا خيرا رئيسا حشما ، مات وهو منفصل عن القضاء ، وكان محمود السيرة فى أفعاله . - وفيه توفى الشيخ سنان الأرنؤبجاني الحنفى ، وهو يوسف بن موسى بن سعد الدين ، وكان قرّر فى مشيخة تربة الأمير يشبك الدوادار ، وكان من أعيان الحنفية ؛ وتوفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن السنقاوى ، شيخ خانقاة سعيد السعداء ، وكان عالما فاضلا ديننا خيرا لا بأس به ، وتوفى الشيخ حافظ العجمى المقرئ ، وكان لا بأس به .

٩ وفيه أنعم السلطان على أربعة من خاصكياته بأمريات عشرة منهم : بُرد بك من بير على الذى [صار] مقدّم ألف ، وخرج إلى مكة بعد كايته آقبردى الدوادار ومات بها ، وأمر أيضا قيت الرجبى ، الذى ولى الأتابكية فيما بعد ، وأمر أيضا مصرباى ، الذى ولى الدوادارية الكبرى فيما بعد ، وأمر أيضا كمشبتا ، الذى ولى نيابة الإسكندرية ومات بها .

١٥ وفى صفر أنعم السلطان على جانب ، الذى كان نائب قلعة حلب ، بتقديم ألف ، وقد تعيّن له قبل أن يحضر إلى القاهرة ، فأقام جانب هذا فى التقديم نحو سنة ومات بالطاعون فى السنة الآتية ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . - وفيه قدم الشهابى أحمد بن فرفور من دمشق ، وأشيع بين الناس أنه جاء ليسعى فى كتابة السرّ ، فما وافق السلطان على ذلك ، فأقام فى مصر مدّة ثم عاد إلى دمشق . - وفيه جلس السلطان على تفرقة الجامكية ، فقطع فى ذلك اليوم جوامك جماعة من الجند ، نحو من ثمانين إنسانا من الشيوخ والمواجز والضعفاء ، فكثرت عليه الدعاء من الناس فى ذلك اليوم بسبب ذلك .

٢٤ وفى ربيع الأول أخلع السلطان على الشيخ (٢٨ آ) عبد الفنى بن تقى وقرّر فى قضاء المالكية ، عوضا عن أخيه محيى الدين بحكم وفاته . - وفيه رسم السلطان للأتابكي أربك بأن يتوجّه إلى شبرمنت بنواحي الجزيرة ، بسبب عمارة القناطر التى هناك ،

فأصرف عليها السلطان نحواً من خمسة آلاف دينار بسبب ترميمها ، فجاءت من أحسن الباني ، وبنى هناك رصيفاً به نفع للمسافرين في أيام النيل ، وبنى هناك لنفسه منظره وغيظاً على بركة هناك ، فجاء ذلك غاية في الحسن من أجل المتزهات ، وهو باق ٣ إلى الآن .

ومن الحوادث الموهولة أن في أثناء هذا الشهر توجه السلطان إلى قبة يشبك الدواidar ، التي هي في رأس دور الحسينة ، فجلس هناك وأرسل خلف القضاة الأربعة ، ٦ فحضر القاضي الشافعي زين الدين زكريا ، والقاضي الحنفي ناصر الدين بن الإخميمي ، والقاضي المالكي عبد الغني بن تقي ، والقاضي الحنبلي بدر الدين محمد السعدي ، فلما تكامل المجلس شرع السلطان في التكلم معهم ، فذكر لهم بأن ابن عثمان ليس ٩ براجع عن محاربة عسكر مصر ، وأن أحوال البلاد الحلبية قد فسدت وآلت إلى الخراب ، وأن التجار منعوا مما كان يجلب إلى مصر من الأصناف ، وأن الماليك الجلبان يرومون منى نفقة ، وإن لم أنفق عليهم شيئاً فينبهون مصر والقاهرة ١٢ ويحرقون البيوت ، ومتى رجع عسكر ابن عثمان إلى البلاد الحلبية فما يخرج العسكر من مصر حتى أنفق عليهم ، ثم شرع يقسم بالله تعالى أن ليس بقي في الخزان من المال لا كثيراً ولا قليلاً ، وأن القصد بأن أفرض على الأوقاف والأملاك التي بمصر ١٥ والقاهرة ، من أماكن وغيطان وحمامات وطواحين ومراكب وغير ذلك ، أجرة سنة كاملة ، أنمان بها على خروج التجريدة .

فسكت المجلس ساعة ، ثم قال القاضي الشافعي : لعل الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك ، ١٨ وقال القاضي المالكي : إن أجرة سنة كاملة يشغل على الناس ولا يطيقون ذلك ، وإن كان ولا بد من ذلك فليُفرض عليهم أجرة خمسة أشهر ، وقبل ذلك أفرض عليهم أجرة شهرين ، فهذه سبعة أشهر ، وما يطيق الحال أكثر من ذلك ؛ فتوقف السلطان ٢١ ساعة ، ثم آل الأمر إلى ما قاله قاضي (٢٨ ب) القضاة المالكي ، وانفض المجلس على ذلك ؛ فلما بلغ الناس ما وقع اضطربت الأحوال وكثر القيل والقال في ذلك ،

وأشيع بأن السلطان يفرض على الجاهل من ذكر وأنثى من كبير وصغير على كل رأس دينارين ذهب ، وتسكّموا من هذا النمط بأشياء كثيرة .

٣ ثم بعد أيام رسم السلطان لتغرى بردى الأستاذار بأن يكون متكلماً على جباية الأملاك ، من باب زويلة إلى دير الطين ، ورسم لعلاى الدين بن الصابونى ناظر الخصاص بأن يكون متكلماً فى جباية الأملاك ، من باب زويلة إلى خارج الحسينة ؛ فعند ذلك اضطربت الأحوال وتزايدت الأهوال ، وتوجهوا الرسل الغلاظ الشداد ، ولم يرعوا الوداد ، وطلبوا أعيان الناس ، وانقطع الرجاء باليأس ، وصار الإنسان يخرج من داره ، فىرى أربعة من الرسل فى استنظاره ، فىكون نهاره أغبر ، ويخرج وهو فى أذياه يعمّر ، فيقدحون فيه الزناد ، ولا يرى له من اعتماد ، وقد قال بعض الموالاة فى المعنى :

غرمت شهرين عن أجرة مكاني أمس وأصبحت منموس في بحر المغارم غمس
١٢ أقسم وربّ الخلائق والقمر والشمس ما طقت شهرين كيف أقدر أطيع الخس
وقد جرى فى هذه الواقعة أمور عجيبة وحكايات غريبة ، فمن ذلك ما قيل أن بعض الرسل توجه إلى نحو الحسينة ، فأتى إلى امرأة ساكنة فى حوش ، ولم يجد عندها شيئاً من متاع الدنيا ، فطالبها ذلك الرسول بأجرة الحوش التى هى ساكنة فيه ، فجاء عليها من الأجرة عشرين نصفاً عن مدة خمسة أشهر ، فلم تجد شيئاً تعطيه للرسول ، فأغلظ عليها وخرج منه الحدّ ، فلما رأت منه ذلك كان عندها شجرة نبق فى الحوش ، فقالت له : اقطع هذه الشجرة وبها وخذ ثمنها فى نظير ما جاء على ، فأحضر بالقطاعين وقطع تلك السدرة وحملها ومضى ، وقد حصل للمرأة غاية الضرر لقطع شجرتها التى كانت تستظلّ تحتها فى أيام الصيف ؛ وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث فى دولة الأنشرف قايتباى ، وباليته أصرف هذا المال فى شيء عاد نفعه على الناس ، ولكن أصرفه فى غير مستحقّه ، (٢٩ آ) وضاع فى البطال ولم ينتفع به ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه .

- وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا . - وفيه كانت مصادرة السلطان لمهتاره رمضان ، فضيَّق عليه حتى أخذ منه ستين ألف دينار ، وقيل بل أكثر من ذلك ، وكان رمضان المهتار متحصله في كل يوم فوق الأربعين دينارا ، خارجا عن جهاته وحماياته وغير ذلك ، وكان متحدثا في نظر السكسوة وغير ذلك من الجهات السلطانية ، ورأى من العزِّ والعظمة ما لا رآه غيره من المهاترة السلطانية .
- ٦ وفي ربيع الآخر ثارت المايليك الجلبان على السلطان وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التي وقعت لهم ، فلما رأى منهم عين الجدة نفق عليهم على العادة ، كما تقدم شرح ذلك . - وفيه عيّن السلطان قرقاس أحد الأمير آخورية بأن يتوجّه إلى دمشق ، بسبب جباية أملاك دمشق عن الخمسة أشهر كما وقع بمصر ، وعيّن قاصدا أيضا إلى ثنر الإسكندرية بمعنى ذلك ، وإلى ثنر دمياط ؛ وكانت هذه المصيبة عامة على الناس ، حتى أخذ من أوقاف البيارستان خمسة أشهر ، وانقطع معلوم الأيتام والضعفاء في روايتهم عن مدة خمسة أشهر ، وكذلك سائر أوقاف الجوامع والمدارس والترب ، وقطع معلوم الصوفية والصدقات الجارية ؛ فلما توجّه قرقاس المذكور إلى دمشق أظهر بها من المظالم أشياء كثيرة ، ما لم يفعلها هناد في زمانه ، وقرقاس هذا هو الذى ولى نيابة حلب فيما بعد ، وقبض عليه طومان باى الدوادار لما خرج إلى الشام ، بسبب عصيان قصره و نائب الشام ، فسجن قرقاس هذا بقلعة دمشق ، ثم عاد إلى مصر ، وهو متولى الأتابكية الآن .
- ١٨ وفي جمادى الأولى أخلع على تانى بك الجلمى وقرّر في أمرة مجلس ، عوضا عن برسباى قرا الحمدي بحكم وفاته في حلب ، وكانت أمرة مجلس شاعرة مدة طويلة ، وكان تانى بك الجلمى متكئا فيها بغير تقرير . - وفيه انتهت عمارة أبو الباقين الجيمان من تجديد ما عمره في الزاوية الحمراء التي عند قناطر الأوز ، وصارت من جملة (٢٩ ب) مفترجات القاهرة ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

(١٩) برسباى ... في : كذا في ف ، وفي الأصل : أزدمر قريب السلطان بحكم انتقاله إلى

نيابة . وانظر في ذلك هنا فيما سبق ص ٢٤٩ س ٤-٥ وص ٢٦٥ س ٤-٥ .

عجبت للجامع قد زاد حسنا وأبدع في التزخرف والبناء
به أنهار تجري في جنان وقصر شاهق لأبى البقاء

٣ وصنع هناك جامعا بخطبة ، وجاء من أحسن المباني . - وفيه انفصل على باى عن
نيابة نهر الإسكندرية وأتى إلى مصر ممزولا . - وفيه قدم آقبردى الدوادار وكان
مسافرا إلى جهة نابلس ، فأهلك الحرث والنسل في هذه السفرة ، وحضر صحبته
٦ أركاس من ولى الدين دوادار السلطان بدمشق ، وقد كثرت فيه الشكاوى فاستجار
بالأمير آقبردى وحضر صحبته .

وفيه جاءت الأخبار من بلاد الكرك بأن ظهر بها في قبيلة بنى لام صفة رجل
٩ من بنى آدم ، غير أن ذقنه قدر غربال القمح ، وكان يأكل اللحم النى بمظمه ،
ويأكل الجيف من على الكيان ، وربما افترس من بنى آدم جماعة ، وكان يفترس
البقر والغنم ، فسكانوا يخرجون إليه جماعة من بنى لام ويرمون به بالنشاب ، فلا يؤثر
١٢ ذلك فيه ولو ضربوه بالسيوف ، وكان إذا صرخ تسقط منه الحوامل ، فلما قوى
تسلطه على ذلك المكان رحلوا عنه بنو لام وتركوه له ، وقد أعياى الناس أمره ،
وهذه الواقعة مشهورة بين الناس ، وقد وصل مطالعة إلى السلطان بمعنى ذلك .

١٥ وفيه أرسل السلطان مراسيم إلى نائب الشام ، بأن يجمع أعيان التجار بهاوسائر
الناس ، ويفرض عليهم الأموال الجزيلة على كل واحد على قدر مقامه مساعدة للسلطان
على خروج التجريدة كما فعل بمصر ، وكتب بمعنى ذلك المراسيم إلى الإسكندرية
١٨ ودمياط ، وأشيع بين الناس أن السلطان يخرج في هذه المرة بنفسه ، وقد قويت
الإشاعات بذلك .

وفي جمادى الآخرة وقعت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد المغرب ، وماجت منها الأرض
٢١ ثم سكنت . - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان صحبة ماماي
الخاصكي ، الذى توجه قبل تاريخه إلى عند ابن عثمان ، وكان هذا القاصد الذى حضر

(٢١) من عند : كذا في ف ، وفي الأصل : بالأمس إلى ،

(٢٢-٢١) صحبة . . . عثمان : نقلا عن ف ، وهو ينقص في الأصل .

من أجلّ قضاة ابن عثمان ، وكان متولّى قضاء البرصاء ، وهو شخص من أهل العلم ، يقال له شيخ على جلبي ، فلما صعد إلى القلعة أكرمه السلطان وبائع في تعظيمه جدا ، فأحضر على يده (٣٠ آ) مفاتيح القلاع التي كان ابن عثمان قد استولى عليها ، فسلمها ٣ إلى السلطان ، وأشيع أمر الصلح بين ابن عثمان والسلطان ، فنزل القاصد في مكان عُدّ له وهو في غاية الإكرام ؛ ثم إن السلطان أطلق إسكندر بن ميخال ، الذي كان أسرا كما تقدم وأقام في السجن مدة طويلة ، فلما أطلقه السلطان أحسن إليه وأكساه ، ٦ وكذلك أطلق الأسراء الذين أسروا من عسكر ابن عثمان ، وأكسأهم وأحسن إليهم ، وتوجهوا إلى بلادهم بحبة القاصد لما سافر ، وهذا ما كان من ملخص أمر الصلح بين السلطان وبين ابن عثمان . ٩

وفيه أمر السلطان بضرب أبا يزيد الصغير أحد البجمقدارية ، وكان من خواصه ، ولكن ضربه لأمر أوجب ذلك ، وأبا يزيد هذا هو الذي صير رأس نوبة ثانيا فيما بعد ، وقبض عليه العادل طومان باي وسجنه بقلعة دمشق ، لما توجه إلى هناك ١٢ وتسلطن . - وفيه كسفت الشمس كسوفاً تاماً ، ودامت في الكسوف نحو من ثلاثين درجة ، وعادت الزلزلة التي وقعت بالأمس وكانت خفيفة جدا .

وفي رجب طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، وحضر قاصد ابن عثمان ، ١٥ فمرض السلطان في ذلك اليوم كسوة الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام ، وزف معهم الحمل الشريف ، وكان يوما مشهودا . - وفيه توفي بركات الصالحى وكيل بيت المال ، وكان من أعيان الموقعين ، وهو أبو البركات محمد بن محمد بن أبي بكر ١٨ القاهري الشافعي الصالحى ، وكان غير محمود السيرة في أفعاله ، كثير الظلم والعسف ، ومولده بعد الثلاثين والتمانئة ، وكان اعتراه آكلة في رجله ، فاستمر بها إلى أن مات ، وفيه يقول بعض الشعراء مداعبة لطيفة : ٢١

بركات زاد الظلم في أيامه وعلى الورى قد جار في توكله
من رجله كان الهلاك بماهة فشى إلى نار الجحيم برجله

وهو الذى كان سببا لمرافعة جماعة قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى ، واستمرّ الشيخ برهان الدين القلقشندى فى التوكيل به حتى مات بركات الصالحى ، فأفرج عنه بعد أن غرم أموالا لها سورة . - وفيه كان انتهاء العمل من جامع السلطان الذى أنشأه فى الروضة ، وجاء غاية فى الحسن ، (٣٠ ب) وصنع هناك ابن الطولونى ناعورة تدور بحمار ، فكانت الناس تتوجّه للفرجة عليها ، وكان البدرى حسن بن الطولونى معلم المعلمين يصنع فى كل ليلة رابع عشر الشهر ليلة حافلة بالجامع ، ويسمونها البدرية ، وينصب على شاطئ البحر قدام الجامع من الخيام ما لا يحصى ، وتجتمع المراكب هناك حتى تسدّ البحر ، ويجتمع الجمّ الخفير من العالم ، ويوقد بالجامع وقدة حافلة ، ويحضر هناك قراء البلد قاطبة والوعاظ ، وتسكون ليلة حافلة لم يسمع بمثلها فيما تقدم ، واستمرّ الحال على ذلك مدّة ، ثم بطل من يومئذ هذا الأمر .

وفيه أشيع بين الناس أن الشيخ جلال الدين السيوطى ، أفتى بأنه لا يجوز البناء على ساحل برّ الروضة ، لأن الإجماع منعقد على منع البناء فى شطوط الأنهار الجارية ، وأما من نسب بأن ذلك يجوز فى مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، فباطل من نقل ذلك عن الإمام الشافعى ، وهذا كلام ليس له صحة فى كتب الشافعية قاطبة . - وفيه خرج جان بلاط من يشبك قاصدا عن السلطان إلى ابن عثمان ، فخرج فى تجمل زائد وموكب حافل ؛ وجان بلاط هذا هو الذى ولى السلطنة فيما بعد بعشر سنين .

١٨ وفى شعبان قرّر كرتباى من مصطفى المروف [بالأحر] ، وهو الذى كان كاشف البحيرة ، فى حجوية الحجاب بطرابلس ، ونظر جيشها ، وغير ذلك من الوظائف بها . - وفيه ظهرت أنجوبة وهو أن ولد مولود فى ستة أشهر ، فلما نظروا إليه فرأوا له فى وجهه لحية ، وعلى فمه شارب ، وقد دارت لحيته بوجهه ، وفى فمه ثنايا مفلجة ، وكان عليه بشاعة ، فمأش ثلاثة أيام ومات .

(١٢) الإجماع : الاجتماع . (١٧) بعشر : بعشرين .

(١٨) ما بين القوسين ينقص فى الأصل .

وفي رمضان أخلع على يشبك من حيدر ، الذي كان والى القاهرة وقرّر في نيابة حماة ، عوضا عن أبنال الخسيف ، وقرّر أبنال الخسيف في مقدمة ألف بمصر فيما بعد . -
 وفيه تغيّر خاطر السلطان على أزدمر السرطن أحد المتقدمين الألوف بمصر ، فقرّره ٣
 في نيابة صفد ، عوضا عن يلباي المؤيدى بحكم وفاته عنها ، وكان أزدمر السرطن
 من خواص السلطان ، وكان عنده من المقرّبين ، وكان أغات آقبردى الدوادار ،
 ثم وقع (٣١ آ) بينه وبين السلطان في الباطن ، فمقته وولاه نيابة صفد ، واستمرّ ٦
 بها حتى مات . - وفي أواخر هذه السنة وقع الرخاء بالديار المصرية في سائر البضائع ،
 حتى أبيع كل ثلاثة أرادب قمح بأشرفى ، ورخص سائر الغلال جدا .

وفي شوال في ليلة عيد الفطر [كان] وفاء النيل المبارك ، فأخّر السلطان فتح ٩
 السدّ في ذلك اليوم ، وفتح في اليوم الثانى من شوال ، ووافق ذلك خامس عشر
 مسرى القبطى ، فصار العيد عيدان ، فمدّ ذلك من النوادر ، وفي هذه الواقعة يقول
 شيخنا جلال الدين السيوطى وهو قوله :
 ١٢

يوم عيد الفطر وافا بهنّاء وسماه

ختم الصوم وأوفا النيل فى أحسن عاده

يا له من يوم عيد فيه حسنى وزيادة ١٥

وفيه خرج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل الأمير أزدمر تمساح .

وفي ذى القعدة توفى تقي الدين بن نصر الله ، وكان رئيسا حشما من ذوى البيوت ،

وكان لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار من حلب بوقوع فتنة كبيرة بين نائب حلب ١٨

وبين جماعة من أهل حلب ، وقتل في المركة من مماليك أزدمر نائب حلب سبعة

عشر مملوكا ، وقتل من أهل حلب نحو من خمسين إنسانا ، وأحرقوا جماعة من حاشية

النائب بالنار ، وكادت حلب أن تخرب عن آخرها ، ولولا قانصوه الفورى حاجب ٢١

الحجاب بحلب ، قام في تحميم هذه الفتنة حتى سكنت ، ما كان يحصل خيرا في هذه

(٩) ما بين القوسين ينقص في الأصل .

(١٦) وفيه . . . تمساح : هذه العبارة تقلا عن ف ، وتنقص في الأصل .

الحركة ، فلما سمع السلطان بهذا الخبر ازعج له جدا ، وعين ماماي الخاصكى بأن يتوجه إلى حلب ليكشف عن أصل هذه الفتنة ، فأخذ في أسباب السفر إلى حلب .

- ٣ وفى ذى الحجة كان ابتداء الفتنة بين قانصوه خمسمائة أمير آخور كبير ، وبين آقبردى الدوادار ، وقد وقع بينهما بسبب توتى ، واستمرت الفتن تزايد بينهما حتى كان من أمرهما ما سنذكره فى موضعه . - وفيه جاءت الأخبار من بلاد الشرق بوقوع فتنة كبيرة بين ملوك الشرق ، وأن يعقوب بن حسن الطويل قد قتل أخاه ، ووقع أيضا فتنة بين خليل الصوفى وسليمان ماجان ، واستمرت الفتن قائمة هناك فى جهات متعددة ؛ ووقع أيضا فتنة فى طرابلس المغرب وقتل شاشى بن (٣١ ب)
- ٩ أبى النصر بن رجاء الخير قائد طرابلس ، وكان من خيار أعيان بلاد المغرب ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثمانمائة

- ١٢ فيها فى المحرم كان دخول الحاج إلى القاهرة ، وحجّت فى تلك السنة زوجة آقبردى الدوادار ، وهى ابنة الملاى على بن خاص بك ، أخت خوند زوجة السلطان وكان طريق الحجاز فى تلك السنة مخوفا بسبب فساد العربان . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على مجد الدين إسماعيل الناصرى ، قاضى قضاة الحنفية بدمشق ، فلما حضر بطحجه السلطان وضربه بين يديه ضربا مبرحا ، وقيل بل ضربه بالمقارع نحوا من عشرين شيئا .
- ١٨ وفى صفر توفى نور الدين على بن محمد بن عبد المؤمن البتتوني الشافى ، ناظر الجوالى ، وكان رئيسا حشما لا بأس به . - وتوفى يشبك جنب من ططخ الظاهرى جقمق ، أحد الأمراء الطبلخانات والرأس نوبة الثانى ، وكان لا بأس به ، وقد جاوز السبعين سنة من العمر .

- ٢١ وفى ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى على العادة ، وكان حافلا . - وفيه

(٤) بسبب توتى : كذا فى الأصل . وفى ف « بسبب توتى » .

(٨) شاشى : كذا فى الأصل ، وفى ف : شاشى .

قُرّر الناصري محمد بن جرباش في مشيخة المدرسة الظاهرية ، التي بين القصرين . -
وفيه توفي تاج الدين بن الجيمان وهو عبد اللطيف ابن عبد الغني بن علم الدين شاكر ،
وكان متحدثا في كتابة الخزنة ، وكان شابا حسنا محمود السيرة في أفعاله ، ومات وهو في ٣
عشر الثلاثين . - وتوفي أبو يزيد قصقا الظاهري جقمق ، وكان من الأمراء العشرات .

وفي ربيع الآخر تزايدت الأقوال بوقوع الطاعون ، حتى حكى أن شخصا من
الأتراك رأى في منامه ملك الموت ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت جئت
إلى قبض أرواح الكثير من الناس ، فإن الطاعون قد دخل مصر ؛ فقال له ذلك
الجندي : هل تقبض روعي في هذا الوباء ؟ فقال له : قد بقي من عمرك سبعة أيام ؛ فاتبه
الجندي من المنام وهو مرعوب ، فلما أصبح كتب وصية ، ثم إنه في اليوم السابع مات ٩
كما قيل له ، فعدّ ذلك من النواذر الغريبة .

وفيه جاءت الأخبار بأن مملكة حسن بك الطويل في اضطراب ، وأن ابن عثمان
أثرف على أخذ بلاد الطويل من يد أولاده ، فلما بلغ السلطان ذلك قصد أن يخرج ١٢
تجريدة صحبة حسين بن أغرلو (٣٢٢ آ) بن حسن الطويل ، الذي كان مقبلا بالقاهرة ،
ثم آل الأمر إلى إهمال خروج التجريدة ، ومات حسين فيما بعد لما حجّ ، ودفن
بالمدينة الشريفة . ١٥

وفي جمادى الأولى قويت الإشاعات بوقوع الطاعون ، وزعموا أن إنسانا رأى
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، وقال له : إن الطاعون كان واقعا عليكم فشغفت
فيكم عند ربي ، قتل للناس يصوموا سبعة أيام متوالية ؛ فصام الكثير من الناس ١٨
سبعة أيام متوالية ، فلم يقد من ذلك شيء ووقع بالديار المصرية ، وكان طاعونا مهولا ؛
قلت ولم يقع الطاعون بمصر من سنة إحدى وثمانين وثمانمائة إلا في هذه السنة ، وهي
سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وقد تأخر الطاعون عن ميجهاله ستة عشر سنة لم يدخل ٢١

(١) القصرين : القصر بين . (٢١) ميجهاله : كذا في الأصل ، ولعله يعني « موعده » .

وسوف نصادف هذه الكلمة مرة أخرى فيما يلي هنا من الآن ، في أخبار شهر ذي الحجة

مصر ، وكان هذا الطاعون من الطواغين المشهورة بموجب إبطائه هذه المدة ، وهو الطاعون الثالث الذى وقع فى دولة الأشرف قايتباى .

- ٣ وكان مبدأ هذا الطاعون من حلب ، وكان فى مدة انقطاع الطاعون عن مصر كثر بها الزنا واللواط وشرب الخمر وأكل الرباء وجور المالك فى حق الناس ؛ وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من قوم يظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالفناء ؛ قال العلامة شهاب الدين ابن حجر : والحكمة فى ذلك أن الزنا حده إزهاق الروح فى المحسن ، فإذا لم يعم فيه الحدّ فيسلط الله تعالى عليهم الجنّ يقتلونهم ، ولما كان الزنا يقع من بنى آدم سرّاً فسلبط عليهم الجنّ يقتلونهم سرّاً من حيث لا يرونهم ، وقاعدة المذاب أنه إذا نزل يعمّ المستحقّ له وغيره ، والرحمة لا تكون إلا مخصوصة ، ثم يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم ؛ وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا بنحس الكيال حبس القطر ، وإذا كثر الزنا وقع الطاعون ، وإذا كثر الكذب وقع الهرج ، انتهى ذلك . ١٢

- وفى جمادى الآخرة هجم الطاعون بالقاهرة وفشى جملة واحدة ، وفتك فى الناس فتكا ذريما ، وكان قوّة عمله فى المالك والمبيد والجوار والأطفال والقرباء ؛ ووقع فى هذا الطاعون أمور غريبة وحكايات عجيبه ، منها أن السكترى أبيع كل رطل (٣٢ ب) بأشرفيين ولا يوجد ، وأبيعت السكترية الواحدة باثنى عشر نصفا ؛ ومنها أن إنسانا كان معه خمسة أولاد ، فطعنوا الخمسة فى يوم واحد ، وماتوا الخمسة فى يوم واحد ؛ ومن العجائب أن جماعة كثيرة فروا من الطاعون لما دخل إلى مصر ، فتوجهوا إلى أماكن عديدة ، فلما ارتفع الطاعون عادوا إلى مصر ولم يفقد منهم ولا من أولادهم أحد ، فسبحان القادر على كل شيء ، ولما كثر الموت عزّ وجود البلبسكى ، وأضرّ ذلك بحال الناس ، وكفّوا موتاهم فى الخام والملحم وغير ذلك . ٢١
- وفيه توفى برسباى الخازندار أحد خواص السلطان ، المتكلم على أوقافه ، وكان شابا رئيسا حشما لا بأس به . - وتوفى مغلباى الشريقى الطويل أحد مقدمين الألوف ،

وأصله من ممالك الأشرف قايتباى . - وتوفى جانم من مصطفى ، الذى كان نائب قلمة حلب ، ثم بقى مقدّم ألف بمصر . - وتوفى قيت الساقى ، أحد العشرات ووالى القاهرة ، وهو قايت من آقباى ، وكان لا بأس به . - وتوفى منلباى الأشرفى ٣ أحد الأمراء العشرات ؛ وأصله من ممالك السلطان أيضا . - وتوفيت ابنة الأتابكى أزيك ، وهى زوجة الأمير قانصوه خمسمائة أمير آخور كبير ، وكانت شابة جميلة ، وتوفيت أختها بعدها بأيام قلائل ، وكانت بكرا . - وتوفى نانق المؤيدى أحد العشرات ، ٦ وكان شابا حسن الهيئة لا بأس به . - وتوفى خاير بك غنم الأينالى أحد العشرات ، وكان لا بأس به .

وفى رجب توفيت ابنة السلطان قايتباى ، وكانت تسمى ست الجراكسة ، ٩ وكانت شابة جميلة مستحقة للزواج ، وكانت من سرية ، فانت هى وأمتها فى يوم واحد ، وأخرجت قدّام نمنش ابنتها ، وكانت جنازة ابنة السلطان حافلة ، وأخرجت فى بشخانة زركش وقدّامها كفارة . - ثم حضر جانم المعروف بالمصبنة من الشام ، فلما حضر ١٢ إلى مصر أنعم عليه السلطان بتقدمة ألف بمصر ، وأنعم على قرابته كرتباى بتقدمة ألف ، وكان يوما مشهودا .

وفى هذا الشهر أنعم السلطان على مملوكه جان بلاط من يشبك بتقدمة ألف وبعث ١٥ إليه بالسكّتب ، وجان بلاط هذا هو الذى ولى السلطنة فيما بعد ، وأنعم أيضا على مملوكه (٣٣ آ) شاد بك أخوخ الدوادار الثانى بتقدمة ألف أيضا ، وقرر ماماي الخالصكى فى الدوادارية الثانية ، عوضا عن شاد بك أخوخ بحكم انتقاله إلى القدمة ، ١٨ وقرر قيت الرجبى فى ولاية القاهرة ، عوضا عن قيت الساقى ، بحسب وفاته بالطاعون كما تقدم . - وفى هذا الشهر كانت وفاة الشاب الفاضل على باى بن برقوق نائب الشام ، وكان شابا رئيسا حشما ، ديننا خيرا ، وله اشتغال بالعلم ، وكان له نظم جيّد ، ومولده ٢١ سنة ست وستين وثمانمئة ، ومن شعره الرقيق ، وهو قوله :

عود خيار شنبّر قد جاءنا بالمعجب أزهاره أبدت لنا شهارخا من ذهب

ومما مدحه به الشهاب النصورى ، وهو قوله فيه :

٣ عيا على باى بن برقوق مشرق كبد ر سنى ليس بينهما فرق
فإن يك سباقا إلى الفضل والندا فلا تمجبوا منه فوالده برق وق
ومن النكت اللطيفة قيل وقع بين الشهاب أحمد بن الشيخ على المقرى ، وبين
سيدى على باى هذا بمض وحشة ، فسطع على سيدى على باى وسماه زلاية مضافا
إلى اسم شخص كان من الأتراك ، وهو مضحك يبعث عليه الناس ويقولون له زلاية
٦ فيرجهم ، فلما أشيع ذلك بين الناس أخذ بمض شعراء العصر هذا المعنى وعمل في
ذلك مداعبة لطيفة ، وقال :

٩ قد شبهوه لمن يدعى زلاية وصحّ تشبيههم والأب برقوق
لكنهم فاتهم للوزّ نسبته فإن اسم أبيه نصفه قوق
وفيه توفى جكم كاشف منوف ، وشاد بك كاشف قلوب ، ومن الخشقدمية
جماعة كثيرة ، منهم قان بردى الظريف ، وكسباى المحمدى ، وآقباى الطويل ، وقانصوه
١٢ قر ، وأبنال الأشقر ، وغير ذلك جماعة كثيرة من ممالك السلطان والأمراء ، ومات
من العبيد والجوار والأطفال والغرباء ما لا يحصى عددهم .

١٥ وفي أواخر هذا الشهر تناقص أمر الطاعون وخفّ بالنسبة لما كان عليه ، بمد
ما جرف الناس جرفا وأخلا الدور من أهلها ، قيل أحصى من مات في هذا الطاعون
بمصر ، وورد اسمه لديوان (٣٣ ب) الموارث ، خارجا عن الطرحاء ومن لم يرد اسمه
إلى الديوان ، فكانوا نحوا من مائتين ألف إنسان وزيادة ، فن ذلك بنات بكر
١٨ اثني عشر ألف بنت من مصر والقاهرة والضواحي ، وقد قال القائل في المعنى .

زالت محاسن مصر في عيناى من همّ ودَهش
وكادوا بنو نعش بها أن يلحقوا بينات نعش
٢١ وقال الشيخ بدر الدين بن الزيتونى هذا الزجل يرثى به أهل مصر لما وقع بها
الطاعون ، وهو قوله :

(٥) يبعث : يعثوا . (١٧) مائتين : كذا في الأصل .

(تاريخ ابن لياس ج ٣ - ١٩)

وَحَدُّوا مِنْ قَدْ حَكَمَ بِالْمَوْتِ وَنَفَذَ حُكْمَهُ بِمَا يَخْتَارُ
وَاحْتَجَبَ عَنِ الْعَيُونِ سَبْحَانَ جَلَّ مِنْ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ

٣ بِالْمَاتِ رَبِّ الْبَشَرِ لَمَّا قَدْ حَكَمَ فِي الْكَائِنَاتِ بِأَجْمَعِ
اِخْتَفَوْا فِي ذَا الْوُجُودِ وَأَضْحَوْا مَا لَهُمْ مِنْ ذَا الْقَضَا مُدْفَعِ
جَاءَ أَخَذَ مَلَا حَ وَقَدْ كَانُوا شَبَهَ أَقْصَارٍ أَوْ بَدُورِ طَلَعِ
٦ فَانْدَبُوا يَا أَهْلَ الْحَمَا وَابْكُوا وَاجْمَلُوا دَمْعَ الْعَيُونِ مَدْرَارِ
وَاحْزَنُوا عَلَى الَّذِي مَاتُوا وَاخْتَفَوْا عَنْ أَعْيُنِ النَّظَارِ

٩ كُنْتُ أَجْدَ أَقْصَارِ بَدُورِ طَلَعِ وَشُمُوسَ تَشْرِقُ عَلَى الْأَطْلَالِ
حَسَنِهِمْ سَمَا وَقَدْ كَانُوا فِي هُنَا بِالْجَاهِ وَكَثُرَ الْمَالِ
جَا الْمَاتِ سُرْعَةً وَعَانَدُمُ اخْتَفَوْا حِينَ عَايَنُوا الْأَهْوَالِ
وَبَقُوا تَحْتَ الثَّرَى غِيَابِ بِمَسَدٍ مَا كَانُوا يَضُوءُ أَجْهَارِ
١٢ يَا أَسْفَ قَلْبِي وَطَوَّلَ حَزَنِي عَنِي قَدْ غَابَتْ شُمُوسُ وَأَقْصَارِ

١٥ حِينَ أَتَى كَأْسَ الْمَاتِ لِلنَّاسِ وَبَقِيَ مَا بَيْنَهُمْ دَايِرِ
وَسَقَامَ فِي الْمَقَامِ شَرِبِهِ حَتَّى صَارَ فِي سَرِّمٍ سَايِرِ
أَصْبَحُوا فِي حَضْرَتِهِ غِيَابِ بَعْدَ مَا كَانَ كُلُّ أَحَدٍ حَاضِرِ
سَكَّرُوا فِي حَضْرَةِ السَّاقِ لَمَّا كَأَسَ الْمَوْتَ عَلَيْهِمُ دَارِ
وَبَقُوا نَدَامًا وَقَدْ غَابُوا مِنْ شَرَابٍ مَا هُوَ خَيْرُ خَمَارِ

١٨ رَكِبَ الطَّاعُونَ وَقَدْ طَلَبُ وَجَلَّ فِي عَسْكَرِ الْأَطْفَالِ
كَمْ جَرَحَ قُلُوبَ وَكَمْ أَفْنَا مِنْ جُوعٍ لَمَّا عَلَيْهِمُ جَالِ
كَمْ تَرَكَ مَطْمُونٍ بَقِيَ مَطْرُوحِ كَمْ كَسَرَ شَجْعَانٍ وَكَمْ أَبْطَالِ

والقضا فرق جموع الناس كُنَّ كان في إيد القضا بشار
كم رأيت مقتول بذى الوقعه بعد كسرو ما يجد إجبار

٣ كم رأيت ملسوع بسم الموت
 (٣٤آ) كم رأيت مصاب من أفعالو
 كم رأيت ثكله وهى حيا
٦ كم رأيت شجاع بقى ملقا
 كم رأيت دار جاها ديب الموت
 قد لسع ولا يجد درياق
 جت إليه آفة بلا تنساق
 شعرها ناسر من الأشواق
 بعد ما كان فى الوجود سيار
 ما ترك فيها ولا ديار

٩ يا فهم انظر لذى الدنيا
 والبشر قد أصبحوا فيها
 ومليك الموت بأمر الله
 كلما انتهى إلى واحد
 جا إليه بأمر الذى انشا
١٢ كيف بقت يحكى لنا بستان
 كنهم أعمار على الأغصان
 قد بقى فيها شبيه جنان
 وبلغ حدوا إلى القدار
 قطعوا من بين ذى الأعمار

١٥ نسألك يا ربّ يا رحمن
 يا لطيف بالخلق يا حافظ
 يا بصير يا فرد يا واحد
 ارفع الطاعون بجاه أحمد
 وانزل الرحمه وتمننا
 يا مليك أول ويا آخر
 يا عليم بالذنب يا غافر
 يا سميع يا حق يا قادر
 المعجّد صاحب الأنوار
 بالرضا والغفور يا ستار

١٨ وانا الموفى ولى أزجال
 كلما كررتها تحلو
 فاسمعوا لى ما أقول واصفوا
 وحدوا من قد حكم بالموت
 من نظام تحكى عقود جوهر
 ما أحسن السكر إذا انكرّر
 يا جميع من حلّ ذا المحضر
 وتقد حكمه بما يختار

واحتجب عن الميون سبحان جلّ من لا تدركه الأبصار
انتهى ذلك .

- ٣ وفي شعبان ارتفع الطاعون عن مصر والقاهرة جملة واحدة ، ومشى نحو بلاد الصعيد . - وفي هذا الشهر توفي الشيخ شمس الدين الحمصاني ، محمد بن أبي بكر بن محمد القاهري الشافعي ، الكاتب المجيد ، وكان عالما فاضلا عارفا بالقرآت السبع ، وكان إمام جامع ابن طولون ، وكان ديننا خيرا لا بأس به ، ومولده سنة عشرة وثمانمائة . - ٦ وفيه توفي الشيخ محمد المعجمي ، الذي كان مقبلا بجامع كراي ، وكان من أولياء الله تعالى معتقدا بالصالح . - وفيه جاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن الفتن صاحب قشتالية الفرنجي قد ملك غرناطة ، التي هي دار مملكة الأندلس ، وكانت هذه الواقعة من (٣٤ ب) أعظم الوقائع الموهلة في الإسلام . ٩

- وفي رمضان قرّر ناصر الدين محمد الصفدي في وكالة بيت المال ، وحصل منه الظلم والمسف في الناس . - وفيه ثارت فتنة كبيرة بين المماليك الجلبان ، بسبب تفرقة الأفاطيع التي توفرت عن المماليك الذين ماتوا بالطاعون ، فشرع السلطان يفرق المثالات على المماليك باستدعاء اسم كل مملوك مثل الجامكية ، وأخرج عدة أفاطيع من الذخيرة ، وفرّقها على المماليك حتى أَرْضاهم بكل ما أمكن ، فكان معظم كل إقطاع نحو خمسة وعشرين ألف درهم ، ومنهم دون ذلك ، وقد تحيّر السلطان في رضا المماليك بسبب ذلك . ١٢

- وفي شوال خرج المحمل من القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل ثاني بك الجمالي ١٨ أمير مجلس ، وبالأول كرتبای قريب السلطان . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على صاحب قاسم ، فمزله ، وكان يومئذ ناظر الدولة ؛ فلما صرف عنها قرّر بها عبد القادر الطويل ، عوضا عن قاسم شفيته . ٢١

وفي ذي القعدة أمر السلطان بتجديد عمارة الميدان الناصري ، وكان الأتابكي

(١٣) الذين : الذي .

(٢٢) وفي ذي القعدة : أضيف هنا في ف ما يأتي : وفي ذي القعدة ابتداء السلطان بتفرقة =

أزبك شادا على العمارة حتى انتهى منه العمل . - وفيه كان وفاء النيل ، ونزل
الأتاكي أزبك وفتح السد على العادة . - وفيه اختفى تغرى بردى الأستاذار ، وقد
تغير خاطر السلطان عليه ، فلما طال اختفاؤه أخلع السلطان على الأمير آقبردى
الدوادار ، وقرر فى الأستاذارية ، عوضا عن تغرى بردى ، مضافا لما بيده من
الدوادارية الكبرى .

وفى ذى الحجة جاءت الأخبار من مكة بوفاة الخوجا شمس الدين محمد بن الزمن ،
وكان من مشاهير التجار ، فى سعة من المال ، وله برّ ومعروف ، وهو صاحب
المدرسة التى ببولاق عند الرصيف ، وكان ديننا خيرا لا بأس به . - وتوفى شيخ
جبل نابلس ، يونس بن إسماعيل . - وتوفى يوسف بن برد بك المعجمى ، وكان
شابا حسنا لا بأس به . - وتوفى على بن الجمجمة ، الذى كان مقيما بمصر ، وتختن مع
ابن السلطان ، انتهى ذلك .

== الأفاطيم المقررة ، المتوفرة عن من مات بالطاعون فى السنة المذكورة ، فصار يفرق لإقطاع كل
من توفى من الطباق لأهل طبقته ، ولا يخرج من ذلك شيئا لغير أهل طبقته ، وكانت أغوات الأطباق
والماليك الجلبان يتواصلون مع بعضهم بالنوبة ، ويحضرون ويعرضون ذلك على السلطان فينعم لهم
بذلك ، فمنهم من تكون طبقته فيها لإقطاعات كثيرة متوفرة ، ومنهم من يكون فيها شئ قليل ،
فتأخر من الماليك الجلبان جماعة من غير إقطاع ، وذلك إلى آخر خروج الماليك فى السنة
المذكورة سنة سبع ، فأعرضهم السلطان فيما بعد ، وأخرج لهم أفاطيم كانت متوفرة فى الذخيرة ،
ففرقها على الماليك الذين لم يخصهم شئ من الإقطاعات المتوفرة من الطاعون ، وصار الديوان
يستدعيهم بأسمائهم والسلطان يعطيهم ويكتب ، إلى حين لم يبق من جلبان قايتباى أحد بلا إقطاع
إلا الذى استجد من بعد الفصل ، وكان غاية الإقطاعات التى تفرقت أكثرها ثلاثون ألفا وأقلها
خمس عشر ألف درهم ، والإقطاعات التى توفرت من جماعة الماليك الأتينية ففرقها على خدشاشينهم
الأتينية فوق إقطاعاتهم ، والتى توفرت من الحشقدمية أعطاها لخدشاشينهم من الحشقدمية ،
وأعطى لبعض خدشاشينه وبعض أولاد الناس ، ممن كان منزولا بالديوان وهو بالطبقة ، إقطاعات
خفيفة ، واستمرت تفرقة الإقطاعات مدة ثلاثة أشهر .

(٥) الكبرى : أضيف هنا فى ما يأتى : وفيه فرق السلطان على جميع المسكر من القرانصة
والجلبان ، وأعطى لكل واحد منهم فرسا من موجود الدين ماتوا بالطاعون ، وذلك لأجل كثرة
الحوول وقلة العلمان لخدمتهما .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثمانمائة

فيها في المحرم لم يحضر مبشر الحاج، وصارت الناس في قلق بسبب ذلك، وكان مبشر الحاج في تلك السنة أحد ممالك السلطان، (٣٥ آ) وهو شخص يقال له تاني بك الأبح، فاعترض له بعض العربان في أثناء الطريق، وأعاقوه عندهم أياما. - وفيه توفي برهان الدين النعماني المحدث، وكان إنسانا حسنا لا بأس به. - وفيه جاءت الأخبار من ثغر دمياط، بأن نزل بها برد تحت الليل، فكان قدر كل بردة مثل بيضة النعام، ٦ ونزل بها بردة كبيرة، فكان زنتها خمسة وسبعون رطلا بالمصرى، فقتل بسبب ذلك عدة بهائم وطيور وغير ذلك، وكان أمرا مهولا.

وفي صفر خرج الأمير آفبردى الدوادار إلى جهة نابلس، وخرجت أيضا تجريدة ٩ إلى جهة البحيرة، وكان الباش عليها الأمير أربك [اليوسفى رأس] نوبة النوب، وعدة وافرة من الأمراء العشرات والجند. - وفيه عاد الطاعون إلى القاهرة ثانيا، لكنه كان خفيفا بالنسبة لما كان قبل ذلك، ومات به جماعة من الأطفال وغيرهم، ممن ١٢ كان فر قبل دخول الطاعون من القاهرة. - وفيه أنعم السلطان على مملوكه قانى باى قرا الرماح بأمره عشرة، ثم بمد ذلك بمدة يسيرة قرره في نيابة صهيون، وقد سمي في ذلك بمال له صورة، وقانى باى قرا هذا هو الذى بقى أمير آخور كبير فيما بعد. ١٥ وفي ربيع الأول أنعم السلطان على مملوكه كسباى الشريفي المحتسب بأمره عشرة. - وفيه عمل السلطان المولد النبوى، وكان حافلا على العادة، وحضر القضاة الأربعة. ١٨

وفي ربيع الآخر عيّن قانصوه خمسمائة، أمير آخور كبير، في أمرة الحاج بركب الحمل، وعيّن الناصرى محمد بن الأتابكى أربك بالركب الأول. - وفيه جاءت الأخبار من المدينة الشريفة، بأن في ليلة تاسع عشر صفر سقطت صاعقة عظيمة في المسجد الشريف، فأحرقت منه جانبا كما قد جرى في سنة ست وثمانين وثمانمائة، ٢١

وسقطت في تلك الليلة عدة صواعق خارج المدينة الشريفة ؛ فلما بلغ السلطان ذلك أمر بإصلاح ما قد فسد من أمر المسجد الشريف .

٣ وفي جمادى الأولى توفي بركات بن الظريف القرى ، وكان علامة في القراءات مع الجوق . - وتوفي الناصرى محمد بن الأمير بُرد بك ، وهو سبط الأشرف أيتال ، وكان رئيسا حثما من أعيان أولاد الناس ، وكان (٣٥ ب) مُفرطا في السمن جدا ، وكان لا بأس به . - وفيه توفي الخواجا عمران بن غازى ، وكان رئيسا حثما في سعة من المال ، وكان لا بأس به .

٩ وفي جمادى الآخرة خسف جرم القمر جميعه . - وفيه توفي الشهابى أحمد بن برقوق نائب الشام ، وهو أخو سيدى على باى المقدم ذكر وفاته ، فكان بينه وبين أخيه دون السنة ، وكان شابا حسنا جميل الهيئة لم يلقح بعد .

١٢ وفي رجب نار جماعة من المالكىة الجلبان على السلطان ، ووقفوا بالرملة ومنعوا الأمراء من الطلوع إلى القلعة ، وآل الأمر إلى طلب نفقة من السلطان ، فشئ بعض الأمراء بينهم وبين السلطان في ذلك ، فأوعدهم بالنفقة بعد مضى شهر ، فسكت الحال قليلا ، ولكن استمرت الدكاكين مغلوقة وكذلك الأسواق ، والناس يرتقبون وقوع ١٥ فتنة كبيرة حتى نودى لهم بعد أيام بالأمان والاطمان . - وفيه وصل قاصد من عند رستم بن قرا يُلك صاحب المراقين ، وكان ولى مُلك المراقين بعد أمور يطول شرحها . - وفيه توفي القاضى نور الدين على بن قاسم أحد نواب الحكم المالكي ، وكان عالما فاضلا ١٨ رئيسا حثما لا بأس به . - وتوفي صندل الحبشى نائب المقدم . - وتوفي برسباى أمير خازندار ، وكان قد طمن في السن .

وفي شعبان توفي شاد بك الأشقر المحمدى الظاهرى جقمق ، أحد العشرات ٢١ ونائب ثغر دمياط وشاد الحجر ، وكان لا بأس به . - وفيه عين السلطان قانصوه المحمدى المعروف بالبرجى أحد العشرات ، بأن يتوجه قاصدا عن السلطان إلى ملك

(٣-٤) في القراءات مع الجوق : وفي ف : في قراءات الرياسة بالجوق .

(١٤) يرتقبون : يرتقبوا . (١٩) خازندار : في ف : جاندار .

الشرق رستم ، أحد أولاد حسن الطويل متولّى المراقين ، وقد جرى بينه وبين إخوته
 ما لا خير فيه حتى تولى بعد أمور وقعت له ، فخرج قانصوه هذا بعد أيام فى تجمل
 زائد . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق ، بأن أهلها قد رجوا النائب قانصوه ٣
 اليحياوى ، وقد ثارت بدمشق فتنة كبيرة .

وفى رمضان نودى بالصوم بعد ضحوة النهار ، وقد ثبت رؤية الهلال بعد طلوع
 الشمس بثلاثين درجة ، وقد أكل غالب الناس فى ذلك اليوم ، ولا سيما (٣٩ آ) ٦
 الأعوام ، فنقل عليهم الإمساك فى ذلك اليوم بعد الإفطار . - وفيه جاءت الأخبار
 من دمشق بوفاة سودون الطويل الأيتالى ، أحد الأمراء المقدمين بدمشق ، وكان
 لا بأس به . - وفيه كان ختم البخارى بالقلمة ، فأخلع على القضاة ومشايخ العلم ، ٩
 وفترت الصرر على الفقهاء ، ووقع فى ذلك اليوم بحث بين البرهان الدميرى أحد
 نواب المالكية ، وبين بعض الطلبة ، فأنكروا على برهان الدين الدميرى بما أجابه
 فى المسئلة ، وكان الختم حافلا جدا . ١٢

وفى شوال كان وفاء النيل المبارك ، وافق ذلك ثانى عشر مسرى القبطى ،
 وتوجه الأتابكى أزبك وفتح السدّ على العادة ، وقد قال محمد بن قانصوه من صادق :
 اضمر على النيل وانظر ما تسرّ به إذا أضمرت فما فى الفال إشكال ١٥
 لفالك الماء رمل والنسيم مبدى ضميرك والتجميد أشكال
 وفيه خرج الأمير قانصوه خمسمائة بركب الحمل ، والناصرى محمد بن الأتابكى
 أزبك بالركب الأول ، فكان لهما بالقاهرة يوم مشهود ، وطلب الأمير قانصوه ١٨
 خمسمائة ذلك الطُّب الحافل . - ومن غريب الاتفاق أن النيل أوفى وغالب الناس
 فى بركة الحاج مشغولين بالحجاج ، فلما بلغ الأتابكى أزبك وفاء النيل ، حضر تحت
 الليل حتى فتح السدّ وعاد . ٢١

وفى ذى القعدة جاءت الأخبار بوفاة الشيخ المحدث الواعظ برهان الدين إبراهيم
 ابن المحوى رحمة الله عليه ، مات بطريق الحجاز قبل وصوله إلى العقبة ودفن هناك ،

وكان عالما فاضلا محدثا بارعا في الحديث ، وكان ديننا خيرا من أهل الصلاح ، ومولده بعد الثلاثين والثمانمائة . - وفيه أخلع السلطان على داود بن سليمان من أولاد بني عمر أمير عربان هوارة ، وقرّره في أمرة الوجه القبلي ببلاد الصميد .

وفي ذى الحجة توفي ابن العباسي ناظر الأحباس ، وهو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن أحمد العباسي الشافعي ، وكان رئيسا حثما محمود السيرة لا بأس به . - وتوفي السيد الشريف محمد القادري ، أخو زين العابدين ، وكان لا بأس به ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمانمائة

فيها في المحرم صعد القضاة إلى القلعة للتهنئة بالعام الجديد ، وصعد أيضا الشيخ جلال الدين الأسيوطي ، فلما جلس سأله السلطان (٣٦ ب) عن أي سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها ، فلم يجبه الشيخ جلال الدين عن ذلك بشيء مع غزارة علمه وقوة اطلاعه ، وكان السلطان عنده كتاب يسمى « حيرة الفقهاء » ، ثم أجاب الشيخ جلال الدين بعد ذلك بجواب حسن كاف في هذه المسألة ، بأن السلطان قصد بذلك الآذان ، فإنه سنّه ولم يفعله ، والأصح أنه أذن في وقت ، وأورد في ذلك الحديث ، وعمل في هذه المسألة كراسة مطولة وذكر فيها أشياء كثيرة مما سنّه النبي عليه السلام ولم يفعله .

وفيه أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بأمريات عشرة ، منهم : كشيغا ، وماماي جوشن ، ومصر باي أخو مغلباي ، وبرسباي العلای ، وأسنبای الأصم ، وآخرين . - وفيه وصل الحجاج ولم يثنوا عن قانصوه خمسمائة خيرا ، ولا حدث سيرته في هذه السفرة ، وحكوا عنه أمورا غير صالحة على أنه أرى الناس وأخذ جماله ، وترك جماعة منهم بالينبع ، حتى أتوا من البحر الملح فيما بعد ، وشالوا له الحجاج رايات سود وهم داخلون البركة ، وما قاسوا الحجاج في هذه السنة خيرا ، وكانت سنة صعبة على الناس من الفلاء وموت الجمال ؛ واستمر قانصوه خمسمائة في خلطنة وعكس ولم ينتجج أمره من بعد ذلك ، حتى كان ما سذكركه من أمره .

وفيه توفي الشيخ جمال الدين يوسف بن شاهين الكركي ، سبط الحافظ بن حجر
القاهري الشافعي ، وكان عالما فاضلا محدثا ، رئيسا حثما لا بأس به . - وفيه جاءت
الأخبار بأن العربان تغلبوا على الكرك والشوبك ، وحصل هناك فتن مهولة . ٣
وفي صفر نزل ابن السلطان من القلعة في موكب حافل ، وتوجه إلى داره التي
أنشأها له السلطان على بركة الفيل ، فأقام بها ساعة ثم عاد إلى القلعة ؛ وهذا أول
ظهوره للناس وزوله إلى المدينة ، وكان معه آقبردى الدوادار ، والجم الغفير من الجند ؛ ٦
وكان نزوله سببا حتى نفق على الجند لاسكل واحد منهم خمسون دينارا ، ومتموها نفقة
نزول ابن السلطان ، وكان قاصد ابن عثمان حاضرا لكي يشاع ذلك . - وفيه جاءت
الأخبار بوفاة أزدمر (٣٧٧ آ) السرطن نائب صفد الظاهري جقمق ، وكان أميرا ٩
جليلا سليم الفطرة ، ومات وهو في عشر السنتين .

وفي عقيب ذلك جاءت الأخبار من حلب بوفاة نائبها أزدمر من مزيد قريب
السلطان ، وكان إنسانا حسنا لا بأس به ، وولى عدة وظائف سنّية ، منها نيابة ١٢
طرابلس ، ونيابة حلب ، وأمرة مجلس بمصر ، وغير ذلك من الوظائف والنيابات ،
و نيابة صفد ، ومات وهو في عشر السبعين ، وكان في أوائل عمره في قلعة وخمول ،
وأقام على ذلك دهرًا طويلا ، فلما تسلطن السلطان ظهر أنه قرابته ، فجاءت إليه ١٥
السعادة بفتة ، فأقام فيها مدة ومات ، وكان أصله من ممالك الظاهر جقمق ؛
فلما مات أزدمر أرسل السلطان خلعة إلى أينال الساجدار نائب طرابلس ، ونقله إلى
نيابة حلب ، عوضا عن قرابته أزدمر بحكم وفاته ، وكان أينال هذا ولى نيابة صفد أيضا ١٨
بعد أزدمر السرطن وقتل في واقعة آقبردى الدوادار لما فرّ إلى حلب .

وفي ربيع الأول توفيت خوند سلطان بنخ ، زوجة الأمير أربك اليوسفي
رأس نوبة النوب ، وكانت زوجة ثم المؤيدى نائب الشام ، وكانت من مشاهير ٢١
الخوندات ، وهى والدّة سيدى فرج الماضى ذكر وفاته ، وكانت لا بأس بها ، وكانت
تقرب للملك الظاهر جقمق . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حاضرا

وفيه توفي الشيخ أحمد رزوق المغربي المالكي ، وكان من أهل الصلاح والدين . -
 وفيه قبض السلطان على بدر الدين بن الإنبائي كاتب جيش الشام ، فضربه بالمصا
 بين يديه ، وأمر بقطع لسانه حتى شفع فيه من ذلك ، ولم يكن له ذنب يوجب ذلك ،
 ولكن خرج خلق السلطان في ذلك اليوم جدا . ٣

وفي ربيع الآخر توفي القاضي تاج الدين بن الإمام ، وهو محمد بن أحمد بن محمد
 الإمام ، وكان أحد نواب الحكم من الحنفية ، وكان غير مشكور في قضائه وعنده
 خفة ورهج ، ومما قاله فيه الشهاب النصوري ، وهو قوله :

قالوا علا التاج فهو قاض فقلت يا ضيممة الحقوق

غايته أنه تويج مُلقى على مفرق الطريق ٩

وفيه جاءت الأخبار من نهر الإسكندرية بأن سقط بها ثلج (٣٧ ب) حتى عمّ
 الأسطح والشوارع ، مثل ثلج الشام ، فعدّ ذلك من النوارد . - وفيه عيّن
 السلطان أزدمر تمساح أمير حاج ركب المحمل ، وعيّن الناصري محمد بن العلاء على
 ابن خاص بك أمير الركب الأول ، وعيّن يشبك الأشقر باش المجاورين بمكة . ١٢

وفيه عيّن السلطان الأمير ماماي من خُداد الدوادار الثاني ، بأن يتوجّه رسولا
 إلى ابن عثمان ، وقد توجه إليه قبل ذلك مرة أو مرتين ، وهذه آخر قصائد السلطان
 إلى ابن عثمان ؛ فشرع ماماي في عمل يرق حافل ، وصنع له ردكا ببركة الرطلي في زمن
 الشتاء ، وصار يوقد في كل ليلة هناك وقدة حافلة ، وهرعت الناس إلى هناك بسبب
 الفرجة ، وعمر الجسر وسكن به الناس أياما في قلب الشتاء ، حتى عدّ ذلك من النوارد ؛
 وكان يعمل هناك في كل ليلة خيال ظل ، أو مغاني عرب ، أو ابن رحاب المغني ،
 أو غير ذلك من الملاحى ، وكانت ليالى مشهودة في القصف والفرجة حتى خرج الناس
 في ذلك عن الحد ، وأقاموا على ذلك نحو من عشرين يوما ؛ ثم سافر الأمير ماماي
 وخرج في تجمل زائد وموكب حافل ، فتوجه إلى بلاد ابن عثمان . ٢١

(٢٠) أو غير ذلك من الملاحى : كذا في الأصل ، وفي ف « أو جوق المحبطين » ، ولعله

يعنى « المحبطين » .

وفيه تغير خاطر السلطان على الزمام فيروز الطواشي ، فأمر بسجنه ، فسجن بالبرج التي في القلعة أياما حتى شفع فيه وأطلق ، وسبب ذلك أن شهاب الدين السجني رافع فيه عند السلطان ، فتغيّظ عليه .

٣

وفي جمادى الأولى أمر السلطان بتجديد عمارة باب القرافة ، فعمره وأنشأ هناك الربوع والسبيل ، وجاء من أحسن المبانى ، ثم بعد مدة يسيرة أنشأ جامعا بخطبة خارج باب القرافة ، فجاء غاية في الحسن ، وحصل به النفع للناس . - وفيه قرّر بُرد بك الطويل في دواذارية السلطان بدمشق ، وقرّر برسبای الصغير في الحجوبية الثانية . - وفيه توفي القاضي محيي الدين بن مظفر ، وهو عبد القادر بن محمد بن أحمد بن علي بن مظفر ، أحد نواب الحكم الشافى ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ، محمود السيرة في قضائه ، وكان لا بأس به . - وتوفي الشيخ الصالح سيدى على الجبرتى ، وكان مقما بالجامع الأزهر ، مات فجأة وهو بالحمّام ، وكان رجلا مباركا .

- وفي جمادى الآخرة كان الحريق الم هول بالقلعة في حواصل السلطان ، التي عند (٣٨ آ) قاعة البحرة ، وكان فيهم خيام كثيرة ، فاحترق غالبا ولعب فيها النار ، فلم يسلم منهم سوى خيمة المولد الشريف فقط ، فقوت الخيام التي احترقت فكانت بنحو من مائتين ألف دينار ، وقيل بل أكثر من ذلك ، ولا يُعلم سبب وقوع النار هناك ، فقام السلطان بنفسه وبقي يطفي الحريق مع المماليك ، فأقامت النار تعمل هناك ثلاثة أيام ؛ فلما طلع النهار صعدت الأمراء إلى القلعة ، وصاروا يسلّمون على خاطر السلطان بسبب ذلك ، وقد تأثر السلطان لذلك وشقّ عليه حرق تلك الخيام ، وشرع كل من طلع إليه من الأمراء يشكو له بأن لم يبق عنده من الخيام شيء ، فصارت الأمراء كل من كان عنده خيام جدد يقدمها للسلطان ، ففعل ذلك الكثير من الأمراء والمباشرين .

٢١

ثم أشيع بعد ذلك أن النار كانت من مطبخ بيت الخليفة ، وكان الخليفة ساكنا بالقلعة داخل الحوش بجوار قاعة البحرة ، فعند ذلك رسم السلطان للخليفة بأن ينزل

من القلعة ويسكن بالمدينة ، وما حصل على الخليفة خير بسبب ذلك ، ونزل هو وعياله من القلعة وسكن في القاعة التي بطريق مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وكانت إشاعة النار بأنها من مطبخ الخليفة باطلا ليس لها صحة ، وإنما ذلك كلام الأعداء في حق الخليفة .

وفيه خسف جرم القمر خسوفا تاما حتى اظلمت الدنيا ، وأقام في الخسوف نحواً من ثلاثين درجة . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن وقع بها الغلاء المهور ، حتى مات من أهلها نحو من ألفين وخمسمائة إنسان من شدة الجوع ، وأكلوا الجيف والبيات .

٩ وفيه أمر الأتابكي أذربك بتجديد عمارة المدرسة المنصورية التي بدهليز البهارستان ، وعمل على الفسقية التي بها قبة ، وجدّد بها منبرا ، وأقام بها خطبة وخطب بها ؛ ولم يُعهد قبل ذلك أن أحدا من الأتابكية قبله أقام بها خطبة ، فمدّ ذلك من النوادر ، ولقد رام ذلك الأتابكي أيتمش البُجاسى فى دولة الناصر فرج بن برقوق فى سنة اثنتين وثمانمائة ، فتمدّر عليه ذلك ، وأفتاه بعض العلماء بأنه لا يجوز له ذلك ، وأن فيه مخالفة لشرط الواقف ، فرجع عن ذلك ، فلما تولى الأتابكية تمتاز الشمسى (٣٨ ب) بعد أذربك أبطل الخطبة منها ، فلما قتل تمتاز وأعيد أذربك إلى الأتابكية ثانيا أعاد بها الخطبة ، واستقرّت إلى الآن .

١٨ وفيه ثارت رياح مزعجة حتى ارتاع الناس منها ، فلما أصبح الناس اجتاز بعض الناس بالسكيان التي خلف المجرة ، فرأى فى الأرض أثر قدم إنسان ، فكان طوله فوق الذراع ، وقد أثر ذلك فى التراب الناعم ، وظهر فى عدة أماكن بين السكيان ، فأشيع ذلك بين الناس ولا يعلم ما سبب ذلك .

٢١ وفى رجب كانت وفاة الشيخ صلاح الدين الطربلسى ، وهو محمد بن محمد بن يوسف الحنفى ، وكان عالما فاضلا مفتيا بارعا فى مذهبه ، وولى عدة تداريس ، ثم ولى مشيخة المدرسة الأشرفية التى تجاه سوق الوراقين ، ومات وهو فى عشر السنتين ،

- وكان لا بأس به . - وفيه قدم شخص من ماردین ، يقال له نور علی ، وقد فرّ من رستم صاحب المراقین لذنّب أوجب ذلك ، فأتى إلى سلطان مصر ، فلما حضر أكرمه السلطان ورّتب له ما يكفيه ، وأقام بمصر مدة طويلة حتى توفي الأشراف ٣ قايتباي ، فرّ إلى بلاده . - وفيه مات يشبك قرقاش الحسنى الأشرافى برسباي ، أحد الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به .
- ٦ وفي شعبان أعيدت مشيخة المدرسة الأشرافية لبرهان الدين السركى الإمام ، عوضا عن الصلاح الطرابلسى بحكم وقاته . - وفيه كانت ولية عرس الأمير جان بلاط ، على ابنة القاضي كاتب السرّ ابن مزهر ، وهى أخت البدرى كاتب السرّ ابن مزهر ، وكان مهمّا حافلا . - وفيه جاءت الأخبار ب وفاة صاحب تونس ومدينة أفريقية ، وهو ٩ زكريا بن يحيى بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى فارس الحفصى ، مات بالطاعون ، فلما توفى قرّر ولده عمر فى مملكة أفريقية ، عوضا عن أبيه زكريا .
- ١٢ وفى رمضان رخص سعر البطيخ المبدلى ، حتى أبيع كل حمل بنصفين فضة ، ولولا المكس لأبيع بأقلّ من ذلك ، وأبيع فى الحوانيت كل قنطار بنصف فضة . - وفيه كانت وفاة العلای علی بن خاص بك صهر السلطان ، وهو علی بن خليل ابن حسن بن خاص بك التركى الأصل ، وكان رئيسا حشما ديننا خيرا ، من أعيان ١٥ أولاد الناس ، وكان قد كبر وشاخ ، ومولده قبل الثلاثين (٣٩ آ) والثمانمائة ، وكانت جنازته حافلة ، وأخرج بكفارة ، ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المؤمنى ، ومشت الأمراء قدّامه للتربة ، وكان له اشتغال بالعلم ، وكان ينظم الشعر وله نظم ١٨ جيّد ، فمن ذلك قوله فى مؤذّن :

- ومؤذّن فى حسنه ، أنا مغرم لا أصبر لسا طلبتُ وصاله ، أضحى على يتكبر
٢١ وفيه أنعم السلطان بأمریات عشرة على جماعة كثيرة من الخاصكية ، منهم طومان باي الثور ، وتمر القصير ، الذى بقى زردكاشا ، ثم بقى مقدّم ألف ،

(٤) قرقاش : كذا فى الأصل ، وفى ف : قرقاس . وقد ورد اسم قرقاش هنا فيما سبق

وقايتباى الأشقر ، وآخرين منهم .

وفى شوال كان عيد الفطر بالجمعة ، ولهج غالب الناس بزوال السلطان عن قريب ، وما ذاك إلا أن العيد إذا جاء يوم الجمعة يحطّب فى ذلك اليوم خطبتين ، ويدعى للسلطان فى ذلك اليوم على المنابر مرتين ، فيلهجون الناس بأن فيه كمال سعد للسلطان ، وهو وجه العلة فى هذه المسألة ، وقد جاء فى أيام الأشرف قايتباى خمسة أعياد بالجمعة ولم يضره ذلك ، ومكث فى هذه المدة الطويلة ولم يؤثر فيه ذلك شيئا ، فن ذلك عيد فطر بالجمعة سنة ثمان وسبعين وثمانائة ، وعيد فطر أيضا بالجمعة سنة ست وثمانين وثمانائة ، وعيد نحر بالجمعة سنة ثمان وثمانين وثمانائة ، وعيد نحر أيضا بالجمعة سنة ست وتسعين وثمانائة ، وعيد فطر أيضا بالجمعة سنة تسع وتسعين وثمانائة ، فهذه خمسة أعياد وقد مرت عليه وهى بالجمعة ، وهو ثابت فى مملكته لم يتزحزح منذ ثلاثين سنة ، فكان كما يقال فى المعنى :

لا ترقب النجم فى أمر تحاوله فإله يفعل لا جدى ولا حمل
مع السعادة ما للنجم من أثر فلا يضرّك مرّيح ولا زحل
وفى هذا الشهر توفى الأديب الفاضل محمد بن شادى خُجّا الحمدي ، وكان شاعرا ماهرا وله نظم جيّد فائق فى المعانى ، ومن شعره الرقيق ، وهو قوله :

لم أصغر فيمن قد بنى فى الحشا بيتا من الحبّ لو اشـ وشاد
رشا له لحظّ إذا ما رنّى أنساك فيه النى عين الرشاد

(٣٩ ب) ومولده بعد الحسين وثمانائة ، ومما قاله فيه الشهاب النصورى من المديح وأجاد :

أنت شاد بنعمة الشحرور فى رياض المنظوم والمنثور
ذو ذكاء فالعير الرطب منه ضائع عند طيب ذاك العبير
عجبا لى مكاتب ورقيق مع أنى احتجاج للتدوير
يا ابن شاد مذ شاد مدحك ذكر قلت إنى من حسنه فى قصور

وفيه خرج المحمل من القاهرة ، وكان أزدمر تمساح بالمحمل وأينال الفقيه بالأول . - وفيه توفى تانى بك الخازندار ، وكان من خواص السلطان لا بأس به . - وفيه قرّر فى قضاء الحنابلة بمكة الشهاب الشيشينى ، وهو قاضى قضاة مصر الآن . - وفيه توفى جاني بك الحمودى الظاهرى جقمق ، خشداش السلطان ، وكان من العشرات ، ورأى غاية العزّ فى أيام السلطان ، وكان لا بأس به . - وفيه توفى الشيخ أبو الكرم المغربى ، وكان فاضلا فى علم الفلك ومعرفة أحواله . ٦

وفى ذى القعدة توقّف النيل عن الزيادة أياما ، حتى تقلّ الناس لذلك ، وارتفع سعر الغلال ، وتكالب الناس على مشترى القمح والشعير وغير ذلك من الغلال ، واستمرّ النيل فى توقّف وربما نقص الذى كان زاده ، ثم بمث الله تعالى بالزيادة واستمرت حتى كان الوفاء ، وفى هذه الواقعة يقول الناصرى محمد بن قانصوه من صادق ، وهو قوله :

١٢ قلمتْ أصابع نيلنا عين الذى خزن الغلال
وغدتْ تقول النقص كـ . . ن على الوفا قطما وزال
وقد أجاد ، وقال شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى :

١٥ النيل وافر ووقفا مبشرا بالمنافع
وخازن القوت عينيه تعلّمت بالأصابع

وفى أواخر هذا الشهر كان الوفاء ، وحصل للناس غاية الجبر ، بعد أن كان النيل قد نقص وآيس الناس من طلوعه فى هذه السنة ، فتوجّه الأتابكى أزبك وفتح السدّ على العادة ، وكان يوما مشهودا . - وفيه توفى عبد العظيم أحد كتّاب المالك ، وكان لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة يشبك من حيدر نائب حماة ، وكان أصله من ممالك الأشرف أينال ، وتولّى عدة وظائف (٤٠ آ) سنية ، منها ولاية القاهرة ، والأمير آخور الثانية ، ثم بقى مقدّم ألف ، ثم بقى نائب حماة ، وكان لا بأس به ، ومات وهو نائب حماة ودفن بها ؛ فلما مات يشبك أخلع السلطان على آقبای الطويل ،

وقرّر في نيابة حماة ، عوضا عن يشبك من حيدر بحكم وفاته .

- ومن الحوادث أن في أيام الأشراف قايتباي ، وقع مقطع بالجبل المقطم على جماعة
٣ من الحجارين فأتوا تحته ، ومات من الممالك نحو من ثلاثة كانوا هناك لأجل
النقارة ، ومات تحت الردم عدة حمير كانوا هناك لأجل حمل النقارة ، وكان هذا المقطع
قد وقع على حين غفلة ، وكان أمرا مهولا ؛ ومن العجائب أن شخصا من الممالك
٦ كان هناك ، فلما وقع المقطع تصلب عليه شيء من الحجارة ، فأقام تحت الردم ثلاثة أيام
والروح فيه ، حتى تقبوا له نقبا من بين الحجارة وخلصوه ، وعاش بعد ذلك مدة طويلة .
- وفي ذي الحجة فتح الأتابكي أذربك سدّ بركة الأزبكية ، وكان يوما مشهودا ؛ ثم
٩ بعد أيام صنع هناك وقدة حافلة وحراقة نقت ، وعزم على ابن السلطان فنزل إليه ، وبات
عنده في القصر المطلّ على البركة ، ومدّ له أسبطة حافلة ، وقدم له تقادم جزيلة ، ما بين
ممالك وخيول وقاش وغير ذلك ؛ ثم طلع ابن السلطان إلى القلعة في اليوم الثاني
١٢ أواخر النهار ، ولم يشقّ ابن السلطان المدينة سوى في ذلك اليوم من منذ نشأ ، وكان
مقيا بالقلعة لم ير البحر قط .

- وفي هذا الشهر جاءت الأخبار . بوفاة صاحب سمرقند ، وهو الملك العظيم أحمد بن
١٥ أبي سعيد ، فلما مات تولّى على سمرقند بعده أخوه محمود صاحب بلخشان . -
وتوفى أيضا صاحب فرغانة من بلاد المشرق ، وهو عمر بن أبي سعيد ، وكان
فيه الخير والعدل في الرعية ، ولما مات تولّى من بعده على مدينة فرغانة أخوه أحمد ،
١٨ انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة تسعمائة

- فيها في المحرم صعد القضاة الأربعة إلى القلعة للتهنئة بالعام الجديد ، فلما جلسوا
٢١ أمر السلطان بمقد مجلس بالمدرسة (٤٠ ب) الصالحية ، بسبب شمس الدين بن الطوائى

الغربي ، القاضي المالكي بدمشق ، وكان قد حضر إلى القاهرة لأمر أوجب ذلك .
وفيه انتهى العمل من تجديد عمارة الجامع الأزهر ، وقد جدّده الخواجه مصطفى بن محمود
ابن رستم الرومي ، وأصرف عليه من ماله نحواً من خمسة عشر ألف دينار ، وجاء غاية ٣
في الحسن ، وهو على ما جدّده به إلى الآن . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على شخص
يقال له شمس الدين محمد بن عمران القدسي ، وكان رفيقاً لأحمد السجني ، فضربه بين
يديه ضرباً مؤلماً ، فما طاق ذلك ومات بعد أيام قلائل . ٦

وفي صفر جاءت الأخبار بوفاة يونس الأشرفي حاجب دمشق ، فلما مات تقرر
في حجبوية دمشق قاني بك نائب غزة ، عوضاً عن يونس المذكور . - وفيه جاءت
الأخبار من دمشق ، بأن الحاج الشامي لما رجع إلى الشام ، خرج عليه في ٩
أثناء الطريق طائفة من عربان بني لام ، فاحتاطوا على الركب عن آخره ، وسبوا الحريم
ونهبوا الأموال ، وأسروا أمير الركب أركاس ، وكان أسيراً مهولاً ، فتأكد السلطان
لهذا الخبر وانزعج لذلك . - وفيه توفي كسباي من أربك الساقى أحد العشرات ، ١٢
وكان لا بأس به .

وفي ربيع الأول توفي القاضي نور الدين الصوفي ، علي بن أحمد بن محمد
الصوفي الحنفي ، أحد نواب الحنفية ، وكان رئيساً حشماً من أعيان النواب ، وكان لا ١٥
بأس به . - وفيه عمل السلطان المولد النبوي ، وكان حافلاً على المادة . - وفيه هجم
المنسر على سوق باب اللوق ، وأخذ منه أشياء كثيرة من القماش والأمتعة ، وقتل
تحت الليل جماعة من أرباب الأدراك ، ولم ينقطع في ذاك شاتان . - وفيه توفي ١٨
يشبك من قصروه ، المعروف بيشبك شحات ، وكان من الأمراء العشرات ، وكان
رئيساً حشماً لا بأس به .

وفي ربيع الآخر أخلع السلطان على كرتباي ، أخى الأمير آقبردى الدوادار ، ٢١
وقرر في نيابة صفد . - وفيه توفي جاني باي الحسنى الظاهري جقمق أحد العشرات ،
وكان لا بأس به .

وفي جمادى الأولى قرّر عفيف الدين بن الشحنة في قضاء الشافعية بحلب ، وقد ٢٤

سمى في ذلك بحال له صورة . - وفيه قرّر مصر باى من على باى في نيابة قلعة حلب . -
وفيه تمّين تانى بك الجمالى في أمرة الحاج برّك الحمل ، وعين كرتباى بن أخت السلطان
٣ (٤١ آ) في أمرة الركب الأول .

وفي جمادى الآخرة توفى الأمير أزدمر تمساح من يلباى الظاهري جقمق ، أحد
المقدمين الألوف ، وكان رئيسا حشما محمود السيرة ، ولا سيما في سفر الحجاز ، وقد
٦ سافر أمير حاج ركب الحمل عدّة مرار ، والناس عنه راضية والثناء عنه جميل . -
وفيه توفى صاحب قاسم شفيقة ، وكان من الأعيان ، تولى نظر الدولة والوزارة غير
ما مرّة ، وجاء في الوزارة على الوضع ، وكان كفوا للمنصب ، نائرا بالسداد ، منفذا
٩ في مباشرته ، وجرى عليه شذائد كثيرة وعنى ، ومات وهو في التوكيل به ، وربما
قليل كان في الخشب حتى مات ، وباشر ديوان الوزارة مدّة طويلة وآل أمره إلى أن
مات أشرّ موة .

١٢ ونقل بعض المؤرخين على أن قاسم هذا كان في مبتدأ أمره خبازا ، وأن صلاح
الدين السكيني أشهره في القاهرة لما كان محتسبا ، ثم إن قاسم صار من جملة صيارف
اللحم ، فلما قرّر شمس الدين البباى في الوزارة ، تحشّر فيه وصار من جملة مباشرين
١٥ الدولة ، فلما غرق البباى تكلم في الوزارة هو وعبد القادر الطويل ، ثم إن قاسم
راج أمره وترشّح للوزارة حتى استقرّ بها ، وصار من أعيان الرؤساء بمصر ، وباشر
الوزارة أحسن مباشرة وتنجّح في السداد فيها ، وقد قال القائل في المعنى :

١٨ وكم سيّد يستوجب الرفع قدره غدا شاكيا من جزم أيامه خفضا
وكم جاهل يدعى رئيسا لقومه كذاك الخصى يدعى رئيسا من الأعضاء

وفي رجب كانت وفاة القاضي شرف الدين يحيى بن البدر حسن ناظر الأوقاف ،
٢١ وكان رئيسا حشما ، لكنه أظهر للسلطان نتيجة ، وعادى الناس قاطبة ، ولا سيما
الأتراك ، بسبب ما أفرد على البلاد لأجل الخمس ، كما تقدّم ذكر ذلك ، فهبوا المالك
داره في بعض الركبات ، واستمرّ في عكس إلى أن مات ، ولم يثن عليه أحد خيرا في

مدّة ولايته لنظر الأوقاف ، كما يقال :

تولّاها وليس له عدوّ وفارقها وليس له صدبق

- وفيه توفى قاضى بولاق ابن قرقاس أحد نواب الحنفية ، واسمه عبد القاهر بن ٣
أحمد بن على بن محمد بن أبى بكر الدماصى ، وكان يعرف بابن قرقاس ، وكان من
أعيان الحنفية ، مشكور (٤١ ب) السيرة فى قضائه ، وكان لا بأس به . - وفيه وقع
الرخاء بالديار المصرية ، حتى أبيع كل عشرة أراذب قح بثلاثة دنانير ، حتى عدّ ذلك ٦
من الفوادر . - وفيه توفى الطواشى سرور شاد الحوش ، وكان عنده قسوة زائدة ،
وعسف وظلم ، وهو الذى أحدث بالقلمة السجن المسمى بالمراقبة من داخل الحوش ،
وكان يحبس فيه من يختار من أصحاب الجرائم ، فاستمرّ بعده إلى الآن . - وفيه توفى ٩
المسند عبد القادر بن الزباد المناوى ، وكان لا بأس به .

- وفيه تغيّظ السلطان على ولده محمد ، فألبسه زمط عتيق وكبر خام ، ونزل به إلى
طبقة الميدان ، ولم ينعم عليه بأمرة عشرة فى أيامه قط ، وقال لأغات الطبقة نوروز ١٢
المجنون : دعه يكنس الطبقة ويقعد على السفرة آخر المالك ، وإن قوى رأسه اضربه
علقة قوية ، وعامله معاملة المالك الجلبان ؛ فأقام فى الطبقة أياما حتى طلع الأنابكى أزبك
وشفع فيه ، واستمرّ عنده ممقوتا حتى مات . ١٥

- وفى شعبان وصل إلى القاهرة شخص جركسى ، وهو جلب قحّ ، وقد جاوز
الستين سنة من العمر ، ومعه اثنان من الأولاد وهما شبان ملاح الهيئة ، فذكروا أن
ذلك الشيخ أخو السلطان ، وكان مقيا ببلاد الفرنج ، فلما حضر استسلمه السلطان ، ١٨
وخقنه ، وخنّ أولاده معه ، وسماه قيت ، وسمى أولاده أحدهما جانم والآخر جاني بك ،
ورتب لهم جوامك ، ونزلهم فى الطبقة ، وصاروا من جملة المالك السلطانية ، ولكن
جرى عليهم بعد ذلك أمور مهولة بأنّى الكلام عليها . ٢١

وفيه قدم إلى القاهرة القاضى شهاب الدين أحمد بن فرفور الدمشقى ، قاضى قضاء

(١٥) الأولاد وهما : كتبت فى الأصل بعد « حتى مات » فى سطر (١٧) السابق .

(١٨) وكان مقيا ببلاد الفرنج : كذا فى الأصل ، وفى ف : وأنه أبيع ببلاد الإفرنج ، وكان

مقيا بها .

- الشافعية بها ، فلما حضر جرى عليه أنكداد وعمن من السلطان ، وغرم مالا له صورة ، حتى استمرّ في قضاء الشافعية بدمشق على عادته . - وفيه توفى أحمد جريبات ، وكان
- ٣ أستاذًا في فن الموسيقى ، وعنده فكاهة وحسن محاضرة . - وفيه أشيع الخبر بموت حجة بن محمد بن عثمان ملك الروم ، مات بنايل من بلاد الفرنج ، وجرى عليه أمور يطول شرحها ، ومات وهو في أسر الفرنج ، وقد تقدّم سبب ذلك . - وفيه غرقت
- ٦ معدية بساحل بولاق ، فأت بها عدّة كثيرة من الناس ، من رجال ونساء وأطفال وبهايم ، وما امتطح في ذلك شاتان .
- وفي رمضان توعك (٤٢٢) السلطان في جسده حتى أرجف بموته ، ونسب
- ٩ قانسوه خمسمائة في مدّة توعك السلطان على أنه قد تقحّم على السلطنة ، فمنع من الدخول على السلطان في مدّة انقطاعه ، ثم إن السلطان حصل له الشفاء ونودي في القاهرة بالزينة ، واستمرت الزينة أياما في شهر رمضان ، حتى تمطّلت الناس عن البيع
- ١٢ والشراء . - وفي هذا الشهر أقيمت الخطبة بالجامع الذي أنشأه الأمير أربك اليوسفي رأس نوبة النوب ، بدرب [ابن] البابا . - وفيه توفى تغرى برمش الأيتالي أحد
- المشترات ، وكان لا بأس به .
- ١٥ وفي شوال في ليلة عيد الفطر ، خرج الأمير قانسوه خمسمائة مسافرا إلى جهة بعض بلاده ، ولم يحضر موكب العيد ، فكثرت القيل والقال في ذلك اليوم ، وكان سفره برأى السلطان ؛ فلما كان يوم العيد ثارت فتنة من المالك الجلبان ، وركب
- ١٨ الكثير منهم في ذلك اليوم وتوجّهوا إلى دار قانسوه خمسمائة ونهبوا ما فيها ، وأحرقوا بعض أماكن بها وأخربوا غالبها ، وهي الدار العظيمة التي أنشأها في قناطر السباع ، المطلّة على الخليج الحامكي ، وكان الذي أثار الفتنة طائفة من المالك ممن هو من
- ٢١ عصبة آقبردى الدوادر ، فحصل الاضطراب في ذلك اليوم ، ثم سكن الحال قليلا . وفيه خرج الحمل من القاهرة ، وكان أمير الركب به تاني بك الجمالي ، وبالأول
- كرتباي ابن أخت السلطان . - وفيه توفى القاضي نور الدين علي بن داود الصيرفي الإسرائيلي الحنفي ، أحد نواب الحكم ، وكان من أعيان الحنفية ، وكان يكتب التاريخ
- ٢٤

مجازفة لا عن قائل ولا راو ، وله في تاريخه خطابات كثيرة ، وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه ، فكان كما يقال في المعنى :

يا من يقول جمعت في التاريخ كتباً كاملة لك بالأباعر نسبة لم تدر ما هي حامله ٣
وكان مولده سنة تسعة عشرة وثمانمائة ، وكان لا يخلو من فضيلة .

وفي ذى القعدة وصل سيف قان بردى نائب دُوركي ، وكان غير محمود السيرة..

وفيه كان وفاء النيل المبارك وتوجه الأتابكي أزبك وفتح السد على العادة ، وكان آخر ٦
فتح الأتابكي أزبك إلى السد ، وجرى عليه من بعد (٤٢ ب) ذلك ما سذكركه عن قريب . - وفي هذا الشهر وقع الرخاء بالديار المصرية حتى أبيع كل ثمانية أرغفة من سن الخبز البابت بثلاثة دراهم نقر ، حتى عد ذلك من النواذر الغريبة . ٩

وفيه بدأ السلطان بتويعك جسده ، وظهر عليه أشاير الموت ، فضرب السكرة في هذه السنة ضرباً هيناً ، بالنسبة لما كان عليه قبل ذلك من القوة ، فسبحان منغير الأحوال . - وفيه توفي سيدي عبدالرحمن اليميني ، وكان من أولياء الله تعالى . - وتوفي ١٢
آقبردي التماسيحي الظاهري جقمق ، وكان من الأمراء العشرات ، وكان لا بأس به.. وتوفي أيضاً باش مكة أزدمر من مراد خجا الأشرقي برسباي ، وكان أحد الأمراء العشرات لا بأس به . ١٥

وفيه ظهرت أعجوبة ، وهي أن امرأة ولدت مولوداً صورته كصورة الفيل ، وله زلومة سوداء ، وكان بشع النظر ، فأت من يومه . - وفيه توفي الطواشي سرور السيفي مازي نائب المقدم ، وكان لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة ١٨
صاحب خراسان ، وهو حسين بن بيقر بن منصور ، وبيقر جدّه ، قيل إنه مات بعلّة النقرسة .

وفي ذى الحجة في يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، جرت كايته عظيمة ، وهو ٢١
أن قانسوه خمسمائة لا توجه إلى إقطاعه في ليلة عيد الفطر كما تقدم ، وتوجه طائفة

(٤) تسعة : كذا في الأصل ، وفي ف : سبعة .

(٥) سيف قان بردى : كذا في الأصل ، وهو صحيح ، وفي ف : سوجان .

من المالك إلى داره ونهبوا ما فيها وأحرقوا غالبها ، فلما رجع قانصوه خمسمائة من
السفر ، تعمّرت القلوب بالمدّاة بينه وبين آقبردى الدودار ، وصارت المدّاة كل
يوم فى مزيد ، فلما كان يوم الخميس المذكور ركب قانصوه خمسمائة ولبس لامة الحرب ٣
والتفّ عليه جماعة من خشداسينه ، مثل قانصوه الألفى أحد الأمراء المقدّمين ،
وقانصوه الشامى أحد المقدّمين أيضا ، ومن الأمراء الطبلخانان والمشرات جماعة
كثيرة ، منهم برسباى الخسيف ، وقرقاس الشرفى ، وأسنباي البشر ، وقايتباى ٦
البشر أيضا ، وأزبك قفص ، وغير ذلك من الأمراء ، والجمل الخفير من الخاصكية
والمالك السلطانية .

فلما لبسوا لامة الحرب توجهوا إلى بيت قانصوه خمسمائة ، فركب معهم وأنوا ٩
إلى بيت الأتابكى أزبك ، الذى أنشأ فى الأزبكية ، فاجتمع هناك من المسكر ما لا
يحصى ؛ فلما بلغ الأمير يشبك الجمالى أحد المقدّمين والزردكاش الكبير ، بأن
المسكر قد اجتمع عند الأتابكى أزبك (٤٣ آ) حضر يشبك الجمالى أيضا ، فمكث ١٢
هناك أربعة أمراء مقدّمين ، وجاء المسكر أفواجا أفواجا ، ولا بقى يعلم إن كانت
هذه الركبة على السلطان أم على الأمير آقبردى الدودار ؛ فلما اشتدّ الأمر طلع
١٥ ثانى بك قرا حاجب الحجاب إلى السلطان ، وتنصّح له ، وخلا به ، وقال له : إنما
هذه الركبة على السلطان ، وأن المسكر قائم مع الأتابكى أزبك لأجل قانصوه خمسمائة ،
فإنه كان صهره .

١٨ فلما تحقّق السلطان ذلك اضطربت أحواله ، وخشى من اتساع الفتنة ، فنزل
إلى باب السلسلة ، وجلس فى المقعد المطل على الرملة ، وعلّق الصنجق السلطانى ،
ودقّت الكوسات حربى ، ثم نادى للمسكر كل من كان طائعا لله وللسلطان يطلع
٢١ إلى الرملة ويقف تحت الصنجق السلطانى ، فلما بلغ الأمراء المقدّمين ذلك طلع إلى
باب السلسلة : تراز الشمسى أمير سلاح ، وتانى بك الجمالى أمير مجلس ، وآقبردى
الدودار الكبير ، وأزبك اليوسفى رأس نوبة النوب ، وتانى بك قرا حاجب

الحجاب ، وبقية الأمراء المتقدمين والطلبخانات والمشرات ، واجتمع بالرملة الجمّ
الفير من المسكر .

- ٣ فلما بلغ ذلك من بالأزبكية من المسكر ، بأن السلطان قد نادى أن المسكر الطائع
يطلع إلى الرملة ويقف تحت الصنجق السلطاني، فصاروا في الحال يتسحبون من هناك
شيئا فشيئا ويطلقون إلى الرملة ، حتى لم يبق في الأزبكية إلا ممالك الأمراء الذين
٦ هناك ، فظهرت الكسرة على قانسوه خمسمائة ومن معه من الأمراء ، وكانت هذه أول
حركات قانسوه خمسمائة ، وكان معكوس الحركات في سائر أفعاله ، كما يقال في المعنى :

وأخرى دهرى وقدّم معشرا لأنهم لا يعلمون وأعلم

- ٩ فـذ أفـلـح الجـهـال أعلم أننى أنا اليم والأيام أفـلـح أعلم
فبينما الأتابكي أزبك جالس في مقعده وإذا بالأمير أزبك اليوسفي رأس نوبة
النوب دخل عليه ، وصحبته الحاج رمضان مهتار الطستخانا ، فقال له : قم كلم
السلطان في خير ، فقام من وقته وتوضاً وصلى ركعتين ، وركب وهو (٤٣ ب) ١٢
بتخفيفه صغيرة وملوطة بيضاء مفكك الأزرار ، فطلع محبتهما إلى القلعة ، فلما رأوه
الماليك الجلبان كادوا أن يقطعوه بالسيف ، وقيل إن الأمير آقبردى الدوادار كلمه
وشتمه ، فلما وقف بين يدي السلطان ، فقام له وأمر بإدخاله إلى قاعة البحرة ، خوفاً
١٥ عليه من الماليك الجلبان أن لا يقتلوه .

- فلما بلغ قانسوه خمسمائة ومن معه من الأمراء أن الأتابكي أزبك قد عوّقه بالقلعة ،
١٨ فقام قانسوه خمسمائة وركب وتوجه من على قنطرة الحاجب واختفى من حيث لا يعلم له
خبر ، وكذلك قانسوه الأثني ، والشامى ، وبقية الأمراء ممن كان من عصبة قانسوه
خمسمائة ، فلما اختفوا الأمراء انقضّ ذلك الجمع الذي كان بالأزبكية كأنه لم يكن ،
وكانت الكسرة على قانسوه خمسمائة . ٢١

(١) الحجاب : أضيف هنا في ف : وجان بلاط من يشبك ، وشاد بك أخوخ .

(٥) الدين : الذى . (١٢) خير : كذا في الأصل ، وفي ف : خير .

(١٤) كله : كذا في الأصل ، وفي ف : لكه .

ثم إن السلطان نادى للمسكر بأن يقلعوا آلة الحرب ويتوجهوا إلى بيوتهم ،
ونادى للناس بالأمان والاطمان ، وسكنت تلك الفتنة ؛ وكان قانصوه خمسمائة في هذه
السنة جدد سور باب السلسلة ، وأنشأ المقعد المطل على الرملة ، والمبيت ، وحوله
أبراج موجودة به إلى الآن .

فلما كان يوم الجمعة صبحه ذلك اليوم قبض بعض مشايخ العربان على الأمير
٦ قانصوه الألفي ، وكان قد توجه إلى برّ الجيزة فقبض عليه من هناك ، وأحضر إلى
بيت آقبردى الدوادر ، فقيده وأرسله إلى السجن بقلعة صفد ؛ ثم إن الأمير قانصوه
الشامى أرسل يطلب الأمان من السلطان ، فأرسل له في ذلك اليوم مندبل الأمان ،
٩ فلما قابل السلطان أخلع عليه وقرره في نيابة حماة ، ورسم له بأن يخرج من يومه
إلى السفر .

ثم إن آقبردى الدوادر صار يقبض على جماعة من الأمراء الطبلخانات
١٢ والمشرات ممن كان من عصبة قانصوه خمسمائة ، فقبض على قيت الرجبى وإلى القاهرة ،
ومصر باى الثور المعروف بالشريفى ، فقيدهما وتوجهوا بهما إلى السجن بالصيبية ،
ثم قبض على آخرين منهم ، وهم برسباى الخسيف ، وقرقاس الشريفى ، وأسنبابى
١٥ البشرى ، وقايتباى البشرى أيضا ، وأزبك قفص ولكن فرّ في أثناء الطريق ، وقبض
على سودون الفقيه ، فنفى هؤلاء الجماعة عن آخرهم ، واستمرّ قانصوه خمسمائة محتفيا لم
يظهر ، حتى كان ما سياتى الكلام على ذلك .

وقد انتصف آقبردى (٤٤ آ) الدوادر على عصبة قانصوه خمسمائة ، وبدد
١٨ شملهم ، وفكك في تلك الأيام ، وطاش وخفّ إلى الناية ، واجتمعت فيه الكلمة ،
وصار صاحب الحلّ والمقد ، ليس على يده يد ، وكان ذلك من أكبر أسباب الفساد
٢١ في حقّه ، كما يقال :

كل شيء إذا تناها تواها كانتقاص البدور عند التمام

(٣) سور : صور . (١٣) ومصرباى : كذا في الأصل ، وهو الصحيح ، وف :
برسباى . || بالصيبية ، أى بقلعة الصيبية بالشام .

ثم إن آقبردى الدوادار فرّق في هذه الأيام أضحية جزيلة على المسكر ممن هو في عصيته ، فكانت تعدل ضحايا السلطان ، من بقر وغنم ، حتى غمر المسكر بالإحسان ، فكان كما يقال في المعنى :

٣

أنا أسمر والراية البيضاء لى لا للسيوف وسل من الشجمان
لم يحلّ لى عيش العداة لأننى نوديت يوم الحرب بالمرّاف

هذا ما كان من أمر هؤلاء ، وأما ما كان من أمر الأتابكي أزبك ، فإنه أقام بقاعة البحرة ثمانية أيام ، فلما كان يوم الجمعة رسم له السلطان بأنه يصلى معه الجمعة وهو بالشاش والقماش على عادته ، فخرج وصلى مع السلطان الجمعة ، فلما فرغ من الصلاة أراد أن ينزل إلى داره ، فقيل له : إن المالك واقفة بالرملة ، ومتى نزلت من هنا يقتلونك لا محالة ، تخاف عليه السلطان وأدخله إلى قاعة البحرة ، ثم إنه اجتمع بالسلطان ، وقال له : أنا ما بقى لى إقامة فى مصر ، يقتلونى المالك الجلبان ، وقصدى أتوجه إلى مكة ؛ فأجابه السلطان إلى ذلك .

١٢

فلما كان يوم السبت ثامن ذى الحجة من تلك السنة ، نزل الأتابكي أزبك من من القلعة وهو راكب على إكديش ، وعلى رأسه تحفيفة صغيرة ، وعليه ملوطة بيضاء ، من غير تقييد ولا أوجاق خلفه ، فتوجه إلى مكة من الطور ، ونزل من هناك إلى البحر الملح ، ورسم له السلطان بأن يأخذ ولده بحبي صحبته إلى مكة ، وكانت نكبته بفتة على حين غفلة ، كما يقال :

١٨

على قدر فضل الرء يأتى خطوبه ويُعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قلّ فيما يتّقيه اصطباره فقد قلّ مما يرتجيه نصيبه

٢١

فكانت مدّته فى الأتابكية نحواً من سبعة وعشرين سنة ، وسوف يعود إلى الأتابكية ثانياً كما سيأتى الكلام على ذلك . - (٤٤ ب) وفى ذلك اليوم رسم السلطان بإخراج الأمير يشبك الجمالى ، أحد القدامين والزردهاش الكبير ، فخرج منفياً إلى القدس ، ولم يكن له ذنب غير أنه كان من جماعة أمير كبير ، وحضر يوم الركبة إلى بيته ، فصار له ذنب ، وكان يشبك الجمالى من خواص السلطان ، ثم أقلب

٢٤

عليه ، فأقام بالقدس منفيا إلى أن مات به عن قريب ، فكان كما يقال :
يعدّون ذنبا واحدا إن جنيته علىّ وما أحصى ذنوبهم عدّا
وفي هذه السنة جاءت الأخبار من تونس ، بأن بها ثارت فتنة عظيمة ، وحصل
للساكر المغرب مقتلة مهولة ، والأمر إلى الله ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعمائة

- ٦ وهي أول القرن العاشر ، وكان مستهلها بالأحد ، وهو أول أيام الأسابيع ،
وأول افتتاح العام بالأحد .
- ٩ ففي المحرم كان خليفة الوقت الإمام المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز العباسي ؛
وسلطان مصر الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري جقمق ؛ وقاضي
قضاة الشافعية زين الدين زكريا الأنصاري ؛ والقاضي الحنفى ناصر الدين محمد الإجمي ؛
والقاضي المالكي عبد الغنى بن تقى ؛ والقاضي الحنبلي بدر الدين محمد السعدى .
- ١٢ فن حوادث هذه السنة أن السلطان أحدث مكسا على بيع الفلة ، وجعل على كل
أردب نصف فضة ، ولم يمهد هذا قبل ذلك ، وكانت هذه الفعلة من أقبح مساوئه ،
واستمر ذلك في صحيفته إلى الآن . - وفيه قدم على باى نائب الإسكندرية ، فقرّره
السلطان من جملة الأحرار المقدمين . - وفيه وصل الحاج وقد قاسى في هذه السنة
مشقة زائدة ، ولم يجدوا الماء بنخل ، فمرّج بهم أمير الحاج إلى جهة عيون موسى
حتى وجدوا الماء ؛ وأخبر بعض الحجاج أنه سمع وهو واقف بعرفة ما جرى بمصر ،
من ركوب المالك ، وكسرة قانصوه خمسمائة ، ونفى الأتابكي أزبك إلى مكة ،
والقبض على جماعة من الأحرار ، فعدّ ذلك من النوادر ، كيف أشيع ذلك في عرفة
من غير خبر أتى إلى هناك .
- ٢١ وفيه قدّم للسلطان أترجة غربية الشكل ، اجتمع فيها سبع عشرة أترجة من أصل
واحد ، فكانت بديعة الخلقة جدا . - وفيه عاد الشيخ عبد المؤمن العجمي ، شيخ
(٦) أيام الأسابيع : أسابيع الأيام .

قبة (٤٥ آ) السلطان التي بالمرج والزيات ، وكان قد توجه إلى ابن عثمان قاصدا عن لسان السلطان ، وصحبته هدية حافلة إلى ابن عثمان ، من جملتها قاش فاخر وسبع وزرافة وبيناء حمراء اللون ، وغير ذلك أشياء كثيرة ، فلما عاد عبد المؤمن أخبر بأن ٣ ابن عثمان تلاتنى أمر عسكره ، وبطلت همته عن محاربة عساكر مصر ، فسر السلطان لهذا الخبر .

وفيه جاءت الأخبار من حلب ب وفاة صالح الكردي حاجب حلب وشيخ ٦ الأكراد بها ، مات قتيلا . - وجاءت الأخبار من حلب أيضا بقتل محمود بن أبي سميد صاحب سمرقند ، قتله محمود بن يونس خان صاحب شاش ، وملك من بعده سمرقند ، وكان محمود هذا آخر ذرية تمرلنك ، وبه زالت دولتهم كأنها لم تسكن ، وهو ٩ محمود بن أبي سميد بن أحمد بن ميران شاه بن تمرلنك ، وكان من أعيان ملوك الشرق . - وفيه ترشح أمر تمتاز الشمسى بأن يلى الأتابكية .

وفي صفر في يوم الاثنين مستهل عمل السلطان الموكب ، وأخلع على جماعة من ١٢ الأمراء ، فقرر تمتاز الشمسى فى الأتابكية ، عوضا عن الأتابكى أربك من ططخ ، بحكم نفيه إلى مكة ؛ وأخلع على تانى بك الجمالى ، وقرر فى أمرة السلاح ، عوضا عن تمتاز ، بحكم انتقاله إلى الأتابكية ؛ وقرر أربك اليوسفى فى أمرة مجلس ، عوضا عن ١٥ تانى بك الجمالى ، بحكم انتقاله إلى أمرة سلاح ؛ وقرر تانى بك قرا الأبنالى رأس نوبة النوب ، عوضا عن أربك اليوسفى ، بحكم انتقاله إلى أمرة مجلس ؛ وقرر أربال الحسيف فى حجوية الحجاب ، عوضا عن تانى بك قرا ، بحكم انتقاله إلى الرأس نوبة ١٨ الكبرى ؛ وأنعم فى هذا الشهر بتقادم ألوف على جماعة من مماليكه ، منهم ماماي من خداد ، وقانصوه المحدى المعروف بالبرجى ، وكرتباى الأهر كاشف البحيرة ، وقانم قريبه ، وعلى باى نائب الإسكندرية ، وجانم الشهير بالمصبغة ؛ وأنعم بأمرىات ٢١ طبلخانات وعشرات على جماعة كثيرة ممن هو من عصبه آقردى الدوادر ، منهم آقباى الطويل ، وخاير بك الدوادر ، وطقطباى من طبقة الأربعين ، وطقطباى أيضا

- من طبقة الطازية ، وغير ذلك جماعة آخرين يأتى الكلام عليهم فى موضعه .
- وفيه أخلع على قانبك الشرىنى (٤٥ ب) وقرر فى نيابة الإسكندرية ، عوضا
 ٣ عن على باى ، بحكم انتقاله إلى التقدمة . - وفيه توفى المسند شرف الدين القباني ،
 وكان من أهل الفضل لا بأس به . - وفيه أخلع على الأتابكى تمتاز ، وقرر فى نظر
 البهارستان المنصورى ، فتوجه إلى هناك فى موكب حافل .
- ٦ وفى ربيع الأول أخلع على شمس الدين محمد بن مزاحم ، وقرر فى نظر الأوقاف
 والأحباس ونظر القرافتين ، وكان أصله من طرابلس ، وكان غير مشكور فى
 أفعاله . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا ، وهذا كان آخر موالد
 ٩ السلطان ، ولم يعمل بعد ذلك مولد . - وفيه أخلع على تانى بك قرا رأس نوبة
 النوب ، وقرر فى أمرة الحاج بركب الحمل ، وقرر بُرد بك نائب جدّة فى أمرة
 الأول .
- ١٢ وفيه جاءت الأخبار من القدس ب وفاة يشبك الجمالى ، أحد الأمراء المقدمين
 كان ، وكان دينا خيرا ، وأصله من ممالك ناظر الخاص يوسف بن كاتب جكم ، ورقى
 فى دولة الأشرف قايتباى ، وولى عدة وظائف ، منها حسبة القاهرة ، والزردكاشية
 ١٥ والتقدمة ، وسافر أمير حاج بركب الحمل غير ما مرّة . - وفيه وقع بين الأمير
 أقبردى ، وبين قرقاس من ولى الدين أمير آخور ثالث ، واستمرت العداوة بينهما
 تزايد حتى كان ما سذكروه .
- ١٨ وفى ربيع الآخر أخلع السلطان على شاد بك من مصطفى المعروف بأخوخ ،
 وقرره أمير آخور كبير ، عوضا عن قانصوه خمسمائة بحكم اختفائه ؛ وقرر برد بك
 الحمدي الأينالى أمير آخور ثانى ، عوضا عن شاد بك ؛ وقرر دولات باى من غيبى
 ٢١ الأينالى فى الزردكاشية الكبرى ، عوضا عن يشبك الجمالى ، بحكم موته فى القدس
 بطالا ؛ وقرر برقوق الساقى الأينالى فى الحسبة ، عوضا عن كسباى ؛ وقرر كسباى

(١) الطازية : كذا فى ف ، وفى الأصل : الطازية . (١٤-١٥) والزردكاشية والتقدمة :

كذا فى الأصل ، وفى ف : ثم بقى مقدم ألف وجمع بين الزردكاشية والتقدمة .

في الدوادارية الثانية ، وكان يعرف بكسباى الشريفى ؛ وقرّر مصر باى فى شادية
الشراب خاناه ؛ وقرّر أركاس الحلبى فى نيابة القلعة ؛ وقرّر سودون المعجمى فى
أستادارية الصحبة ؛ وقرّر برد بك من بير على فى تجارة المالك ، فأخلى على هؤلاء ٣
الجميع فى يوم واحد .

وفيه جاءت الأخبار من المدينة الشريفة ، بأن أمير المدينة هجم على حواصل
المال التى بها من قبل النذور ، فاستولى على اثنى عشر ألف دينار ، وأخذ عدة قناديل . ٦
ذهب كانت معلقة بالحجرة الشريفة ، وخرج إلى جهة العراق (٤٦ آ) فلم يدرك .
وفيه أخبر جماعة من الفلكية بأن زحل قد اقترن مع المريخ فى برج الحوت ، وذكروا
بأن هذا القران سيقع به فتن عظيمة عن قريب ، فأجاب شيخنا عبد الباسط بن خليل ٩
الحنفى عن ذلك بقوله :

ليس القران بفاعل كلا ولا بمؤثر
١٢ إن المؤثر فعل من خلق القران تدبر
فالفعل عنه صادر كم يا منجم تفتري

وفيه توفى بينوت من تبحق قرا ، أحد الأمراء العشرات الأشرافى برسباى ،
وكان لا بأس به ، فلما مات أنعم السلطان بأمرته على تانى بك الأبح . - وفى هذه ١٥
الأيام رخص المفل جدا ، حتى أبيع كل خمسة أراذب قح بدينار ، وأبيعت البطة
الدقيق بثلاثة أنصاف ، وعمّ الرخاء فى سائر البضائع .

وفى جمادى الأولى رسم السلطان بقطم آيدى ثمانية أنفار ممن يعملون الدراهم الزغل ، ١٨
وكان فيهم شيخ قد ناف عن الثمانين ، فقطعت أيديهم وشهروا فى القاهرة . - وفيه
توفى الزينى فرج المقرئ ، وكان قد قارب التسعين سنة من العمر ، وكان لا بأس به .
وفيه توفى قايتباى الناظر الظاهرى خشقدم ، وكان من الأمراء الطبلخانات بدمشق . ٢١
وفيه أذن السلطان إلى القاضى محب الدين محمود بن أجا ، بأن يتوجّه إلى حلب على
وظيفته فى قضاء الحنفية بحلب ، وكان قد حجّ فى العام الماضى .

وفى جمادى الآخرة نزل جماعة من المنسر على علاى الدين بن الصابونى ناظر الخاص ،
 وكان فى تربته التى أنشأها فى رأس دور الحسينة ، فأخذوا جميع ما كان عنده ، وجرح
 ٣ ابن الصابونى فى يده ، وكانت واقعة مهولة . - وفيه مات يشبك دجاج الحمدي
 الظاهرى جقمق أحد العشرات .

وفى رجب توفى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عربشاه الدمشقى الحنفى ، شيخ
 ٦ المدرسة الصرغتمشية ، وكان من أهل العلم والفضل لا بأس به ، فقرر عوضه فى مشيخة
 الصرغتمشية شمس الدين الغزى . - وفيه جاءت الأخبار بأن قانسوه نائب دوركى ،
 شفق قاضى المدينة سيف الدين يوسف الحنفى ، وقد بلغه أنه يكتب ابن عثمان بأخبار
 ٩ هذه الملكة ، وربما أنهم بذلك .

وفى شعبان كانت وفاة القاضى عبد الفنى بن الجيعان ، وهو عبد الفنى (٤٦ ب)
 ابن علم الدين شاكر ، وكان متولّى كتابة الخزانة ، وكان من خيار بنى الجيعان ،
 ١٢ رئيسا حشما موصوفا بالكرم الزائد ، ويحكى عنه أشياء فى برّه للناس ما لا يحكى
 عن البرامكة فى أيامهم ، ومات وهو فى عشر الثمانين ، وكانت جنازته حافلة ، فكان
 أحق بقول القائل :

١٥ فلو أن البرامك عاينوه وأنعمه نعم الخلق سقيا

فينضب جعفر ويموز فضل ويبل خالد ويموت يحى

وفيه هجم المنسر على سوق التجار بجامع ابن طولون ، وكسروا منه عدة دكاكين ،
 ١٨ وأخذوا ما كان فيها من التماس ، وراحت على أربابها .

وفى رمضان توفى سودون أكديش الظاهرى جقمق أحد العشرات ،
 وكان لا بأس به . - ومن الحوادث فى هذا الشهر أن السلطان نادى للمسكر
 ٢١ بالفرس ، فلما ظلموا إلى القلعة أحضر لهم المصحف الكبير العثمانى وحلفهم
 عليه قاطبة ، وكذلك الأمراء أن لا يخرجوا عن طاعته ولا يخالفوه فيما يريد ،

ثم نفق عليهم نفقة كاملة ، لكل مملوك مائة دينار ، ولطائفة منهم خمسون دينارا ،
 وثنى عشرون دينارا وثنى عشرة ، فنفق على المالك قاطبة ، ثم على الخدام وأولاد
 الناس ، ثم بعت نفقة للخليفة ولبعض أمراء ، فبلغت هذه النفقة زيادة على الأربعمائة ٣
 ألف دينار .

ولا يعلم ما سبب هذه النفقة التي انتفقت من غير موجب لذلك ، والذي أشيع
 بين الناس أن السلطان قال : أنا لما تسلطت لم أنفق على المسكر شيئا ، فهذه في نظير ٦
 ذلك؟ والوجه الثاني أن السلطان قصد ظهور قانصوه خمسمائة ، وكانت له به عناية تامة ،
 فنفق على المسكر حتى يرضيهم بسبب ظهور قانصوه خمسمائة ، فما سهل ذلك على آقبردى
 الدوادار ، وأخذ حذره مما سيأتى . ٩

ومن المجائب أن مال هذه النفقة كان مجهزا حاضرا ، وهى الخمسة أشهر التى
 أخذها من أجرة الأملاك والأوقاف ، ومن أوقاف الجوامع والمدارس والبيارستان ،
 وصادر فيها طائفة اليهود والنصارى ، وتجار الفرنج وتجار المغاربة والبرالسة ، وغير ١٢
 ذلك من أعيان التجار (٤٧ آ) ومشاهير الناس ، وكان هذا المال الذى جُبى من هذه
 الجهات تحت يد القاضى علاى الدين بن الصابونى ناظر الخاص ، والأمير تفرى بردى
 الأستاذدار ، فلما خمدت فتنة ابن عُثمان التى كانت سببا لذلك ، فوافق الله تعالى أن ١٥
 يرد للناس ما أخذهم منهم ، كما فعل الأشرف برسباى ، لما أخذ من أجناد الحلقة
 عن إقطاعهم بسبب تجريدة شاه روح بن تمرلنك ، لما تحرك عليه فى سنة إحدى

(٣-١) ثم نفق . . وأولاد الناس : كذا فى الأصل ، وفى : وفيه نفق السلطان على
 المسكر ، وقيل صدقة ، ففرق على المالك القرائصة والسيفية الذين كانوا متزلين بالديوان قبل
 سلطنته ، هم وجليان له لكل واحد منهم خمسون دينارا ، وأولاد الناس أصحاب الجوامك العتق ، لكل
 واحد منهم ثلاثين دينارا ، وقيل لأنه فرق بعد ذلك على الخدام الطواشية ، لكل واحد منهم عشرين دينارا
 واثني عشر دينارا .

(٧) ذلك : أضيف هنا فى ف : والأصح ذلك لأنه نفق على القرائصة العتق ، والسيفية العتق ،
 مائة دينار لكل واحد ، والذي تجدد من القرائصة السيفية فى أيامه خمسون دينارا لكل واحد ،
 وسباها صدقة .

وأربعين وثمانمائة ، فلما بطل أمر التجريدة ، وحصل للأشرف برسبى ر
جسده ، ردّ لأجناد الحلقة ما كان أخذهم منهم ، وكُتب ذلك في صحيفته إلى يوم القيام .
والأشرف قايتباى جمع هذا المال من وجوه المظالم ، وحصل للناس بسبب ذلك ٣
مشقة زائدة ، فأخرجه في غير مستحقه ، لا في وجه من وجوه النعمة للمسلمين ،
فكانت كما قيل :

٦ لست أعطى في حرام أبدا إلا حراما

وفي شوال قرّر عنبر التكرورى في نيابة مقدمة المالك ، ثم بقي من بعد ذلك
مقدم المالك . - وفيه توفى ثم الضبع الظاهرى جقمق أحد العشرات ، وكان ٩
أخواتاى بك الجمالى أمير سلاح ، فلما مات ثم الضبع ، وقف شخص من الأمراء
العشرات يقال له ملاج من طوطخ الظاهرى [جقمق] ، يطالب من السلطان إقطاع ثم
الضبع ، فلم يوافق السلطان على ذلك ، فحنق ملاج من السلطان ، فلما نزل إلى داره ١٢
شفق نفسه من شدة قهره ، فمات هو وتم الضبع في يوم واحد ، وقد تقدم القول
على وفاة ملاج .

وفيه وقعت الوحشة بين آقبردى البوادر ، وبين جان بلاط ومامى ، لما رآها ١٥
قد التفتا على كرتباى الأحمر ، وبشيك قر ، وكان جان بلاط أعز أصحاب آقبردى
البوادر . - وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل
تاتى بك قرا رأس نوبة النوب ، وبرد بك نائب جدة بالأول . - وفيه توفى أركاس ١٨
الحلبى نائب القلعة ، وكان لا بأس به . - وتوفى محمد بن نوروز الحمدي الميقاتى ،
وكان علامة في هذا الفن .

وفي أواخر هذا الشهر ظهر الأمير قانصوه خنساءة ، وكان مدة اختفائه

(١٤) ومامى : أضيف يدهما في ما يأتى : وسبب ذلك أن جان بلاط طلب أمرية الآخورية
السكبرى وعينت له ، فوقف آقبردى وبأس الأرض على أن يكون شاد بك أخوه أمير آخور كبير ،
فأنعم السلطان على شاد بك بها ، فن حينئذ وقعت الوحشة بينهم .

١ تسعة أشهر ، فلما طلع إلى القلعة رسم له السلطان بأن يأخذ تحت إبطه
رب بملبكي حتى يرق عليه قلب العسكر ، يعني جاء وكفنه تحت إبطه ، فلما وقف
بين يدي السلطان قبل الأرض ، فأخلع عليه كاملية صوف صيني بصمور ، ورسم له ٣
بأن يتوجه إلى داره ، فنزل من القلعة في موكب حافل ، ومحجته الأتابكي تميز ،
واقبردى الدوادار ، فوصله إلى داره ورجعا .

٦ وفي ذى القعدة ثارت فتنة كبيرة من الماليك الجلبان ، ممن هو من عصابة
قاصوه خمائة ، فلبسوا السلاح وطلعوا إلى الرملة ، وحاصروا اقبردى الدوادار
وهو في داره ، فلما تزايد الأمر وأحرقوا الربع التي خلف بيت اقبردى عند سوق
الجلال ، فلما بلغ السلطان ذلك ركب ونزل إلى باب السلسلة ، وجلس بالمقعد المطلق ٩
على سوق الخيل ، فلم تخش منه الماليك وتزايد الأمر ، ومما أخشوا الماليك في حق
السلطان ، أن قبل ذلك بمدة طويلة ، كان السلطان ينام في الصيف على الدكة التي
بالحوش ، فدخل عليه في الليل بعض الخاصكية ، وقال له : إن الماليك الذي في طبقة ١٢
الحوش قد عوتوا على أن ينشبو السلطان وهو راقد على الدكة .

فلما بلغ السلطان ذلك بادر وقام من على الدكة ، وتحوّل إلى مكان غيره ، فلما
أصبح وجد ثلاثة أسهم نشاب في الخدة التي ينام عليها ، فما وسع السلطان إلا تستر ١٥
هذا الأمر ، ونقل الماليك من طبقة الحوش ، وسدّ بابها وقطع سلمها ، انتهى ذلك ؛
فاستمر السلطان جالسا بالمقعد الذي بباب السلسلة إلى بعد العصر ، فبلغه أن اقبردى

(١٠) الخيل : أضيف بعدها في ف : بالرملة .

(١٣) الحوش : كذا في الأصل ، وفي ف : المطلق .

(١٥-١٦) في الخدة . . . انتهى ذلك : كذا في الأصل ، وفي ف : في الخدة واللحاف الذي

كان للسلطان بسبب النوم والتغطية عليه ، فما وسع السلطان إلا أنه فرق الماليك الذي بطبقة المطلق
على الأطباق ، وجعل على حائط كل طبقة المطلق بناء تستر منه رؤية الحوش ، وقيل إن الذي فعل به
ذلك وأمر عليه هو شخص خاص من أخصائه يسمى شمرنت ، فأحضره وضربه بين يديه نحو
من ألفين عصاة ، حتى قيل إنه مات ، وضرب معه جماعة من أصحابه وسجنهم بالبرج ، وقطع
جوامعهم ، وأبطل شمرنت من الخاصكية ، وذلك قبل فتنة ابن عثمان مع السلطان .

الدوادار قد غيب من داره ، فعند ذلك قام السلطان وقد حمّ في جبهه
 وطلع إلى القلعة ، وكان هذا آخر ركوبه ورؤية الناس إليه ، فلما دخل إلى
 ٣ طلع إلى المقعد ، ودخل إلى البيت التي به ، فلزم الفراش ، وثقل في المرض من ليلته .
 ولما غيب آقبردى ، نهب العوام داره ودار الأمراء الذين من عصيته ، منهم أبنال
 الخسيف ، وشاد بك ، وغير ذلك من الأمراء ، وهذه أول كسرة آقبردى ، فكان
 ٦ كما قيل :

لا تمجبوا للدمر في أفعاله إن أضحك الباكي وأبكى الضاحكا
 ثم إن السلطان تزايد به الألم ، وقوى عليه أمر الإسهال المفرط وعجز عن
 ٩ الحركة ، وكثر القيل والقال بين الناس . - ثم إن النيل (٤٨ آ) أوفى في تلك
 الأيام ، فرسم السلطان للأتابكي تراز بأن يتوجه ويفتح السدة ، فتوجه وفتح السدة
 والناس في غاية الاضطراب ، ثم طلع الأتابكي تراز إلى القلعة ولبس خلعتة بسبب
 ١٢ فتح السدة ، وكل هذا والسلطان على غير استواء ، وأشيع أنه في النزاع وقد خرس .
 فلما كان يوم الجمعة خامس عشر ربه طلع الأتابكي تراز إلى القلعة ، ودخل على
 السلطان في البيت ، فوجده في السياق ، فقال له : يا مولانا السلطان إن الأحوال قد
 ١٥ فسدت ، ومن رأى أن تسلطن سيدى ؟ فلم يردّ عليه السلطان جوابا ، فأخذ سيدى
 ابن السلطان ، ونزل به إلى باب السلسلة ، فأجلسه في المقعد الذى هناك ، وجلس
 معه ليولّيه السلطنة ، فانتظر الأمير آقبردى الدوادار بأن يطلع إليه ، فاخفى آقبردى
 ١٨ ولم يطلع إلى القلعة في ذلك اليوم ؛ فلم يشمر تراز إلا وقد دهمته المساكر كالجراد
 الناصر ، وذلك أن قانسوه خمسمائة وكرتباى الأحمر ، لما بلغهما أن الأتابكي تراز
 بباب السلسلة ومعه سيدى ابن السلطان ، فلبسوا السلاح وهجموا ودخلوا الميدان من
 ٢١ عند حوش العرب ، وطلعوا إلى باب السلسلة من الاسطبل ، فقبضوا على الأتابكي
 تراز وقيده وسجنوه بالبرج التى بباب السلسلة .

ثم في عقيب ذلك اليوم نزلوا به وهو مقيد بقيدتين ، أحدهما في رجله ، والآخر
 (هـ) وغير ذلك من الأمراء : كذا في الأصل ، وفي ف : وقام وجام مصبغة وغيره .

وخلفه أوجاق بمنجبر يردفه ، فزلوا به من باب الميدان الذى عند حوش
ب ، وتوجهوا به من على الهجرة إلى البحر ، وكان التسفر عليه أخو قانصوه
الأنفى وهو جانم ، وبطلت الإشاعة بسلطنته ؛ فلما جرى ذلك وقع النهب فى داره ، ٣
ودار آقبردى الدوادار ، وجماعة من الأمراء ، ممن كان من عصبة آقبردى ؛ ثم إن
قانصوه خمسمائة وكرتبأى الأحمر ، وجماعة من الأمراء ممن هو من عصبة قانصوه
خمسمائة ، باتوا بباب السلسلة تلك الليلة ، واشتوروا فيمن على السلطنة ، فترشح أمر ٦
سيدي ابن السلطان ووقع الاتفاق على ذلك .

فلما كان يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة اجتمع الأمراء والمسكر بباب
السلسلة ، وأرسلوا خلف أمير المؤمنين التوكل على الله (٤٨ ب) أبو المز ٩
عبد العزيز ، فحضر وحضر القضاة الأربعة ، وهم : قاضى القضاة زين الدين زكريا
الشافى ، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الإخميمى الحنفى ، وقاضى القضاة
عبد الفتى بن تقى المالسى ، وقاضى القضاة بدر الدين محمد السعدى الحنبلى ؛ فلما ١٢
تسكامل المجلس تسكلموا فى خلع الأشرف قايتباى بحكم أنه قد أشرف على الموت ،
فبايحه الخليفة بالسلطنة عوضا عن أبيه الأشرف قايتباى ، وأشهدوا عليه القضاة
بذلك ، فهذا كله وقع والسلطان قايتباى فى النزاع لم يشعر بشيء مما جرى . ١٥
فلما كان يوم الأحد سابع عشرين ذى القعدة من سنة إحدى وتسعمائة ، فيه
كانت وفاة الملك الأشرف أبو النصر قايتباى المحمودى الظاهرى ، توفى إلى رحمة الله
تعالى فى ذلك اليوم بعد العصر وبات بالقلمة ، وأخرج صبيحة يوم الاثنين ثامن ١٨
عشرينه ، فتوفى وله من العمر نحو من أربعة وثمانين سنة ، ومات بملّة الدبلة ،
واعترأه علّة البطن أيضا ، وامتنع عن الأكل مدة انقطاعه حتى مات .

(٢) البحر : أضيف بعدما فى ف ما يأتى : فأنزلوه فى الحراسة وتوجهوا به إلى الإسكندرية ،
فسجن بها . (٣) جانم : فى ف : جانم من برسباى .

(١٤) قبايحه الخليفة بالسلطنة : كذا فى الأصل ، وفى ف : غلغ وبايح الخليفة ولده الناصرى
محمد بالسلطنة . (١٦) سابع عشرين : كذا فى الأصل ، وفى ف : سادس عشرين .

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربع أشهر وواحد وعشرين يوما ، بما فيه من مدة انقطاعه عند توقعك جسده ، فإنه تسلمن يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، وتوفى يوم الأحد سابع عشرين ذى القعدة سنة إحدى وتسعمائة ، وهذه المدة لم تتفق لأحد من ملوك الترك قبله .

٦ وعاش عمره كله وهو في عز وشهامة ، من حين كان خاسكيا إلى أن بقى سلطانا ولا نُقُط ، ولا تقيّد ولا سُجُن ، وكان عليه سكينه ووقار ، مهاب الشكل في الميرون جميل الهيئة ، مبعجلا في موكله ، كفوا للسلطنة ، وافر العقل ، شديد الرأي ، عارفا بأحوال المملكة ، يضع الأشياء في محلها ، ولم يكن عجولا في الأمور ، بعلو العزل لأرباب الوظائف ، يتروى في الأمور أياما قبل وقوعها ، وكان لا يُخرج إقطاع أحد من الجند إلا بحكم وفاته ، ويرسل يكشف عليه وهو ميت حتى يصدق بموته .

١٢ وكان صفته طويل القامة ، عربي الوجه ، مصفر اللون ، نحيف الجسد ، شائب اللحية ، تولى الملك وله من العمر نحو من أربعة وخمسين سنة ، وكان موصوفا بالشجاعة ، عارفا بأنواع الفروسية ، ولا سيما في فن لعب الرمح ، علامة في كل فن ؛ لكنه كان محببا لجمع الأموال ، ناظرا لما في أيدي (٤٩ آ) الناس ، ولولا ذلك لكان خيار ملوك الجراكسة على الإطلاق ، ولكنه كان معذورا في ذلك ، تحرك عليه في أيام سلطنته شاه سوار ، وحسن الطويل ، وابن عثمان ، وغير ذلك من ملوك الشرق وغيرها ، وجرّد إليهم عدة تجاريد ، نحو ست عشرة تجريدة ، وهو ثابت على سريره لم يترشح ، حتى قيل ضبط ما أصرّفه على نفقات التجاريد التي جرّدها في أيام سلطنته إلى أن مات ، فكانت نحو من سبعة آلاف ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار ، خرجا عما كان ينفقه على المالك عند عودهم من التجاريد ، وهذا من المعجائب التي لم يسمع بمثلا .

٢٤ وكان مغرما بمشترى المالك ، حتى قيل لولا الطواعين التي وقعت في أيامه ، لكان تكامل عنده ثمانية آلاف مملوك ؛ ومن المعجائب أن من بعده قد انحصرت

مستة مصر في ممالكه فقط دون غيرهم ، وتسلمن منهم إلى الآن أربعة سلاطين ؛
 وكان . قيا في نفسه ، لم يشرب قط خمرًا ، ولا كان يستعمل شيئًا من الأشياء المخدرة ،
 وكان له اشتغال بالعلم ، كثير المطالعات في الكتب ، وله أذكار وأوراد جلية ، وإلى ٣
 الآن تغلى في الجوامع ؛ وكان له اعتقاد في الفقراء ، ويعظم العلماء ، عارفا بمقام الناس ،
 ينزل كل أحد منزلته ، وكان تابعا لطريقة الصوفية في التقشف .
 وكان لا يوصف بالكرم الزائد ، ولا بالبخل المفرط ، وكان له برّ ومعروف ، ٦
 وأوقف عدة جهات على وجوه البرّ والصدقة ؛ وكانت محاسنه أكثر من مساوئه ،
 ولم يخلف من الأولاد سوى ابنه محمد الذي تسلمن من بعده ، وكان من سريته أصل باي ،
 ولم يتزوج في مندمره سوى بخوند فاطمة ابنة الملاي على بن خاص بك ، واستمرت ٩
 معه إلى أن مات ، ورثاه الشيخ بدر الدين محمد بن الزيتوني بهذه القطعة الزجل
 وهو قوله :

يرحم الله سلطاننا الأشرف كان مؤيد على العدا ظاهر ١٢
 وكذا ابنو المظفر المنصور ينصر الله العادل الناصر

لما زاد الضعف بقايتباي والدوادار في غاية الإمكان
 (٤٩ب) وتوافق مع الأمير تمرار فطلع قانسوه إلى الميدان ١٥
 وأتى القلعة معو كرتباي والأمارة وهدموا البنيان
 هرب آقبردى وقيدوا تمرار وتولى سلطاننا الناصر
 من يخالف أمرو ومن يمسيه ردّ مقهور والأمر للقاهر ١٨

فولى الملك سادس العشرين من شهر ذى القعدة طلوع شمسو
 بعد واحد من السنين تالى تسمائة بعد انقضا أمسو
 وتوفى أبوه أخير النهار في صباحو واروه حلول رمسو ٢١
 بعد ملكو تسعة وعشرين عام واربع أشهر بالكاتب الحاصر

ويلها أحد وعشرين يوم لا يزيدو أول ولا آخر

مات الأشرف والقبر صار حاويه
وسرى فيه سمّ الذيب حايق
وقد أمسى مرهون بأفمألو
لثف قلبي عليه شجاع وقتو
كم رأينا تكللا وهي حية
بعد لسعو بالموت وسمو حاق
ما وجدو من ذى القضا درياق
وأنت لو آفة قضا تنساق
والخوندات تبكى عليه باكر
شعرها صار من حزنها ناشر

٣

٦

لثف قلبي على الأمير تمتاز
والدوادار حولو رجال وأعوان
قال لتمراز : ما عندنا غيرك
جت جماعه لقانصوه بالخبر
وطلع للقلعه مسك تمتاز
كان موقر وهو الأمير الكبير
يضربوا بالحسام ومالو كثير
كن مساعد وانت النظام والمشير
خبروه بيه ركب وكان صابر
وظفر بيه وصار عليه ظافر

٩

المجب فى الركبه نهار جمعه
كيف يوافق لشهر ذى القعدة
مثل يومو فى الشهر والجمعه
والجزا من جنس العمل قالوا
كل من كان يحفر لأخيه حفره
من سنه كان فى الأربكية القوم
والمدد فيه خمسة وعشرين يوم
والمدد فيه فاعجب لهذا دوم
وبهذا صار المثل ساير
ما يقع فى الحفرة سوى الحافر

١٢

١٥

الدوادار وشاد بك والخسيف
والجمالى نظام أمير السلاح
هو المقدم وكاشف الكشاف
وعلى الكل قانصوه على
قد تولى أنابك المسكر
هم وجانم غابوا عن الحضار
بالمقدّر وكرتباى قد صار
ومدبر وزير وأستادار
خسمائه هو الشاطر الماهر
والأمير الكبير وهو الناظر

١٨

٢١

- (١٥٠) خلت دوله كركمة الشطرنج
كم رأينا بيدق من الحاشيه
لما ساق الفرس يريد النيل
ضربوا شاه لما انكشف رخو
ماتت النفس وانقلب دسكو
ضربوا تحت الرمل للغياب
ورأينا الألقى تقا خدو
واجتماعو باصحاب وآل أحيان
وظهرو راية فرح في الطريق
بانو يطلع وينظر السلطان
- ٣ والوداد قانصوه في رهان
قد تقدم عندو وصار فرزان
غالبهم في حومة الميدان
ما وجد لو في رقعتو ساتر
وهرب راح مرصاد وهو الخاسر
- ٦ جودلهم دلت على الحضرة
في يسانو قد أشرفت حمرة
ولد اشكال يلقي بهم نصره
مع جماعة بالمرز تتباشر
مرحبا بالطالع وبالناظر
- ٩ إن صحبي والقرب يأتوني
إن تأيتت بالمعجز يرموني
وجال أنسب لزيثوني
إن تجد عيب فيما أقول حاضر
جل من لا فيه عيب وهو الغافر
- ١٢ اعتذارى للى سمع قولى
يقصدونى ويطلبوا فتى
أستحي أن أظهر ضعيف نظمى
واننى أبو النجا العوفى
استر العيب واربح ثواب سترى
- ١٥ لو تكونوا البحار مع الأنهار
حبر جارى وسائر الأعشاب
والسموات والأرض والأكوان
وجميع العالم يحجوا كُتّاب
للقيامه ما يحصروا ذره
- ١٨ وجميع المياه وسيل النمام
والنبات والشجر جميع أفلام
تبق أوراق طباق ليوم القيام
يكتبوا الدح في النبي الطاهر
من مديحو ووصفه الفاخر
- ٢١ ما رأينا في عصرنا مثلو
كان للأشرف خصال ملاح تشكر

يا الذى جا يسمع بديع نظمى خد وحرّر على جميع نقلا
 وإن أتى لك من يطلب التاريخ والوقائع عن الملوك قل لو
 ٣ يرحم الله سلطاننا الأشرف كان مؤيد على المدا ظاهر
 وكذا ابنو الظفر التنصور ينصر الله المادل الناصر

اتمهي ذلك ؛ وأما ما أنشأه الأشرف قايتباى فى أيام دولته من المباني الفاخرة ،
 ٦ منها أنه جدّد عمارة المسجد الشريف النبوى لما احترق ، وأنشأ قبة عظيمة على القبر
 الشريف ؛ وأنشأ هناك مدرسة بشبايك مطلة على الحرم (٥٠ ب) النبوى ، وأنشأ
 مدرسة بمكة عند باب السلام ، وأنشأ مدرسة ببيت المقدس ، ومدرسة بدمشق ،
 ٩ ومدرسة بشار الإسكندرية ، والبرج العظيم التى أنشأها مكان المنار القديم ، وأنشأ
 مدرسة بقرّة .

وأما ما أنشأه من المباني بالديار المصرية وهو الجامع الذى أنشأه بالصحراء مكان
 ١٢ تربته ، وجامع بالروضة ، وجامع برأس الكباش ، وجامع بباب الخرق عند الشيخ
 سلطان شاه ، والسبيل والمكتب بقرب من سوق تحت الربع ، وجامع لطيف خارج
 باب القرافة ، وجدّد عمارة قبة الإمام الشافى رضى الله عنه ، وأنشأ زاوية بالمرج
 ١٥ والزيات ، ومدرسة بالخانكاه ، وغير ذلك من الجوامع والمدارس فى أما كن شتى
 من البلاد ، وأنشأ السبيل الذى برأس سويقة عميد النعم ، وأنشأ بالقاهرة عدّة زوايا
 وأسبلة وصهاريج وغير ذلك ، وأنشأ السبيل الذى بالقرب من جامع الأزهر ، وأنشأ
 ١٨ الخان الذى عند الخان الخليلي ، وأنشأ عدّة قاطر فى أما كن عديدة ، وأنشأ بالقاهرة
 عدّة ربوع وحوانيت فى مواضع متفرقة وجعلهم وقف على الدشيشة التى كان قد قررها
 بالمدينة الشريفة .

٢١ وأما ما أنشأه بالقلمة وهو المقعد الذى هو داخل الحوش ، والمبيتين التى حوله ،
 والحواصل التى بجوار قاعة البحرة ، وجدّد عمارة الإيوان الناصرى الذى بالقلمة ،

وأنشأ مواضع كثيرة بالقلمة، وجدّد عمارة قناطر أبو المنجا ، والقناطر التي بشبرمنت بالجيزة ، وأنشأ هناك رصييفا وحصل به غاية النفع في أيام النيل للمسافرين ، وجدّد عمارة قنطرة باب البحر ، وجدّد عمارة الميدان الكبير الذي بجوار البركة الناصرية ٣ وأصرف عليه جملة مال ، وجدّد بناء زاوية الشيخ عماد الدين رحمة الله عليه ، وجدّد عمارة باب القرافة ، وأنشأ هناك الربوع الهائلة ، وأنشأ مقعدا ومبينة وجنيئة بدار البقر التي تحت القلمة ، وجدّد عمارة جامع الرحمة التي بفيط جاني بك نائب جدّة ، ٦ وجدّد مقام سيدى أحمد البدوى وبناء بناء حافلا ووسمه ، وأنشأ عدّة قناطر وجسور بالشرقية والغربية ، وله عدّة أمان كن قد أنشأها وحصل بها النفع للمسلمين .

وأما ما أبطله في أيام سلطنته من شمار الملكة ، وهو خدمة القصر بالشاش ٩ والقماش ، وقد قرّرت له الملوك السالفة لإقامة الحرمة ونظام الملكة ؛ وأبطل الرمايات التي كانت تعمل ببركة الحب ؛ ودخول الملوك إلى القاهرة في المواكب الحافلة ، والعسكر قدّامه بالشاش والقماش ، ويكون لهم يوم مشهود ؛ وأبطل لبس الصوف ١٢ بالمطعم ، وكان يشقّ الملك القاهرة وهو لابس الصوف ، هو والأمرء ، ويكون لهم يوم مشهود .

وأبطل المركب السماة بالذهبية ، وكان من شمار الملكة ، ولا سيما يوم وفاء النيل ، ١٥ وكانت الملوك (٥١ آ) تتوجّه فيها إلى المقياس ، وكان بها ستون مقدافا ؛ وأبطل المركب السماة بالدرمونة ، وكانت تحمل مغلّ الحرمين الشريفين ، وكانت غربية الهيئة في شكلها ؛ وأبطل دوران المحمل في رجب في أيام سلطنته ، وما كان يعمل فيه يوم سوق الرماحة لما يلبسون الأحمر ويسوقون به ، وكانت تزيّن القاهرة ، وأبطل المسابقات التي كانت تعمل في تلك الأيام ، وكان ينفق في مدّة دوران المحمل من الأموال ما لا ينحصر ؛ وأبطل في أيامه أشياء كثيرة من شمار الملكة ، لم نذكرها هنا خوف الإطالة ، ٢١ ولكن آخر من مشى من السلاطين على النظام القديم مما ذكرناه الظاهر خشقدم ، رحمه الله تعالى .

وأما ما عُدَّ له من المساوىءُ ، فإنه لما تولى السلطنة ، ندب يشبك الدوا دار لما
تولى الوزارة ، فقطع لحوم جماعة من الناس كانت مرتبة لأيتام ونساء أراميل ، وكانت
٣ تباع وتشتري بين الناس من الديوان إلى آخر دولة الظاهر خشقدم ، وكانت الوزراء
تنقج بالسداد لذلك ؛ ثم فعل مثل ذلك بالجوامك ، وقطع عدة جوامك لجماعة من
أولاد الناس ، وذلك بسبب تجريدة سوار لمن يسافر ، والذي أبقاء أخذ منه مائة
٦ دينار ممن له جامكية ألفان درهم ، وأخذ ممن له جامكية ألف درهم خمسين دينارا ،
بسبب بديل لتجريدة سوار .

وأخذ من أجرة أملاك القاهرة وغيرها سبعة أشهر ، وعمّ ذلك للأوقاف من
٩ الجوامع والمدارس والتراب ، وحصل من ذلك الضرر الشامل كما تقدّم ؛ وصادر
اليهود والنصارى في أيامه مرتين ؛ وصادر جماعة من أعيان التجار ومن تجار الأرياف
والبرلسية ؛ وأرى على البلاد التي في الشرقية شيئا يقال له الخمس ، بسبب خيالة
١٢ تخرج مع التجريدة إلى ابن عثمان ، وفعل مثل ذلك بمربان جبل نابلس ، ثم قطع هذا
الخمس من خراج القطمين وحصل لهم الضرر الشامل ؛ ومنها أنه كان يولى جماعة من
مماليكه عوضا عن مشايخ العربان ، فيجورون على الفلاحين يأخذون منهم غير العادة
١٥ أضعافا ، فيحسب ذلك على القطمين من خراجهم ؛ وكذلك الكشف يقرّر عليهم
الأموال فيجورون أيضا على البلاد يأخذون المثل أمثال ، فن يومئذ ثلاثى أمر
البلاد وانحطّ خراج القطمين جدا ، وقد تزايد الأمر بعد ذلك حتى جاوز الحدّ في
١٨ النهاية .

ومنها أنه أحدث مكسا على بيع الفلال ، (٥١ ب) وجعل على كل أردب قح
أو شعير نصف فضة خارجا عن ثمنه ، لمن يشتري أو يبيع ، وقد تزايد الأمر بعد
٢١ ذلك إلى أن صارت نصفين ؛ وهو أول من أحدث تفرقة الجامكية بمحضته وضيق
على الناس ، ولم يفعل ذلك أحد قبله من الملوك ، وكان مقدّم المالك وأحد رهوس

(٦) ألفان : كذا في الأصل . (١١) والبرلسية : كذا في الأصل ، وفي ف : البرانسة .
(١٤ و ١٦) فيجورون . . . يأخذون : فيجوروا . . . يأخذوا .

النوب يتولّى تفرقة الجامكية فى الإيوان ، ولم يشمر السلطان بذلك ، فبطل ذلك واستمرت من يومئذ تنفق الجامكية بحضرة السلطان إلى الآن ، ومنها أنه فعل بجماعة من المباشرين وغيرها من الأفعال الشنيعة مما تقدّم ذكره ، وقطع يد إبراهيم ٣ ابن قريمين صيرفى الجامكية ، وكان فى سنّ شيخوخة ، وغاش بعد ذلك مدة طويلة وهو أقطع ، وقد رتب له السلطان ما يكفيه إلى أن مات .

ومن محاسن الأشرف قايتباى أنه كان فى شدّة غضبه يستحيل فى الحال راضيا ، ٦ ويزول ما كان عنده من الحدة ، وهذه من أجمل الخصائل ؛ وفى الجملة كانت محاسنه أكثر من مساوئه ، وكان خيار ملوك الترك بالنسبة لمن جاء من بعده من السلاطين ، ولولا كان عنده بعض طمع لكان أجلّ ملوك الجراكسة ، وكان من خيارهم ، ٩ ولكن كما يقال :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى الرء فضلا أن تمدّ معايبه

وقال بعض العرب : ١٢

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنما يراعى الفتى كيما يضرّ وينفع

انتهى ما أوردناه من أخبار الأشرف قايتباى ، وذلك على سبيل الاختصار ، ولما مات تولى ابنه محمد من بعده . ١٥

ذكر سلطنة الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد

ساحب اللقبين ، وقد تلقّب أولا بالناصر ، ثم تلقّب بالأشرف ابن الملك الأشرف ١٨ أبى النصر قايتباى الحمودى الظاهرى ، وهو الثانى والأربعون من ملوك الترك وأولادهم فى العدد ، وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية ،

(٣) الشنيعة : أضيف بعدها فى ف مايتاى : وهو شقيق القاضى ابن المقسى ، وتوسيط مجد الدين بن البقرى الأستاذار وغير ذلك .

(٥) إلى أن مات : أضيف بعدها فى ف مايتاى : وهو أول من أحدث برردارية السلطان ، ولم تكن هذه الوظيفة قبل ذلك تعرف ، فصارت زيادة مظلة أخرى واقفه أعلم .

تقدّم أنه ببيع بالسلطنة يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة سنة إحدى وتسعمائة ،
وكانت مبايعته فى الرابعة من النهار ، والماضى من الشروق ثمانية وأربعون درجة
والطالع بالميزان . ٣

وقد تقدم أن قانصوه خمسمائة وكرتبأى الأحمر ، لما هجما على باب السلسلة
وقبضا على الأتابكى تمتاز وقيداه ، وبمنا به إلى السجن بشفر مدينة الإسكندرية ، فلما
جرى ذلك وقع الاتفاق على سلطنة سيدى ابن السلطان ، فأحضروا الخليفة والقضاة
الأربعة ، وخلعوا الأشرف قايتبأى من السلطنة ، (٥٢ آ) وبأبعوا ولده من غير
عهد له من أبيه ، ولقبوه بالملك الناصر ، وكفى بأبى السعادات ، وكان تلقب بالنصور
أولا ، ثم قرّر لقبه بالناصر ، فلما انقضى أمر المبايعة أحضر إليه شعار الملك ، وهى
الحبة السوداء ، وقد فصلت على قدره ، ولُفّت له عمامة لطيفة مناسبة له ، وتقلد
بالسيف الجمالى ، وقدمت إليه فرس النوبة بالسرّج الذهب والكنبوش ، فركب
من سلم الحرافة ، فتقدّم قانصوه خمسمائة وحمل القبة والطير على رأسه وقد ترشح أمره
بأن يلى الأتابكية . ١٢

فركب السلطان وركب الخليفة معه ، ومشت بين يديه الأمراء حتى طلع من
باب سرّ القصر الكبير ، وجلس على سرير الملك ، وقبل له الأمراء الأرض ،
وضربت البشائر بالقلعة ، ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء
من الخاص والعام ؛ وفى حال جلوسه على سرير الملك أخلع على الخليفة ونزل إلى
داره ، وأخلع على قانصوه خمسمائة وأقرّه فى الأتابكية ، عوضا [عن] تمتاز الشمسى ،
وأخلع على جان بلاط من يشبك وقرّر فى الدوادرية الكبرى ، عوضا عن آقبردى
الدوادر ، وأخلع على تانى بك الجمال وصيّر نظام الملك مضافا لما بيده من أسرة
السلاح ، وكان القائم فى تدبير هذه الأمور الأمير كرتبأى الأحمر . ٢١

فهذا كله جرى والأشرف قايتبأى فى النزاع ، لم يشمر بما وقع من هذه الأمور ،
ولو كان واعيا لما مكّن الأمراء بأن يسلطوا ولده ، ولا كان ذلك قصده ؛ وكان الملك
الناصر له من العمر نحو من أربعة عشر سنة وأشهر ، وقد قارب البلوغ ، وكان ٢٤

مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، وكانت أمه جركسية تسمى أصل باى من
مشتروات الأشرف قايتباى ، وكان الملك الناصر محمد هذا جميل الهيئة ، مليح
الشكل ، وعنده عترسة وجرأة فى الأمور ، متحرك فى نفسه ، وعنده رهج وخفة ، ٣
ومما مدح به ، وهو قول القائل :

إن العناصر فى سلطاننا اجتمعت شمائلها بهرت من حين مولده
قد ناسب النار عزما والهوى خلقا والبحر جودا وملك الأرض فى يده ٦
ولما كان يوم الأحد سابع عشرين هذا الشهر ، كانت وفاة الملك الأشرف
قايتباى ، وقد تقدم ذكر ذلك ، توفى بعد العصر من ذلك اليوم ، وبات [بالقلمة]
فطافت له نُدراء بالقاهرة وم يقولون : [نصلى] غدا باكر النهار (٥٢ ب) على ٩
المبد الفقير إلى الله تعالى الملك الأشرف قايتباى ، فأسف عليه الكثير من الناس .
فلما كان يوم الاثنين ثامن عشرينه ، وهو اليوم الثالث من سلطنة ولده ، فشرع
الأمراء فى تجهيزه وإخراجه ففصل فى البيت الذى مات به ، وأخرج نعشه إلى قدام ١٢
الدكة التى بالحوش ، فصلى عليه هناك ، ونزلوا من سلم الدرج ، ومشت قدأمه
الأمراء والمسكر قاطبة ، وكانت جنازته مشهودة بخلاف من يموت من الملوك ،
فتوجهوا به إلى تربته التى أنشأها بالقرب من زاوية سيدى عبد الله النوفى رحمة الله ١٥
عليه ، فدفن بها وانقضت مدته من الدنيا كأنه لم يكن ، وزال ملكه بعد أن حكم
بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحدا وعشرين
يوما ، وهذه المدّة لم تتفق لأحد من الملوك قبله ، وقد قيل فى المعنى : ١٨

إن الذى اغترّ بالدنيا وزينتها وظلّ فيها بحب المال مفتونا
أتت إليه النايأ وهى مسرعة فأصبح الجسم تحت التراب مدفونا
قد فارق الأهل والأوطان وانقطعت آماله وغدا فى القبر مرهونا ٢١
خلا بأعماله ما كان من حسن أو من قبيح به قد صار مقرونا
انتهى ذلك . - وفى ذى الحجة فرّق السلطان الملك الناصر الضحايا على العادة

للمسكر ، وأنعم السلطان بتقادم ألوف على جماعة من الأمراء ، منهم أذربك اليوسفي
الظاهرى جقمق المعروف بفسقق ، وكسباى الزينى ، ويشبك النجمى المعروف بقمر ،
٣ وقرقاس من ولى الدين . - وفيه كتبت المراسيم بحضور الأمراء الذين كانوا أخرجوا
إلى النفى من حين كانت واقعة قانصوه خمسمائة وأقبردى ، وكتب بحضور قانصوه
الشامى الذى كان قرّر فى نيابة حماة ، وقرّر عوضه بنيابة حماة أركاس أحد
٦ المتقدمين بدمشق ، وكتب بحضور قانصوه الألقى أيضا وآخرين من الأمراء المنفيين .
وفيه ظهر تقرى بردى الأستاذدار ، وكان مختفيا مدة تزيد على أربع سنين ، وكان
قد فرّ من خوفه من السلطان قايتباى ، لما تجمّد عليه مال له صورة . - وفيه جاءت
٩ الأخبار بقتل أحمد بن بهادر نائب قلعة صفد ، وكان لا بأس به ، وقد قتله كرتباى
أخو أقبردى الدوادار ، وكان كرتباى (٥٣ آ) يومئذ نائب صفد ، وقتل معه خاصكيا
يقال له ألاس وقد جاء بالقبض عليه ، انتهى ذلك . - وفيه عيّنت نيابة صفد لبرديك
١٢ الطويل ، عوضا عن كرتباى بحكم صرفه عنها . - وفيه قرر القاضى عبد القادر القصروى
فى نظر الجوالى ، وهذه أول وظائفه .

وفيه عظم أمر الأتابكى قانصوه خمسمائة إلى الغاية حتى لم يصل مع السلطان صلاة
١٥ عيد النحر ، ولا صلاة الجمعة ، ثم رسم بإخراج ممالك أقبردى الدوادار إلى أماكن
شقى من البلاد ، وكان قد تخوف منهم . - وفيه توفى الشيخ الصالح المعتمد سيدى على
الغزال ، وكان مقبلا بمخاتقة سرياقوس . - وفيه فرّق الملك الناصر جملة أقاطيع كانت فى
١٨ الذخيرة من أيام الأشرف قايتباى ، فكانت نحو من ألف إقطاع ، ففرقت على المالك
جميعها ، ما بين أقاطيع ورزق وغير ذلك .

وفيه قرّر جان بلاط الفورى فى نيابة القلعة ، عوضا عن أيدكى . - وفيه قرّر

(٢) النجمى كذا فى الأصل ، وهو صحيح ، وفى ف : العجمى . (٣) الذين : الذى .

(١٠-١١) وقتل . . . انتهى ذلك : كذا فى الأصل ، وفى ما يأتى : فخرجت المراسيم بقبضه

على يد خاصكى يقال له ألاس من ولى الدين ، فلما تحقق ذلك كرتباى ضرب عنق ألاس وأحمد بن
بهادر نائب القلعة ، وخرج من مدينة صفد .

طراباى الشريف أمير آخور رابع ، عوضا عن تفرى بردى السيفى يونس الدودار ،
بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية الثالثة . - وفيه قرر السيد الشريف عبدالرحيم الحوى
في كتابة سرّ دمشق ، عوضا عن محبّ الدين الأسلمى ، فأقام بها مدة وعزل عنها ، ٣
فتوجّه إلى ابن عثمان فأكرمه . - وفيه قرّر يحشباى في تقدمة ألف بدمشق ، ثم ولى
نيابة حماة فيما بعد .

- ٦ وفيه قرر كرتباى الأحمر في الوزارة ، والأستادارية ، وكاشف الكشاف ، مضافا
لما بيده من تقدمة ألف ، وصار صاحب الحلّ والمقد في تلك الأيام ، فأظهر أشياء
كثيرة من أنواع المدل ، منها أنه أبطل وظيفة نظر الأوقاف ، ونودى بذلك في
القاهرة ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وأبطل عدّة مكوس ومظالم ، وحجّر على ٩
البرددارية والرسل والقباء أنهم لا يأخذون من الأخصام أكثر من نصفين فضة ،
وأن أحدا منهم لا يقرّر عليه رسما ، ولو دام كرتباى بمصر لحصل للناس به خير . -
- ١٢ وفيه قبض على القاضى شمس الدين أبى المنصور صاحب ديوان آقبردى الدودار ،
قتلّمه الأمير جان بلاط الدودار وضربه ضربا مبرحا ، وقرّر عليه مالا له صورة .
وفيه أخلع على الأمير آقباى (٥٣ب) الطويل نائب غزّة ، واستمرّ على نيابته بغزّة ،
وكان أشيع عزله لأنه كان من عصبة آقبردى الدودار ، فلما أراد أن يتوجّه إلى غزّة ١٥
أخذ معه آقبردى الدودار في الخفية ، فلما بلغ قانصوه خمسمائة وكرتباى الأحمر بأن
آقبردى الدودار خرج صحبة آقباى الطويل ، بعثا إليه والى الشرطة إلى الخانكاه ،
ففتش حمولته حتى الحوايج خاناه ، فستر الله تعالى على آقبردى حتى خرج من القاهرة ١٨
ولم يظفروا به ، وهذا كان بسبب خروج آقبردى الدودار من مصر وتوجّهه إلى غزّة ،
فكبسوا بسببه في ذلك اليوم عدّة أما كن ودور الخانكاه فلم يظفروا به ، حتى هجموا
هناك الجوامع والزوايا ، وحصل الضرر الشامل بسبب ذلك ، وقيل إنه لما خرج من ٢١
الخانكاه فتشوا سنيح الأمير آقباى نائب غزّة ، فاخفى آقبردى في الدست الكبير
الرخية لما حملوها على الجمل ، فستر الله عليه .
- ٢٤ وفيه نزل السلطان الملك الناصر من القلعة وتوجّه إلى القرافة ، فزار وعاد إلى

القلعة ، وهذا أول ركوبه في حال السلطنة . - وفيه حضر الأمير خشكلى البيسقى ، وكان مقبلاً بدمشق من أيام الأشرف قايتباى ، فلما حضر أكرمه السلطان ، وكان من أمره ما سنده في موضعه . - وفيه كثرت الإشاعات بوقوع فتنة ، فبادر الأتابكى قانصوه خمسمائة وقبض على جماعة من طائفة الأيتالية ، فقبض على نحو من ستة عشر نفراً ، فأخرجوا مع نقيب الجيش شينثا فشينثا ، وتوجهوا إلى نحو البلاد الشامية ، فكان منهم برد بك المحمدى ، وبرقوق ، ودولات باى من غيبى ، وغير ذلك آخرين . - وفيه قوى الفحص والتفتيش على آقبردى الدوادار ، وهجموا بسببه على عدة دور ، فلم يجدوه ، ولم يعلموا بأنه خرج صحبة آقباى نائب غزة ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعمائة

فيها في المحرم كان خليفة الوقت يومئذ الإمام المتوكل على الله أبو المز عبد العزيز العباسى ، وكان سلطان العصر يومئذ الملك الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف قايتباى ، والقضاة الأربعة على الحكم الأول كما تقدم ، وكان الأتابكى يومئذ قانصوه خمسمائة ، ونظام الملك تانى بك الجمالى الظاهرى ، والدوادار الكبير جان بلاط من يشبك ، والوزير والأستادار كرتباى الأحمر . - وفيه (٥٤ آ) خرج أصطمر من ولى الدين ومعه عدة من الجند ، بسبب القبض على أمير الحاج تانى بك قرا الأيتالى ، فلاقاه من مجرود ، وقبده وبعث به من هناك إلى ثغر الإسكندرية ، فسجن بها مع الأتابكى تراز . - وفيه جاءت الأخبار بقتل عساف بن الحنش ، نائب صيدا ويروت ، وكان من مشاهير الرؤساء وله شهرة زائدة بطلب البلاد .

وفيه كانت نفقة البيمة ، فنفق على الجند على العادة ، لكن لم يعط مائة دينار كاملة سوى للقايتبايهية فقط ، وما دون ذلك خمسين ديناراً ، ونفق على أولاد الناس ثلاثين ديناراً ، وشيء منهم عشرين ديناراً . - وفيه أحضر السلطان المصحف العثمانى

(١) البيسقى : كذا في الأصل ، وهو الاسم الصحيح ، وفق : السينى .

وحلف عليه سائر الأمراء والعسكر ولم يطلع الأتابكي قانصوه خمسمائة ولا حلف ،
ولكن طلع بعد أيام وحلف أيمانا غير صادقة ، كما يقال :

٣ خان اليمين وعهد الودّ قد فسخا ولا نوى قط صدقا خالصا فسخا

وفيه قرّر دولات باى من أركاس الساقى فى نيابة البيرة وخرج إليها عن قريب ،
ودولت باى هذا هو أمير السلاح الآن . - وفيه قبض كرتباى الأحمر على شمس الدين
القرنوى ، إمام آقبردى الدوادار ، وعاقبه أشدّ العقوبة ، وتسلم أيضا أبو المنصور
٦ وعاقبه أشدّ العقوبة ، وجرى لها أمور يطول شرحها ، وما خلاصا إلا بعد جهد كبير ،
وكان السلطان له عناية فى الباطن بجماعة آقبردى الدوادار .

٩ وفيه قبض كرتباى الأحمر على جماعة من الأمراء العشرات ، ممن كان من عصابة
آقبردى الدوادار ، منهم أسنبای الإبراهيمى المعروف بالأصم ، وبرسباى السلحدار ،
وجانى بك من أزدمر المعروف بالصغير ، ويخشباى من عبد الكريم ، وطقطباى
السينى برد بك الدوادار ؛ ومن الخاصكية تراز جوشن ، وأينال السلحدار ،
١٢ وأبا يزيد الصغير ، وقانصوه الساقى ، وآخرين منهم ، ولم يكن ذلك باختيار السلطان .
وفيه توفى الشيخ حمزة بن محمد بن حسن بن على بن عبد الحكيم المغربى البجای
المالكي ، وكان عالما فاضلا ، مقيا بالخانقاه الشيخونية ، وكان لا بأس به . -
١٥ (٥٤ ب) وفيه رسم السلطان للخليفة بأن يطلع إلى القلعة ويسكن بها كما كان
ساكنا من قبل ، وكان السلطان قايتباى رسم له بأن ينزل ويسكن بالمدينة ، عند ما
١٨ حرق حاصل الخيام كما تقدّم .

ومن الحوادث أن السلطان ضرب امرأة بين يديه بالمقارع ، وشهرت على حمار
وفى عنقها زنجير ، وهذا لم يمهد قط ؛ فلما طاش السلطان الملك الناصر وخفّ ،
وكل به كرتباى الأحمر أربعة من الخاصكية ، بمنعونه من اللعب مع أولاد العوام ،
٢١ ومن كل تصرف سيئ ، وصار تانى بك الجمالى نظام الملك ، يبات عنده كل ليلة
بالقلعة ، ومع ذلك فدا رعوى ولا حصل من هذا طائل ، وزاد فى الطيشان حتى خرج

في ذلك عن الحدّة ، وكان معه ما سندكره في موضعه .

وفيه دخل الحاج إلى القاهرة ، وقد نفى تانى بك قرا من مجرود ، فلما دخل
 ٣ المحمل طلبه السلطان إلى عنده بالقلعة ليراه ، ولم يكن رآه قبل ذلك قط . - وفيه أنعم
 السلطان بتقدمة تانى بك قرا على قيت الرجبي . - ومن جملة طيشان الملك الناصر أنه
 خرج إلى صلاة الجمعة وهو بنير كلفتاة بل بتخفيفه صغيرة ، فشقّ ذلك على الأمراء
 ٦ وأعابوا عليه هذه الفعلة .

وفي صفر أخلع السلطان على قانصوه الشامى ، الذى كان نائب حماة ، وقرّره في
 الرأس نوبة الكبرى ، عوضا عن تانى بك قرا بحكم نفيه إلى الإسكندرية ، لما بقى
 ٩ أمير مجلس ونفى . - وفيه قرّر في مشيخة تربة الأمير شبك من مهدي الدوادار الشيخ
 أبو النجا الفتوى الواعظ ، وكان من أهل الفضل .

ومن الحوادث أن الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز ، عهد للشيخ جلال الدين
 ١٢ الأسبوطى بوظيفة لم يسمع بها قط ، وهو أنه جعله على سائر القضاة قاضيا كبيرا ،
 يوتى منهم من شاء ويمزل من شاء ، مطلقا في سائر ممالك الإسلام ، وهذه الوظيفة لم
 يليها قط سوى القاضي تاج الدين بن بنت الأعز في دولة بني أيوب ؛ فلما بلغ القضاة
 ١٥ ذلك شقّ عليهم ، واستخفّوا عقل الخليفة على ذلك ، وقالوا : ليس للخليفة مع وجود
 السلطان حلّ ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ؛ ولـكن الخليفة استخفّ بالسلطان
 لكونه حديث السنّ ، وقصد أن يكون الأمر مغدوقا به دون السلطان ، (٥٥ آ)
 ١٨ فلما قامت الدائرة والأشلة على الخليفة رجع عن ذلك ، وقال : إيش كنت أنا الشيخ
 جلال الدين هو الذى حسنّ لى ذلك ، وقال : هذه كانت وظيفة قديمة وكانت الخلفاء
 يوتونها لمن يختارونه من العلماء ؛ ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك ، وبعث
 ٢١ أخذ العهد الذى كان كتبه للشيخ جلال الدين الأسبوطى ، وكادت أن تكون
 فتنة كبيرة بسبب ذلك ، ووقع أمور يطول شرحها حتى سكن الحال بعد مدة .
 وفيه أشيع بأن الأتابكي أزيلك قد حضر من مكة في الخفية ، فاضطربت أحوال

الماليك الجلبان ، وكادوا أن ينشوا فتنة ، ولم يكن لتلك الإشاعة صحة . - وفيه عزل الشهابي أحمد ناظر الجيش ، وولى القاضي محي الدين عبد القادر القصروى ، وكان الساعى له جان بلاط الدوادار ، وكان من أخصائه . - وفي هذا الشهر كان ابتداء لبس ٣ الأمراء المتقدمين للتخافيف التى بالقرون الطوال ، وقد خرجوا فى ذلك عن الحد ، وفى هذه الواقعة يقول بعض الشعراء :

يقول أميرنا لما تبدّا أنا فى الحرب ذو القرنين دغنى
أنا كبش وأعداى نماج إذا برزوا فأنطحهم بقرنى
وفيه أخلع على قانصوه الألفى وقرّر أمير آخور كبير ، عوضا عن شاد بك أخوخ
بحكم اختفائه . - وفيه أخلع على يمشباى وقرّر فى نيابة قلعة دمشق ، بعد ما كانت ٩ بيد نائب الشام ، وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة كرتباى نائب البيرة ، وكان قصد التوجه إلى مصر فمات ببعلبك .

وفى ربيع الأول أخلع على الناصرى محمد بن الشهابى أحمد بن العبنى ، وقرّر فى ١٢ نظر الجوالى ، عوضا عن عبد القادر القصروى . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا ، وهذا أول مولده ، فلما حضر بين الأمراء اعتراه النماس حتى رش الماء على وجهه كى يستفيق . - وفيه نزل السلطان من القلعة ، وتوجّه إلى تربة والده ، فزار ١٥ قبره ، ثم توجّه من هناك إلى قبة الأمير يشبك الدوادار التى بالمطرية ، ثم عاد إلى القلعة وشقّ من القاهرة فى موكب حافل .

وفيه أخلع السلطان على كرتباى ابن عمّة السلطان ، وقرّر فى أمرة الحاج بركب ١٨ (٥٥ ب) الحمل . - وفيه قرر قانصوه دوادار يشبك الدوادار فى أمرة ميسرة بحلب ، ثم جرى عليه بعد ذلك أمور شتى . - وفيه قرر قصره فى نيابة الكرك كما كان أولا . - وفيه قرر طومان باى الخازندار فى نيابة الإسكندرية ، فأقام بها مدة يسيرة ٢١ ثم عاد إلى القاهرة ، وطومان باى هذا هو الذى ولى السلطنة فيما بعد وتلقب بالعدل . -

(٩) احتفائه : أضيف بهما فى ف ماياتى : وفيه أنعم السلطان على دولات باى الفلاح بتقدمة

ألف و صار من جملة المقسمين .

وفيه حضر إلى القاهرة قانى باى قرا الرماح ، وكان أتابكا بحلب وصرف عنها .
 وفى ربيع الآخر سافر سيباى الدوادار الثانى إلى جهة غزة بسبب آقبردى الدوادار ،
 ٣ وقد ثبت أنه عند آقباى نائب غزة ، ثم جاءت الأخبار بأن آقبردى الدوادار قد
 خرج من غزة ، هو وآقباى النائب ، وتوجّها إلى نحو البلاد الشامية ، فتأثر
 الأمراء لذلك وضربوا مشورة فى أمره ، فوقع الاتفاق على أن يكتبوا له بأمان من
 ٦ السلطان والأمراء ، فكتبوا له أمانا وأرسلوه له ، وكل هذا عين الخداع له . -
 وفيه قرر محمد بن أبى يزيد فى نظر البيارستان المنصورى ، وكان قد عظم أمره فى
 تلك الأيام جداً . - وفيه جاءت الأخبار ب وفاة قانصوه نائب قلعة الروم ، وكان لا
 ٩ بأس به .

وفى جمادى الأولى نزل السلطان من القلعة ، وتوجّه إلى قبة يشبك التى فى الطرية
 وبات بها ، ثم طلع إلى القلعة ، وشقّ من القاهرة وزيّنت له ، وكان يوما مشهودا . -
 ١٢ وفيه تزايدت الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة ، ووزّعوا الناس أمتعتهم من الدور ،
 فلما كثر الكلام فى ذلك أحضر السلطان المصحف العثمانى وطلع به إلى القلعة ،
 وحلف عليه سائر الأمراء والجند ، بأن يكونوا كلمة واحدة ، ويكونوا عباد الله إخوانا ،
 ١٥ وأن الأمراء الذين هم من عصبة آقبردى الدوادار يظهرون ويكونون هم وإياهم شيئا واحدا ،
 فوافق الأتابكى قانصوه على ذلك ، وكذلك كرتباى الأحمر وبقية الأمراء .

فلما جرى ذلك نادى السلطان فى القاهرة ، بأن الغيابة الذين من عصبة آقبردى
 ١٨ الدوادار يظهرون ولهم الأمان من الأمراء والسلطان ، فعند ذلك ظهر شاد بك أخوخ
 الذى كان أمير آخور كبير ، وأينال الخسيف (٥٦ آ) الذى كان حاجب الحجاب ،
 وقائم قريب السلطان أحد المقدمين كان ، وجانم المعروف بمصبغة ، فلما ظهروا طلّعوا
 ٢١ إلى القلعة ، فأخلع عليهم السلطان كواامل بصمّور ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرين
 هذا الشهر ، ثم رسم لهم السلطان بأن يتوجّهوا إلى دار الأتابكى قانصوه التى بقناطر

(١٥ و ١٧) الذين : الذى . (١٥ و ١٨) يظهرون : يظهروا .

(١٥) ويكونون : ويكونوا .

السباع ، ويقبلوا يده ، فتوجهوا إلى هناك وقبلوا يد الأتابكي قانصوه خمسمائة ،
ورجعوا إلى بيوتهم .

- ٣ فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم أرسل الأتابكي قانصوه خلفهم ، وزعم أنه
يضيفهم ويمد لهم مدة ، فحضر إليه شاد بك أخوخ ، وأينال الخسیف ، وقائم
قريب السلطان ، ولم يحضر صحبهم جانم مصبغة ، وكان صاحب رأى ؛ فلما اجتمعوا
عند الأتابكي قانصوه طاوهم بالكلام ، ثم أحضر لهم سفرة الشراب فشرَبوا ،
٦ ولم يجلس معهم شاد بك ، ثم فتحوا بينهم باب العقاب ، واستمروا على ذلك حتى
نصف الليل ، فلم يشعروا إلا وقد دخل عليهم معرباى الثور والى القاهرة ، فقبض
على الثلاثة وتوجه بهم نحو الجزيرة الوسطى ، فقبل إنهم غرقوا هناك وكان آخر
٩ المهديهم ، وقد قيل فى المعنى .

- لما رأيت القدر منهم بدا والبغض من أعينهم لى بلوح
١٢ فقلت للقلب ارجع عنهم ما قصدكم منك سوى أخذ روح
فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ثامن عشرينه صلى الأتابكي قانصوه العشاء ،
وركب بمن معه من الأمراء والعسكر ، فهجم وملك باب السلسلة ، وكان خشداده
قانصوه الألفى أمير آخور كبير ، فما أحوجه بدق باب ولا ينتظر الجواب . - فلما كان
١٥ يوم الأربعاء صبيحة تلك الليلة جلس الأتابكي قانصوه خمسمائة فى الحراقة التى بباب
السلسلة ، وأرسل خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز ، فحضر ، وحضر
القضاة الأربعة ، واجتمع عنده أربعة عشر مقدّم ألف ، والمسكر قاطبة ، من أمير
١٨ وجندى .

- فلما تكامل المجلس مشوا مع الخليفة فى خلع الملك الناصر وسلطنة قانصوه
خمسمائة ، فخلع الناصر من السلطنة بصورة شرعية ، وكتب بذلك صفة محضر ،
٢١ وشهد فيه جماعة كثيرة ، وبوبع قانصوه خمسمائة بالسلطنة ، وتلقب بالأشرف
أبى النصر ، على لقب (٥٦ ب) أستاذة الأشرف قايتباى ، فلما تمت مبايعته قبل له
الأمراء الأرض والعسكر قاطبة ، ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت له الأصوات
٢٤

بالدعاء من الخاص والعام ؛ وأخلع على شخص يقال له جاني ، أخو قانصوه الأثني ، وقرّره في ولاية القاهرة ؛ وكان قانصوه خمسمائة محببا للناس قاطبة بخلاف آقبردى الدوادار ، فلما لم يبق سوى أن يفيض عليه شعار الملك ، ويركب فرس النوبة ، وتحمل على رأسه القبة والطير ، ويصعد إلى القصر ويجلس على سرير الملك ، فوقع من بعد ذلك المعجائب والفرائب ، كما يقال :

ستقضى لنا الأيام غير الذى عدت ويحدث من بعد الأمور أمور
ثم إن قانصوه خمسمائة بمث بعض الأمراء إلى القلعة ، بأن يقبض على الملك الناصر ، ويدخله إلى قاعة البحرة ، ويأخذ منه الترس والتمجاة ، فتعصب له جماعة من مماليك أبيه كانوا بالقلعة ، نحو من ألف مملوك ، وكان رأس الجلبان قانصوه خال الملك الناصر ، فنعوه من دخول قاعة البحرة ومن إعطائه الترس والتمجاة ، ولم يكن عند الناصر من الأمراء أحد ، فقام خاله قانصوه في محاربة قانصوه خمسمائة أشدّ القيام ، وقاتل هو والجلبان قتال الموت ، فلكوا في ذلك اليوم رأس المصوة وسلم المدرج والطبلخاناه ، وعمد قانصوه خال السلطان إلى الزردخاناه وأخرج ما بها من زرديات وخوذ وقسي ونشاب ، ففرّقها على المماليك الجلبان .

وكان البدرى حسن بن الطولونى بايتا بالقلعة ، فأحضر النجارين والحجارين ، فعملوا أشياء كثيرة من الطوارق والمدافع ، وكان عند الملك الناصر عدّة وافرة من العبيد ، ما بين نفطية ورماة بالبندق الرصاص ، فحاصروا قانصوه خمسمائة وهو بباب السلسلة أشدّ المحاصرة ؛ ثم إن كرتباى الأحمر توجه خلف القلعة ، ونصب مكحلة على الجبل المقطم تجاه القلعة ، وأرمى بها على الحوش السلطانى ، فلم يفد من ذلك شيء ؛ ثم إن قانصوه خمسمائة نادى في القاهرة بأن أولاد الناس النفطية يطلعون إلى باب السلسلة ، ويباتون بها ، فلم يطلع إليه أحد منهم ؛ فاستمرّ قانصوه خمسمائة في

(١) أخو قانصوه الأثني : قلا عن ف ، وتنقص في الأصل .

(٩) كانوا بالقلعة : في ف : الذى كانوا بالطباق وجدارية وكتانية .

(١٠) الملك الناصر . . . البحرة ومن : قلا عن ف ، وينقص في الأصل .

المحاصرة ، وهو مقيم بباب السلسلة ، والأمراء عنده والخليفة والأربعة قضاة ، فاستقرّ على ذلك يوم الأربعاء والخميس .

- ٣ فلما كان يوم الجمعة مستهلّ جمادى الآخرة وقع في ذلك اليوم واقعة مهولة ، وقت صلاة الجمعة (٥٧ آ) ، فلما رأى قانصوه خمسمائة عين القلب ركب وخرج من باب السلسلة ، وكذلك جماعة الأمراء المقدمين ، الذين كانوا عنده ، فلما خرج قانصوه من باب السلسلة وقف عند سبيل المؤمني ، فحرّر عليه بعض الرماة بكفّية ، وقيل بسهم نشاب ، فجاء في وجهه ، فسقط عن فرسه إلى الأرض وقد أغمى عليه وغاب عن الوجود ، فحملوه الفللمان على أكتافهم ، وبقي لباسه بدكّته باينا للناس ، ورأسه مكشوفة ، عليها زمط أقرع ، فزلوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة ، فلما وصلوا به إلى المدرسة الجاولية أركبوه على حمار ، وهو مغنى عليه لا يدري بما جرى له ، فلما وصلوا به إلى درب الشمسى اختفى في مكان هناك ، وكانت هذه الواقعة من أعجب الوقائع وأعربها ، كما يقال :

- ١٢ وبين اختلاف الليل والصبح معرك يسكرّ علينا جيشه بالمجائب
فلما انكسر قانصوه خمسمائة ، وخرج من باب السلسلة على أنحس حالة ، نزل المالك الجلبان من القلعة إلى باب السلسلة ، ونهبوا كلما كان فيه من سلاح وقاش ١٥ وغير ذلك ، ونهبوا طستخانات الأمراء والخليفة ، وخطفوا عمائم القضاة ونوابهم ، وماسلم الخليفة والقضاة من القتل إلا سلامة ، وقتل من هذه الحركة جماعة من الجند ، وقتل شخص من الأمراء العشرات يقال له كشيغا ، وكانت هذه النصرة للملك ١٨ الناصر على قانصوه خمسمائة على غير القياس ، بعد أن ملك باب السلسلة ، وبأيمه

(٣) مستهلّ جمادى الآخرة : كذا في الأصل وكذلك في ف ، ولعله يقصد : آخر جمادى الأولى .

(٤) صلاة الجمعة : أضيف بعدها في ف ما يأتي : وأحرقوا المالك الذين بالقلعة سقيفة

الاصطبل السلطاني بمرارق وبارود ، وأرهمه عليها ، فاحترق الاصطبل ، وصار المقعد الذي بباب السلسلة مكشوفاً ، فخاف قانصوه خمسمائة على نفسه أن يرموا عليه شيئا من فوق ، وكانت سقيفة الاصطبل تمنع الرمي عن المقعد الذي بباب السلسلة . (٥) الذين : الذي .

(٧) فجاء في وجهه : في ف : فجاءت على طرف أذنه جوازا . (١٣) جيشه : جيشه .

٣ الخليفة ، وتلقب بالأشرف ، واجتمع عنده سائر الأمراء المتقدمين ، من الظاهرية والقايتبية ، وسائر المسكر من كبير وصغير ، وقبلوا له الأرض قاطبة ، فأورثه الله تعالى الخذلان ، واتصر عليه الملك الناصر ، وكان قد استخف به ، فكان كما يقال في المعنى :

٦ ولا تحقرن صغيرا رماك وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب وتمجز عما تال الإبر
وقال آخر :

٩ ولا تحقر كيد الصغير فرما تموت الأفاعى من سموم المقارب
وقيل :

لا تحقرن صغيرا في خاصمة إن الذبابة تدمى مقلة الأسد
فما كان يوم السبت مستهل جمادى الآخرة ، طلع الخليفة إلى القامة وقضاة
١٢ القضاة يهتفون السلطان بالشهر ، وبهذه النصرة التي حصلت له ، (٥٧ ب) ثم إن
الخليفة أعاد الملك الناصر إلى السلطنة وبايعه ثانيا ، وكان خلع من السلطنة ، وأقام
ثلاثة أيام إلى أن عاد إليها ؛ وقيل إن الملك الناصر رشد في ذلك اليوم ، وثبت رشده ،
١٥ وأباحوا له التصرف في المملكة بما يختار ، ثم إنه أخلع على الخليفة وزل إلى داره .
وضربت البشائر بالقلعة ، وتخلق جماعة السلطان بالزعفران ، وفرق على الخاصكية
سلاديات حرير أصفر بسنجاب ، وتوشحوا بالبندود الحرير الأصفر ؛ ثم في ذلك اليوم
١٨ رسم السلطان بالإفراج عن الأنابكي تمرّاز الشمسى ، وتانى بك قرا ، فتوجه بالمراسيم
إلى ثغر الإسكندرية مغلباى الشريف ، وهو الآف الزردكاش الكبير ، وكتب
السلطان أيضا مراسيم إلى آقبردى الدوادار بالحضور ، فتوجه إليه جانبى .
٢١ وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على أينال السلحدار ، وقرّره في ولاية القاهرة ،
عوضا عن مصر باى الثور بحكم اختفائه ؛ وصرف عن نظرا لجيش عبدالقادر القصروى ،

(٣) استخف به : أضيف بعدها في ف : لصفر سنة وقلة عصيته .

(١٧) بسنجاب : كذا في ف ، وفي الأصل : بسزاب .

وأعيد إليها الشهابي أحمد بن ناظر الخاص يوسف ؛ وقرّر البدرى محمد بن كمال الدين ناظر الجيش كان ، فى نظر الجوالى ، عوضا عن الناصرى محمد بن المينى بحكم صرفه عنها ؛ وأخلع السلطان على عمه قايت ، وقرّره فى الزردكاشية الكبرى ؛ وقرر ٣ شمس الدين الفرنوى فى نظر الأحباس ، عوضا عن محمد بن مزاحم الطرابلسى ؛ وعين الأمير سودون المعجمى إلى نيابة الإسكندرية ، عوضا عن بييردى أخو قانصوه خمسمائة ، وكان يعرف ببييردى الفهلوان ، وأرسل بالقبض عليه ؛ فلما جرى ذلك وقع النهب ٦ فى دور الأمراء الذين اخفقوا لما انكسر قانصوه خمسمائة ، وأقامت القاهرة نحوا من أربعة عشر ليلة لم يدقّ فيها طبلخاناه على باب أمير مقدّم ألف ، بموجب اختفائهم واضطراب الأحوال .

وفى هذه المدة كانت القلعة شاغرة ، لم تقام بها خدمة ، ولا يصعد إليها أمير ، والإشاعات كل ليلة قاعة بوقوع فتنة ، وكثر القيل والقال فى ذلك ، وامتنع الناس من الأسفار إلى الشرقية والغربية لتزايد فساد العربان فى الطرقات ، والقاهرة مأجمة ١٢ بأهلها يترقبون وقوع فتنة كبيرة .

ومن المعجائب أن لما انكسر قانصوه خمسمائة ، توجه فى ذلك اليوم قانصوه الشامى ومصرباى (٥٨ آ) الثور والى القاهرة ، فخرجا على جرايد الخيل إلى برّ ١٥ الجزيرة ، ويتوجهان من هناك إلى ثغر الإسكندرية ليقتلا الأتابكى تمراز وتانى بك قرآ ، وكانا فى السجن بالإسكندرية كما تقدّم ، وكان بييردى أخو قانصوه خمسمائة يوحّد نائب ثغر الإسكندرية ، فلم يشكّا بأن نائب الإسكندرية يمكنهما من قتل الأتابكى ١٨ تمراز وتانى بك قرآ ، فكان تديرهما فى تدميرهما ، فبينما هما فى أثناء الطريق ، فخرج عليهما جماعة من العربان فى تروجة ، فتحاربوا معهما فانكسرا وقبضت عليهما العربان ، فقتل مصرباى الثور ، وحزّت رأسه ، وعُلقت على باب الإسكندرية ، ٢١ وأما قانصوه الشامى قبضوا عليه وأحضروه إلى الإسكندرية ، فسجن فى البرج الذى كان به الأتابكى تمراز ، والمجازاة من جنس العمل ، وقد قيل :

وكم من طالب يسعى لشيء وفيه هلاكه لو كان يدري

- فأقام قانصوه الشامى فى البرج أياما ، وبعت السلطان مراسيم بقتله ، فقتل وحزّت
 ٣ رأسه ، وعُلقت على باب الإسكندرية وهى مشهورة ، فكان أول من قتل من الأمراء ،
 وكان شجاعا بطلا عارفا بأنواع الفروسية ، وكان لا بأس به . - ثم فى أثناء هذا الشهر
 وصل الأتابكى تمتاز وتانى بك قرا ، وكانت مدة سجن الأتابكى تمتاز بالإسكندرية
 ٦ ستة أشهر وأيام ، وكذلك تانى بك قرا ، فخرج الناس إلى ملتقاها ، وطلما إلى القلعة
 فى موكب حافل ، وعليهما الملايط الطرح ، فلما قابلا السلطان أخلع عليهما ، ثم أعاد
 تمتاز إلى الأتابكية ، عوضا عن قانصوه خمسمائة ؛ وأخلع على تانى بك قرا وقرّره فى
 ٩ أمرة مجلس ، عوضا عن أزيك اليوسفى المعروف بالخازندار ؛ وأنعم على قنبك المعروف
 بنائب الإسكندرية ، وقرّره من جملة مقدمين الألوف ؛ وقرّر خشكلى فى أستاذارية
 الصحبة ؛ وعزل أبنال السلحدار عن ولاية القاهرة ، وقرّر بها قانصوه الفاجر
 ١٢ عوضا عنه .

- وفيه أخلع السلطان على خاله المقر السيفى قانصوه من قانصوه ، وقرّره فى شادية
 الشراب خاناه ، عوضا عن مصر باى الشربى ، بحكم أنه صار مقدّم ألف ، وأنعم
 ١٥ عليه بأمرة طبلخاناه ، وهذا أول ظهوره بمصر واشتهاره بها ، وكان من جملة ممالك
 السلطان الجدارية ، ولم يكن خاصكيا ، فخدمه السعد جملة واحدة ، (٥٨ ب) واستمر يرتقى
 إلى أن بقى سلطانا كما سيأتى الكلام عن ذلك فى موضعه ؛ فلما بقى شاد الشراب
 ١٨ خاناه اجتمعت فيه الكلمة ، وصار صاحب الحلّ والعقد بالديار المصرية ، وصار
 السعى لأرباب الوظائف من بابه ، ووعّلت الناس على أشغالها فى ردّ جوابه .

(٢) مراسيم : أضيف بعدها فى ما يأتى : على يد قانصوه دوا دار الأمير شاد بك أخوخ ،
 الذى قتل وهو يضرب عنق قانصوه الشامى ، فلما وصل المراسيم إلى نفر الإسكندرية ، أخرج
 قانصوه الشامى من برج الإسكندرية وتوجه به إلى آخر المدينة ، وضرب عنقه ، قتل وكان المشاعلى
 غائبا ، والذى ضرب عنقه كان صبي المشاعلى ، وقيل إنه ضربه ثلاث ضربات حتى أطاح رأسه ،
 وعذبه عذبة التعذيب ، وذلك أن قانصوه دوا دار شاد بك أخوخ أخذ بثأر أستاذه منه .
 (١٠) مقدمين : كذا فى الأصل .

فهذا كله جرى وقانصوه خمسمائة من حين انكسر وهو مخفي ، والإشاعات قائمة بوقوع فتنة كبيرة ، وصار الناس على رأسهم طيرة ، ثم أشيع بين الناس أن المالك الذين من عصبة قانصوه خمسمائة يقصدون قتل الأتابكي تراز وتانى بك قرا ، فرسم لها ٣ السلطان بأن يطلما إلى القلعة ويقبأ بها ، حتى يكون من هذا الأمر ما يكون ، فطلع الأتابكي تراز وتانى بك قرا ، فأقاما في الجامع الصغير الذى هو داخل الحوش السلطاني ، فأقاما به أياما . ٦

فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة ظهر الأشرف قانصوه خمسمائة من مكان في درب المرسينة ، التي عند قناطر السباع ، وكان قد أشيع بأنه قد جرح في وجهه من حين أنهزم من الرملة ، فلما ظهر تسامع به من كان من عصبته فأتوا إليه ٩ أفواجا أفواجا ، فركب من هناك وعلى رأسه صنجق ، فتوجه إلى الميدان الناصري الذى عند البركة ؛ فلما تسامع به العسكر حضر إلى عنده جماعة من الأمراء ممن كان من عصبته واختفى يوم الهزيمة ، فحضر قانصوه الألفى ، وجان بلاط الدوادار ، وكرتباى ١٢ الأحمر ، وماماي من خداد ، وكسباى ، ويشبك قر ، فهؤلاء مقدمين ألوف ، وحضر من الأمراء العشرات جماعة كثيرة .

فلما تكاثر هناك العسكر ضاق بهم الميدان ، فحسن ببال قانصوه خمسمائة بأن يأخذ العسكر ويتوجه إلى الأربكية ، فتوجه إلى هناك ونزل بدار الأتابكي أربك ، فلم يحضر إليه من العسكر إلا قليلا ، وقد تلاشى أمره ، وبان عليه الخذلان ، وهو لا ينتهى عما هو فيه ، كما يقال في الأمثال : ١٨

الموت في طلب النار ولا الحياة في العار

وقال آخر :

(٣) الذين : الذى . (٣) يقصدون : يقصدوا .

(١٢ - ١٣) الدوادار . . . وكسباى : كذا في الأصل ، وفي : من يشبك ، وماماي ، وقرقاس من بولى الدين ، وقانصوه المحمدى ، وقيت الرجبي ، وكرتباى الأحمر ، وكرتباى الشريف . (١٣) مقدمين : كذا في الأصل . (١٤) العشرات : في : الطبلخانات والعشرات .

فوقى فى الوغى عيشى لأننى رأيت العيش فى أرب النفوس
 فبات تلك الليلة هناك فى الأربكية ، فلما أصبح يوم الأربعاء تسحب غالب من
 ٣ كان عنده من المسكر ، ولم يبق منه إلا القليل فبلغه أن المالك الجلبان نازلة من
 الطباق وهم مشاة ، وقد وصلوا إلى رأس البندقانيين (٥٩ آ) ، فلما تحقق ذلك طلب
 الفرس وركب هو ومن كان عنده من الأمراء ، وهم قانصوه الألقى ، ومامى الصغير ،
 ٦ ويشبك قر ، وكسبای ، والطواشى فيروز الزمام ، ومن الأمراء الطليخانوات والعشرات
 نحو من عشرين أميرا ، منهم قايتباى الأقرع الزردكاش ، وبرسباى الخسيف أمير
 أخور ثانى ، وقرقاس الشرىفى المحتسب ، وأسنبای المبشر ، وتمرار الشيخ ، ودولات
 ٩ باى المصارع أزدمر الخازندار ، ودولات باى جرکس ، وتمر باى المحمدى كاشف
 الشرقية ، وسودون الدوادار ، وطومان باى أخو الأمير جانم ، وآخرين من الأمراء ؛
 فخرجوا من الأربكية بعد طلوع الشمس ، وهم على جرايد الخيل فتوجهوا إلى
 ١٢ نحو خانقاة سرياقوس ، وكان آخر المهد بهم ، وقد قتلوا أجمعين كما سيأتى الكلام على
 ذلك فى موضعه .

فكانت هذه ثالث كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة ، وكان أرشلا معكوس
 ١٥ الحركات فى سائر أفعاله ، لم يطب طبه ، وكان ذلك خذلان من الله تعالى له ، وقد
 قيل فى المعنى :

على المرء أن يسمى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر
 ١٨ فإن نال بالسمى النائم قصده وإن حالت الأقدار كان له العذر
 فلما وصلوا المالك الجلبان إلى الأربكية وجدوا قانصوه خمسمائة قد تسحب منها ،

(٣) القليل : أضيف بعدها فى ف : وتوجه الأمير كرتباى الأحمر إلى المطرية وخليج الزعفران
 لأجل الخيول ، فأخذوها لأنها كانت فى الربيع .

(١٩) تسحب منها : أضيف بعدها فى ف ما يأتى : وكان الأتابكى تمرار نزل مع جماعة الجلبان
 من على باب الحرق وآتوا إلى الأربكية ، والجماعة الثانية مع تانى بك قرا نزلوا وتوجهوا من
 البندقانيين من على قطرة الموسكى وآتوا الأربكية من هناك ، فلم يجدوا بها أحدا .

فأحرقوا طبلخانات الأنابكي أذربك، وباب داره ، والرُّبوع الذى هناك ، ونهبوا قناديل
الجامع والحصار التى به ، وكان هناك حواصل للأتابكي أذربك فيها خيام ونشاب ،
فنهبوا ذلك جميعه ، ونهبوا دور سكان الأذربكية ، فكان كما يقال :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكاننى سبابة المتقدم

ثم جاءت الأخبار بأن قانصوه خمسمائة لما خرج من الأذربكية قصد التوجه إلى
غزة ليقول آقبردى الدوادار ، ولكن فاته الشنب ، وكان مقبلاً عند آقبای نائب غزة ،
وكان السلطان أرسل خلفه ليحضر إلى القاهرة ، وكان يظن أن الوقت قد صفاه
بكسرة قانصوه خمسمائة ، فقصد التوجه إلى الديار المصرية ، فلما خرج من غزة ووصل
إلى خان يونس الذى هناك ، (٥٩هـ) فلم يشمر إلا وقد دهمته عساكر قانصوه خمسمائة ،
ولم يكن عنده علم من ذلك ، فأحاطوا به ، فكان بينهما واقعة مهولة ، فانكسر آقبردى
الدوادار ودخل إلى خان يونس ، وأغلق عليه الباب ، فحاصره قانصوه خمسمائة أشد
المحاصرة ، وأحرق باب الخان ، وأشرف على أن يظفر به .

فلما رأى آقبردى عين الغلب طلب من قانصوه خمسمائة الأمان ، فلم يمطه الأمان ،
فبينما هما على ذلك وقد قرب غروب الشمس ، وإذا بأقبای نائب غزة ، وأينال باى
نائب طرابلس ، وشيخ العرب إبراهيم بن نبیعة ، ومعهم جماعة ، والعربان والعشیر ،
أتوا ليتوجهوا مع آقبردى إلى القاهرة ، فوجدوه فى المحاصرة وهو فى خان يونس ،
فكان كما يقال : فى أضييق الوقت يأتى الله بالفرج ، فكان بينهما واقعة لم يسمع
بمثلتها ، فلما حال بينهما الليل انكسر قانصوه خمسمائة ومن معه من الأمراء والعسكر ،
وهذه رابع كسرة وقعت لقانصوه خمسمائة ، فكان كما يقال :

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة حتى تروم التى من دونها المطب

فكان أول من أسر من الأمراء مامای من خداد ، فحزّت رأسه بين يدى
آقبردى ، ثم حزّت رأس فيروز الزمام ، وحزّت رأس سودون الدوادار ؛ وأما
قانصوه خمسمائة فمن الناس من يقول إن رأسه قد حزّت بين يدى آقبردى ، وأخذ
منه الهياكل التى كان حاملها ، ومن الناس من يقول إنه لما انكسر وحال بينهما الليل

ركب على فرس وكان مجروحا ، فنجأ بنفسه ، ولم يعلم له خبر ، والأصح أنه قتل
وحُزَّتْ رأسه بين يدي آقبردى ، ودخلت رأسه إلى القاهرة على رمح ، وصار الناس
بعد ذلك يشكّون في قتله إلى الآن ، ويزعمون أنه باق في قيد الحياة إلى الآن ، وهذا
٣ من الأمور المستحيلة ، وقد قضى الأمر في قتله .

ولما كان صبيحة يوم الواقعة صار آقبردى يقبض على الأمراء الذين كانوا صحبة
٦ قانصوه خمسمائة ، فقبض عليهم من الفيطان التي هناك والحقاقه ، فسك قانصوه
الألفى ، وكسبای الزينى ، ويشبك قر ، ومن الأمراء الطبلخانان والعشرات زيادة
على عشرين أميرا ممن تقدّم ذكرهم ، فلما قبض عليهم قيّدهم ، (٦٠ آ) وقبض على
٩ جماعة من الخاصكية ممن كان صحبة قانصوه خمسمائة ، فاستمروا في أسره حتى كان من
أمرهم ما سنذكره في موضعه ، هذا ما كان من أمر قانصوه وآقبردى الدوادار .

وأما ما كان من أمر الملك الناصر بعد حركة قانصوه خمسمائة ، فإنه صار مع
١٢ ممالك أبيه في غاية الضنك وهو مهدّد ، والأتابكي تمرآز في غاية المشقة ، وقد وُعد
بالقتل غير ما مرّ . - فلما كان يوم السبت تاسع عشرينه وقعت قلعة بين الممالك
والأمراء بالقلمة ، فقالوا الممالك للأمرأ : غيروا لقب السلطان ، ولقبوه بالملك
١٥ الأشرف على لقب أبيه ، فطال الكلام في ذلك [ثم] قالت الأمراء : كيف يكون
هذا الأمر بعد ما خرجت عدّة مناشير ومربعات إلى البلاد الشامية بالملك الناصر ،
فكيف نغيّر لقبه بالأشرف ؟ فقالوا الممالك : لا بدّ من ذلك ؛ وصمّموا على قولهم ،
١٨ فعند ذلك نودى في القاهرة بأن السلطان تغيّر لقبه وتلقّب بالملك الأشرف ، فتمجّب
الناس من ذلك ، وصارت الخطباء منهم من يخطب باسم الملك الناصر ، ومنهم من
يخطب باسم الأشرف .

٢١ وكان سبب تغيير لقب السلطان أنه أخرج خرجا من الممالك ، فصاروا يسمّون
الناصرية وممالك أبيه يسمّون الأشرفية ، فصارت الممالك الناصرية أرجح كفة من
الممالك الأشرفية ، فما طاقوا ذلك ، وقالوا : لقبوا السلطان بالأشرف ، ونصير كلنا

أشرفية ؛ فلا زالوا على ذلك حتى فعلوه ؛ وتقرب هذه الواقعة مما اتفق للملك الصالح أمير حاج ابن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الألقى ، أنه لما تسلطن أولا تلقب بالملك الصالح ، لما خلمه الظاهر برقوق من السلطنة وتسلطن عوضه ، فلما أعيد إلى السلطنة ثانيا ، وخلع برقوق بعد مضي ثمانية أشهر في فتنة يلبيغا الناصري ومنطاش ، فمَيَّرُوا لقبه ولقبوه بالملك المنصور ، وقد تقدّم سبب ذلك .

وفي هذه الأيام كثرا لاضطراب بالديار المصرية ، وامتنع الأمراء من طلوع الخدمة ، وكثر بين الناس القال والقليل بأن المماليك يقصدون أن يهجموا على السلطان ويقتلوه ، فرسم السلطان بسدّ باب السلسلة وباب الميدان وباب حوش العرب ، فسدّوهم بالحجر الفصّ ، واستمروا على ذلك مدة طويلة ، فكان الناس يطلعون إلى باب السلسلة من الباب الذى عند الصوّة تحت الطبلخانات .

وفي رجب أخلع السلطان على على بن سيف (٦٠ ب) وقرّره فى أسرة آل فضل ، عوضا عن أبيه . - وفيه رسم السلطان بنى أزبك فسحق الظاهري جقمق . - وأنعم بتقادم ألوف على جماعة من الأمراء ، منهم برد بك نائب جدّة ، ومصر باى ، وقرقاس التنى ، ولكن لم يتم له ذلك فيما بعد ، وقرّر فى نيابة غزّة عوضا عن آقبای كما سيأتى الكلام على ذلك ، وصيّر نائبك الإسكندرية من جملة المقدّمين ، وقرّر مغلباى بمحمقدار فى الخازندارية . - وفيه هجم النسر على سوق باب اللوق ، وأخذوا أموال التجار وفتحوا عدّة من الدكاكين ، وفعلوا مثل ذلك بسوق تحت الربع ، وكسروا منه عدّة دكاكين وأخذوا ما فيها ، ولم تنقطع فى ذاك شاتان .

وفيه قبض الملك الناصر على القاضي كاتب السر بدر الدين بن مُزهر ، وأودعه فى الطسخانة السلطانية التى بجوار البحرة ؛ وقرّر عليه أموالا لا يقدر عليها ، وهذه أول نكباته ، وقاسى من البهدة والأنكاد ما يطول شرحه ، واستمرّ من بعد ذلك فى النكبات تترادف عليه شيئا بعد شيء ، حتى كان فيها هلاكه كما سند ذكره ؛ وكان

(٧) يقصدون : يقصدوا . (٩) يطلعون : أضيف بعدها فى ف : إلى القلعة من باب

الدرج فقط ويطلعون .

سبب ذلك أنه يوم مبايعة قانصوه خمسمائة كان هو المديب له ، وأظهر البشر والفرح في ذلك اليوم ، فصار له ذنب عند الناصر بسبب ذلك ؛ ومن جملة ما قاساه أن الناصر لكمة على عينه ، فنفرت عن مكانها وكادت أن تذهب ، وأقام أياما وعينه مرفودة وهو في التوكيل به أياما ، حتى أورد مالا له صورة مما قرّر عليه .

وفيه رسم السلطان للأتابكي تمراز والأمير تاني بك قرا بأن ينزلا إلى دورها ، وكانا بجامع القلعة من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر ، كما تقدم ذكر ذلك ، فأخلع عليهما السلطان ونزلا إلى دورها في غاية التعظيم . - وفي أثناء هذا الشهر جاءت الأخبار بنصرة آقبردي الدوادار على قانصوه خمسمائة ، فلما تحقق السلطان ذلك نادى في القاهرة بالزينة ، ودقت البشائر بالقلعة .

فلما كان يوم الخميس رابع رجب دخلت في ذلك اليوم رؤوس من قتل في المعركة على خان يونس ، كما تقدم ذكر ذلك ، فكان عدة الرؤوس التي حضرت إلى القاهرة أربعة وثلاثين رأسا ، وهي معلقة على رماح والمشاعلية تنادى عليهم : هذا جزاء من يخامر ويعصى على السلطان .

فكان من جملة تلك الرؤوس رأس ماماي من خداد أحد المقدمين ، وكان (٦١ آ) شابا رئيسا حشما وافر العقل ، شجاعا بطلا ، وكان من خواص الأشرف قايتباي ، توجه قاصدا إلى ابن عثمان غير ما مرة وتولى من الوظائف الدوادارية الثانية ، ثم بقى مقدّم ألف ، وهو الذي جدّد الدار المعظمة التي بين القصرين ، وأصرف عليها جملة مال . ومن جملة الرؤوس رأس فيروز الزمام ، فلم يرث عليه أحد من الناس ، ولا أنثوا عليه خيرا ، وكان فيروز الزمام عنده خفة وطيش ؛ ومن الأمراء العشرات ينحشباي من عبد الكريم ، وتمرباي كاشف الشرقية ، وسودون الدوادار ؛ ومن الخاصكية عدة وافرة ، منهم قايتباي من قيت الرجبي ، وخاير بك دوادار الأتابكي أزيلك ،

(٢٠) وتمرباي كاشف الشرقية : كذا في ف ، وكتبت في الأصل هنا فيما يلي سطر ١ من الصفحة القادمة بعد كلمة « وآخرين » . (٢١) من قيت : كذا في ف ، وفي الأصل : أتى قيت .

وأزبك البيسرى السيفى جانى بك نائب جدّة ، وآخرين من الخاصكية والممالك السلطانية .

- ٣ وكان آخر الرؤوس رأس قانصوه خمسمائة الذى تسلمن ، وما كان أغناه عن هذه السلطنة ، فصنموا له عيوناً من زجاج حتى يعرف بها من بين الرؤوس ، وكان قانصوه خمسمائة أميراً جليلاً موصوفاً بالشجاعة ، وافر العقل كثير الأدب والحشمة ، ويقال إن أصله من كتابية الظاهر خشقدم ، واشترى الأشرف قايتباى وأعتقه ، فهو من ٦ معاتيقه ، وتولى من الوظائف : الدوادارية الثانية ، وأمير آخورية الكبرى ، ثم بقى أتابك المساكر بمصر ، ثم تسلمن وتلقب بالأشرف ، وأقام فى السلطنة ثلاثة أيام ، وخرّب بسببه عدّة دور ، وقتلت جماعة كثيرة من الأمراء ، وكان قانصوه خمسمائة ٩ قليل الخطّ ، ليس له سعد فى حركاته ، وقتل وهو فى عشر الخمسين ؛ فلما عرضوا تلك الرؤوس على الملك الناصر ، شكّ أكثر الناس بأن هذه ليس برأس قانصوه خمسمائة ، واستمروا على ذلك إلى الآن ؛ فأمر الناصر بأن تملق تلك الرؤوس على ١٢ باب زويلة وباب النصر ، واستمرت الكوسات تدقّ بالقلمة سبعة أيام ، وكذلك ببيوت الأمراء المقدّمين .

- ١٥ ثم إن الأمير آقبردى الدوادار أرسل يشاور السلطان فى أمر تلك الأمراء الذين أسروا بخان يونس ، فبرزت إليه المراسيم الشريفة بقتلهم أجمعين ، فلما وصل آقبردى إلى الخطّارة سلّم هؤلاء الأمراء إلى شيخ العرب أحمد بن قاسم ، فأتى بهم إلى (٦١ب) فاقوس ، فقتلهم أجمعين تحت حمزة كانت هناك ، ثم رُموا بيثراً هناك واقتضت أخبارهم ؛ ١٨ وقيل إن الذى باشر قتلهم قنبك أبو شامة فيما يقال ، وقتل قنبك أبو شامة أيضاً بعد ذلك بمدة يسيرة ، كما سيأتى الكلام على ذلك ، ومثل ما تعمل شاة الحمى فى قرض يعمل فى جلدّها . ٢١

فكان عدّة من قتل هناك من الأمراء نحو من عشرة أمراء ، منهم مقدّمين

(١٥) الذين : الذى . (٢٢) عشرة : فى ف : خمسة عشر .

(٢٢) مقدّمين : كذا فى الأصل .

ألف ثلاثة ، وهم قانصوه الألفى ، وكسباى الزينى ، ويشبك قر ؛ وكان قانصوه الألفى من أجل الأمراء ، وكان من خواص الأشرف قايتباى ، وتولى من الوظائف الدوادارية الثانية ، ثم بقى مقدم ألف ثم بقى أمير آخور كبير ؛ وكسباى الزينى تولى حسبة القاهرة والدوادارية الثانية ، ثم بقى مقدم ألف ؛ ويشبك قر تولى ولاية القاهرة ، ثم بقى مقدم ألف ، فاتوا هؤلاء الأمراء أشرّ موة ، حتى قيل إن العرب قطعت أرجلهم بالخناجر ، حتى أخذوا منها القيود الحديد وألقوهم هناك فى بئر خراب ؛ وأما من قُتل هناك من الأمراء الطبلخانات فالأمير قايتباى الأفرع الزردكاش ، وبرسباى الخسيف أمير آخور ثانى ، وقرقاس الشرىفى المحتسب ، وأسنباي المبشر ، وتمرز شيخ ، ودولات باى من جركس ، وآخرين من الأمراء العشرات والخاصكية ، وقد تقدّم القول على ذلك ، وكانت هذه الواقعة من أشنع الوقائع وأبشعها .

وكان قانصوه خمسمائة لما تسحب من الأزبكية وقصد التوجه إلى غزّة ، أخذ عدّة خيول للناس ، كانت فى مرابط على البرسيم فى زمن الربيع ، فحصل بسبب ذلك غاية الضرر ، وكانت تلك الأيام كلها اضطراب . - ثم إن الناصر أرسل يستحث آقبردى الدوادار فى الدخول إلى القاهرة ، وكان يظن أن الوقت قد صفا لهم ، ولكن حدث بعد ذلك أمور يأتى الكلام عليها .

وفيه أخلع على جوهر المعينى الحبشى وقرّر فى الزمامية ، عوضا عن فيروز الرومى بحكم قتله كما تقدّم ، وقرّر عبد اللطيف الرومى فى الخازندارية الكبرى ، عوضا عن فيروز أيضا . - وفيه أنعم السلطان على قانى باى قرا الرماح بتقدمة ألف ، وكان أمير عشرة ، وولى نيابة صهيون قبل ذلك ، وأخلع على أبى يزيد الصغير وقرّر فى باشية مكة ، وكان ذلك باختياره خوفا على نفسه من الفتن .

(٦٢ آ) ومن الحوادث فى هذا الشهر أن ممالك الأتابكى تمرز قتلوا شخصا من خواصه ، يقال له محمد البارنبارى ، وكان من وسائط السوء عند تمرز ، فاطاقوا ممالكه ذلك ، فقتلوه وهو جالس بباب الأتابكى تمرز ، وتمصّب لهم بمض ممالك

السلطان ، فلم يطلع من يد الأتابكي تمرّاز في حقهم شيء ، وراح القتل في كيس محمد الباربنارى ، ولم تنتطح في ذلك شاتان .

- وفيه ابتدأ الملك الناصر في الطيشان ومخالطة الأوباش والأطراف ، وحملت إليه ٣
مركب صغيرة ، فعملها في البحرة ، وصنع فيها حلوى وفاكهة وجبن مقل ، وكان
ينزل بنفسه في المركب . ويبيع كما يصنعون البياعون في بركة الرطلى زمن النيل ،
وكل هذا خفة وصغرنة ؛ ثم إنه أعرض المحاييس ، فأطلق منهم جماعة ، وأمر بإتلاف ٦
سبعة أنقار من أهل الفساد كانوا معهم ، ثم أدخلهم إلى الحوش الذى قدّام باب قاعة
البحرة ، فوسّطهم بيده هناك ، وعلمه المشاعلى كيف يوسّط ، ثم قطع أيديهم وأذانهم
وألستهم بيده ، والمشاعلى يعلمه كيف يصنع ، وهذا من أقبح الفعائل التى لا تليق ٩
بالموك ، ولكن قصد أن يعشى على طريق الملك الناصر فرج بن برقوق ، وهى
أنحس طريقة .

- وفي يوم الأحد رابع عشر رجب فيه كان دخول الأمير آقبردى الدوادار إلى ١٢
القاهرة ، فلما دخل القاهرة زينت له ، ودخل في موكب حافل ، وطلب طلبا حافلا ،
وكان له يوم مشهود ؛ ودخل معه من الأمراء آقبای نائب غزّة ، وأينال باى نائب
طرابلس ، وشيخ العرب إبراهيم بن نبیمة ، وجماعة من الأمراء والخاصكية ممن كان ١٥
من عصبته وفرّ معه ، منهم برد بك الحمدى الخازندار الأينالى ، ودولات باى من غيبي ،
ومغلباى عسل ، وجانم الأجروود ، فهؤلاء من الأينالية ، ومن القايتهبية أسنباى الأصم ،
وبرسباى السلحدار ، وجانى بك الصغير ، وآخرين منهم . ١٨

- وكان معه من الخاصكية والماليك السلطانية ، ممن فرّ مع قانصوه خمسمائة ، نحو
من مائتى إنسان ، وكانوا في زناجير حديد ، فقصد آقبردى أن يدخل بهم قدّامه وهم
في الزناجير ، فتمصّب لهم خشداشينهم (٦٢ب) وقالوا : متى فعل ذلك قتلناه ، فرجع ٢١
عن ذلك ؛ وكان أحضر صحبته رأس قانصوه الألقى ، وكسباى الزينى ، ويشبك
قر ، الذين قتلوا في الخطارة ، وقصد أن يشهرهم على الرماح قدّامه لما يدخل القاهرة ،

فلم يجسر يفعل ذلك ، ولكن عرضهم على السلطان فيما بعد في الدسّ ولم يشمر بهم أحد .

٣ فلما شقّ القاهرة فطلع إلى القلعة ، أخلع عليه السلطان ، وعلى من جاء صحبته من الأمراء ، وعلى شيخ العرب ابن نبيمة ، ونزلوا إلى دورهم ، ثم إن الملك الناصر قصد أن يفتك بالمليك الذين حضروا صحبة آقبردى ممن أسر على خان يونس من عصابة قانصوه خمسمائة ، وكانوا نحواً من مائتي إنسان ، فاجسر على ذلك وخشى من وقوع فتنة ، فاسمعه إلا عفى عنهم ، ونفق على كل واحد منهم عشرة دنانير وأطلقوا ، وخمدت فتنة قانصوه خمسمائة .

٩ ثم إن السلطان عمل الموكب وحضر الأتابكي تراز ، وتانى بك قرا أمير مجلس ، وآقبردى الدوادر ، ثم أحضر المصحف العثماني إلى القلعة ، فحلف عليه الأتابكي تراز ، وتانى بك قرا ، وآقبردى الدوادر ، ولم يكن حلفهم قبل اليوم ، بأنهم لا يخامروا ولا يعصوا ولا يركبوا على السلطان ، فحلفوا على ذلك .

١٢ ثم إنه أخلع على آقبردى وقرّره في أمرة السلاح ، عوضاً عن تانى بك الجمالى بحكم اختفائه ، وقرّره أيضاً في الدوادرية الكبرى ، عوضاً عن جان بلاط من يشبك بحكم اختفائه ، وقرّره أيضاً في الوزارة والأستادارية الكبرى وكشوفية الكشاف ، عوضاً عن كرتباى الأحمر بحكم اختفائه ، فصار كما كان يشبك من مهدى ؛ وهذا كان نهاية سعد آقبردى ، فأقام على ذلك مدة يسيرة نحواً من شهرين ، وكان من أمره ما سنده ذكره في موضعه .

١٨ ثم أخلع على آقباى نائب غزّة وقرّره في الرأس نوبة الكبرى ، عوضاً عن قانصوه الشامى بحكم قتله بالإسكندرية ؛ وأنعم على جانم الأجروود كاشف منفلوط بتقدمة ألف ؛ وأقرّ آيتال باى نائب طرابلس على حاله في نيابة طرابلس ، فأقام بالقاهرة أياماً ورجع إلى طرابلس على عادته ؛ وأنعم على كرتباى أخو آقبردى بتقدمة ألف ؛

(٥) الذين : الذى . (٦) مائتي : مائتان . (١٨) موضعه : أضيف بعدها في ف :

وفيه قرر كرتباى أمير آخور عوضاً عن قانصوه الألقى بحكم قتله .

وبرد بك المحمدي بتقدمة ألف ؛ ورسم السلطان لكتاب السر وناظر الجيش أن لا يخرجوا مراسيم سلطانية ولا مربعات ولا مناشير إلا بختم من وراء العلامة السلطانية (٦٣ آ) وأن يكتب أيضا وراء العلامة ما تضمنته ذلك الرسوم . ٣

وفيه قويت الإشاعات بوقوع فتنة وأخذ السلطان في تحصين القلعة ، ونقل إليها أشياء كثيرة من الدقيق والبقساط والأحطاب والماء والمليق وغير ذلك ، وكانت الأحوال في غاية الاضطراب ، وظهر غالب من كان قد اختفى من عصبة قانصوه خمسمائة ، ٦ وانتقموا إلى قانصوه خال السلطان ، والتفوا عليه ، بغضا في آقبردى الدوادار ، وقد تلاشى أمره لما أن عاد في هذه المرة ، وصار مهددا بالقتل في كل ليلة ، ولم تنفذ له كلمة مع وجود قانصوه خال السلطان ، وقد صار السعى لأرباب الدولة من بابه ، واجتمعت ٩ فيه الكلمة ، فكان كما يقال في المعنى :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فحيث ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا ١٢

فكان زوال آقبردى عن قريب .

وفي شعبان أنعم السلطان بأمره عشرة على قراكرز الفهلوان ، وهي أمرة قايتباى الشرفى الذى قتل بنزة . - وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة برد بك الطويل نائب صفد ، فلم يأذن له السلطان بالاجتماع به ، ومنع من الطلوع إلى القلعة عند حضوره ، وقامى من آقبردى الدوادار غاية البهدة . - وفيه أمر السلطان بأن تقطع الحيات التى تصنع في البيارستان بحضرته حتى يتفرج عليها ، فأحضروها بين يديه بقاعة البحرة ، ١٨ فقطعت بحضرته وهو ينظر إليها ، وأخلع على رئيس الطب شمس الدين القوصونى ، وولده ، والحاوى الذى أحضر الحيات ، وآخرين منهم .

وفيه أنعم السلطان على طومان باى الخالصكى ، أحد الخازندارية ، بأمره عشرة ، ٢١ وكان قدم من البلاد الشامية ، وطومان باى هذا هو الذى ولى السلطنة فيما بعد ولقب بالبادل ، فكان بين أمرته العشرة وسلطنته دون الأربع سنين . - وفيه هجم المنسر

على سوق أمير جيوش ، وأخذوا منه أشياء كثيرة من عدة دكاكين ، وقتلوا الخفير ، ولم تنتطح في ذلك شاتان . - وفيه أخلع السلطان على جانم المصبنة وقرّره في حجوبية الحجاب ، عوضا عن أبنال الخسيف . - وفيه رسم السلطان بشفق عبد القادر صبي القصديرى .

وفيه جاءت الأخبار من دمشق بقتل شمس الدين بن بدر الدين (٦٣.ب) حسن ابن المزلق الدمشقى ، مات مذبوحا بدمشق وهو في داره ، وكان متولى قضاء الشافعية بدمشق . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة رستم صاحب المراقين وديار بكر ، وكان لا بأس به . - وفيه ثارت الممالك الجلبان على السلطان ، وطلبوا منه نفقة بسبب هذه النصرة التى وقعت له ، فنفق عليهم بعد ما كادت أن تقع فتنة كبيرة بسبب ذلك ، فبلغت هذه النفقة نحواً من خمسمائة ألف دينار ، فصودر فيها جماعة كثيرة من المباشرين وغيرها . - وفيه صار السلطان يُخرج إقطاعات أولاد الناس والرزق ، بل والأملاك ، ويفرقها على الممالك الجلبان ، وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك .

وفيه قرّر تمرّاز جوشن أمير آخور ثانى ، وقرّر قصره في نيابة القلعة . - وفيه قبض آفبردى الدوادار على داود بن عمر أمير هوارة ، وقد آل أمره فيما بعد أنه شنى على باب شونة بمنفلوط بالوجه القبلى ، لأمر حقدّها عليه . - وفيه جاءت الأخبار من نواحى هرمز ، بأن خسف بها مدينة كاملة بأهلها . - وفيه أكل السلطان النفقة على الجند والأمراء . - وفيه توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن عامر المغربى المالكي ، شيخ تربة الأشرف قايتباى ، وكان عالماً فاضلاً صالحاً متقشفاً لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار بأن الطاعون قد وقع بمدينة غزّة ، وهو زاحف نحو الديار المصرية . وفيه أخلع السلطان على وفا الماوردى ، وقرّره في أمرة شكار ، ورسم له بأن يتزيّا بزى الأتراك ، ويلبس التخفيفة التى بالقرون ، والسالارى القصير السكم ، وكان عامياً يلبس الهامة والملوطة الطرح ، فعُدّ ذلك من نواقص الملك الناصر . -

(١) الخفير : الخفير . (٤) القصديرى : كذا في ف ، وفى الأصل : التفرديرى .

(٦) الشافعية : كذا في ف ، وتنقص فى الأصل .

وفيه تزايد أذى الجلبان في حق آقبردى الدوادر ، وصار مهددا بالقتل في كل يوم ، حتى ساءل السلطان بأن يوليّه نيابة الشام ويخرج إليها خوفا على نفسه من الجلبان ، فلم يسمح له السلطان بذلك .

٣

وفي رمضان ، في أول ليلة منه ، لم يطلع أحد من الأمراء ، ولا فطر عند السلطان على جارى المادة ، وكثرت الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة بسبب آقبردى الدوادر . فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان ركب الأمير آقبردى ، ووافقه (٦٤ آ) على ذلك تانى بك قرا أمير مجلس ، وآقباى نائب غزّة رأس نوبة النوب ، وجانم الأجروود أحد المقدمين ، وكاشف منفلوط ، وجانم المصبغة حاجب الحجاب ، وغير ذلك من الأمراء الطبلخانات والمشرات ، والجّمّ الغفير من الجند ، ممن هو عصابة آقبردى ، فوقع في ذلك اليوم واقعة مهولة ، فانكسر آقبردى بعد العصر واختفى ؛ فلما دخل الليل هرب آقبردى هو ومماليكه ، وأخذ صحبته آقباى نائب غزّة رأس نوبة النوب ، فلما هرب توجه إلى نحو الصعيد ، فأقام به حتى كان من أمره ما سنذكره .

١٢

وفيه توفى خالص الطواشي التسكرورى مقدّم المالك ، وكان عنده لين جانب ، وكان لا بأس به ؛ فلما مات قرّر في تقدمة المالك مثقال الحبشى البرهانى ، الذى كان مقدّم المالك ونفى إلى القدس وأعيد إلى القاهرة . - وفيه اشتدّ الحرّ وعزّ وجود السقاين ، وتكالب الناس على الروايا والجمال حتى تخانقوا بالعصى ، وبلغ سعر الراوية الماء ثلاثة أنصاف فضة ولا توجد .

١٨

ومن النواذر الغريبة أن في يوم التاسع والعشرين من هذا الشهر أمر السلطان بأن تدقّ الكوسات بالقلعة ، وقال : أنا أعمل العيد في الند من هذا الشهر إن رأوا الهلال أو لم يروا ؛ فلما أشيع ذلك بين الناس ركب قاضى القضاة الشافى زين الدين زكريا وطلع إلى القلعة ، فاجتمع بالسلطان وعرفه أن العيد لا يكون إلا إذا رؤى الهلال ، فشقّ ذلك على السلطان ، وهمّ بعزل القاضى في ذلك اليوم ؛ فلما دخل الليل لم يُرَ الهلال في تلك الليلة وجاء العيد بالجمّة ، وكان الناصر تطيّر من العيد بأن يجيء يوم الجمعة ، فكان ذلك على رغم أنفه .

٢١

وفي شوال لم يخرج السلطان إلى صلاة العيد ، ولا طلع الأتابكي تمراز إلى القلعة ، ولا بقية الأمراء المتقدمين ، فبعث السلطان الخلع إليهم في بيوتهم ؛ وفي أواخر ذلك اليوم طلع الخليفة ليهنئ السلطان بالعيد ، وكان بقاعة البحرة مع ذلك الأوباش الذين يعاشرهم ، فلم يخرج إليه السلطان ، وأرسل يتشكر منه ، (٦٤ ب) وأمره بالانصراف ، فمَدَّ ذلك من نواقص الملك الناصر ، وكان الناصر في تلك الأيام في غاية الطيشان . ٦

وفيه أخلع السلطان على عمه قيت وقرّره في نيابة القلعة ، عوضا عن قصره . بحكم أنه بقى مقدم ألف ، وقرّر ولده جانم في الزردكاشية ، عوضا عن أبيه . - وفيه رسم السلطان لشخص من الأمراء الطبلخانات ، يقال له قانصوه الساق ، بأن يكون أمينا على باب القلعة عند سلم المدرج ، يحيط علما بمن يطلع إلى القلعة أو ينزل منها ، فمَدَّ ذلك من النوادر . ٩

وفيه جاءت الأخبار من المدينة المشرفة ب وفاة الحافظ شمس الدين السخاوى ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، وكان عالما فاضلا بارعا في الحديث ، وألف له تاريخا فيه أشياء كثيرة من المساوى في حق الناس ، وكان مولده بعد الثلاثين والثمانمائة . ١٢

وفيه جاءت الأخبار من الصعيد ، بأن قامت هناك فتنة كبيرة بين حميد بن عمر أمير هوارة ، أخو داود الماضى خبر شنفه ، فوقع بين حميد وبين قريبه إبراهيم فتنة مهولة يأتى الكلام عليها . - وفيه كانت الفتن قائمة بين طائفة بنى حرام وبنى وائل ، حتى أعيا جان بردى الكاشف أمرهم ، وخرج إليهم تجريدة وبها عدة من الأمراء ، ولم يقد من ذلك شيء . - وفيه عين السلطان أبا يزيد الصغير بأن يتوجه إلى آقبردى الدوادر للصعيد ، وصحبته خلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش ، وعلى يده مراسيم شريفة لآقبردى الدوادر ، بأنه على عادته وفي وظائفه حتى يصير له حرمة على العربان ، ثم حضر إلى القاهرة عن قريب ، وكان من أمره ما سندكره في موضعه . ١٨ ٢١

وفيه خرج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب الحمل مصر باى أحد المقدمين ،
وبالركب الأول الناصرى محمد بن العيني ، وكان الحاج في تلك السنة قليلا . - وفيه
صعد سليمان بن قرطام ، أحد مشايخ بني حرام ، إلى القلعة ، وعلى رأسه منديل الأمان ٣
من السلطان ، فلما مثل بين يديه لـكمه قانصوه الفاجر وإلى الشرطة ، وأخذ منه
منديل الأمان والسلطان ساكت لم يتكلم ، وثار عليه جماعة من المالك السلطانية ،
وقالوا : هذا (٦٥ آ) قتل خشداشينا الذين قتلوا بالخطارة ، فكيف يعطونه منديل
الأمان ؟ فنشق ذلك على السلطان ، وقام عن الدكة وهو منضب من المالك .

وفيه جاءت الأخبار من دمشق بوفاة قانصوه اليحياوى نائب الشام ، وحضر
سيفه ، وكان أصله من ممالك الظاهر جقمق ، وكان لا بأس به ، تولى عدة وظائف ٩
سنية ، منها نيابة الإسكندرية ، ونيابة صفد ، وطرابلس ، ونيابة حلب ، ونيابة الشام ،
وجرى عليه شذائد ومحن ، وأسر عند يعقوب بن حسن الطويل في كائنة يشبك
الدوادار مع بايندر ، ونفى إلى القدس ، ثم ولى بعد ذلك نيابة الشام ومات بها وهو على ١٢
نيابته ، وكان من أجلّ الأمراء وأعظمهم قدرا .

وفي ذى القعدة توفى قاضى القضاة الحنبلى بدر الدين السعدى محمد بن محمد بن
أبى بكر بن خلف بن إبراهيم الحنبلى ، وكان عالما فاضلا عارفا بمذهبه ، تولى القضاء ١٥
بمصر وهو فى عنفوان شبوبيته ، وأقام به مدة طويلة حتى مات وهو على وظيفته ،
وكان لا بأس به ، وتوفى وهو فى عشر الستين ؛ فلما مات أرسل السلطان خلف
شهاب الدين الشيشينى وكان بمكة ، فلما حضر أخلع عليه السلطان وأقره فى قضاء ١٨
الحنابلة بمصر ، عوضا عن بدر الدين السعدى بحكم وفاته ، وهو باق على وظيفته
إلى الآن ، لكن بعد عزل وإعادة كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . - وفيه
ظهر قانصوه الحمدي المعروف بالبرجى أحد الأمراء المقدمين ، وكان مخفيا من حين ٢١
ركب قانصوه خمسمائة وانكسر ، فلما ظهر أمتنه السلطان على نفسه ، وأقام بداره .

(٦) الذين : الذى . (١٣) قدرا : أضيف بعدها فى ف : وفيه توفى الشيخ الصالح

نور الدين الداكر ، من عين الغزال ، وكان معروفا بالصلاح لا بأس به .

ومن الحوادث في هذا الشهر أن القاضي أبو البقاء بن الجيمان ، وكان طالما إلى القلعة فصلّى صلاة الفجر وخرج من داره ، فلما وصل إلى الحمام التي يرى بين زقاقهم خرج عليه بعض المماليك ، فضربه بخنجر في بطنه ضربة بالغة ، فمات من وقته ، وما عُرف قاتله ، واتّهم به جماعة من المماليك ، ولم تنقُض في ذلك شأنان ؛ وكان رئيسا حشما فاضلا عارفا بأحوال المملكة ، وكان مقرّبا عند الأشرف قايتباي ، ورقى في أيامه وانتهت إليه الرياسة ، وفاق على من تقدّمه من أقاربه ، (٦٥ ب) وكان أدوبا حلو اللسان سيوسا وله اشتغال بالعلم ، وكان من نوابغ بني الجيمان ، وكان اسمه أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر ، وله برّ ومعروف ، وهو الذي أنشأ عمارة الزاوية الحمراء ، وجعل بها خطبة ، والحوض والسبيل ، وأنشأ هناك القصور والمناظر والفيط الحافل ، وصار ذلك المكان من جملة مفترجات القاهرة ، وتسمى إليه الناس في زمن النيل بسبب الفرجة هناك ، وصار عوضا عن التاج والسبعة الوجوه التي كان من المفترجات القديمة ؛ ومات أبو البقاء وقد قارب الستين سنة من العمر ، فلما مات أخلع السلطان على أخيه صلاح الدين وقرّره في استيفاء الجيش ، مضافا لما بيده من نيابة كتابة السرّ .

وفيهِ تزايد شر المماليك الجلبان ، وضيّقوا على السلطان وصار معهم في غاية الضنك ، فأرسل يستحثّ آقبردى الدوادار في سرعة المجيء . - فلما كان يوم الخميس رابع عشرين هذا الشهر وصل آقبردى الدوادار إلى برّ الجزيرة ، فلما تسامعت به الأمراء خرجوا إليه قاطبة ، وكذلك المسكر ، ولم يخرج إليه قانصوه خال السلطان ، فتلطّف به الأتابكي تمرّاز حتى ركب معه ، وتوجّها إلى نحو السواق التي عند الهدّة بالقرب من درب الخولى ، فقصد قانصوه خال السلطان أن يمدّى من هناك ويتوجّه إلى آقبردى ليسلم عليه ، فتموه المماليك من ذلك ، وقالوا له : متى ما رحت إليه يقبض عليك ؛ فتخيّل من ذلك ورجع من حيث أتى ، فمئذ ذلك كثر القيل والقال ، واضطربت الأحوال ، وصار العسكر على ثلاث فرق ، فرقة مع آقبردى الدوادار ،

وفرقه مع قانصوه خال السلطان ، وهى الفرقة التى كانت من عصبة قانصوه خمسمائة فالتفتوا على خال السلطان ، وفرقة وافرة من المماليك الجلبان مع السلطان .

- ٣ ثم إن طائفة من المماليك الذين من عصبة خال السلطان لبسوا آلة السلاح وتوجهوا إلى بيت آقبردى الدوادار الذى عند حدة البقر ، فأحرقوا مقعده ونهبوا رخامه وأخشابه وأبوابه ، وذلك قبل دخول آقبردى إلى القاهرة . - فلما كان يوم الجمعة خامس عشر ربيع الثانى ، ولما وصل مصلة خولان التى بالقرافة الكبرى ، لاقاه الأتابكي تمتاز ، وتانى بك قرا وقد ظهر (٦٦ آ) وكان محتفيا من حين كسر آقبردى فى شهر رمضان كما تقدم ، وتوجه إلى آقبردى الحزم الفير من العسكر ، وكان آقبردى أرسل خاف جماعة من عربان بنى وائل وعربان عزالة ، فلاقوه من عند باب الزغلة التى عند الحجرة ، فصاروا يشوشوا على الناس الذين يتوجهون إلى هناك ويعبرونهم ويأخذون عمامتهم وأتوابهم ، فخرج إليهم جماعة من المماليك واتقوا معهم عند باب الزغلة ، فقتل فى ذلك اليوم جماعة من الغلمان واثنتان من المماليك السلطانية .

- فلما كان يوم السبت سادس عشر ربيع الثانى هذا الشهر رحل الأمير آقبردى من مصلة خولان ، ودخل إلى المدينة من على مشهد السيدة النفيسة رضى الله عنها ، ولم يشق من الصليبة بل توجه إلى بيته من درب الخازن ، فلما استقر بداره أتى إليه الأمراء والعسكر أفواجا أفواجا ، ولو حطم فى ذلك اليوم وطلع إلى الرملة لملك القلعة من غير مانع ، وكان ذلك عين الصواب ، ولكن أشار عليه بعض الأمراء

(٣ و ١١) الذين : الذى . (٦ و ١٤) مصلة : كذا فى الأصل ، ويعنى مصلى .

(١٠) فلاقوه . . . الزغلة : كذا فى الأصل ، وفى ف : ثم إن العربان كانوا فى ثلاث عسكر آقبرى وأتوا معه ووصلوا إلى باب الزغلية ، وقد كان توجه إليهم جماعة من المماليك الذين هم فى عرض قانصوه خمسمائة ، فالتقى معهم خيربك والكاشف وجماعة من المماليك الذين هم من عصبة آقبردى ، فكسروهم وشحتوهم هم والعرب إلى أن وصلوا إلى الحجرة التى عند باب الزغلية ، وصار العرب يشوشون على الناس الذين توجه إلى هناك ويعبرونهم ويأخذون عمامتهم وأتوابهم . (١٦) من الصليبة . . . فلما : نقلا عن ف ، ويتقص فى الأصل .

بالتثبت في ذلك ، فكان كما يقال :

وربما فات بمض الناس حاجته مع الثاني وكان الرأي لو عجل

- ٣ فلما بلغ قانصوه خال السلطان أن آقبردى قد أحضر صحبته عربان من بنى وائل وعزالة ، فأرسل هو أيضا خلف طائفة من عربان بنى حرام ، فصار الأتراك يتقعون مع بعضهم ، والعربان يتقعون مع بعضهم ، فلم يحصل بالطائفتين نفع ، بل حصل منهم غاية الضرر ، وصاروا يمرّون الناس ، ويخطفون المائم بالطرية وبولاق ومصر العتيقة والقرافة ، وصاروا ينهبون الترب ومزارات الصالحين ، حتى مزار الإمام الشافى والإمام الليث رضى الله عنهما ، وأظن أن هذا كان سببا لكسرة آقبردى .
- ٩ ثم إن آقبردى أحضر أشياء كثيرة من الأخشاب وشرع في عمل طوارق ، وأحضر عدة قناطير نحاس وشرع في سبك مكحلة كبيرة ، وأظهر آقبردى الدوادار في هذه الحركة همة عالية ، وكان عنده من الأمراء الأتابكى تراز الشمسى ، وكرتباى ابن عمه السلطان أمير آخور كبير ، وتانى بك قرا الأينالى أمير مجلس ، وآقباى نائب غزّة رأس نوبة النواب ، وجانم المصبغة حاجب الحجاب ، وقانبك الشريقى نائب الإسكندرية أحد المقدمين الألوف ، وجانم الأجروود أحد المقدمين ، وبرد بك المحمدى الأينالى أحد المقدمين (٦٦ ب) أيضا ، ومن الأمور الطليخانات والعشرات
- ١٥

(٤ - ٥) فأرسل . . . بعضهم : كذا في الأصل ، وفي ف : اضطربت أحواله ولم يكن عنده بالقلعة من العسكر إلا القليل ، فعند ذلك طلع إلى القلعة الأمير كرتباى الأحمر ، وكان مختفيا من عندواقعة خان يونس ، فلما بلغ جماعة قانصوه خمسمائة أن كرتباى قد طلع إلى القلعة فبادروا إلى القلعة لينزلهم السلطان في الديوان ، فأقاموا في الجامع وصاروا من عصبه الفواق ، وكان أكثرهم رماة بالمدايع والسفقيات والبندق الرصاص ، وهم الذين كانوا سببا لكسرة آقبردى ، فقويت شوكة خال السلطان بهم وبالأمر كرتباى الأحمر ، فصار جماعة الممالك طالعين إلى القلعة أفواجا وقويت الفواق ، وأرسل خال السلطان خلف طائفة عربان من بنى حرام وأحضر قراجا نائب غزّة كان عربان السواملة ، فصار العربان يتقاتلون مع بعضهم .

(٤ و ٥) يتقعون : يتقعون . (١٠) مكحلة كبيرة : في ف : مكحلتين كبار ، وأحضر المعلم دميلسكوا السباك وشرع في سبكهم . (١٠) وأظهر : وأحضر .

فكانوا زيادة على الثلاثين أميراً ، منهم مقلباى صُصْرُق الأشرفى برسباى ، وغير ذلك من الأمراء ، واجتمع عنده الجُمّ الغفير من العسكر من سائر الطوائف .

- ٣ فكان آقبردى فى كل يوم يمدّ للأمراء والخاصكية أسمطة حافلة فى باكر النهار وآخره ، ثم يحضر لهم السكر والحلوى والفاكهة والبطيخ الصيفى ، واستمرّ الحرب ثائرا بين الفريقين ، وحاصر آقبردى من بالقلمة أشدّ المحاصرة ، ومنع الغلمان والعبيد أن يصعدوا إلى القلمة بشيء من نوع الأكل ، وقطع آذان جماعة من العبيد بسبب ذلك .

- ثم استهلّ شهر ذى الحجة فقوى عزم آقبردى على محاصرة القلمة ، فكان يركب كل يوم هو والأتابكى تميزاز والأمراء والعسكر ، وعلى رأسه الصنجق السلطانى يخفق ، وقد أرسله إليه الملك الناصر فى الدس ، وكان له به عناية فى الباطن ، فصار آقبردى يظهر أنه لم يركب على السلطان ، وإنما له غرماء من الأمراء يقصد القبض عليهم ؛ هذا ما كان من أمر آقبردى الدوادار ، وأما ما كان من أمر الملك الناصر فإنه لم يكن عنده بالقلمة من الأمراء سوى سودون المعجمى ، وجان بلاط الفورى ، وقانى باى قرا الرماح ، وخاله قانصوه شاد الشراب خاناه ، فنصبوا عدة مكاحل حول القلمة ، ونصبوا المكحلة المسماة بالمجنونة على باب السلسلة .

- ١٥ وصار الحرب ثائرا بين الفريقين ، فبقى مع الفرقة التى بالقلمة من سلم المدرج إلى رأس الصوّة إلى باب زويلة إلى باب النصر إلى الطرية ، وصار مع الفرقة التى مع

(٦) العبيد: أضيف بعدها فى ف : وأيديهم.

(١٣ - ١٥) سوى . . . السلسلة : كذا فى الاصل ، وفى ف : سوى قانصوه خاله ، ثم صعد فى ذلك اليوم كرتباى الأحمر على الفور وكان مختفيا وجلس بالمقعد الذى برأس سلم المدرج ، وكان الأمير سودون المعجمى وجان بلاط الفورى وقانى باى الرماح وطومان باى الشرفى ودولات باى قرموط وغير ذلك من الأمراء ركبوا المكاحل حول القلمة وركبوا المكحلة المسماة بالمجنونة على باب السلسلة ، وكان غالب ممالك قانصوه الجياوى نائب الشام الذى توفى وحضرت ممالك تلك الأيام كلها رماة بالسفقيات والبندقيات الرصاص ، فأخذ يخطأهم كرتباى الأحمر وخال السلطان قانصوه ، ونزلوهم فى الديوان السلطانى ، وأصرفوا إليهم الجلمكية ، حتى أنهم صاروا معهم وكانوا زيادة عن مائتى لإنسان .

- آقبردى من باب القرافة إلى الصليبية إلى قناطر السباع إلى مصر العتيقة وبولاق ؛
يقتل في كل يوم من طوائف العربان مقتلة كبيرة من بنى وائل وبنى حرام ، وكانوا
يدخلون برءوس القتلاء آخر النهار في شبك التبن ، فقتل في هذه المركة من ٣
العربان زيادة على ألف إنسان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فكانت
الأتراك تتقع مع بعضها والعربان تتقع مع بعضها .
- ٦ فلما قرب عيد الأضحية فرق آقبردى على الأمراء والمسكر الذين ركبوا معه عدة
أبقار وأغنام كثيرة ، ثم نفق عليهم جامكية ذلك الشهر ، وكل هذا من ماله دون مال
السلطان ، فأصرف في هذه الحركة فوق المائة ألف دينار ، وبالييت (٦٧ آ) أفاده
٩ من ذلك شيئا ؛ ثم إن آقبردى شرع في سبك مكحلة كبيرة ، فأحضر الملمدُمنيكوا
السبّاك وألزمه بعمل مكحلة ، فأخذ في أسباب ذلك ؛ ثم إن آقبردى وزع الأمراء
في أماكن شتى بسبب حصار القلعة ، فكان الأمير كرتباى بن عمّة السلطان أمير
١٢ آخور كبير ، وتانى بك قرا أمير مجلس ، وجماعة من المسكر ، في مدرسة السلطان حسن
بسبب حصار القلعة ، فكانوا يرمون عليها ، فلم يقد من ذلك شيء ، ثم إن المكحلة
المسماة بالمجنونة أرموا بها على من في مدرسة السلطان حسن ، فخرق المدفع شباك المدرسة ،
١٥ ودخل قتل ثلاثة أنفار من المماليك الذين هناك ، فحصل للمسكر من ذلك زممة .
- فكان لهم يوم عيد النحر وقعة تشيب منها النواصى ، وقتل في ذلك اليوم شخص
من الأمراء العشرات ، يقال له جانم من قايتباى ، وشخص يسمى طومان باى نائب
١٨ بهسنا ، وشخص يسمى قصر وه نائب سنجار ، وكانا حضرا صحبة الأمير آقبردى من
البلاد الشامية ، وقتل ممن كان بالقلعة من المماليك جماعة ، ومات شخص من الأمراء
الطبلخانات يقال له برسباى اليوسفى أبو ذقن ، وكان من مماليك الظاهر جمعق ، مات
٢١ فجأة بالقلعة في مدّة المحاصرة ، وكان لا بأس به .

(٣) القتلاء : كذا في الأصل . (٥) تتقع : تنقعوا . (٦ و ١٥) الذين : الذى .

(١٨) سنجار : يسجر ، وفي ف : سنجى (٢٠-١٩) الأمراء . . . اليوسفى :

نقلا عن ف ، وتنقص في الأصل

فلما طال على المسكر الذى كان مع آقبردى أمر الحصار ، وأبطأ عليهم دُمْنِيكُوا
بفراغ المسكحلة التى شرع فى سبكها ، وصار يقتل فى كل يوم من حلف آقبردى جماعة
كثيرة ، فبقى يتسحب منهم جماعة ويطلقون إلى القلعة شيئا فشيئا ، فبان على آقبردى ٣
التلاشى ، فلما تحايت الطائفة الفوقانية ، فمعد ذلك ظهر جان بلاط من يشبك الذى
كان دوادارا كبيرا ، وظهر قرقاس من ولى الدين ، وقيت الرجبي ، وقانصوه المحمدى
المعروف بالبرجى ، وظهر قبل ذلك كرتباى الأحمر ، وأزبك اليوسفى الظاهرى ، ٦
وتانى بك الجمالى ، وغير ذلك من الأمراء ممن كان نخعنيا من حين ركب قانصوه
خمسائة وانكسر .

فلما ظهروا وطلعموا إلى القلعة قويت شوكة من كان بالقلعة وجدوا فى القتال ، ٩
ولو حطم آقبردى أول يوم ودخل إلى المدينة ، لكان ملك القلعة فى ذلك اليوم من
غير مانع له ، وكانت قلوب المسكر معمرة منه بالرعب الشديد ، ولكن استخف
آقبردى بمن كان بالقلعة ولم يعلم ما وراء ذلك ، فاشتد أمر القتال ممن كان بالقلعة ، ١٢
واستطالوا على التحاة الذين من حلف آقبردى بالنشاب والبندق الرصاص والمدافع ،
حتى أهلكوا منهم ما لا يحصى .

وكان مع آقبردى مدرسة السلطان حسن وسبيل المؤمنى وسويقة (٦٧ ب) ١٥
عبد المنعم ، وصار آقبردى معه سنجق ساطانى ، وهو يقول : الله ينصر السلطان
الملك الناصر ؛ وكرتباى الأحمر وبقية الأمراء معهم سنجق ساطانى ، وهم يقولون :
الله ينصر السلطان الملك الناصر ؛ فغار فكر الناس بين الفريقين ولا بقى يعلم هذه ١٨
الركبة على من ؟ إما على السلطان أو على الأمراء فى بعضهم ؟ واستمر الحال على ذلك
حتى كان ما سنفذ كره فى موضعه .

وأما من توفى فى هذا الشهر من الأعيان ، منهم قاضى القضاة ناصر الدين محمد ٢١
ابن الإخميمى الحنفى ، وهو محمد بن أحمد الأنصارى القاهرى الحنفى ، وكان عالما فاضلا
يقرا بالسبع روايات ، وكان ضنينا بنفسه ، وكان إمام السلطان الملك الأشرف

قايتباي ، ثم قرّره في قضاية القضاة واستمرّ بها حتى مات ، وكان موته فجأة فأخرجت جنازته ولم يشمر بها أحد من الناس بسبب تلك الفتق القائمة .

- ٣ وتوفى به أيضا القاضي أبو الفتح محمد المنوف كاتب الماليك ونائب جدّة ، وكان من أعيان المباشرين ، ورأى من المزمّ والعظمة ما لا يوصف ، وفي أواخر عمره قاسى شدائد ومحنا ، واعتراه جنون وماخولية ، واستمرّ على ذلك حتى مات . - وتوفى أيضا سيدى إبراهيم بن أبى الفضل بن أبى الوفا ، وكان شابا صالحا لا بأس به . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق بوفاة ترمبغا الترجان ، وكان لا بأس به . - وتوفى شمس الدين محمد بن الخادم الحنفى وهو محمد بن أحمد بن أيفال الحنفى ، وكان من أهل العلم والفضل ، وكان لا بأس به . ٩

وفي هذا الشهر توقّف النيل عن الزيادة في ليالى الوفاء ، وكان كل أحد في شاغل عن ذلك ، والفتق قائمة . - فلما كان يوم الاثنين ثمانى عشرين ذى الحجة ، الموافق لسابع عشرين مسرى ، فيه وفا النيل المبارك ، وفتح السدّ في الثامن والعشرين من مسرى ، وقد أبطأ عن ميجاله أياما ، فلما وفا شاوروا الأمير آقبردى عن فتح السدّ ، فبعث والى القاهرة لفتح السدّ ، فوجد الشيخ عبد القادر الدشطوطى قد فتح جانبا منه قبل مجيء الوالى ؛ ولم يتوجّه أحد ليتفرج على فتح السدّ على جارى المادة ، لكون أن القاهرة كانت في غاية الاضطراب ، من عدم الأمن وفساد الأحوال ، والناس على رءوسهم طيرة ، فكان كما يقال :

١٨ أنطلب من زمانك ذا وفاء وتنكر ذاك جهلا من بنيه

(٦٨ آ) لقد عدم الوفاء به وإنى لأعجب من وفاء النيل فيه

وقد قال القائل :

٢١ لو نطق النيل قال قولاً تشنى به غاية الشفاء

(١٠) في شاغل : من شاغل . (١٣) ميجاله ، يعنى موعده . وقد وردت هذه الكلمة

بهذا المعنى هنا فيما سبق ص ٢٨٦ س ٢١ .

قد كثر الغدر فاعذروني لما توقفت في الوفاء

فلم يقم النيل سوى أياما قلائل وأنهبط بسرعة ، وشرق غالب البلاد ، وحصل بسبب ذلك الضرر الشامل . - ولما وقعت الفتن بمصر بين الأتراك وقعت الفتن أيضا ٣ بين المربان ، وأحرقوا القمح والشمير وهو في الجرون ، ونهب عدة بلاد ، فوقع الغلاء بالديار المصرية ، [وانتهى سعر القمح] إلى ألف درهم كل أردب ، واستمر على ذلك مدة طويلة ، وكانت الأحوال في تلك الأيام في غاية الفساد ، وهذا الأمر ٦ معلوم من غير أن يُشرح .

واستمر الحرب نائرا على ما ذكرناه من القتل والنهب عمال ، والرمي بالدفاع والبنندق الرصاص والنشاب ليلا ونهارا ، إلى أن كان يوم الجمعة سادس عشرين ذي الحجة تسحب من كان عند الأمير آقبردى من المسكر جملة واحدة ، ولم يبق معه سوى مماليكه وبعض ممالك السلطان والأمراء المقدمين الذين هم من حلفه ؛ وكان الأمير جاتم الأجروود الأينالى كاشف منفلوط ، وأحد الأمراء المقدمين ، قد جرح ١٢ واختفى ومات من تملك الجرح عقيب ذلك وهو غثقى ولم يشعر به أحد ؛ ثم إن الأمير آقبردى اضطربت أحواله ، وتشتت ذلك الجم الغفير الذى كان عنده ، بعد ما أكلوا أسقطته وأخذوا أضحيته ، ونفق عليهم جامكية شهر من ماله ، فلم يرعوا له ذلك ، ١٥ ولا أثمر فيهم ما فعله بهم ، فكان كما يقال في المنى :

لقاء أكثر من يلقاك أوزار فلا تبالي أصدوا عنك أو زار
أخلاقهم حين تبلوهم أوعار وفعلهم ماثم للمرء أو عار ١٨
لهم اديك إذا جاءوك أوطار إذا قضوها تنحوا عنك أو طار

فلما كان وقت المغرب من ليلة السبت نزل كرتباى الأحمر من القلعة ، وصحبته جميع من كان بالقلعة من المالك الكبار والصغار الذين كانوا بالطباق ، وزحفوا زحفة واحدة ، ٢١

(٥) ما بين القوسين قلا عن ف . وينقص في الأصل . (١٥) شهر : في ف : شهرين .

(١٧) زار ، يعنى : زاروا . (١٩) طار ، يعنى : طاروا ،

(٢١) الذين : الذى . (٢١) واحدة : أضيف بعدها في ف : وهجموا على جماعة

آقبردى فانكسروا وفروا .

وهجموا على من بمدرسة السلطان حسن ، وأحرقوا بابها ودخلوا على من بالمدرسة
من الأمراء ، فقتلوا الأمير كرتبای ابن عمّة السلطان أمير آخور كبير ، وهرب
٢ تانى بك قرا فلم يظفروا به ، وهرب جميع من كان بمدرسة السلطان حسن من
الأمراء والماليك ، فذهبوا الجلبان ما كان (٦٨ ب) بالمدرسة [من] طستخانات
الأمراء ، ونهبوا بسط المدرسة والقناديل ، وقلموا شباييك القبة التى بالمدرسة ،
٦ وأخذوا رخامها ، وأحرقوا ربيع الأمير يشبك الدوادار المجاور للمدرسة ، وأحرقوا أيضا
بيته الذى عند القبو بسوق السلاح ، لكون أن كرتبای كان متزوجا بابنة الأمير
يشبك وهو ساكن به ، ثم توجهت طائفة من الماليك إلى سبيل المؤمنى فأحرقوه ،
٩ وأحرقوا الربوع التى تحت السور ، وأحرقوا ربيع خشكادى البيسقى التى بجوار بيته ؛
فلما دخل الليل ركب آقبردى فى نفر قليل من مماليكه وطلع إلى الرملة ، فلم يطب
طبة واستمرّ على ذلك بطول الليل .

١٢ فلما أصبح يوم السبت سابع عشرين ذى الحجة ، فيه انكسر آقبردى كسرة
مهولة . فرجع إلى داره وأخذ بركة وزردخاته والطستخانات ، وخرج من داره وعلى
رأسه صنجق ، وقدامه طبلين وزمرين ، ومماليكه حوله وهى لابسة آلة السلاح ؛
١٥ وخرج صحبته من الأمراء المقدمين . تانى بك فرا أمير مجلس ، وآقبای نائب
غزة رأس نوبة النوب ، وجانم المصبغة حاجب الحجاب ، وقن بك نائب الإسكندرية
أحد الأمراء المقدمين ، وكرتبای أخو آقبردى الدوادار أحد المقدمين ؛ ومن الأمراء
١٨ الطبلخانات والعشرات جماعة كثيرة نحو من عشرين أميرا ، فمن جلّتهم أبنال
السلحدار المعروف بالصغير أحد العشرات ؛ ومن الماليك السلطانية والسيفية نحو
من ألف مملوك .

٢١ فلما خرج من داره دخل من الدرب الذى عند حمام الفارقانى ، وخرج من

(٢) ابن عمّة السلطان : أضيف بعدها فى ف : وهو مجروح جرحا بليغا قتل منه وهو .

(٤) ما بين القوسين ينقص فى الأصل . (٩) السور : الصور .

(١٥) طبلين وزمرين : كذا فى الأصل .

الدرب الذى تجاه المدرسة الصرغتمشية ، وتوجه من هناك إلى بولاق ، وطلع من على جزيرة الفيل ، ثم خرج إلى الفضاء وقصد التوجه إلى نحو البلاد الشامية ، ودخل خانقة سرياقوس ولم يبق بها ، واستمر يجد السير حتى وصل إلى بليس ، فلم يبقه ٣ أحد من الأمراء والعسكر حتى خرج وتوجه إلى البلاد الشامية ، وجرى منه أمور يطول شرحها ، ولكن يأتي الكلام على بعضها في مواضعه .

والذى وقع لآقبردى الدوادار لم يقع لنطاش والناصرى في أيام الظاهر برقوق ، ٦ وكان مدة محاصرته للقلمة واحد وثلاثين يوما ، ولم يسمع بمثل هذه الواقعة فيما تقدم من الدول الماضية ، قال بعض المؤرخين : لم يقع بمصر من يوم فتحها وهلم جرا مثل واقعة آقبردى الدوادار ، فكانت من غرائب الوقائع ؛ وفي مدة المحاصرة ٩ (٦٩٩ آ) كانت الأسواق معطلة ، والدكاكين مغلقة ، وامتنع البيع والشراء ، ولم تظهر في تلك الأيام امرأة بالأسواق ولا بالطرقات ، وكثر القتل والنهب ، وكانت القاهرة مأبجة والناس في أمر مريب . ١٢

قيل لما طال أمر هذه الفتنة دخل على الأمير آقبردى جماعة من الفقهاء من الرفاعية والقادرية وأحمدية من الصوفية ، وقد سأله بأن يكف هذا القتال ، وأن يقع بين الطائفتين الصلح ، فأبى آقبردى من ذلك ؛ ثم نزل إليه مقيم المال كرسولا ١٥ عن لسان السلطان ، بأن يكون الصلح بينه وبين الأمراء على يد السلطان ، فأبى آقبردى من ذلك ، وكانت هذه ثالث كسرة وقعت لآقبردى ، ولكن هذه كانت آخر المهمة به من دخوله إلى مصر ، وقاسى شدائد ومحن يأتي الكلام عليها ، فهذا ما كان من آقبردى الدوادار .

وأما ما كان من أمر الأتابكي تمارز فإنه كان مقبلا بالبيت الذى بجوار بيت يشبك

(١) تجاه : يجاه .

(١٧) وكانت : أضيف بعدها في ما يأتي : وكان دمنكو قد فرغ مكحلة وركبها ورمى بها أول حجر فكسر باب السلسلة ، فاضطرب من بالقلمة وهجموا على المكحلة ودقوا فيها مسامرا وكانت معيبة ، فلما خرخوا منافضها وشت النار خرج الحجر على حين غفلة ، وانكسر آقبردى .

الدوا دار عند المدرسة البندقارية ، وكان موعكا في جسده فلم يشعر بكسرة
آقبردى ، فلما أراد آقبردى أن يفر أرسل خلف الأتابكى تراز وأعلمه بما جرى ،
وقصد يأخذه معه ، فأبطأ عليه ، وخشى آقبردى من الممالك الجلبان أن يهجموا
عليه ويقتلوه ، فأسرع في الخروج من داره وترك الأتابكى تراز في البيت ومضى .

ثم إن الأتابكى تراز لبس قاشه وركب وخرج من البيت الذى كان به ، فلما وصل
إلى بيت تانى بك قرا لاقاه جماعة من الممالك الجلبان ، فقبضوا عليه وقصدوا قتله ،
فأدخلوه إلى بيت تانى بك قرا ، ثم بدا لهم أن يطلعوا به إلى القلعة ، فلما خرجوا به
من بيت تانى بك قرا ومشى إلى رأس الصليبية عند السكاكينيين ، لاقاه طائفة من
الممالك الجلبان غير هؤلاء ، فتنطروه من على فرسه ، فوقع إلى الأرض ، فطلعوا به على
دكان لبعض السيوفية الذى هناك ، فنزعوا أثوابه من عليه وحزوا رأسه على الدكان
بالسيف فلم تنقطع ، فكسروها حتى تخلصت عن جثته .

وكان الذى قتله شخص من الممالك ، ويقال إن الذى قتل الأتابكى تراز كان
أصله من ممالك الأشراف قايتباى ، يقال له برد بك عجوز ، وهو من أراذل الممالك
القايتبيهية ، وما زالت الأيام تبدى المجائب ، يسمى برد بك الأشقر ، ثم أخذ رأسه
ولفها في فوطة وطلع بها إلى القلعة ، (٦٩ ب) فلما عرضت على الملك الناصر شق
عليه ذلك ، لكونه كان قرابة أبيه الأشراف قايتباى ، ثم إن بعض جماعة الأتابكى
تمراز أحضر له نعشا وأخذ فيه جثته وتوجه بها إلى مكان بالقرب من بيت تغرى بردى
الأستاد ففسلوه هناك .

ثم إن السلطان أرسل رأس الأتابكى تراز ، وأرسل معها نويين بعلبكي وثلاثين
دينارا ، فخيطوا رأسه على جثته وغسلوه ؛ ثم أحضروا جثة كرتباى ابن عم السلطان
الذى قتل في مدرسة السلطان حسن ، ففسلوه أيضا مع الأتابكى تراز وأخرجوها في
يوم واحد ، فصلوا عليهما في مصلة باب الوزير ، ثم توجهوا بهما إلى تربة الأشراف

(٩) الجلبان : أضاف بعدها في ف : الفواقة ، أى الذين « فوق » في القلعة .

(٢٢) مصلة ، يعنى مصلى .

مايتباى، فدفن الأتابكي تمتاز على الأشرف داخل القبة ، ودفن كرتباى ابن عمه السلطان على جانم قريب السلطان ، الذى كان ناظر الجوالى مقدم ألف .

- وكان الأتابكي تمتاز أميراً جليلاً معظماً ، دينا خيرا كثير البرّ والصدقات ، محببا للناس ، جميل الهيئة ، وله آثار ومعروف ، ولا سيما ما فعله فى الجسور التى صنعها بالفرية وهو كاشف التراب بالفرية ، وهى باقية إلى الآن ، وحصل بها غاية النفع للمسلمين ، وكان أصل الأتابكي تمتاز من ممالك الأشرف برسباى ، وأعتقه وأخرج له خيلا وقناشا ، وصار من جملة الجدارية ، ثم بقى خاصكيا ساقى فى دولة الأشرف أبنال ، ثم أنعم عليه بأمرة المشرة وصار عنده من القرّيين ، ثم بقى إلى دمياط فى دولة الظاهر خشقدم ، ثم حضر إلى القاهرة فى دولة الظاهر تمر بنا ، ثم ظهر أنه ابن أخت الأشرف قايتباى ، فلما تسلطن جعله مقدم ألف ، ثم بقى رأس نوبة النوب ، ثم بقى أمير سلاح ، ثم بقى أتابك المسكر ، عوضا عن أزبك من ططخ لما بقى إلى مكة كما تقدّم ، ولما مات رثيته بهذه الأبيات ، وهو قولى مع التضمين :

- أرغمت يا دهر أنوف الورى بقتل تمتاز ويتم العباد
أتابك المسكر ذا رافة بالوجود قد شاع لأقصى البلاد
أخطأت يا قاتله كيف قد قتلت من يجمع أهل العناد
مصيبة جلت فن أجلها قد أطلقت فى كل قلب زناد
لكن فى قتله أسوة إلى الحسين بن على الجواد
مذأودعوه الرمس ما أنصفوا بل كان يحى فى صميم الفؤاد
فأله بأجره على ما جرى من قتله بالغو يوم المعاد

- (٧٠ آ) ومات الأتابكي تمتاز وهو عشر الثمانين ، وكان لئن الجانب ، قليل الأذى ، واسطة خير ، وما كان يظن كل أحد أن السلطنة تفوته ، وقد ترشح أمره إليها غير ما مرّة ، وكان إذا سأله أحد فى حاجة يقول له : اصبر علينا حتى يحىء وقته ، وكان مقطّما بالسلطنة تخافت فيه الظنون ، وجاء الأمر بخلاف ما أمّله أن يكون ،

فكان كما يقال :

- وقائل لي لما أن رأى قلقي من انتظاري لآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم محمودة قلت أخشى أن تخزينا ٣
- ثم جاءت الأخبار بأن آقبردى لما مرّ من على بلاد الشرقية كادت طائفة عربان
بنى حرام أن تقطعه ، فرجموه حتى جاءت رجمة فى وجهه ، وسبّوه سبّا قبيحا ، وفعلوا
به مثل ذلك فى عدة أماكن ، وما خلص منهم إلا بعد جهد كبير ، وسبب ذلك أنه سلّط ٦
عليهم بنى وائل قتلوا منهم فى مدّة المعركة ما لا يحصى ، فلما انكسر و مرّ من عليهم
انتقموا منه وجرى عليه منهم ما لا خير فيه .
- فلما هرب آقبردى وقتل تمرّاز ، اضطربت الأحوال وتزايدت الأهوال ، ونزلوا
الماليك الجلبان من الطباقي ، وعظمطوا فى المدينة ، وصاروا يدخلون الحارات وينهبون
البيوت ، حتى نهبوا الربوع التى هى سكن العوام ؛ ثم توجهوا إلى حارة زويلة ونهبوا ١٢
كل ما فيها ، بسبب أن كان لآقبردى حصلا هناك فيه مال ، فنهبوا كل ما كان فيه ، حتى
قيل كان فيه ما يزيد على مائة ألف دينار ، غير الخيام والقماش التى كانت هناك ، ونهبوا
بيوت اليهود التى حوله ، ودخلوا الزعر والمبيد ونهبوا القبة التى فى مدرسة السلطان
حسن ، وأخذوا الرخام التى بها ، والشبابيك النحاس التى بها والأبواب ، ومن يومئذ ١٥
تلاشى حال المدرسة إلى الآن ، واستمر النهب والقتل عمّالا ثلاثة أيام متوالية ، ولم
يجدوا من يرّدهم عن ذلك ، والمدينة مأبجة ، وكل من ظفروا به من جماعة آقبردى
يقتلونه أشرف قتلة ؛ ثم إن كرتباى الأحمر قبض على المعلم دمنيكو الذى سبك المسكحلة ١٨
لآقبردى ، فقطع رأسه وعلقها على باب السلسلة ، فكان كما قيل فى الأمثال : وربما
عوقب من لا جنى .
- وقد خرجت هذه السنة على ما شرح فيها من الفتن والأنسكاد ، والفساد وخراب ٢١
البلاد ، ووقع فيها الغلاء ، (٧٠ ب) وتشحّطت الغلال ، وقُتل فيها من الأمراء نحو
من حسين أميرا ، ما بين مقدّمين ألوف وطبلخانات وعشرات ، وقد تقدّم ذكر

ذلك عند وقوع كل حادثة ، من أوائل هذه السنة إلى أواخرها ، حسبما أوردناه من
من الوقائع ، وقُتل من الجند والعرب نحو ألف إنسان ، فلا حول ولا قوة إلا بالله
المولى العظيم ، وما حصل على العسكر بعد وفاة الأشرف قايتباي خير ، وجاءت الأمور
بضد ما أملوه من بعده ، فكان كما يقال في المعنى :

يسمى ابن آدم في قضى أوطاره والموت يتبعه على آثاره
يا هو وكف الموت في أطواقه كالكبش يلعب في يد جزاره
يسمى وقد أمن الحوادث ليله فلربما تطرقه في أسحاره
من راد يعلم كيف تصبح داره من بعده فليعتبر بجواره
انتهى ما أوردناه من أخبار سنة اثنتين وتسعمائة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة

فيها في المحرم كان مستهل الشهر يوم الثلاثاء ، ووافق ذلك يوم النوروز للقبط ،
بموجب تحويل السنة القبطية إلى السنة العربية ؛ فصعد القضاة إلى القلعة للتهنئة بالشهر ،
وبهذه النصرة التي وقعت للسلطان ؛ فلم يحضر الخليفة في ذلك اليوم بسبب أنه كان
متوقفا في جسده ، وهو مقيم بالقلعة ، فنزل إلى داره في محفة ، وكان ذلك ابتداء
ضعف الموت به .

وفي ذلك اليوم أخلع السلطان على الشيخ برهان الدين بن الكركي الإمام وقرّره
في قضاء الحنفية ، عوضا عن ناصر الدين بن الإخميمي بحكم وفاته ، وهذه أرل ولاية
ابن الكركي ؛ وأخلع على الشيخ سري الدين عبد البر بن الشحنة وقرّره في مشيخة
المدرسة الأشرفية ، عوضا عن البرهان بن الكركي ، فلم يبق بها عبد البر غير ثلاثة أيام
وأعيد إليها ابن الكركي ، مضافا لما بيده من قضاء الحنفية .

وفيه تخوف السلطان على نفسه من الأمراء ، فأحضر لهم المصحف العثماني ،
وحلف عليه الأمراء الذين هم من حلف قانصوه خمسمائة بأنهم لا يخونونه قط ولا
يفدرونه ولا يركبون عليه ، وهذا رابع عين حلفه السلطان للأمراء على المصحف

العثماني ، وكل أيمانهم كانت كاذبة .. ثم إن السلطان عمل الوكب وأخلع على جماعة من الأمراء ، منهم المقر السيفي قانصوه خاله وقرره في الدوادارية الكبرى ، عوضا عن آقبردى بحكم اختفائه ؛ وأخلع على كرتباى الأحمر وقرره في أمرة (٧١ آ) السلاح ، عوضا عن آقبردى أيضا ؛ وأخلع على جان بلاط من يشبك وقرره في نيابة حلب ، وخرج إليها عن قريب .

٦ وفيه وصل مبشر الحاج ، وهو شخص من العرب ، وقد تأخر عن عادته ستة أيام انفساد طريق الحجاز .. وفيه توفى الزينى قاسم بن قاسم المالكى أحد نواب الحكم ، وكان عالما فاضلا مقتيا لا بأس به . - وفيه قرّر كشيغا الشريفي في نيابة الإسكندرية ، عوضا عن أسنباى . - وفيه عين السلطان خير بك أخو قانصوه البرجى ، بأن يتوجه قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم . - وفيه قرر عبد القادر بن النقيب في مشيخة خانقاة سميد السعداء ، وكانت عُيِّنَت للمسلمى ولم يتم ذلك . - وفيه توفى الشيخ بدر الدين محمد الوفاى ، وكان لا بأس به .

١٢ وفيه أخلع على طراباى الشريفي وقرّر أمير آخورثانى ، وهذه أول وظائفه ؛ وأخلع على دولات باى الأجروود وقرّر في ولاية الشرطة . - وفيه وقع الاتفاق من الأمراء على عود الأتابكي أزبك وحضوره بالقاهرة من مكة ليلى الأتابكية ، عوضا عن تميز الشمسى ، فكتبت له المراسيم بالحضور ، وتوجه بها طراباى الشريفي الذى قرر أمير آخورثانى ، فخرج على الفور بسبب ذلك . - وفيه أخلع على قانى باى قرا الرماح وقرّر أمير آخور كبير ، عوضا عن كرتباى ابن عمّة السلطان ، الذى قُتِلَ بمدرسة السلطان حسن في واقعة آقبردى ، وأخلع على قانصوه الحمدي المعروف بالبرجى وقرّر في أمرة مجلس ، عوضا عن تانى بك قرا الأينالى بحكم اختفائه .

٢١ وفيه أخلع على قيمت الرجبي وقرر حاجب الحجاب ، عوضا عن جانم المصنفة بحكم اختفائه مع الأمير آقبردى ؛ وأخلع على طومان باى وقرر في الدوادارية الثانية

(٢١) قيمت الرجبي : كذا في الأصل ، وهو الصحيح أما في ف فيقول : قانصوه الحمدي ، وهذا قرر في أمرة مجلس .

عوضا عن سيباى نائب سيس ، بحكم أنه قرّر في مقدمة ألف ، وهي مقدمة جانم الأجرود الأيتالى كاشف منفلوط ، بحكم أنه جرح في واقعة آقبردى ومات عقيب ذلك ؛ وأخلع على أزدمر من على ماى وقرّر في شادية الشراىجناه ، عوضا عن قانصوه ٣ خال السلطان ، بحكم انتقاله إلى الدوادارية الكبرى ؛ وقرّر تمر في الزردكاشية الكبرى ، عوضا عن قايت أخو الأشرف قايتباى ؛ وقرّر بپرس في نيابة القلعة ، عوضا عن قايت عمّ الملك الناصر ، فعزل من الزردكاشية ونيابة القلعة ، وقد نسب إلى الليل (٧١ ب) ٦ مع عصابة آقبردى الدوادار .

وفيه أخلع على أربك اليوسفى المعروف بالخازندار وقرّر مقدم ألف مشير الملكة ، وقرّر قانصوه كُرت في الخازندارية الكبرى . - وفيه دخل الحاج إلى القاهرة ، بعد ٩ ما قبض على أمير الحاج مصرباى في مجرود وتوجّهوا به من هناك إلى السجن بالإسكندرية فسجن بها . - وفيه جاءت الأخبار بأن آقبردى الدوادار ، لما خرج من مصر بعد فراره ، استولى على غزّة وملسكها ، فاتفق رأى الأمراء على خروج تجريدة إليه . - ١٢ وفيه أخلع على جان بلاط الفورى وقرّر في الرأس نوبة الكبرى ، عوضا عن آقباى نائب غزّة ، بحكم فراره مع آقبردى ، وقرّر أربك قفص في الرأس نوبة الثانية . وفيه أشيع بين الناس أن الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز قد اشتدّ به المرض ١٥ وأشرف على الموت ، وقد عهد بالخلافة إلى ولده الشرقى يعقوب ، وحكم بذلك قاضى القضاة المالكي عبد الغنى بن تقى ، ونفذه على بقية القضاة ، وعهد بالخلافة أيضا لولده محمد من بعد أبيه يعقوب ؛ فلما بلغ ذلك ابن عمّه خليل ، اضطربت أحواله ، وضاعت ١٨ عليه الدنيا بما رحبت ، وكان منتظرا للخلافة بعد عمّه عبدالعزيز ، فلم ينله من ذلك شيء ، وفاته المطلوب ، فقدح في الشرقى يعقوب من نار قلبه بكلمات قبيحة ، فلم يفده من ذلك شيء ولا التفت إليه أحد من القضاة ، بل ولا السلطان ، وولى الخلافة يعقوب على ٢١ رغم أنف خليل ، كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه عن قريب ، وقد قلت في هذه الواقعة مع التضمين :

٢٤ قالت المليا لن حاولها سبق المولى وقد حلّ عُراها

فدعوا الحاسد فيها إنها حاجة في نفس يعقوب قضائها

- ٣ فلما كان يوم الخميس سابع المحرم من سنة ثلاث وتسعمائة ، فيه كانت وفاة أمير المؤمنين أبو العز عبد العزيز ، وهو عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله ، ولم يل والده يعقوب الخلافة بل جده محمد المتوكل ؛ وكان الخليفة عبد العزيز رئيسا حشما ، ذا شهامة ، جميل الهيئة ، كفوا للخلافة ، وافر العقل ، سديد الرأي ، وله اشتغال بالعلم ، وخطّ جيد مع حسن عبارة ، (٧٢ آ) وكان عنده لين جانب ، واتضاع ، كثير العشرة للناس ، وتوفى وله من العمر نحو من أربع وثمانين سنة ، ومولده بعد السابع عشر والثمانمائة ؛ وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وأياما ، وحضر مبايعة الملك الناصر محمد بن قايטباي ، ومبايعة قانصوه خمسمائة ، وكان من خيار بني العباس ، وكانت له جنازة حافلة ، ونزل الملك الناصر وصلى عليه بسبيل المؤمني ، ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، داخل القبة التي تدفن فيها الخلفاء ، ولما مات تولى الخلافة بعده ابنه يعقوب .

ذكر خلافة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب ابن

عبد العزيز بن يعقوب بن محمد المتوكل على الله

- ١٥ وهو الرابع والخمسون من خلفاء بني العباس في العدد ، وهو الخامس عشر من خلفاء بني العباس بمصر ، فهو من خلاصة بني العباس ، لسكونه هاشمي الأبوين ؛ ولم يل الخلافة من هو هاشمي الأبوين غير أربعة من بني هاشم ، وهم : الإمام علي كرم الله وجهه ، كانت أمه هاشمية تسمى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، ثم ابنه الحسن رضي الله عنه ، وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم محمد الأمين ابن زبيدة ، وكانت أمه هاشمية ، ثم يعقوب بن عبد العزيز وأمّه هاشمية تسمى آمنة بنت أمير المؤمنين المستسكى بالله أبي الربيع سليمان ، فهذه الأربعة هاشميين الأبوين ، وما عدا ذلك فإن غالب الخلفاء كانوا من سراري مولدات وحش وغير ذلك .

وكانت صفة ولاية الشرفى يعقوب أن لما كان يوم السبت ثالث صفر بعث الملك
الناصر خلف الشرفى يعقوب ، فحضر وحضر ابن عمه خليل ، فمرض المهد المقدم
ذكره على السلطان ، فشرع خليل يتكلم فى حق الشرفى يعقوب بكلمات فاحشة ،
منها أنه قال : هذا قليل النظر ولا تصح ولايته ؛ فلم يلتفت السلطان إلى كلام خليل ،
وقال : هذا أبوه كان خليفة ؟ فقيل له : لا ؛ فقال : ما بلى الخلافة إلا من كان أبوه
خليفة ؛ وشرع كرتباى الأحمر رَأَى بك اليوسفى مشير المملكة وتغرى بردى الأستاذار
يساعدون الشرفى يعقوب ، فترشح أمره بأن بلى الخلافة ، وفى الحقيقة لم يكن يومئذ
من بنى العباس من يصلح للخلافة غير الشرفى (٧٢ ب) يعقوب ، فى الدين والخير
والصلاح ، فاتفق رأى الأمراء على ولايته ، ونزل خليل من القلعة بخفى حنين .
فلما حضر القضاة وتكامل المجلس لم يحتج إلى مبايعة ثانية ، لأنه استقرت فى
الخلافة بمهد من أبيه له عند موته ، فاستكنى القاضى الشافعى بذلك ؛ ثم أحضر إليه
شمار الخلافة فأفيض عليه ، وتلقب بالتمسك بالله أبى الصبر ، وعدّ لقبه هذا من
النوادر ؛ وقيل إن الشيخ جلال الدين السيوطى هو الذى كنىه بهذا اللقب ،
ومن الغرائب أن لم يلب الخلافة من بنى العباس ولا من بنى أمية من اسمه يعقوب
سواه ؛ فلما تمت بيعته أحضر إليه التشريف فأفيض عليه ، فصار فى غاية الأبهة
والوقار ، وفى الحقيقة أنه من عباد الله الصالحين ، لم يعهد له صبوة من منذ نشأ
وإلى الآن رضى الله عنه ، وفيه أقول مضمنا :

يا أمير المؤمنين أقبل ولا تترجى غير الذى قد شرفك
لو أتى العباس أضحى قائلاً يرحم الله الذى قد خلّفك

وكان له من العمر لما ولى الخلافة نحو من خمسين سنة وقد وكره الشيب ، فنزل
من القلعة فى موكب حافل ، حتى وصل إلى داره ، واستمرّ فى هذه الولاية مدّة طويلة
حتى كان من أمره ما سنفذ ذكره فى موضعه .

وفى ربيع الأول أخلع على قانصوه خال السلطان وقرّر فى الوزارة والأستادارية،

عوضاً عن كرتباى الأحمر ، بحكم استغفائه من ذلك . - وفيه جاءت الأخبار من مكة ب وفاة السيد الشريف الحبيب النسيب محمد بن بركات أمير مكة ، وكان رئيساً حشماً في سعة من المال ، كفوا لأمره مكة ، وكان لابأس به . - وفيه جاءت الأخبار ب وفاة أبنال باى الإبراهيمى نائب طرابلس ، وكان من حلف آقبردى الدوادار .

وجاءت الأخبار ب وفاة كرتباى أخو آقبردى الدوادار ، الذى كان نائب صفد ، ثم بقى مقدّم ألف بمصر ، وفتر مع أخيه آقبردى فأت فى أثناء الطريق ودفن هناك . - وفيه أخلع على تفرى بردى القادرى وقرر فى الأستاذارية نائباً عن قانصوه خال السلطان . - وفيه فى أوائل بابه أمطرت السماء مطراً مهولاً ، حتى وقع منه عدة أماكن ، وخسف غالب القبور التى بالقرافة والصحراء ، وكان من نوادر الوفاة .

وفيه أخلع السلطان على كرتباى (٧٣ آ) الأحمر وقرّره فى نيابة الشام ، عوضاً عن قانصوه اليحياوى ، بحكم موته ، وكان كرتباى الأحمر هو الساعى فى ذلك ، خوفاً على نفسه من الملك الناصر أن لا يسلط عليه المهاليك الجلبان بقتله ، وقد تمّ بذلك غير مامرة ، لأجل أن كرتباى كان يحجّر على الملك الناصر ويعنّيه عن هذه الأفعال الشنيعة ، فكرهه بسبب ذلك وقصد قتله ، حتى قيل إنه ذبح السلطان يوماً كبشا بيده ، وقال : هكذا أفعل بكرتباى الأحمر عن قريب ، فلما خرج كرتباى الأحمر من القاهرة كان له يوم مشهود ، وطلب طلباً حافلاً .

وفيه عين السلطان تجريدة بسبب آقبردى الدوادار ، فإنه لما انكسر وخرج من مصر فاراً حاصراً الشام وقصد يملكها فاقدر على ذلك ، فهب الضياع التى حول دمشق وأخرب غالبها ، وفعل مثل ذلك بضياع حلب ، فوقع الاتفاق من الأمراء على خروج تجريدة له ، فنفق السلطان على العسكر المعين لها ، وبث نفقة الأمراء الذين تعينوا للخروج إلى التجريدة ، وهم : قانصوه البرجى أمير مجلس ، وقيت الرجبي حاجب الحجاب ، وقانصوه الغورى أحد المقدمين ، وهو الذى تسلطن فيها بعد ، وأصطط من ولى الدين أحد المقدمين ، وقصروه أحد المقدمين ، ومن الأمراء الطبلخانات

والعشرات عدة وافرة .

- ثم جاءت الأخبار بأن آقبردى بعد أن حاصر الشام نحوًا من شهر فلم يقدر عليها،
 وحاربوه الأمراء الذين بالشام ورموا عليه بالدافع ، ففرّ إلى حلب وحاصرها نحوًا من ٣
 شهرين ، وكان أينال السلحدار يومئذ نائب حلب ، وكان من عصبة آقبردى فقصده
 أن يسلمه مدينة حلب ، فرجوه أهل المدينة وطرده منها ، وحصنوا المدينة بالدافع على
 الأسوار ، فعند ذلك فرّ آقبردى ومن كان معه من الأمراء والمسكر ، وخرج أينال ٦
 نائب حلب معهم ، ففرّوا أجمعين وتوجهوا إلى على دولات فالتجأوا إليه ، فلما بلغ
 الأمراء ذلك اضطربت أحوالهم وضربوا في ذلك مشورة ، فوقع الاتفاق على أن يولوا
 جان بلاط من يشبك الذى كان دوادارا كبيرا نيابة حلب ، عوضا عن أينال الذى كان ٩
 بها ، بحكم قراره مع آقبردى .

- ولما تولى كرتباى الأحمر نيابة الشام وخرج إليها ، أخلع السلطان على محمد بن العظمة
 وأعادته إلى نظر الأوقاف ، وكان الساعى له عبد القادر بوتاب الدهيشة ، فكثر عليه ١٢
 الداء من الناس بسببه . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، وكان حافلا . - وفيه
 أخلع السلطان على جانبلاط (٧٣ ب) الموتر أحد العشرات ، وقرره في الحسبة ، عوضا
 عن تانى بك من حديد بحكم موته . - وفي تلك الأيام اشتدّ الفلاء وانتهى سعر القمح ١٥
 إلى ثلاثة أشرقية كل أردب .

- وفيه كان دخول الأتابكى أزبك إلى القاهرة ، وقد حضر من مكة ، فلما حضر
 أخلع عليه وأعادته إلى الأتابكية ، عوضا عن تراز الشمسى ، بحكم قتله كما تقدم ، ١٨
 وكان دخول الأتابكى أزبك في يوم الخميس ثامن عشرين هذا الشهر ، وكان مدة
 غيبته في مكة سنتين وثلاثة أشهر وأيام . - وفيه هجم المنسر على سوق تحت الربيع
 وسوق الحاجب وفتحوا عدة دكاكين ، فلما بلغ الوالى ذلك ركب وتحارب مع ٢١
 المنسر ، وقتل من أعوانه جماعة ، ولم يبلغ من المنسر أربا وراحت على التجار أموالها .

(٣) الذين : الذى . (٣) حلب : أضيف بعدها في ف : فلما توجه إلى حماة حاصرها
 وأخذ منها أموالا لها سورة ، فلما وصل إلى حلب . (٧) فالتجأوا : فالتجوا .

وفى ربيع الآخر فى يوم الثلاثاء رابعه كان خروج الأمراء الذين تميّنوا
 للتجريدة ، فكان لهم يوم مشهود ، حتى رجّت لهم القاهرة ، وقد تقدّمهم كرتباى
 الأحمر الذى تقرر فى نيابة الشام ، وجانبلاط من يشبك الذى تقرر فى نيابة حلب ،
 فاستمرت الأطلاب تنسحب إلى قريب الظهر ، والمسكر خارجا أفواجا أفواجا . -
 وفيه ظهر تانى بك الجمالى ، وكان مخفيا من حين ركب قانصوه خمسمائة وانكسر ،
 فلما ظهر أخلع عليه السلطان وأعاده إلى أمرة السلاح ، عوضا عن كرتباى الأحمر
 بحكم انتقاله إلى نيابة الشام .

وفيه أعيدت مشيخة المدرسة الأشرفية إلى برهان الدين بن الكركى ، وانفصل
 عنها عبد البر بن الشحنة . - وفيه نزل السلطان وتوجّه إلى قبة يشبك التى بالمطرية
 وبات بها ، فلما أصبح شقّ من القاهرة فى موكب حافل ، وصحبته قانصوه خاله
 وبعض الأمراء ، وجعل قدّامه طبلين وزمرين ، وعبيد سود ترمى بالنفوط قدّامه على
 هيئة الكشف ، وقد بهدل حرمة الملكة ولم يقع من أبناء الملوك من السواقط
 ما وقع من الناصر هذا ، كما يأتى الكلام عليها فى موضعه .

وفى هذا الشهر حضر الشهاب الشيشينى من مكة ، وقد أرسل إليه مرسوم من
 السلطان بالحضور ليلى قضاء الحنابلة ، فلما حضر أخلع عليه وقرّر فى قضاء الحنابلة
 بمصر ، عوضا عن بدر الدين السمدى بحكم وفاته . - وفيه نادى والى القاهرة عن
 نسان السلطان بأن أهل الأسواق والحارات يعملون عليهم دروبا (٧٤ آ) فامتلوا
 ذلك وبنيت بالقاهرة دروب ، منها على سوق تحت الربيع وسوق أحمد بن طولون
 وسوق أمير جيوش ، وغير ذلك من الأسواق والحارات ، وكان الناصر قد
 كثرت فى تلك الأيام جدا ، وصاروا يهجمون على الأسواق والحارات ويمطمطون بها .
 ومن الحوادث الشنيعة أن السلطان نادى فى القاهرة بأن الأمراء المخفّيين الذين
 هم من عصبة آقبردى الدوادار يظهرون وعليهم أمان الله تعالى ، وأشيع أن آقبردى

(١) الدين : الذى . (١١) طبلين وزمرين : كذا فى الأصل .

(٢٢) يظهرون : يظهروا .

قد ظهر وهو عند السلطان بالقلمة ، فعند ذلك ظهر برد بك المعروف بنائب جدّة ،
الذى كان من جملة المقدمين ، وظهر أيضا برد بك الحمدي الأينالى ، وأبو يزيد الصغير ،
وبرسبای السليحدار ، وبرقوق المحتسب ، وشاد بك ، وبيرس ، وقانصوه الفاجر ،
وكرتباى الكاشف ، وخاير بك الكاشف ، وقانصوه الساقى ، ودولات باى من غيبى ،
وآخرين من الخاصكية .

وكان قبل ذلك رسم السلطان بالإفراج عن مصر باى ، وكان فى السجن بشفر
الإسكندرية ، فحضر وحضر أيضا قانبك أبو شامة ، وتانى بك الحمدي الأينالى ،
وجانى باى ، وكانوا هؤلاء فى السجن من حين ركب آقبردى الدوادار وانكسر ،
فلما ظهوروا هؤلاء كثر القتل والقتيل فى سبب ظهورهم ، ثم إن السلطان صرّح فى قوله :
أنا ما رسمت بإخراجهم إلا لأصلح بينهم وبين الطائفة التى من عصبة قانصوه خمسمائة .
فلما ظهوروا وطلعوا إلى القلمة باتوا تلك الليلة بالقلمة ، فقرأ السلطان ختمة ومدّة
أسمطة حافلة ؛ فلما صلتى العشاء أحضر عدّة خلع ، فأخاع على مصر باى وعيّنه أمير
آخور كبير ، وأخلع على أبى يزيد الصغير وعيّنه دوادار ثانى ، وأخلع على قانبك
أبو شامة وعيّنه نائب القلمة ، وأقرّ على آخرين منهم فى تقادم ألوف ، وآخرين فى
أمریات طبلخانات ، وآخرين فى أمریات عشرات ، وكل هذا خفة وطيش وصيّنة
من الملك الناصر ، وقد طاش إلى الناية لما خرج كرتباى الأحمر إلى الشام ، وكان
يظن أن ما بقى على يده يد ، وكل هذا عقل الصغار ، فكان كما قال الممار :

١٨ ذى دولة حواضر تسويقة معتبر خلیلى وشامى والخيار مقبر
فلما جرى ذلك تحت الليل بلغ الأمراء الذين من عصبة قانصوه خمسمائة (٧٤ ب)
ما وقع من السلطان تلك الليلة ، فلما طلع النهار لبسوا لامة الحرب وصعدوا إلى
القلمة ، فوثبوا على بعضهم بها ، وكانت فتنة مهولة ، فقتلوا الأمير أبى يزيد الصغير ،
والأمير سيبای الأشقر ، وهرب الأمير مصر باى ، وقانبك أبو شامة ، واتسعت الفتنة ،

(١٨) حواضر : فى ف : خواطر . (١٩) الذين : الذى .

(٢٢) وقانبك : فى ف : وقتل قنبك .

وقتل في هذه المركة جماعة من الخاصكية ، وقد هتموا بقتل السلطان لولا أنه اختفى ، ثم نزلوا بجثة أبي يزيد على حمار ، وتوجهوا بها إلى داره لينسلوه ويدفنوه .

٣ ثم نزل جماعة من المالكين ونهبوا بعض أما كن الأمراء الذين من حلف آقبردى ، ونهبوا بيت الناصرى محمد بن خاص بك ، كونه كان صهر آقبردى الدوادار ؛ فلما بلغ الأتابكي أربك ما جرى طلع إلى القلعة ، واجتمع بالسلطان ولامه على هذه الأفعال الشنيعة التى بتصدر منه ، فلم يلتفت إلى كلامه ، ثم نزل الأتابكي أربك إلى داره ، وقد خمدت هذه الفتنة قليلا ، وكان ذلك يوم الخميس حادى عشرين ربيع الآخر .

٩ وفى جمادى الأولى وقع من الملك الناصر غاية القبح فى حق الأمراء القدامى ، بأشياء ما سبقه إليها أحد من السلاطين ، وهو أنه أضاف لكل أمير مقدّم ثلاثين مملوكا من المالكين الأجلاب ، يأخذون من إقطاعه فى كل سنة عشرة آلاف درهم لكل مملوك ، وأضاف إلى أمير كبير أربك أربعين مملوكا ، كل مملوك يأخذ من إقطاعه فى كل سنة عشرة آلاف درهم ، وأضاف لكل أمير طبليخانات عشرة من المالكين يأخذون من إقطاعه على حكم ما تقدّم ، وأضاف لكل أمير عشرة خمسة من المالكين ، على حكم ما شرح من ذلك ؛ فحصل من المالكين فى حق الأمراء ما لا خير فيه ، وصاروا يدخلون بيوت الأمراء وهم راكبون ، ويشوشون على مباشرينهم بالضرب والسب ، حتى يأخذوا منهم ما قرر لهم ، فأضرّ ذلك بحال الأمراء وما طاقوا ذلك ، ولكن لم يخرج من أيديهم شيء بسبب اضطراب الأحوال فى تلك الأيام ، فكان كما يقال :

اجضع لقرء السوء فى زمانه وداره ما دام فى سلطانه

٢١ وفيه أمر السلطان بهدم كنيسة لليهود فى دموة ، فتوجه إلى هناك بنفسه

(٣) الذين : الذى . (٦) بتصدر : كذا فى الأصل .

(١٦) مباشرينهم : كذا فى الأصل . (١٧) يأخذوا : يأخذون .

- وهدمها بحضرته ، ثم عاد إلى القلعة . - وفيه تزوج الأمير طومان باى (٧٥ آ)
الدوادار الثانى ، بابنة الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، فكان لها مهم
حافل . - وفي هذا الشهر كانت وفاة شيخنا علامة العصر الشيخ شمس الدين محمد بن ٣
أبى بكر بن حسن بن عمران بن نجيب ، المعروف بالقادري ، وكان شاعر العصر على
الإطلاق بمد الشهاب النصورى ، وكان مولده بعد الثلاث والثلاثين والمئاة ، وكان
شاعرا ماهرا وله شعر جيد ، فمن ذلك قوله فى ميقاتى ، وقد أجاد : ٦
فى صنعة الميقات بدر نجمه بالسعد يخدمه مدى الساعات
حجّت عيون الناس كعبة حسنه وقضت مناسكها من الميقات
وقوله أيضا فى فرس محجل الثلاثة مُطلق اليمين : ٩
وطرف زانه التحجيل يحكى لمن يحكيه بالسحر المبين
جوادا رام أن يخفى نوالا فأسبل كنه فوق اليمين
وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن قد وقع بين السيد الشريف بركات ، وبين ابن ١٢
أخيه هزاع فتنة كبيرة ، وكادت أن تخرب فيها مكة . - وفيه توفى إمام السكالمية
وابن إمامها ، وكان من عباد الله الصالحين ، دينا خيرا لا بأس به .
وفى جمادى الآخرة وقعت الوحشة بين السلطان وبين الأمراء ، بل وبين خاله ١٥
قانسوه ، بسبب ما تقدم من تلك الفتنة التى وقعت من حلف آقبردى الدوادار ، وقد
نسب فيها السلطان إلى غرض . - وفيه قرّر يحيى بن سبع فى أمرة الينبع ، عوضا
عن دراج بحكم صرفه عنها . - وفيه جاءت الأخبار بقتل الطواشى لؤلؤ الرومى رأس ١٨
السقاة ، وكان قد خرج إلى الوجه القبلى فى بمض أشغال السلطان ، ليتوجه إلى مكة
من هناك ، وكان صحبته السيجينى المرافع ، فقتل مع لؤلؤ أيضا . - وفيه نزل السلطان
وبات فى تربة أبيه ، وحصل منه تلك الليلة عدة مساوى لا ينبغى شرحها . - ٢١
وفيه جاءت الأخبار بوصول الطاعون إلى قطيا وقد فشا بها ، وهو زاحف نحو الديار
المصرية .
وفيه نادى السلطان فى مصر والقاهرة بأن تعلق على الحوانيت قناديل ، ٢٤

وكذلك البيوت المطلّة على الشوارع ، وصار يركب هو بنفسه في كل ليلة بعد
العشاء ، وقدّامه فانوسين أكرّة وأربع مشاعل ، ومعه أولاد (٧٥ ب) عمّة قيت :
٣ جانيه وأخوه جاني بك ، وقدّامه عدّة عبيد سود ، ومعهم مكاحل نطق ، فكان إذا
طاف بالقاهرة من بعد العشاء ، ورأى أحدا يمشي في الشوارع يقطع أذنيه مع أنفه ،
وشيء يضربه بالمقارع ، وشيء يوسّطه ، فقتل من الناس ما لا يحصى في مدّة يسيرة ،
٦ وكان إذا مرّ بدكان ولم يرَ عليها قنديلا ، يسمّر الدكان وهو واقف بنفسه عليها حتى
تُسَمّر ، وكل هذا خفّة وطيش ، وقد بهدل حرمة المملّكة في أيامه ولم يتبع طريقة
الملوك السالفة في إقامة حرمة السلطنة ، وصار على طريقة والي الشرطة .

٩ وفيه قبض بعض الخاصكية على عبد من عبيد السلطان ، يقال له فرج الله ، وكان
مقربا عنده إلى الناية ، فلما قبضوا عليه قتلوه بالرملّة ، فشقّ ذلك على السلطان
وتأسّف عليه ، ولم يقدر أن يحميه من المماليك ، فإنهم كانوا يومئذ طالبين الشرّ مع
السلطان ، بسبب هذه الأفعال التي بتصدر منه . - وفيه قرر شاهين الجالّي باستمراره
١٢ في نظر الحرم الشريف النبوي على عادته ، فخرج إلى السفر عن قريب ، وأمره
السلطان أن يتوجّه إلى يحيى بن سبع أمير الينبع ، ويصلح بينه وبين أمير مكة ،
١٥ وكان وقع بينهما في تلك الأيام وحشة .

وفي رجب ظهر الطاعون بالقاهرة ومات به جماعة . - وفيه تخوّفت خوند أصل
باى أم الناصر على ولدها من خاله قانصوه ، وكانت المماليك قد اتفقوا عليه ، فأحضرت
١٨ المصحف العثماني إلى بين يديها في قاعة الدواميد ، وحلّقت عليه أخاها قانصوه وابنها
الناصر محمد بوفاء كل منهما إلى صاحبه ، ولم يفد من تلك الأيمان شيء . - وفيه
خرج خاير بك أخو قانصوه البرجى قاصدا إلى ابن عثمان ، فخرج في تجمل زائد ،
٢١ وأصرف في هذه الحركة مالا له صورة . - وفيه توفي الشيخ داود المالكي ، وكان
من أعيان علماء المالكية ، من أهل العلم والدين ، وكان لا بأس به .

وفي شعبان ترايد أمر الطاعون بالديار المصرية ، ومات من المماليك والأطفال

- والمبيد والجوار جانباً ؛ فلما كثر الموت في الماليك صنع السلطان ثلاثين نمشا برسم من يموت بالقلمة ، وحصل بذلك النفع . - وفيه توفي أبنال الفقيه الحسنى الظاهرى جقمق ، أحد الأمراء الطبلخانات والحاجب الثانى ، وكان ديناً خيراً لا بأس به . - ٣
- (٧٦ آ) وفيه وقعت نادرة غريبة وهو أن شخصاً من ممالك السلطان مات ، ففسل وكفن ووضع في نمشه وحمل ليدفن ، فبينما هو في أثناء الطريق اضطرب وتحرك في أكفانه ، فوضع على الأرض وحلوا أكفانه ، فاستوى جالسا ، وعاش بعد ذلك مدة . - وفيه توفي المزمى عبد الميز بن البرهان إبراهيم ، وكان من مشاهير الناس لا بأس به ، مات مطمونا .
- ومن الحوادث في هذا الشهر أن الصوفية التى بالخانقاة البيهرية ، ثاروا على شيخهم الشيخ جلال الدين الأسيوطى ، وكادوا أن يقتلوه ، ثم حملوه بأثوابه ورموه في الفسقية ، وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها ، وكان طومان باى الدوادار محطاً عليه ، فلما تسلطن فيما بعد اختفى الشيخ جلال الدين في مدة سلطنته ، حتى كان من أمره ما سذكروه في موضعه . - وفيه أخلع على ماماي جوشن وقرر في الحجووية الثانية . - وفيه تعامل الناس بالفلوس الجدد معاددة ، وبطل أمر وزنهم بالميزان . ١٥
- وفيه تزايد شرّ الماليك الجلبان ، وجاروا على الناس بخطف القماش من الدكاكين والبضائع من الأسواق ، وصاروا يستخفون بالسلطان والأمراء ، حتى قيل إن بعض الماليك كان راكباً على فرس حرون ، فصادف جنازة في وجهه ، فجفل منها فرس ذلك المملوك ، فسقط إلى الأرض ، فخرج خُلّقه وهاش على الحمالين الذين حاملين الميت ، فلما عاينوا ذلك هربوا وألقوا الميت على الأرض ، فلما هربوا أخذ الدبوس ووقع في الميت فضر به حتى اشتفى ، وصار الميت ملقى على الأرض لم يدفن إلى آخر النهار ، وقيل جرت هذه الواقعة في سويقة صفية ، وصار الطعن عمال والماليك جائرة في حق الناس بالأذى ، حتى قلت في ذلك هذه المداعبة ، وهو قولى :

أقول للطمن والماليك جاوزتما الحد في النكايه
ترققا بالورى قليلا في واحد منكما كفايه

٣ فكان الناس على ما ذكرناه من هذه الأفعال الشنيعة ، والملك الناصر في طيشانه ولعبه ، فنزل إلى بولاق في ليلة سيدى إسماعيل الإنباي رحمة الله عليه ، وشق البحر في مركب ، ومعه (٧٦ ب) جماعة أولاد عمه : جانم وأخيه جاني بك ، وأحرق تلك الليلة ببولاق حراقة تقط حافلة ، وبات في المركب تلك الليلة ، وكانت من الليالي المشهودة في القصف والفرجة ، وفعل مثل ذلك عدة مرار . - وفيه توفي عبد القادر الألواحى بواب الدهيشة ، وكان عند الملك الناصر من جملة المقرئين ، وكانت الناس تسعى في الوظائف من بابيه . - وفيه مات بالطاعون شاه بضاع بن ذالفادر أمير التركان ، وكان مقبلا بالقاهرة .

١٢ وفيه جاءت الأخبار بأن المسكر الذي توجه إلى محاربة آقبردى الدوادر ، فقبعوه إلى عينتاب واتقموا معه هناك ، فانكسر آقبردى كسرة هولة ، وقتل من عصبته جماعة كثيرة ، منهم أبنال السلحدار نائب حلب الذي فرّ معه ، وقتل لعل دولات ولدان ، وقتل من المالك والخاصكية الذين كانوا معه جانب كبير ، وأخبروا أن آقبردى لما انكسر توجه إلى نحو الفراء بمن معه من الأمراء ، ومن بق معه من المسكر ، وقد حاربه كرتباي الأحمر نائب الشام أشد المحاربة ، وكان قد توجه إلى عينتاب محبة المسكر حتى يحارب معه وكسره ، وعن قريب تحضر رؤوس من قتل في هذه المعركة . ١٨

وفي رمضان تزايد أمر الطاعون ، وقتك في المالك والعبيد والجوار والأطفال والغرباء فتكا ذريعا ، حتى انتهى إلى ثمانمائة جنازة في كل يوم ، وكان كما يقال في المعنى :

(٥) جماعة : أضيف بعدها في ف : من العوام يفتنون على النداء والإجهار ، وكان معه .
(١٧-١٨) وكسره ... المعركة : كذا في الأصل ، وفي ف : وانكسر وهرب ، وطلع على جبل الصوف ، وقيل إنه لما انكسر وصعد على جبل الصوف توجه إلى نحو الفراء بمن معه من الأمراء والمالك .

ألا إن هذا الوباء قد سبنا وقد عمنا طوفانه
ولا عاصم اليوم من أمره سوى رحمة الله سبحانه

- ٣ ومات في هذا الشهر من الأعيان جماعة كثيرة ، منهم الناسرى محمد بن الشهابى
أحمد بن العيى ، وكان شابا رئيسا حشما ، أدوبا عاقلا ، وولى من الوظائف : حسبة
القاهرة ، ونظر الجوالى ، ووكالة بيت المال ، وتوجه إلى الحجاز أمير حاج أول في
٦ دولة الملك الناصر ، وكان عنده من أخصائه ؛ ومات بيبرس من حيدر الأشرفى
قايتباى نائب القلعة ، وكان لا بأس به ؛ ومات الأمير جانبلاط النورى رئيس نوبة
النوب ، وكان قليل الأذى لا بأس به ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباى ،
وتنقل من الخاصكية لأمرة عشرة ، ثم بقى أمير الطبلخانات ، ثم بقى نائب القلعة ،
٩ ثم بقى مقدم ألف ، ثم بقى رأس نوبة النوب ، وتوفى في هذا الشهر .
وفيه (٧٧ آ) مات صنتباى المبشر الأشرفى قايتباى ، أحد الأمراء
١٢ الطبلخانات ؛ وماتت شاشة أم آقبردى الدوادار الجركسية ، فنزل السلطان وصلى
عليها ، وحمل نعلها قانسوه خال السلطان ، ومشى به خطوات ؛ وماتت أم ججمة
ابن عثمان ، سرية أبيه محمد بن عثمان ملك الروم ، وكان اسمها ججك ، وكانت لا بأس
بها ؛ ومات قيت الأشرفى قايتباى أحد العشرات ، وكان شاد الطرانة
١٥ ومن الوقائع الغريبة أن شخصا من المالك الجلبان طعن ، فلما أشرف على الموت
أحضر شهودا ، وأخرج بين أيديهم جملة قاش ، مابين بشاخين ومقاعد ومخدرات
وبسط وغير ذلك ، ومبلغ نحو من ثلاثة آلاف دينار ، وأخبر أنه نهب ذلك من
١٨ مكان سماء ، ثم قال لغلما : امض وآتني بأصحاب تلك القماش ، ففضي الغلام
والشهود جالسة ، فغاب ساعة ثم أحضر أصحاب القماش ، فعرفهم ذلك المملوك ،
٢١ فسلمهم تلك المال والقماش بحضرة الشهود وسألهم المحالة ، فلما حالوه ومضوا مات
من ليلته ، فعند ذلك من النوادر .

- ومات آخر من المالك الجلبان ، فوجد عنده خمسة عشر ألف دينار ، فذكر
٢٤ غلامه أنه نهب ذلك من حاصل آقبردى الذى في حارة زويلة ، فحمل ذلك المال إلى

خزائن السلطان ؛ ومات مصر باى من على باى الذى كان نائب قلعة حلب وعزل عنها ؛ ولما كثر الموت فى الناس رسم السلطان بعمارة سبيل المؤمنى ، وهى الصلاة التى بالرملة ، وكانت خرابا من حين حاصر آقبردى القلعة .

وفيه جدّد الأمير طومان باى ، الدوادار الثانى ، ما فسد من مدرسة السلطان حسن ، من حين كانت واقعة آقبردى الدوادار ، فجدد باب المدرسة الذى كان احترق ، وسدّ شبايك القبة وغير ذلك مما فسد منها ، وأقيمت بها الخطبة وصلاة التراويح ، وكانت معطلة نحو من عشرة أشهر بسبب ما تقدم .

وفيه قبض على إنسان زعموا أنه ينشس القبور على الموتى ويسرق أكفانهم ، فأمر السلطان بسلخ وجهه وهو حيّ ، فسلخوه من حدّ رقبتة وأرخوه على صدره ، وصار عظم رأسه ظاهرا ، فطافوا به فى القاهرة ثم علّقوه على باب النصر ، واستمر معلقا إلى أن مات ؛ ثم نودى للحفارين بحفظ أكفان الموتى . - وفى أواخر هذا

الشهر تناقص أمر الطمن وخفّ ، بعد أن فتك فى الناس فكسا ذريعا ، (٧٧ ب) حتى قيل ضُبط من مات فى هذا الطاعون فى مدة ثلاثة أشهر ، فكان زيادة على مائتى ألف إنسان ، من كبير وصغير ومن المالك السلطانية نحو من ألف ومائتين إنسان .

وفى شوال أخلع السلطان على قرقاس من ولى الدين وقرّر فى الرأس نوبية الكبرى ، عوضا عن جانبلاط الغورى بحكم موته ؛ وقرر يلباى المؤيدى من جملة مقدمين الألوف بعصر . - وفى رابع عشر هذا الشهر وصل سودون الدوادارى أحد

العشرات ، وصحبته عدة رهوس ممن قتل فى المعركة التى وقعت بين آقبردى والعسكر الذى خرج من مصر كما تقدم ، وكان عدّة تلك رهوس واحد وثلاثين رأسا ، وكان فيهم رأس أيناك السلاحدار ، الذى كان نائب حلب وفرّ مع آقبردى ، وفيهم رأس ابن على دولات ، الذى قتل فى المعركة ، وقيل قتل له ولدان ؛ فكان يوم دخولهم إلى القاهرة يوم مشهود ، فدخلت رهوس وهى مشهورة على أرماع ، وشقّوا بهم

(١) الذى : التى . (١٤) ومائتين : كذا فى الأصل .

(١٦) يلباى : يباى . وفى ف : ملباى . (١٧) مقدمين : كذا فى الأصل .

من القاهرة والمشاعلية تنادى عليهم ، فلما عرضوا على السلطان رسم بأن يعلقوا على أبواب المدينة ، فعلقت رأس أيتال نائب حلب على باب زويلة ، ومعها رأس ابن على دولات ، والباقي على أبواب المدينة ، وكل هذا يشقّ على الملك الناصر في الباطن ٣ وكانت له عناية مع آقبردى وتمصّب .

وأخبر سودون الدوادارى أن كرتباى الأحمر نائب الشام ، رجع إلى الشام ، وجانبلاط نائب حلب ، رجع إلى حلب ، وأن المسكر واصل عن قريب ؛ وقيل ٦ إن كرتباى الأحمر ، لما استقرّ في نيابة الشام استولى على نيابة قلعة الشام أيضا ، مضافا لما بيده من نيابة الشام ، وهذا الأمر عزيز الوقوع جدا .

وفيه أمر السلطان ببناء جامع الفيوم ، وكان القائم في ذلك الشيخ عبد القادر ٩ الدشوطى ، فأرسل صحبته السلطان عدّة من البنائين والمهندسين . - وفيه جاءت الأخبار من مكة بأن كاتب السرّ بدر الدين بن مُزهر ، لما توجه إلى مكة ، أصلح بين أمير مكة وأخيه بمرسوم السلطان ؛ وجاءت الأخبار أيضا من مكة بوفاة ١٢ الأمير برد بك نائب جدة ، وكان أحد الأمراء المقدمين بمصر ، وخرج منفيا إلى مكة بعد كسرة آقبردى فأت بها ، وكان أصله من ممالك الأشراف قايتباى ، وكان لا بأس به (٧٨٨ آ) . ١٥

وفيه كان ابتداء الوحشة بين السلطان وخاله قانصوه ، وقد صار بعض الأمراء يوقع بينهما الفتن ، حتى بلغ بذلك مقاصد ، وخيلوا الملك الناصر من خاله ، وخيلوا خاله منه بأشياء من أنواع الحيل والخداع ، وأخذوا في أسباب ما يتمّ به الحيلة على ١٨ قتل الملك الناصر ، وقد سمعوا في ذلك سعى الشطّار ، حتى كان من أمره ما سندكره في موضعه ، وقد قيل في معنى ذلك :

٢١ صف بالدهاء الذى يخشى الدهاء فما ينام خيفة أن تسدى له الحيل
فقد تبیت بقلب ضمه أسد ولا تبیت بقلب ضمه رجل

وفيه خرج الحاج من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل تانى بك الجلمى ، وبالأول جان بلاط الموت المحتسب . - وفيه جدّد الأمير قانصوه خال السلطان ٢٤

خطبة في المدرسة البشيرية ، فجدد بها خطبة بسبب مما ليكه ، وكان ساكنا بالقرب من هناك . - وفيه قبض الوالي على شخص من السراق ، فلما عرضه على السلطان أمر بقطع يده ورجله ، وأثم ذلك السارق أن يقطعهما بيده ، ففعل ذلك بحضرة السلطان . - وفي أواخر هذا الشهر دخلت التجريدة التي توجهت إلى آقبردى الدوادار ، وقد حضروا من غير إذن من السلطان ، فشق عليه ذلك وأخذ حذره من الأمراء ، كونهم دخلوا من غير إذن منه . ٣

وفي ذى القعدة جاءت الأخبار من حلب بأن آقبردى الدوادار ، لما بلغه رجوع التجريدة عاد إلى عينتاب ، وصار ينهب البلاد ويقطع الطريق على التجار ، فلما بلغ الأمراء بذلك أعيام أمره . - وفيه تزايد شرّ العربان بالشرقية ، حتى خرج إليهم قانسو خال السلطان ، وقرقاس رأس نوبة النوب ، فلما خرج خال السلطان سرح في البلاد الشرقية والغربية سرحا حافلة ، وغاب نحو من شهر ، ودخل عليه جملة تقادم حافلة من مشايخ العربان وغيرها . - وفيه قصد السلطان أن يخرج إلى مولد سيدى أحمد (٧٨ ب) البدوى رحمة الله عليه ، فلم يكتنوه الأمراء من ذلك . - وفيه توفي الخطيب الوزير شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عثمان المالكي ، وكان من أهل العلم والفضل لا بأس به . ٦

وفي ذى الحجة عاد قانسو خال السلطان من السرحة ، فنادى له السلطان في القاهرة بالزينة ، فزينت ، ثم إنه دخل في موكب حافل وطلع إلى القلعة ، فأخلع عليه السلطان خلعة سنية ، فلما نزل من القلعة ووصل إلى رأس الصوة لاقاه جماعة من المماليك الجلبان وبأيديهم دبابيس مسحوبة ، فقالوا له : قل للسلطان ينفق علينا بسبب نصرته على آقبردى الدوادار ؛ فاستمرّوا يحاصرونه من رأس الصوة إلى أن دخل بيته الذى عند درب حاتم الفارقانى ، فلما دخل بيته وقفوا له على الباب حتى قلع الخلعة وأكل الدة ، ثم أركبوه ثانيا وطلعوا به إلى القلعة وهو مهدّد منهم بالقتل ، فلما طلع إلى السلطان وأعلمه بذلك ، فلم يوافق السلطان على هذا الأمر ، فردّ الجواب على المماليك بالمنع من السلطان . ٩

فاستمرّوا صابرين حتى مضى عيد النحر ، وانقضى أمر تفرقة الأضحية ، فلبسوا لامة الحرب وطلعوا إلى الرملة ، وحاصروا السلطان وهو بالقلعة ، وكان قانصوه خاله عنده فوق القلعة ، ثم توجهوا إلى بيت الأتابكي أربك فأركبوه غصبا وطلعوا به إلى القلعة ، فتكلم مع السلطان في ذلك ، فتمنّع ساعة ، ثم وقع الاتفاق على أنه ينفق عليهم بعمضى شهر لكل مملوك خمسين دينارا ، فلما نزل الأتابكي أربك من القلعة وردّ عليهم الجواب ، خمدت تلك الفتنة وقلعوا آلة السلاح .

ثم إن السلطان أخذ في أسباب جمع الأموال ، فوزّع على المباشرين جانبا ، وعلى قضاة القضاة جانبا ، وعلى أعيان الناس من التجار وأولاد الناس وغير ذلك ، حتى على اليهود قاطبة والنصارى ، ومشاهير السوق والمتسبّين ، وكان القائم في ذلك قانصوه خال السلطان وأعوانه ، وهم : ناصر الدين الصفدى وكيل بيت المال ، وإبراهيم المهاجرى إمام الأمير قانصوه المشار إليه ، وقائبك دوا داره ، فجلس قانصوه خال السلطان في داره التي عند درب حمام الفارقانى وأحضر المعاصير والكسارات ، وأحجى خوذ حديد على النار ، وطلب الناس بالرسل الغلاظ الشداد .

فأما قاضى القضاة المالكي ابن تقى اختفى من بيته ، وكذلك قاضى القضاة (٧٩ آ) الحنبلى الشهاب الشيشينى ؛ وطلب انقاضى شهاب الدين أحمد ناظر الجيش ، فامتنع مما قرّر عليه ، فبطح على الأرض ليضرب ، وكذلك ناظر الخاص علاى الدين ابن الصابونى ، وعلى هذا فقس بقية الناس من الأعيان والمشاهير ؛ فجمعت تلك الأموال من الناس بالضرب والحبس والتراسيم ، وحصل لهم غاية المشقة بسبب ذلك ، فكثرت الدماء على الناصر وخاله ، وقد تزايد الظلم والجور في تلك الأيام إلى الغاية ، حتى فرج الله تعالى عن قريب وقتل الملك الناصر بعد مضى ثلاثة أشهر ، كما سيأتى الكلام على ذلك في موضعه ، ولاكن كما قال القائل :

وماذا ينفع الدرياق يوما إذا وافى وقدمات اللدينغ

ولما تكامل جمع الأموال ابتدأ السلطان بتفرقة النفقة على الجند ، فأعطى لطائفة المماليك القبايطيمية لكل واحد خمسين دينارا ، وما عدا ذلك خمسة وعشرين دينارا .

- ومن أخبار الملك الناصر التي هي في غاية البشاعة، قيل إنه دخل إلى حارة الروم، وهجم على دار إبراهيم مستوفى ديوان الخصاص ليلا، وقبض على ولده أبي البقا ورام توسيطه، فألقى والده نفسه عليه وافتداه بألف دينار؛ وقيل كان سبب ذلك أن الملك الناصر بلغه أن زوجة أبي البقا جميلة، فهجم عليه بسببها فأخفوها منه، فجرى بسبب ذلك ما جرى، وهذا ما استفاض في الكلام بين الناس، والله أعلم.
- وفي هذه السنة جاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن المسلمين أخذوا حصن جربة من يدى الفرنج، وكانوا قد استولوا عليها نحو من سنة وشي، فكانت النصرة للمناربة على الفرنج. - وفي هذه السنة كثرت الفلوس الجدد بأيدي الناس، حتى صار النصف الفضة يصرف بأربعة عشر من الفلوس الجدد، وصار الدينار الذهب يصرف من الفلوس الجدد بثلاثين نصفًا، وصارت البضائع تباع بسمرين، سمر بالفضة، وسمر بالفلوس، وأضر ذلك بحال الناس.
- وفيه تزوج قاني باي قرا أمير آخور كبير، ببنت الأمير يشبك الدوادار، التي كانت زوجة كرتباي بن عمّة الأشرف قايتباي، الذي قتل في واقعة (٧٩ ب) آقبردي بمدرسة السلطان حسن. - وفيه خرج نوروز أخوخ، أحد الأمراء العشرات، قاصدا إلى كرتباي الأحمر نائب الشام، وعلى يده مراسيم بالعتب عليه، الذي قد استولى على نيابة قلعة الشام من غير إذن من السلطان، فتوجه إليه وعاد بعد مدة بغير طائل منه. - وفيه توفي آقباي أستاذ دار الذخيرة، وكان لا بأس به. - وجاءت الأخبار من مكة بوفاة أنصباي، الذي كان نائب الإسكندرية، واتهم بموته كاتب السر لما توجه إلى هناك.
- وقد خرجت هذه السنة عن الناس وهم في أمر مريب، وقد وقع بها الغلاء والفناء، والمصادرات للناس، وجور السلطان في حق الناس، كما تقدم، وأذى الممالك في حق الرعية، وقد صارت الناس في غاية الاضطراب؛ وما كفى هذا كله، حتى فشى في الناس داء يقال له الحبّ الفرنجي، أعادنا الله منه، وقد أعيا الأطباء أمره ولم يظهر هذا بعصر قط، سوى في أوائل هذا القرن، ومات به من الناس ما لا يحصى، انتهى ذلك.

ثم دخلت سنة أربع وتسعمائة

فيها في الحرم كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب بن المتوكل على الله أبي المز عبد العزيز ؛ وسلطان مصر الملك الناصر أبو السعادات محمد بن الملك الأشرف قايتباي ؛ وأما القضاة الأربعة فالقاضي زين الدين زكريا الشافعي ، والقاضي برهان الدين بن السكركي الحنفي ، والقاضي عبد الغني بن تقي المالكي ، والقاضي شهاب الدين أحمد بن الشيشيني الحنبلي .

وأما الأمراء المقدمون فقد تقلبت أحوالهم بموجب ما جرى من الفتن والقتل ، كما تقدم من أخبار السنة الخالية ، فكان الأتابكي أربك يومئذ أمير كبير ، وتانى بك الجمالي الظاهري جقمق أمير سلاح ، وقانصوه المحمدي المعروف بالبرجي أمير مجلس ، وقاني باي قرا الرماح أمير آخور كبير ، وقانصوه خال السلطان دودار كبير ووزير وأستادار وكاشف الكشاف ، وقرقاس من ولى الدين رأس نوبة النوب ، وقيت الرجي حاجب الحجاب ، وبقية الأمراء المقدمين على حكم ما تقدم من أخبارهم .

وأما المباثرون (٨٠ آ) فالقاضي بدر الدين بن مظهر كاتب السر ، ونائبه صلاح الدين بن الجيمان ، والقاضي شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص يوسف ناظر الجيش ، والقاضي علاي الدين بن الصابوني ناظر الخاص ووكيل بيت المال ، وبقية المباثرين على حكم ما تقدم .

ومن الوقائع في هذا الشهر أن النيل أوفى في تاسع عشر مسرى ، الموافق لربيع الحرم ، وكان السلطان الناصر عول على أن ينزل ويفتح السد بنفسه ، وأخذ في أسباب ذلك ، فلم يكتفوا الأمراء من ذلك خوفا عليه من القتل ، فشق عليه ذلك ؛ فلما صلى المشاء نزل من القلعة على حين غفلة ، وقدأمه عدة فوانيس ومشاعل ، ومعه أولاد عمه وبعض خاصكية نحو مائة خاصكي ، فتوجه إلى السد وفتحته تحت الليل ؛ ثم توجه إلى سد قنطرة قديدار ، ففتحته أيضا ، ثم عاد إلى القلعة ، وكل هذا تحت الليل .

فلما أن طلع النهار أصبح الناس يجدون الخلعجان والبرك قد تمصرت بالمياه فتعجبوا من ذلك ، وهذا قط ما وقع في الجاهلية ، ولا في الإسلام أن السد فتح بالليل ، وقطع على الناس فرحتهم بيوم الوفاء ، وما كان يقع فيه من القصف والفرجة المعتادة ، وفي هذه الواقعة يقول الناصري محمد بن قانصوه من صادق :

منذ للسلطان قالوا للورى بالكسر جبر

كسر السد بليل فعدا للناس كسر

ثم بعد مضي أيام توجه السلطان إلى قناطر أبي المنجا وفتح سدّها أيضا ، فعدّ ذلك من النوادر الغريبة . - وفيه ضرب السلطان الكرة بالحوش في غير يوم موكب ، وكان معه بعض أمراء طبلخانات وعشرات ، منهم الأمير طومان باي الدوادار الثاني ، فصار طومان باي يقتحم على أخذ الكرة من السلطان ، فحق منه السلطان وضربه على ظهره بالصولجان غير ما مرّة ، فكان ذلك من جملة ما حقه عليه طومان باي ، حتى كان سببا لقتله عن قريب .

وفيه مرّ السلطان من بين القصرين بعد العشاء ، فرأى شخصا ماشيا في السوق وقد خرج من الحمام ، فقيل له : إن هذا الرجل سكران ، فوسطه ولم يفحص عن أمره ، وراح ذلك الرجل ظلما ، وكان الناصر قد تزايد شره في تلك الأيام إلى الغاية . - وفيه نادى السلطان (٨٠ ب) لسكان بركة الرطلي بأن يوقدوا بها وقدة سبع ليالي متوالية ، فامتلأوا ذلك ، وصار ينزل في المراكب ويطوف البركة هو وأولاد عمه ، فإن رأى امرأة جميلة في بيتها يهجم عليها ويطلع لها من الطاق ويأخذها غصبا ، ويضرب زوجها بالمقارع في وسط بيته ، فارتابت الناس منه وبقي على رءوسهم طيرة . ومن الحوادث في هذا الشهر قد أشيع بين الناس أن السلطان عمل له يرقا حافلا بترية أبيه ، وقد عول على أن يسافر في الدسّ إلى نحو البلاد الشامية ، بسبب آقبردى ليكون له عوناً على نصرته ودخوله إلى مصر ، وكان السلطان له عناية بآقبردى باطنا وظاهرا ؛ فلما بلغ المالك ذلك توجهوا إلى مكان فيه السنيح ونهبوه عن آخره ،

(٣) وقطع : كذا في ف ، وفي الأصل : وقد طلع . (١٠) طومان باي : طومان .

وضربوا الغلمان الذين تعينوا إلى السفر مع السلطان ، وكادت أن تكون فتنة مهولة بسبب ذلك ، وقصدوا أن يلبسوا آلة السلاح ويثيروا فتنة عظيمة ، ثم سكن الأمر قليلا .

٣

وفيه وصل الحاج ودخل القاهرة ، بعد أن قاسى مشقة وعطشا ، وقلة أمن من فساد العربان ؛ وأشيعت الأخبار ب وفاة يوسف بن أبي الفتح كاتب الماليك ، مات بمكة وكان مجاورا بها ، وكان لا بأس به . - وفيه وقعت نادرة غريبة ، وهو أن الحمل لما دخل إلى القاهرة صحبة الحاج ، فشق المدينة ، فلما وصل إلى جامع المارداني برّكوا الجمل هناك ، وأرادوا أن ينزعوا أثواب الحمل من عليه ، وإذا بقاصد من عند السلطان يطلب الحمل ، وكان بقبة يشبك التي بالطرية ، فتوجهوا به إليه ، فشقّ القاهرة ثانيا حتى رآه السلطان وهو بالقبة ، ثم عابدوا به فشقّ القاهرة ثالث مرة ، فمّد ذلك من النوادر التي قط ما وقعت .

- ١٢ وفي صفر جاءت الأخبار من البحيرة بأن الجوبلى ومرعى ثاروا فتنة مهولة بالبحيرة ، ونهبوا البلاد وأسرو النساء وقتلوا الأطفال ، وأشيع أن الجوبلى حلف أنه لا يمكن أحدا من أرباب الدولة أن يأخذ خراجا من بلاد الغريبة في هذه السنة ؛ فلما تحقق السلطان ذلك عيّن تجريدة إلى البحيرة ، فلم يوافق أحد من الأمراء ولا المسكر على الخروج إلى البحيرة ، وكان النيل في قوة زيادته ؛ ثم إن السلطان نادى للعسكر بالعرض (٨١ آ) في الميدان ، فلما حضر العسكر لم ينزل إليهم السلطان وقد تخوف على نفسه ، فانقضّ ذلك الجمع وكثر القتل والقتيل بين الناس ، وكانت أيام الناصر كلها فتن وشرور وقلاقل . - وفيه ظهر البدرى بن مظهر كاتب السرّ ، وكان مخفيا ، فأرسل له السلطان بالأمان . - وفيه قرّر قانصوه بن سلطان جرّكس ، المعروف بابن اللوقا ، في حجوية الحجاب بدمشق .

٢١

وفيه قرّر إبراهيم بن يحيى المهاجرى في نظر ديوان المفرد ، بواسطة قانصوه خال السلطان ، فإنه كان إمامه . - وفيه نودى في القاهرة من قبل السلطان بأن جميع

- الحوانيت ، التي بالأسواق والشوارع ، يبيضوا وجوهها ويزخرفوها بالدهان ، فحصل على الناس بسبب ذلك غاية المشقة بسبب مصروف ذلك ، ثم رسم بتبييض وجوه الربوع المطلة على الشوارع ، وكل هذا عقل الصغار ووسائل السوء التي كانت حوله . - وفيه وقعت زلزلة خفيفة بالقاهرة ، وكانت فألا على السلطان ، فإنه قتل عقيب ذلك . - وفيه تزوج السلطان بمصر باى الجركسية ، زوجة كرتباى أخى آقبردى الدوادار ، الذى كان نائب صفد ، ووقع بين السلطان وأمه بسبب زواج مصر باى ما لا خير فيه ، وكانت عليه كعب الشؤم ، فأقام معها دون الشهر وقتل .
- وفى ربيع الأول طلع القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر ، فلما تكامل المجلس أحضر السلطان المصحف العثمانى بين يديه وحلف عليه المسكر قاطبة ، ثم حلف الأمراء ، فلما حلفوا قالوا : مثلما حلفنا للسلطان يحلف لنا هو أيضا أنه لا يمسك منا أحدا بغير سبب ؛ فتوقف السلطان من ذلك الميعين ، وكان التسكيم بين السلطان والأمراء تانى
- ١٢ بك الجمالى أمير سلاح ، فانقض المجلس مانما ، ونزلوا الأمراء على غير رضا .
- فلما كان يوم الجمعة لم يطلع من الأمراء أحد إلى صلاة الجمعة مع السلطان ، واجتمعوا فى بيت قانصوه الخال ولم يمكّنوه من الطلوع إلى القلعة ، واستمر الحال على ذلك إلى يوم الاثنين ؛ ثم إن السلطان أرسل نقيب الجيش إلى طومان باى الدوادار الثانى ، وطراباى أمير آخور ثانى ، وأزدمر شاد الشراىخاناه ، وأنص باى ، فقال لهم نقيب (٨١ ب) الجيش عن لسان السلطان : رسم لكم السلطان بأن تكتبوا وصية وتخرجوا فى عقيب هذا اليوم ، وتوجهوا إلى مكة من البحر ؛ فلم يلتفتوا إلى كلام نقيب الجيش ، وقالوا : ما نخرج من مصر لموضع ، ومهما فعله بنا يفعل ؛ فعند ذلك أضمرؤا له السوء وتغيرت عليه خواطر الأمراء قاطبة ، وهو فى غفلة عما يراد به ، وقد حقدوا عليه قبل ذلك مما يقع منه من هذه الأفعال الشنيعة ، وصار كل أحد من الناس حاقدا عليه باطنا وظاهرا من سوء تديره ، فكان كما يقال :

(١) يبيضوا . . . ويزخرفوها : كذا فى الأصل . (٢١) مما يقع : كذا فى ف ،

وفى الأصل : لما ينفع .

ما تفعل الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهل في نفسه

وفي هذا الشهر ظهر مصر باى وآخرون من الأمراء ممن كان مختفيا من حين كان واقعة آقبردى الدوادر ، فلما ظهروا طلّعوا إلى القلعة ، وهم : مصر باى ، ٣ وقانبك أبو شامة ، وقانصوه الفاجر ، وتمراز جوشن ، وقانصوه الساقى ، وجماعة من الأينالية ، منهم : دولات باى من غيبى ، وبرقوق الساقى ، وآخرين من الخاصكية ؛ وكان ظهورهم بأمر من السلطان ، فلما قابلوا السلطان أخلع عليهم ، وعلى ٦ خاله ، وأشيع بأن الصلح قد وقع بين حلف آقبردى الدوادر ، وحلف قانصوه خمسمائة ، وكان هذا أكبر أسباب الفساد فى حق الملك الناصر ، وأخذ عقيب ذلك بأيام . ٩

وفيه نزل السلطان إلى نحو قبة يشبك التى بالمطرية ، فأقام بها إلى آخر النهار ، وعاد إلى القلعة ، وكان هذا آخر ركوبه إلى جهة قبة يشبك . - وفيه عمل السلطان المولد النبوى ، فلم يطلع إليه من الأمراء سوى الأتابكى أزيك وتانى بك الجمالى أمير ١٢ سلاح ، وبعض أمراء عشرات ، والقضاة الأربعة ، ولم يطلع خاله قانصوه ، ولا أحد من الأمراء ، ولا حضروا المولد .

ووقع فى ذلك اليوم من المالكى الجلبان فى حقّ الأمراء والفقهاء ما لا خير فيه ، ١٥ فرجموا الأمراء من الطبايق بالحجارة ، وكتبوا عليهم الماء المتنجس بالأفذار ، وخطفوا عمائم الفقهاء ، وكان يوما مهولا ؛ فلما انقضى يوم المولد بعث السلطان يقول للأمير طومان باى الدوادر الثانى : اخرج فى هذه الساعة على جرايد الخيل إلى جهة ١٨ البحيرة ، (٨٢ آ) بسبب فساد الجوبلى ومرعى ؛ فخرج طومان باى من يومه ، وأتى إلى برّ الجزيرة ونصب بها خيامه .

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره نزل السلطان من القمة وتوجّه إلى نحو قناطر ٢١ البصرة ، وكان ذلك فى أواخر النيل ، فعدى إلى برّ الجزيرة ، وسبقه الخيام والطبخ ، وكان عنده جانب كبير من بقية احتياج المولد ، فلما وصل السلطان إلى الوطاق نزل به ،

ولم يكن معه سوى أولاد عمه : جانم وأخيه جاني بك ، وجماعة من الخاصكية ، ولم يتوجه معه أحد من الأمراء ، حتى ولا خاله ، فأرسل أحضر أبو الخير بمدة خيال الظل ، وجوق مغاني العرب ، وبريوة ريس المحبطين ، وأقام هناك ثلاثة أيام وهو في أرغد عيش ، وقد خرج عن الحد في اللهو والخلاعة والانشراح ، ومدة هناك أسمطة حافلة ، وحلوى وفاكهة وغير ذلك ، وأنعم على جماعة من الخاصكية بجنول ومال ، وانشرح في تلك الأيام بخلاف العادة ، وتلاعبت به الدنيا كما تلاعبت بأمثاله ، فكان كما يقال في المعنى :

- تزوّد من الدنيا فإنك لا تدري إذا جنّ ليلك هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتي يمسي ويصبح آمناً وقد نُسجت أ كفافه وهو لا يدري
- فلما كان يوم الأربعاء خامس عشره أدركت السلطان تفرقة الجامكية ، فأذن للخاصكية الذين كانوا معه أن يتقدموا قبله كي لا يزعجونه وقت التعمدية ، فتقدم جماعة منهم إلى بيوتهم ، فصلى السلطان العصر وركب ، ولم يبق معه سوى أولاد عمه وبعض سلحدارية ، فلما ركب مرّ من على الطالبية ، وكان الأمير طومان باي الدوادار الثاني هناك يقصد التوجه إلى البحيرة كما تقدم ذكر ذلك ، فلما مرّ من عليه خرج طومان باي مسرعاً وعزم عليه ، فلم ينزل عنده ، فخرج إليه بجفنة فيها لبن فاخر ، فوقف السلطان وهو راكب على فرسه ، فتقدموا له الجفنة اللبن وملقة ، فدّ يده إلى الجفنة وأكل من اللبن ، فبينما هو يأكل والأمير طومان باي ماسك لجام فرسه ، فلم يشعر إلا وقد خرج عليه (٨٢ ب) كين من الخيام التي هناك نحو من خمسين مملوكاً ، وهم لا بسون آلة السلاح ، فاحتاطوا به وعاجلوه بالحسام قبل الكلام ، فقتلوه أشرقتلة ، وحملوا عليه أي حملة ، فجاءت ضربة على رقبته طارت عن جثته ، فوقع عن فرسه إلى الأرض ، وقتلوا معه أولاد عمه : جانم وأخيه

(١٢) الذين : الذي . (١٢) أن يتقدموا : أن يتقدمون . (١٧) وملقة : وملقة.

جاني بك ، وكانا شابان جيلان الهيثة ، ملاح الأشكال ، وقُتل معهما أيضا شخص من السلحدارية يقال له أربك المُمري الخاصكي ، المعروف بالبواب ، وكان من خواصه ،

وفي هذه الواقعة يقول محمد بن قانصوه من صادق :

قد قُتل الناصر سلطاننا من فعله المهود في الدهن
فهتثوا أنفسكم مثلنا بأمن قطع الأنف والأذن

وتقرب هذه الواقعة من واقعة الأشرف خليل بن المنصور قلاون ، وقد قُتل مثل هذه القتلة بعينها في تروجة ، بمكان يعرف بالحمامات ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وقتله أيضا ممالك أييه مثل هذه الواقعة بعينها ؛ وكانت قتلة الملك الناصر في يوم الأربعاء بعد العصر خامس عشر ربيع الأول من سنة أربع وتسعين وستمائة ، وقتل بأرض الطالبية ، وقد نسبت قتلته إلى بعض الأمراء من ممالك أبيه ، فكان كما قيل في المعنى :

كنت من كُربتي أفرّ إليهم فهموا كُربتي فأين المفرّ
فلما قُتل صارت جثته مرمية على الأرض هو ومن قُتل معه ، فلما دخل الليل حملوه جماعة شيخ الطالبية وأدخلوه في مسجد هناك ، وألقوه على حصير ، هو ومن قُتل معه ، وهو مخبط في دمه ، ورأسه مشبك في جثته ببعض شيء ، فبات تلك الليلة...
فلما جاءت الأخبار إلى القاهرة بما وقع للناصر من قتلته ، فاضطربت أحوال المدينة وماجت بأهلها ، ولبس المسكر لأمة الحرب وباتوا تلك الليلة في اضطراب ؛ وكان جماعة من الأمراء قرّروا مع الأمير قانصوه خال السلطان ، أنه إذا قُتل الناصر يكون هو السلطان بعده ، فتناقل عن هذه الواقعة حتى قُتل الناصر ، ولولا استمالوا خاله لما قدروا على قتله .

فلما كان يوم الخميس صبيحة ذلك بمث خال السلطان ثلاثة نعوش إلى الطالبية ،

(١) شابان جيلان : كذا في الأصل .

(١٢) المفر : أضيف بعدها في ف : وكان كما قيل أيضا :

رعاة الشاة تحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة هي الذئاب

فأحضروا جثة السلطان وأولاد عمه جانم وأخيه ، فلما عدوا بهم من الجيزة أتوا بهم إلى بيت الأشرف قايتباي الذى أنشأه بالقرب من حمام الفارقاني ، ففسلوا السلطان (٨٣ آ) وأولاد عمه هناك ، وأخرجت الثلاثة نعوش ولم يكن معهم غير الحمالين فقط فأتوا بهم إلى باب الوزير ، فلم يجدوا من يصلّي عليهم ، حتى مسكوا بعض الفقهاء صلى عليهم ، ثم توجهوا بهم إلى تربة الأشرف قايتباي ، فدفنوا الملك الناصر على أبيه داخل القبة ، وأولاد عمه على جانم قرابة السلطان ؛ وقد رثيت الناصر لما مات بهذين البيتين وهما :

يا قبر لا تظلم عليه فطالما جلى بطلته دجى الإظلام

طوبى لقبر قد حواه كيف لا يحكى السماء وفيه بدر تمام

٩ وكان الملك الناصر حسن الشكل ، أبيض اللون ، عربى الوجه ، نحيف الجسد ، معتدل القامة ، قتل وله من العمر نحو من سبع عشرة سنة ، وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، وكان يوصف بالكرم الزائد والشجاعة ، لكنه كان جاهلا عسوفاً ، جرى اليد ، سفكاً كاللدماء ، سبى القدير ، كثير العشرة للأوباش من أطراف الناس ، ووقع منه أمور شنيعة فى مدة سلطنته لا ينفى شرحها ، وسار فى المملكة أقبح سيرة ، ولم يقع من أبناء الملوك من السواقط ما وقع منه فى سائر أفعاله ، حتى جاوز فى ذلك الحد ، وكان ضعيف الخط جدا فى العلامة ، وليس له من المحاسن إلا القليل ، وفيه أقول :

سلطاننا الناصر المفدى أخباره نقلها صحيح

بالجهل أضحى قبيح فمل فلم يُفد شكله المليح

١٨ وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحو من سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوما ، وكانت أيامه كلها فتن وشُرور وحروب قائمة ، كما تقدم ذكر ذلك من الوقائع ، وما كان الأشرف قايتباي قصده أن يتسلطن ولده خوفاً عليه من ذلك ؛ انتهى ما أوردناه من أخبار الناصر محمد بن الأشرف قايتباي وذلك على سبيل الاختصار ، ولما قتل الناصر تولى بعده خاله المقر السيفى قانصوه أمير دوا دار كبير ، تم ذلك .

ذكر سلطنة الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه من قانصوه الأشرفي

وهو الثالث والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو السابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد ، (٨٣ ب) وكان أصله جركسي الجنس ، ٣ اشتراه الأمير قانصوه الألفي مع جملة ممالك ، قدمهم للسلطان الملك الأشرف قايتباي في سنة ثمان وتسعين وثمانائة ، فأنزله بالطبقة مع جملة الممالك الكتائية ، فأقام بها مدة يسيرة ، ثم ظهر أنه أخو سرية السلطان أصل باي الجركسية ، أم ولده محمد الذي ٦ تسلطن ، ثم إن السلطان أخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة الممالك الجندارية ، فأقام على ذلك حتى توفي الأشرف قايتباي وتسلطن ولده الناصر محمد ، جملة خازندار كيس ، وبقي يسمى : خال السلطان . ٩

فلما وثب قانصوه خمسمائة على الملك الناصر كما تقدم ، لم يكن عنده بالقلمة سوى خاله قانصوه هذا ، وجماعة كثيرة من الممالك الجلبان ، فقام خاله قانصوه بنصرته ، هو والممالك الجلبان وقاتلوا قتال الموت ، بعد ما أرسل قانصوه خمسمائة يدخل الناصر إلى ١٢ قاعة البحرة ويقيده ، فلما انتصر الناصر على قانصوه خمسمائة أخلع على خاله قانصوه وقرره أمير طبلخانات شاد الشراب خاناه دفعة واحدة ، فمظم أمره وشاع بين الناس ذكره ؛ فلما ركب آقبردى الدوادر وانكسر وتوجه إلى البلاد الشامية ، أخلع السلطان على ١٥ خاله وفرّره في الدوادارية الكبرى ، عوضا عن آقبردى ، ثم قرّر في الوزارة والأستادارية فمظم أمره جدا .

فلما قتل الناصر وقع الاضطراب بين الأمراء فيمن على السلطنة بعد الناصر ، ١٨ فاجتمع الأمراء بدار الظاهر تمرضا ، وحضر الأتابكي أزيك وبقية الأمراء ، وأشيع في ذلك اليوم بأن قانصوه خمسمائة في قيد الحياة ، فنودى له بالأمان وأن يظهر ، فلم يكن لهذا الكلام تأثير وبطلت هذه الإشاعات ؛ ثم قالوا للأتابكي أزيك : تول السلطنة أنت ، فحلف بالطلاق ثلاثة من بنت الملك الظاهر بأنه [إن] يتسلطن ، وأن يعود ٢١

إلى مكة كما كان .

٣ ثم حضر قانصوه خال السلطان الناصر من بيته الذى بالقرب من حمام الفارقاني ،
وصعد إلى باب السلسلة ، فلما صعد وقع الاتفاق على سلطنته ، وكان القائم في ذلك
طومان باي الدوادار الثاني ، فأرسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله بمقرب ،
والقضاة الأربعة ، وهم : زين الدين زكريا الشافعي ، والبرهان بن الكركي (٨٤ آ)
٦ الحنفى ، وعبد الغنى بن تقي المالكي ، والشهاب الشيشيني الحنبلي ، فبايعه الخليفة بالسلطنة ،
وشهد عليه القضاة الأربعة بذلك ، وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد ، وذلك في يوم
الجمعة سابع عشر ربيع الأول من سنة أربع وتسعمائة ، وذلك في أثناء الساعة الرابعة ،
٩ وهي لرحل .

فأحضر إليه شعار الملك وهي الجبة والعمامة السوداء والسيوف البداوى ، فأفيض
عليه الشعار ، وقدمت إليه فرس النوبة ، وركب من سلم المقعد الذى بباب السلسلة ،
١٢ ومشت الأمراء بين يديه ، وركب الخليفة أيضا معه ، وتقدم الأتابكي أزبك وحمل
القبة والطير على رأسه ، وكان أولى بالسلطنة من كل أحد ، وقد فاتته عدة مزارع ،
فكان كما يقال :

١٥ إذا رفع الزمان محلّ شخص وكان سواه أولى لو تصاعد
فكم في العرس أبهى من عروس ولكن للعروس الوقت ساعد
فلما طلع الظاهر إلى القصر جلس على سرير الملك ، فأول من قبل له الأرض
١٨ الأتابكي أزبك ، ثم بقية الأمراء شيئا فشيئا ، وقيل إن الذى لقبه بالملك الظاهر
تاني بك الجمالى أمير سلاح ، فلما جلس على سرير الملك أخلع على الخليفة ونزل إلى داره ،
وأخلع على الأتابكي أزبك باستمراره في الأتابكية ، وأخلع على الأمير طومان باي
٢١ الدوادار الثاني ، وأفره في الدوادارية الكبرى ، عوضا عن نفسه ؛ ثم دقت البشائر
بالقلمة ، ونودى باسمه في القاهرة ، وارتفعت الأصوات له بالدعاء ، وفرح كل واحد
من الناس بسلطنته ، بفضل في الملك الناصر مما كان يفعله من الأعمال الشنيعة .

(١) كما كان: أضيف بعدها في ف : وصعدوا إلى باب السلسلة .

فلما كان وقت صلاة الجمعة من ذلك اليوم خطب باسم الظاهر على المنابر ،
وجاء في حال سلطنته ماشيا فيها على الوضع ، وانصلحت الأحوال في أيامه على قدر ما ،
كان جلبا ، فتولّى الملك وله من العمر دون الثلاثين سنة ، وكان له عقل وافر ،
وثبات جنان ، والذي وقع له لم يقع لأحد من مبتدأ دولة الأتراك وإلى هلم ، فإنه كان
من دخوله إلى مصر ، وإقامته في الطبقة ، وحضوره من بلاد جر كس ، وأمريته ،
وسلطنته ، دون الست سنين ، وهذا لم يتفق لأحد من الأتراك قبله ، وكان من جملة
الجدارية ، فقررّ في أمرة أربعين (٨٤ ب) وشادية الشرا بخاناه دفعة واحدة ، وكان
له سعد خارق من العناية الأزلية في القدم ، كما يقال :

إذا خصّص الرحمن عبدا بنعمة فكل حسود بعد ذلك مقمع ٩
فيا طالب العلياء مهلا ولا تطل فليس بسمي المرء ما شاء يصنع
وفي حال سلطنته حضر سيف كرتباى الأحمر نائب الشام ، وقد مات الملك
الناصر بحسرة أن يسمع بذكر موته ، ويقال إن الناصر راشا على قتل كرتباى الأحمر ١٢
بألف، دينار ، قيل إن بعض غلمان كرتباى سمّه في زيّ الكوفية ، فلما لبسها وعرق
سرى السم فيه ، فورم وجهه ووصل الورم إلى قلبه فأت ، وقد تمت حيلة الناصر
عليه ؛ وكان كرتباى أميرا جليلا رئيسا ، وكان يحجّر على الناصر وينهاه عن هذه ١٥
الأفعال الشنيعة ، فكرهه بواسطة ذلك ، وكان يلصق أوراقا بقاعة البحرة بهيئة
كرتباى الأحمر وهو مسرّ على جبل والناس تنسبه ؛ وكان كرتباى يصرّح في وسط
مجلسه بالشام ويقول : أنا من تحت حكم سبي وامرأة ؛ يعني عن الناصر وأمه ، ١٨
ولما استقر كرتباى في نيابة الشام ملك قلمتها ، وطرّد نائبها ، ووقع منه أمور
في حق الناصر يطول شرحها .

وفي ذلك اليوم ثار جماعة من المالك الجلبان على ناصر الدين الصفدى وكيل ٢١

(٣) كان جلبا ، يعني كان من المالك الجلبان .

(٥) وأمريته : كذا في ف ، وفي الأصل : امرأته . (١٢) راشا ، من الرشوة .

(١٧) تنسبه : كذا في الأصل ، وفي ف : تنسبه .

بيت المال ، فضربه ضرباً مبرحاً حتى كاد أن يموت . - وفيه عمل السلطان الموكب بالقصر وأخلع على قصره من أينال وقرّره في نيابة حلب ، عوضاً عن جان بلاط من يشبك ، وأرسل إلى جان بلاط خلعة ونقله من نيابة حلب إلى نيابة الشام ، عوضاً عن كرتباى الأحمر بحكم وفاته . - وفيه قرّر الأمير طومان باى فى الوزارة والأستادارية ، مضافاً لما بيده من الدوادارية الكبرى .

٦ وفيه ثار جماعة من المالك الناصرية على الأمير طومان باى الدوادار ورجوه من الطباق ، وقصدوا قتله غير ما مرّة ، وقد أشيع عنه أنه كان سبياً لقتلة الناصر ، فلما بلغ السلطان ذلك رسم بسدّ جميع السكورة التى تطلّ على دهايز القلعة من طباق المالك . - وفيه أخلع السلطان على طراباى الشربى وقرّره فى الدوادارية الثانية ، عوضاً عن طومان باى بحكم انتقاله إلى الدوادارية الكبرى ، (٨٥ آ) وقرّر تانى بك أحد العشرات فى الخازندارية ، وقرّر آقباى الطويل فى نظر الجوالى ، وأنهم على يبيرس الأشقر بأمرّة عشرة . ١٢

وفيهِ قبض الأمير طومان باى الدوادار علىّ علىّ بن رحاب المغنى ، فضربه بالمقارع ، وأشهره فى القاهرة وهو عريان مكشوف الرأس على حمار ، وكان على بن رحاب ظالماً أدخل نفسه فيما لا يعنيه ، وتمصّب لأقبردى الدوادار ، وصار يسبّ الأمراء سبّاً قبيحاً فى المجالس جهاراً ، ويهجم المجهو الفاحش ، ويصرح بذلك فى الساعات وهو على الدكة ، وكان كرتباى الأحمر قبض عليه قبل ذلك وأراد ضربه ، ثم وبّخه بالكلام وعفا عنه ، فلما زاد فى هذا الأمر ضربه طومان باى وأشهره فى القاهرة ، والشاعلية تنادى عليه : هذا جزاء من يكتر كلاماً ويدخل نفسه فيما لا يعنيه .

٢١ وفيه أخذ السلطان فى أسباب تحصيل الأموال لأجل النفقة على الجند ، فقرّر على الشهابى أحمد ناظر الجيش مبلغاً له صورة ، فاخفى ، فأخلع على القاضى عبد القادر القصرى وقرّره فى نظر الجيش ، عوضاً عن الشهابى أحمد بحكم اختفائه . - وفيه

اختفى الشهابى أحمد بن المينى بسبب مال أفرض عليه ، واختفى جوهر المينى الزمام بسبب مال أفرض عليه ، وقبض على محسن الطواشى الخازن ، وآخرين من الطواشية ، وقرّر عليهم الأموال ، وتسلم طراباى محسن الخازن وعاقبه ، ٣ واستخلص منه الأموال ، حتى أباع جميع ما يملكه وبيته وقاشه ولم يف بما قرّر عليه ، وفعلوا مثل ذلك بالطواشى مسك الساق وغير ذلك من الطواشية .

وفى ربيع الآخر خرج قصره الذى قرر فى نيابة حلب ، وخرج صحبته آقباى ٦ الذى قرّر فى نيابة قلعة الشام . - وفيه تمين قرقاس من ولى الدين ، رأس نوبة النوب ، فى امرأة ركب الحمل ، وتمين أربك المسجل ، أحد الأمراء الطبلخانات ، فى امرأة الركب الأول . ٩

وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن آقبردى الدوادار قد حاصر حلب أشدّ المحاصرة ، وأحرق ما حولها من الضياع ، وأشرف على أخذ المدينة ، وقد التفّ عليه الجمّ الفقير من التركان ، وحصل منه غاية الضرر ؛ فلما تحقق السلطان ذلك عين ١٢ تجريدة ثقيلة إلى آقبردى ، وكان باش المسكر تانى بك الجمالى أمير سلاح ، (٨٥ ب) وبها من الأمراء : قانى باى قرا أمير آخور كبير ، وسودون المعجمى أحد القدمين ، ويلباى المؤيدى أحد القدمين ، وجماعة من الأمراء الطبلخانات والمشترات ، وعدة ١٥ وافرة من المسكر ، فنفق عليهم واستحثهم على الخروج إلى حلب سرعة .

وفيه توجه جانم طاز الإبراهيمى أحد المشترات ، إلى على دولات بن ذلفادر وصحبته خلمة على عادته . - وفيه أمر السلطان بتوسيط شخص من الجند يقال له ١٨ ألماس ، وقد قتل قتيلا فوسطه السلطان بسبب ذلك .

وفى جمادى الأولى ، فى يوم الاثنين عاشره ، خرجت التجريدة المينة إلى آقبردى الدوادار ، وكان لخروجها يوم مشهود . - وفيه صنع السلطان له مولدا فى غير وقته ، ٢١ وحضر فيه القضاة الأربعة على العادة ، وكان يوما حافلا بالحوش السلطانى . - وفيه

(١٥) الطبلخانات : نقلا عن ف ، وتنقص فى الأصل .

(١٨) خلمة : أضيف بعدها فى ف : وتقليد إلى على دولات باستمراره على أمرية التركان .

أنتم السلطان على جان بردی الأشقر الكاشف بأمره عشرة . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق بوفاة الطوائى هلال ، توفى بالشام ، وكان تعین لتقدمة المالك ، وكان لا بأس به . - وفيه كان ابتداء تفرقة نفقة البيعة على الجند . ٣

وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن قصروه ، الذى قرر فى نيابة حلب ، لما دخل الشام ، وضع يده على مال كان لسكرتارى الأحمر ، وكان مبلغا ثقيلا نحو من سبعة وستين ألف دينار ، وهذا كان أول عصيان قصروه واستخفافه بالسلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك تفكّد لهذا الخبر ، وعين مسيد أحد الدوادارية بالتوجه إلى قصروه ، وأن يأمره برّد ما أخذه من مال كرتباى الأحمر ، فلما توجه إلى قصروه لم يلتفت إلى مراسيم السلطان ، ولا ردّ شيئا من المال الذى أخذه ، واعتذر بأشياء لم تقبل . ٦ ٩

وفيه قبض السلطان على شخص من الحرامية يقال له ابن الوارث ، فقطع لسانه وأكلت عينه بالمراد المحمية بالنار ، ومع هذا لم يرتجع عن الحرام ولا السرقة ، وقد قبض عليه بعد ذلك وعلى رأسه عملة ، والطبع فى الإنسان لا يتغير . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة كشيما الشريقى نائب الإسكندرية ، وكان لا بأس به . - وفيه أخرج السلطان مقدمة الأمير أزبك اليوسفى بحكم كبر سنه وعجز عن الحركة ، فلما أخرجته عنه أنتم السلطان بها على أزدمر (٨٦ آ) من على باى ، الذى كان شاد الشرا بخاناه . ١٢ ١٥

وفى جادى الآخرة عاد الأمير طومان باى الدوادار من السرحة التى سرحها نحو بلاد الصميد ، وأحضر محبته من الأغنام فوق الأربعة آلاف رأس ، زعموا أنها من أغنام عرب عزالة ، وجرى بسبب ذلك فيما بعد أمور غريبة يأتى الكلام عليها فى موضعه . - وفيه قرر أزبك المكحل فى نيابة الإسكندرية ، عوضا عن كشيما الشريقى . - وفيه كثرت المصادرات للمباشرين وأعيان الناس بسبب النفقة ، وقد عجز السلطان عن سدادها . - وفيه عين السلطان البدرى بن مژهر كاتب السر ، بأن يخرج إلى مكة المشرفة فى بعض المهمات الشريفة . ١٨ ٢١

وفيه قبض السلطان على الفاصرى محمد بن خاص بك أخى خوند زوجة

الأشرف قابتبای ، فأقام فى الترسيم مدّة ، وطلب منه مال له صورة ، وعُرض للضرب غير ما مرّة ، وقد آل أمره على أن يخرج أمير حاج بالركب الأول ، وأمره بأن يقوم بما يحتاج إليه من ماله ، ولا يأخذ من السلطان شيئاً ؛ ثم قبض على أخت ٣ خوند بنت خاص بك ، التى كانت زوجة آقبردى الدوادار ، ورسم عليها وطلبها بمال له صورة ، وزعم أن آقبردى أودع عندها مائة ألف دينار ، وجرى عليها ما لا خير فيه من الأنكاد والضرر . ٦

وفيه غمز بمض الناس على الأمير قنبك أبو شامة ، وكان مخفياً فى مكان بحارة زويلة ، فكبس عليه والى الشرطة . معه جماعة من المالك ، فلما دخلوا عليه هاش عليهم بالسيف ، فتكاثروا عليه ومسكوه وقتلوه بالدار التى كان بها ؛ وكان ٩ قنبك أبوشامة أحد الأمراء الطليخانات ، وكان من أكبر أصحاب آقبردى الدوادار ، وقد فاته القتل عدّة مرار ، وكان غير مشكور السيرة فى أفعاله .

وفى رجب أخلع على أنصبای وقرّر فى شادية الشراب خاناه ، عوضاً عن أزدر ١٢ من على باى ، بحكم انتقاله إلى التقدمة . - وفيه أخلع على يخشبای وقرّر فى نيانة حماة ، وخرج إليها فيما بعد . - وفيه قرّر شخص يقال له محمد الباسطى فى التكلم على جهات الحسبة ، وجرت من هذا (٨٦ ب) الباسطى أمور يطول الشرح فى ذكرها ، ١٥ وآل أمره بأن ضُرب بالمقارع ، وشهر على حمل فى دولة المادل طومان باى .

وفى شعبان غرق محب الدين محمد بن قاضى القضاة زين الدين زكريا الشافعى ، قيل كان فى مركب ففرق قدام المقياس ، وكان غير مشكور السيرة . - وفيه جاءت ١٨ الأخبار بأن الأمير طومان باى الدوادار ، لما توجه إلى جهة الصعيد ، احتال على حميد ابن عمر أمير عربان هوارة ، فلما ظفر به قتله وحزّ رأسه وأرسلها إلى مصر ، فعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام . - وفى حادى عشره وصل خاير بك أخو قانصوه البرجى ، ٢١ الذى توجه قاصداً إلى ابن عثمان ملك الروم ، وكان الملك الناصر أرسله قاصداً عن لسانه إلى ابن عثمان ، وصحبته هدية حافلة إلى ابن عثمان ، فأكرمه وأظهر الفرح بسلطنة

- الملك الناصر ، فلما بلغه قتلة الناصر شق ذلك عليه ووجّح خاير بك بالكلام .
- وفيه تغيّر خاطر السلطان على جان ردى الغزالي كاشف الشرقية ، وأمر بتوسيطه
- ٣ حتى شفع فيه . - وفيه عاد الطاعون الذى وقع فى العام الماضى ، ومات فيه كثير من الناس ممن كان فرّ من الغرباء ، وعاد بعد رفع الطاعون ، فردّ الطاعون فى هذه السنة ، لكن كان خفيفا جدا . - وفيه جاءت الأخبار بأن عسكر ابن عثمان زحف على بلاد
- ٦ السلطان ، وآل الأمر إلى أن ابن عثمان أرسل يقول لفائب حلب : اعزل ابن طرغل ، فأجابهم نائب حلب إلى ذلك وعزل ابن طرغل .
- وفى رمضان أخلع السلطان على بهاي الدين عبد الرحمن بن قدامة الدمشقي ، وقرّر
- ٩ فى قضاء الحنابلة ، وصرف الشهاب أحمد بن الشيشينى ، فأقام ابن قدامة فى منصب القضاء شهرا واحدا وأربعة أيام ، وعزل وأعيد الشيشينى إلى القضاء ثانيا . - وفيه
- تغيّر خاطر السلطان على الشيخ سريّ الدين عبدالبرّ بن الشحنة ورسم بنفيه إلى قوص ،
- ١٢ فشفّع فيه بمض الأمراء من النقي ، فرسمه السلطان أن يلزم داره ولا يركب ولا يجتمع على أحد من الناس ، وجرت عليه أمور مهولة فى تلك الأيام .
- وفيه اجتمع السلطان والأمراء فى قاعة البحرة وضربوا مشورة (٨٧ آ) فى أمر
- ١٥ آقبردى الدوادار ، فوقع الاتفاق فى ذلك اليوم على أن آقبردى يستقرّ فى نياية طرابلس ، وأن آقباى الذى كان رأس نوبة النوب يستقرّ فى الأتابكية بدمشق ، وأن تانى بك قرا
- يتوجّه إلى القدس بطالا ، فانفصل المجلس على ذلك . - وفيه تغيّر خاطر السلطان على
- ١٨ جان بلاط الأبح نائب القلعة ، وأمر بنفيه إلى نحو البلاد الشامية ، حتى شفع فيه بعض الأمراء من النقي . - وفيه وقع للناصرى محمد بن بنت جمال الدين الأستاذار كاينة عظيمة ، وهو أن شخصا تخاصم معه ، فشكاه من بيت طراباى ، وكان يومئذ دوادار
- ٢١ ثانى ، فوقع من ابن بنت جمال الدين فى المجلس بعض كلام فى حقّ خصمه ، فبطحه طراباى بين يديه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد أن يهلك . - وفيه قرّر ابن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق ، وتوجّه فيما بعد .
- ٢٤ وفيه فى يوم الأحد رابع عشر ربه كانت وفاة الأتابكى أذربك من ططخ ، وقد زعموا

أن ولده يحيى قد سحره حتى مات ، فقبض على شخص يقال له القصديرى وصبيّه ،
 واتهم أنه هو الذى سحره حتى مات ، وجرى بسبب ذلك أمور يطول شرحها ؛ وكان
 ٣ الأتابكى أذربك من أجلّ الأمراء قدرا ، وأعظمهم ذكرا ، كان أميراً جليلاً فى سعة
 من المال ، وافر الحرمة نافذ الكلمة ، وكان أصله من معانيق الظاهر جقمق ، ويقال
 أصله من كتابية الأشرف برسباى ، واشتراه الظاهر جقمق من بيت المال وأعتقه ، فهو
 ٦ من معانيقه ، وصاهره مرتين فى ابنتيه ، وولى عدة وظائف سنّية بمصر ، منها حجوية
 الحجاب ، ورأس نوبة النوب ، ثم بقى نائب الشام فى دولة الظاهر يلباى ، ثم عاد إلى
 مصر وولى الأتابكية فى دولة الأشرف قايتباى سنة ثلاث وسبعين وثمانائة ، وأقام
 بها نحواً من ثلاثين سنة .

وكان من مبتدأ أمره رئيساً حشماً ، قرر فى أمرة عشرة فى سنة اثنتين وخمسين
 وثمانائة ، ولا زال يرقى حتى كان من أمره ما ذكرناه ، وقاسى شدائد ومحن ، ونقى
 ١٢ نحواً من أربع مرار ، وسجن بالإسكندرية مرتين ، وكان كفواً للمهمات السلطانية
 والتجارية ، وقد سافر فى عدة تجاريد ، ويطبّب الأطلاب الحافلة ، وأصرف على التجاريد
 من ماله ما لا ينحصر ، وكان مسمود الحركات فى سائر أفعاله ، ذات (٨٧ ب) شهامة
 وعلوّ همّة ، وأظهر العزم الشديد فى قتال عسكر ابن عثمان وكسره غير ما مرة ،
 ١٥ ولم يحيى بعده فى الأتابكية مثله ، ومات وله من العمر نحو من خمس وثمانين سنة ،
 وخلف من الأولاد ولده الناصرى محمد الذى من بنت الظاهر جقمق ، وولده يحيى ،
 وصاهر الأشرف قانصوه خمس مائة فى إحدى بناته ومات معه .

١٨ فلما مات ترافما محمد ويحيى بين يدى السلطان ، فوضع السلطان يده على تركة
 الأتابكى أذربك من صامت وناطق ، قيل وجد له من الذهب العين ستائة ألف دينار ،
 وقيل سبعمائة ألف دينار ، خارجاً عن البرك والخيول والتماش والتحف ، وخارجاً عن
 ٢١ جهاز ابنته التى ماتت مع قانصوه خمس مائة ، وقد قوّم ذلك بنحو مائة ألف دينار ،
 فحمل ذلك جميعه إلى الخزائن الشريفة ، وقد نال الأتابكى أذربك من الدنيا مثلاً عظيماً
 كما قال القائل :

أتلهو من نعيمك في قصور وأنت من الهلاك على شفير
 فيا من غره أمل طويل يؤديه إلى أجل قصير
 أتفرح والمنية كل يوم تُريك مكان قبرك في القبور
 هي الدنيا فإن سرتك يوما فإن الحزن عاقبة السرور
 ستسلب كلها جمعت منها كمارية تردّ على المير

٣

ولولا ما أسرفه الأتابكي أزبك على التجاريد، وعمارة الأذربكية، وجهاز ابنته سارة،
 ما كان ماله ينحصر، وكانت تركته تقارب موجود سلار نائب السلطنة، وقد تقدّم
 ذكر ذلك، ومن أراد يعلم علوّه الأتابكي أزبك فلينظر ما صنعه من عمارة الأذربكية،
 وقد أنشأها في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة، وقد مهّد ما كان بها من الكيمان وحفر
 البركة العظيمة، وأجرى إليها الماء من الخليج الناصري، وأنشأ هناك الجامع وتلك
 القصور، وما عدا ذلك من ربوع ودكاكين وحمامات وأسواق وغير ذلك، حتى صارت
 مدينة على انفرادها، تسكنها الأمراء من المقدّمين وغيرها وأعيان الناس إلى الآن،
 وصارت تنسب إليه، كما يقال :

٦

٩

١٢

ليس الفتى بفتاء يستضاء به حتى يكون له في الأرض آثار
 (٨٨ آ) ومما عُدّ من مساوي الأتابكي أزبك أنه كان شديد الخلق صعب
 المراس، إذا سجن أحدا لا يطلقه أبدا، وكان عنده جدّة زائدة وشحّ في نفسه،
 جرى اللسان، مع تكبر وبطش، وقد فاته السلطنة عدّة مرار، فكان كما يقال :
 إذا منعتك أشجار المال جناها الغصّ فاقنع بالشميم

١٨

فلما علم السلطان بموته نزل وصلى عليه، وكانت جنازته حافلة، ودفن بترية
 أستاذه الملك الظاهر جقمق، وهي تربة قاني باي الجركسي . - فلما نزل السلطان
 وصلى عليه، فقيل له إن الأمير أزبك اليوسفي أمير مجلس كان، إنه في النزع وسيموت
 في هذه الساعة، فجلس السلطان على مدوّر في سبيل المؤمني ينتظر جنازة الأمير
 أزبك اليوسفي حتى يصلى عليه، فلم يمض في تلك الساعة، فقام السلطان وطلع إلى القلعة؛

٢١

- فلما كان وقت العصر من ذلك اليوم توفي فيه أيضا الأمير أربك اليوسفي ؛ فلما أخرجت جنازته نزل السلطان ثانيا حتى صلى عليه ، فطلعت جنازته من الصليبية ، فلما صلوا عليه رجموا به من على حدة البقر ، ودخلوا به من الدرب الذي عند حمام الفارقاني ، وتوجهوا به إلى مدرسته التي أنشأها بدرب ابن البابا ودفن بها .
- وكان الأمير أربك اليوسفي أميرا جليلا ؛ دينا خيرا ، لئن الجانب ، وكان أصله من معاتيق الظاهر جقمق ، وكان يعرف بأربك الخازندار ، وبأربك ناظر الخالص أيضا ، مات وهو طرخان ، وقد كبر سنه وشاخ وناف عن الثمانين سنة من العمر ، وكان قليل الأذى كثير البرّ والصدقات ، وولى عدة وظائف سنية ، منها : الخازندارية الكبرى ، ثم بقى مقدم ألف ، ثم بقى رأس نوبة النوب ، ثم بقى أمير مجلس ، ثم مشير المملكة في دولة الناصر محمد بن قايتماي ، ثم أخرجت عنه التقدمة إلى أزدمر من على باي ، فأقام مدة يسيرة على ذلك ومات ، انتهى ذلك .
- وفي شوال ، في يوم عيد الفطر ، جاءت الأخبار بأن عربان عزالة ثاروا على الكاشف بالبحيرة فخاربهم ، ففروا منه وعدّوا من الوراق ، (٨٨ ب) وطلعوا بالقرب من شبرا ، وتوجهوا من خلف الجبل الأحمر ، وطلعوا من على بحر بلامة قبالة طرا ، ثم نزلوا بالميصرة وهي ضيعة هناك ؛ فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم تجريدة ، فخرج إليهم في الحال قانصوه البرجي أمير مجلس ، وقرقاس من ولي الدين رأس نوبة النوب ، وقيت الرجبي حاجب الحجاب ، وسيباي نائب سيس أحد المقدمين ، ومن الأمراء الطبلخانات والعشرات جماعة كثيرة ، منهم طراباي الشريف النوادر الثاني ، والجهم الغفير من المسكر .
- فلبسوا آلة السلاح وخرجوا يوم عيد الفطر ، فتوجهوا إلى نحو الميصرة ، فوجدوا عرب عزالة هناك نازلين ، فاتفقوا معهم واقعة مهولة ، فانكسروا الأتراك وتشتتوا ، وقتل من المالك السلطانية نحو من خمسين مملوكا ، ومثل ذلك من الغلمان والعبيد ، وجرح الأمير قرقاس رأس نوبة النوب في وجهه ، وكذلك قيت الرجبي ،

وأما الأمير طراباي فقبل إن العرب ذبحوه من وریده لكنه لم يمت من ذلك ، وجرح من المسكر ما لا يحصى ، ثم إن العرب نهبوا برکهم عن آخره وتوجهوا إلى نحو بلاد الصعيد . ٣

فلما جاءت هذه الأخبار إلى القاهرة اضطربت وماجت ، ونادى السلطان للمسكر قاطبة بالخروج إلى الميعرة وهم لا بسون السلاح ، فلما وصلوا إلى هناك وجدوا العرب قد رحلوا والذي قتل من المسكر طُرءاء على الأرض ، فأرسلوا يطلبون من القاهرة عدة نعوش بسبب من قتل هناك ، فصَيروا لهم نعوشا في مراكب من البحر إلى طرا ، فأحضروا فيهم من قتل ، وصار يوم العيد مثل المأتم في كل حارة حيا كأيام الفصول بسبب من قتل ، وموجب ذلك أن الترك استخفوا بالعرب فأكنوا لهم كينة فخرجت الترك من ورائهم فانكسروا وقتل منهم من قتل ، وكانت هذه الحادثة من الحوادث المهولة ، وقد قلت في ذلك :

١٢ ألا قولوا لعرب قد تَجَرَّوْا على حرب فهل يخشوا عقيبهِ

سهام مليكنا أضحت تفوذا وزجو أن تكون لكم مصيبه

(٨٩ آ) ومن الحوادث في هذا الشهر أن الأمير دولات باي الفلاح ، أحد الأمراء القدامى ، خرج في يوم الأربعاء يسير إلى نحو الرصد ، فلب هناك بالكرة ، وساق الفرس في أرض محجرة فتقنطر به ، فوقع على حجر هناك فأت لوقته ، فحمله على قفص حمال وأتوا به إلى بيته حتى غسلوه وكفنوه ، وأخرجوه في يوم الخميس ، ونزل إليه السلطان وصلى عليه . - ثم إن السلطان ، بعد أن صلى عليه ، توجه إلى بيت طراباي الدوادار الثاني ، فسلم عليه بسبب ما وقع له مع عرب عزالة . - وفيه تغير خاطر السلطان على قراجا نائب غزّة ، فأحضره إلى القاهرة وهو في الحديد ، وجرى عليه ما لا خيره فيه ، ثم آل أمره من بعد ذلك إلى أن ولى نيابة طرسوس وقتل بها . ٢١

وفيه دخل الأمير طومان باي الدوادار الكبير وكان مسافرا إلى جهة الصعيد ،

(٦) يطلبون : يطلبوا . (١٧) الخميس : في ف : وأخرجوه يوم الاثنين وقيل يوم الخميس .

فلما بلغه ما فعلت عرب عزالة مما تقدّم ذكره ، فكبس عليهم في مكان بالوجه القبلي ، وقبض على جماعة منهم ، نحو من ثلثمائة إنسان من رجال ونساء وصغار ، فوصلوا بهم إلى بولاق وطلّموا بهم من الصليبة قدام الأمير طومان باي ، فكان لهم يوم مشهود ،^٣ فوضعوا الرجال في زناجير ، والنساء والصغار في حبال ، وعلّقوا رؤوس من قتل من الرجال في أرقاب النساء .

وكانت واقعة من الوقائع الغريبة ، ولم يتفق مثل ذلك سوى في أيام الظاهر برقوق ،^٦ بما وقع لبدر بن سلام كبير المرابان بالبحيرة ، وقد تقدّم ذكر ذلك في أخبار الظاهر برقوق . - فلما طلع الأمير طومان باي إلى القلعة ، صادف ذلك اليوم خروج الحاج من القاهرة ، وكان أمير ركب المحمل قرقراس رأس نوبة النوب ، وبالأول الناصري^٩ محمد بن خاص بك .

فلما عرضوا عرب عزالة على السلطان رسم بتسميرهم على جمال ، فسُروهم وشقّوا بهم من القاهرة ، وكان لهم يوم مشهود ، وصارت الفرجة فرجتان :^{١٢} على المحمل ، وعلى عربان عزالة ؛ ثم إنهم كلبوهم وعلّقوهم على أبواب المدينة ، على كل باب منها نحو من عشرة أنقار ، حتى على باب القنطرة ، وباب الشمربة ، وغير ذلك من الأبواب ، ثم رسم السلطان بأن نساء المرابان يدعوم (٨٩ ب) في الحجرة^{١٥} حتى يكون من أمرهم ما يكون ، وقد قام الأمير طومان باي بنصرة الأتراك على العرب بعد أن كادت تنتهك حرمة المملكة ، وتهدلت الأتراك أي بهدلة بسبب ما وقع لهم في الميصرة ، كما تقدّم ذكر ذلك في أول الواقعة ، وكان هذا أمرا غريبا من معظم النواذر ، وفي هذه الواقعة يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني هذه القطعة الزجل ، وهي من الجنس انتام :

٢١ نحمد الله ونشكرو خالقا الجسم والعصب
إذ نصرنا على العرب بالدوادار والعصب

٣ ذالعرب أكثروا الفساد في عزالة وعزّلوا
جو وعدّوا وشرّقوا وعلى الحرب عوّلوا
أهلكوا الحرث والنّسأل في الضواحي وحملوا
من عزالة عرب طفوا عمرم في الوفا ذهب
جهم الترك ورّخوا واقعتهم بما ذهب

٦ صار عزيز العرب ذليل وبق في الوجود عدم
وجميع ما جرى لهم بالقدر وبالحكم
كان مسطر على الجبين وبهذا جرى القلم
٩ كل تركى رفع مثنى وسلاحو لهم نصب
وجزّم قطع وصلهم والتعب زادهم نصب

١٢ جوا من الشرق قبلوا سعدوا يطلبوا الصيد
ساقى الترك جرّدت كل هندی صقيل سميد
ما بقى قيس ولا يمن والقريب بالهرب بعيد
كم بغزة جريح طريح جفن عينو الدما حلب
١٥ ما وجد لو أحد حماء لا من الشام ولا حلب

١٨ العرب راهنوا رهان وحكم غلبهم يبيع
ما لهم رأس ولا ذنب وعليهم حكم البيح
وانطوى نشرُ درجهم للقيامة بلا رجيح
في الأراضى سموا فساد لأجل ذا قتلهم وجب
وحكم قتلهم حكم بالإباحة وقال وجب

- (٩٠) أصبح البحر بالرم
وبرّ على وقد سما
بحر طامى من الدما
وبقى البرّ في الحروب
بجز لا ماء ولا سمك
أفسدوا في الميصره
بالمهند وبالرماح
- ٣
- ابن سالم أميرم
أخذ النجع غربوا
وهم وأخرب البلاد
وبذا الشرق غربوا
كم موطن عزيز ديار
أخرب البيت وغربوا
جو لتحت الميصره
كنّ كان بينهم نشب
جا الدؤيدار ومن معو
ويسهم القسى نشب
- ٦
- ٩
- أشهر الرؤوس على الرماح
وبهم قرّت الميون
صار دمام على الترا
في النظر أنهر الميون
وابن سالم كبيرم
خاتقو الحرص والميون
والمجائز مع الشيوخ
ربطوا الكل في السلب
ملّكوا منهم الرقاب
وخذوا البرك والسلب
- ١٢
- ١٥
- علقوم مشنكلين
حتى سال منهم الصديد
حبّ الرؤوس على الرماح
وبقى جلداهم قديد
والكبار جو مقيدين
في زناجير ثقال حديد
والمجائز حكوا قفف
والبنات يشبهوا اللعب
والرجال الماندين
سمروم على اللعب
- ١٨
- راقت الأرض والبلاد
والفساد قد رجع صلاح
- ٢١

والمرب ذل عزّم
قال فقيهي رجب رويت
العرب يتركوا القتال
الملك مهّد البلاد
٣

كان وكان عسكر العرب
قوما ذو بيت لمتدح
شاطر الترك نمدحو
وأمدح الظاهر الملك
بالتقوافي ووزنها
٦

(٩٠ب) لو يكون الوجود ورق
وجميع النباتات يراع
يكتبوا المدح يمجزوا
ذا نبي سنّ صارمو
وبحفنة تراب عمل
١٢

أهل فتى تجاوزوا
تغنّموا الأجر والثواب
الحسود قطّ ما يسود
وعليش يحسدوا أديب
بابن زيتوني مشتهر
١٥

انقضت قصّة العرب
في زجل رقّ ملتزم
من أديب لخص الكلام
في بديمو جناس تمام
١٨

٢١

وبقي البدو والحضر في هنائه على الدوام
نحمد الله ونشكرو خالق الجسم والعصب
إذ نصرنا على العرب بالدوادار والعصب ٣

وهذا الرجل يقرب من الرجل الذي قاله النباري في واقعة العرب ، التي كانت في سنة إحدى وثمانين وسبعمائة في دولة الظاهر برقوق ، وقد وقع فيها ما يشبه ذلك ، انتهى . - وفي هذا الشهر قرّر شمس الدين بن مزاحم الطرابلسي في نظر الاسطبل ، ٦ عوضا عن يحيى بن البقرى ، بحكم صرفه عنها ، ومات يحيى عقيب ذلك . وفيه جاءت الأخبار من حلب بأن آقبردى الدوادار دخل إلى حلب طائما ، وقد تمّ الصلح بينه وبين الأمراء الذين توجّهوا من مصر ، وسبب ذلك أن المسكر ٩ الذي توجّه إلى قتال آقبردى ، فوجدوه بالمرعى عند على دولات ، فلما طال الأمر على المسكر تعلق ، وكان الغلاء موجودا بحلب ، والمليق ما يوجد ، فقصدوا المحيى إلى مصر ، فأرسل قصره نائب حلب يسأل آقبردى في الصلح ، فتوجّه إليه ١٢ قانى باى قرا أمير آخور كبير ، فثنى في أمر الصلح ، وكان السلطان والأمراء مائلين إلى ذلك ، فلما وثق آقبردى (٩١ آ) بذلك حضر صحبته قانى باى قرا ودخل إلى حلب طائما مختارا ؛ فلاقاه قصره نائب حلب وسائر الأمراء الذين كانوا هناك ، ١٥ وكان له بحلب يوم مشهود ؛ وكان الأمير آقبردى متوقعا في جسده ، فلما استقر بحلب كاتبوا بذلك إلى السلطان في صدق بأمر الصلح ، فمئن له خلعة حافلة ، وفرسا بسرّج ذهب وكنبوش ، وكتب له تقليدا بنباية طرابلس وما لها من التحصّل ١٨ في كل سنة ، ثم أخذوا في أسباب التوجّه إليه .

وفيه توفى سعد الدين القبطى مستوفى الخصاص ، وكان لا بأس به . - وفيه أرسل السلطان الأمير تمر الزردكاش إلى المقر السيفى جان بلاط من يشبك نائب الشام ، يسأله ٢١ في الحضور إلى مصر ليلى وظيفة الأتابكية ، عوضا عن الأتابكى أربك ، بحكم موته ، فخرج الأمير تمر إلى الشام بسبب ذلك

وفى ذى القعدة جاءت الأخبار من حلب بوفاة الأمير آقبردى من على باى أمير
 دودار كبير ، وكان أميراً جليلاً ، رئيساً حشماً ، بشوشاً متواضعاً ، كريماً سخياً النفس ،
 ٣ فى سعة من المال ، مثرياً جداً ، وكان أصله من ممالك الأشراف قايتباى ، ثم ظهر أنه
 قريبه ورقى فى أيامه إلى منتهى الرياسة ، وولى عدة وظائف سنية ، منها أمرة السلاح ،
 والدواذارية الكبرى ، والوزارة ، والأستادارية ، وكاشف الكشاف ، وقريب السلطان ،
 ٦ وعديله ، تزوج بأخت خوند الخاصبكية ، ومدبر المملكة ، وصاحب الحلّ والمقد
 بالديار المصرية ؛ وكان وافر الحرمة ، نافذ الكلمة ، شديد العزم ، شجاعاً بطلاً مقدماً
 فى الحرب ، تولى الدواذارية الكبرى بعد يشبك من مهدى سنة سبع وثمانين
 ٩ وثمانمائة ، وأقام بها نحواً من ست عشرة سنة ، وكان مندقاً بالمطاء الجزيل على
 الأمراء والمسكر ، وجرى عليه شدائد وعجن ، ونهبت أمواله أربعة مرار ، وقاسى
 من الشدائد والضيق ما يطول شرحه ، واستمرّ يحارب عسكر مصر بمفرده نحواً من
 ١٢ ثلاث سنين ، وكان غالب المسكر عليه فلم يظفر به أحد ، ولم يسلم نفسه عن عجز ،
 ولا سجن قط ، ولا تقيّد ، وآخر الأمر مات على فراشه من غير أن يقتل ، فكان
 كما يقال :

١٥ أنا أسمر والراية البيضاء لى لا للسيوف وسل من الشجمان

لم يحل لى عيش العداة لأننى نوديتُ يوم الحرب بالمران

(٩١ ب) قيل إن آقبردى لما دخل إلى حلب وأقام بها اعتراه أكلة فى وجهه ،

١٨ فرغت فى جسده حتى مات بحلب ، ودفن عند سيدى سعد الأنصارى رحمة الله عليه ،

ثم نقلت جثته إلى القاهرة فى أواخر صفر سنة خمس وتسعمائة ، ودفن بتربته التى

أنشأها بالصحرَاء ، ومات وله من العمر دون الخمسين سنة ؛ وكان أسمر اللون ، عربى

٢١ الوجه ، طويل القامة ، نحيف الجسد ، مستدير اللحية ، أسود الشعر ، غير عبوس

الوجه ، وكان لا بأس به ، وكان السلطان والأمراء يخشون من سطوته ، فلما مات

(١٦) بالمرن : فى ف : بالميدان ، وعلى الهامش : بالمران والمراد به الرمح .

(٢٢) يخشون : يخشوا .

كفى كل أحد شره ، وقد قلت ذلك مع التضمين والاقتباس :

مات آقبردى الأمير وولى بعد عزّ وحاز جاها ومالا
فأتاه من بعد ذارب دهر نال منه من العنا ما أنالا
وقضى نحبّه بنير قتال وكفى الله المؤمنين القتالا

فلما تحقّق السلطان موت آقبردى جهّز المراسيم إلى الأمراء الذين كانوا صحبة آقبردى ، وهم : تانى بك قرا الذى كان أمير مجلس ، وآقبای نائب غزّة الذى كان رأس نوبة النوب ، وجانم المصبنة الذى كان حاجب الحجاب ، وقنبك نائب الإسكندرية الذى كان أحد المقدمين بمصر ؛ فأما تانى بك قرا وآقبای فرسم لهما السلطان بأن يتوجّها إلى القدس ويقيا به وهما بطالين ؛ وأما جانم المصبنة وقنبك توجّها إلى الشام بطالين ؛ واستمر تانى بك قرا وآقبای فى القدس حتى كان من أمرهما ما سنذكره فى موضعه ؛ وأما أبنال الصغير السلحدار الذى كان واليا أحد العشرات ، الذى كان صحبة آقبردى ، فإنه غرق فى بعض الأنهار على ما ذكر ؛
وأما بقية العسكر الذى كان مع آقبردى ، فمات منهم جماعة كثيرة ، ودخل منهم إلى مصر الباقون ، وخمدت فتنة آقبردى كأنها لم تكن ، بعد ما جرت منه أمور مهولة بمصر وبالبلاد الشامية ، وهذا أمر مشهور بما وقع له .

وفى ذى الحجة فرّق السلطان الضحايا على العسكر ، وكان عيدا حافلا ، وجاء العيد بالجمعة ، ولهج الناس بزوال السلطان عن قريب ، وكان الأمر كذلك ولم يقم إلى العيد الثانى : - وفيه توفى الطواشى مقبل الرومى الأشرفى أبنال رأس نوبة السقاة ، وكان لا بأس به ، (٩٢ آ) فلما مات أخلع السلطان على الطواشى محسن الحبشى الأشرفى قايتباى وقرّره رأس نوبة السقاة ، عوضا عن مقبل الرومى بحكم وفاته ، وقد قاسى محسن هذا فيما بعد غاية الشدائد والمحن .

وفيه انتقل قصره من نيابة حلب إلى نيابة الشام ، عوضا عن جان بلاط من يشبك ، بحكم انتقاله إلى الأتابكية بمصر ؛ وانتقل دولات باى من أركاس نائب

(١٢) الذى كان صحبة ... على ما ذكر : فى ف : قيل إنه قتل وقيل إنه غرق فى بعض الأنهار .

طرابلس إلى نيابة حلب ، عوضا عن قصره المنتقل إلى نيابة الشام ؛ وقرر يلباى المؤيدى فى نيابة طرابلس ، عوضا عن دولات باى المنتقل إلى نيابة حلب ، وأضيف إلى يلباى حجوية طرابلس أيضا مع النيابة .

وفيه دخلت مسرى من الشهور القبطية ، فكانت زيادة النيل فى ثالث مسرى ثلاثين أصبعا ، وفى الرابع منها أربعين أصبعا ، وفى الخامس منها عشرين أصبعا ، فأوفى الله فى خامس مسرى ، وكسر فى اليوم السادس منها ، الموافق لحادى عشرين ذى الحجة ، فرسم السلطان للأمر طومان باى الدوادار الكبير بأن يتوجه ويفتح السد ، وكانت الأتابكية شاغرة من حين توفى الأتابكى أزبك ، وكانت الأمراء غائبين فى التجريدة التى توجهت بسبب آقبردى ، فلم يكن بمصر أكبر من الأمير طومان باى يومئذ ، فتوجه إلى المقياس فى الحراقة ، فخلق العمود ورجع إلى فتح السد ، فأظهر فى ذلك اليوم غاية ما يكون من العظمة ، وفرق الجامع الحلوى والمشقات الفاخرة ، والبطيخ الصيفى ، ونشرت على رأسه خفاف الذهب والفضة عند السد لما ركب من هناك ، وكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة ، وكان نبلا عظيما فى تلك السنة ، وثبت إلى أواخر بابه ، وترادفت الزيادة بالأصابع ، فكان كما يقال :

وقت أصابع نيلنا وطف وطف فى البلاد
وأنت بكل مسرة ما ذى أصابع ذى أبادى

وقد قال القائل فى المعنى :

قد وفا النيل خامسا شهر مسرى فلا بشره قلوب العباد
جاء فى عزمه وأوفى سريعا كحبيب أنى بلا ميعاد

وفى هذا الشهر دخلت الأمراء الذين كانوا توجهوا إلى التجريدة بسبب قتال آقبردى ، فحضر الأمراء المقدم ذكرهم ، وحضر محبتهم من كان مع آقبردى مشتقا فى البلاد الشامية ، جماعة من الأمراء العشرات ، منهم أسنباي الأصم ، ونوروز أخو يشبك (٩٢ ب) الدوادار ، وجانم آقجى الإبراهيمى ، وآخرون من الخاصكية ممن كان من عصبة آقبردى الدوادار ، فأقاموا بالقاهرة مدة يسيرة ، ثم عادوا إلى البلاد الشامية .

- وفيه توفى شرف الدين بن الأسيفر ، وكان من أعيان المباشرين . - وتوفى جلال الدين بن الصالحى ، وكان لا بأس به ، وقاسى شدائد ومحنًا فى أواخر عمره . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة داود باشاه وزير ابن عثمان ملك الروم ، وكان رئيسا حشما مدبر ٣ مملكة الروم ، سديد رأى ، وافر العقل ، مشكور السيرة .
- وفيه جاءت الأخبار بوقوع فتنة مهولة ببلاد الغرب بين ملوك الفرنج وملوك الغرب ، وكانت النصره للمسلمين على الفرنج ، ولله الحمد . - وفيه ابتدأ السلطان ٦ بعمارة تربته التى أنشأها بالصحراء ، وحصل للناس منه غاية الضرر بسبب ذلك . - وقد خرجت هذه السنة عن الناس والفتن قائمة فى سائر البلاد ، حتى بمكة ، ووقع بين الشريف محمد أمير مكة وبين أخيه هزاع ، واستمرت الفتن هناك قائمة فيما بعد ، ٩ حتى كان ما سئد كره فى موضعه ، انتهى ذلك ولله الأمر .

ثم دخلت سنة خمس وتسعمائة

- ١٢ فيها فى الحرم كان الخليفة أمير المؤمنين المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب العباسى الهاشمى الأبوين ؛ والسلطان الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه خال الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ؛ وأما القضاة الأربعة على حكم السنة الماضية ؛ وكذلك الأمراء القدمين أرباب الوظائف ، غير أن الأتابكية تعمّنت إلى المقر السيفى جانبلاط من يشبك نائب الشام ، ١٥ وكتب له بالحضور . - وفيه توفى يحيى بن البقرى الذى كان ناظر الاسطبل وصرف عنها ، وكان لا بأس به .
- ١٨ وفيه تفرّخ خاطر السلطان على القاضي علاى الدين على بن الصابونى ناظر الخصاص ، فمزله ورسم عليه ، ثم أخلع على شهاب الدين الرملى وقرّره فى نظر الخصاص ، عوضا عن ابن الصابونى ، ولم يكن شهاب الدين الرملى هذا تقدّمت له رئاسة بمصر ، ولا قط ٢١ ولى قبل ذلك وظيفة سنّية ، وكانت ولايته من غلطات الزمان ، وفى ذلك يقول شيخنا (٩٣ آ) عبد الباسط بن خليل الحنفى ، وهو قوله :

- قد استقوى الرمل على منصب الشخص برأس العام يا خلى
من عدم الدست ومن جهل من يطبخ حتى انحط للرمل
- ٣ وفيه استمقى هلال الطوائى الروى من مقدمة المالك ، وسأل فى أن يتوجه
إلى الشام ويكون بها على أمرة عشرة ، فأجيب إلى ذلك ؛ ثم إن السلطان أخلع على
عبر التكرورى وقرّر فى مقدمة المالك ، عوضا عن هلال . - وفيه توفى أربك
- ٦ قفص الأشرفى قايتباى ، أحد الأمراء الطبلخانات ، الرأس نوبة الثانى ؛ فلما مات أربك
قفص أخلع السلطان على أبى يزيد الممدى وقرّر فى الرأس نوبة الثانية ، عوضا عن
أربك قفص بحكم موته . - وفيه كان إقامة الخطبة بالجامع الذى أنشأه بركات بن قريميظ
بمحارة زويلة ، وجاء فى غاية الحسن ، ولاسيما بذلك الخط .
- ٩ وفيه دخل الحاج إلى القاهرة ، وقد قاسى فى تلك السنة مشقة زائدة ، وخرج
طائفة من العربان على الركب الفزائى بالقرب من الشرفة ، فاستولوا عليه عن آخره ،
وأسروا النساء ، وقتلوا الرجال ، ولولا أدركهم قرقماس أمير ركب المحمل لأخذ جميع
١٢ من فى الركب الفزائى جميعه ، وقد نهبوا أطراف الركب الأول ، وكان أمير
الركب فى تلك السنة الناصرى محمد بن خاص بك أخو خوند . - وفيه توفى الشيخ
١٥ خالد الوقاد النحوى الأزهرى الشافى ، وكان فاضلا فى النحو وله فى ذلك عدة
تصانيف .
- وفى صفر كان دخول المقر السيفى جان بلاط نائب الشام ، فلما حضر أقره السلطان
١٨ فى الأناكية ، عوضا عن أربك من ططخ بحكم وفاته ، وسكن بالأزبكية ، فلما أقام
بمصر شرع فى بناء تربته التى بجوار باب النصر ، وصنع بها خطبة ، ولم تتم إلا بعد
موته ودفن بها . - وفيه فى ثالثه توفى الشيخ الصالح الزاهد الوارع أبو العباس أحمد
٢١ ابن محمد الغمرى رحمة الله عليه ، ودفن بجامعه الذى أنشأه بالقرب من باب القوس . -
وفيه حضرت جثة آبردى الدوادار وهى فى سحلية خشب ، فدفن فى تربته التى أنشأها

(١٥-١٦) الأزهرى . . . تصانيف : قلا عن ف ، وينقص فى الأصل .

(٢١) من باب القوس : فى ف : من مرجوش وباب القوس .

بالصحراء ، وقد نقل من حلب إلى مصر بعد دفنه في تربة سيمى سعد الأنصارى
رضى الله عنه .

وفى ربيع الأول عيّن السلطان الأمير قانصوه كرت ، أحد الأمراء الطبلخانات
(٩٣ ب) والخازندار الثانى ، بأن يتوجه قاصدا إلى ابن عثمان ملك الروم ، فخرج بعد
مدة ، وجرى عليه أمور شتى من بعد ذلك . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة أيدى حمار
الأشرف قايتباى نائب قلعة الشام ، وجرى عليه قبل موته شدائد ومحن شتى . - وفيه
عمل السلطان الولد النبوى ، وكان حافلا . - وفيه عيّن السلطان الأمير قانصوه المسمى
المعروف بالبرجى أمير مجلس ، بأن يتوجه أمير حاج بركب المحمل ، وعيّن جان بلاط
الموثر المحتسب بالركب الأول .

وفيه جاء للسلطان ولد ذكر من زوجته خوند جان كلدى الجركسية ، فتماه
أحمد ، فلما كان يوم سابعه اجتمع سائر الخوندات ونساء الأعيان بالقلعة ، وكان مهتما
حافلا ، وحمل الزمام جوهر المعينى القبة والطير على رأس خوند جان كلدى ، وفرشت
لها الشقق الحرير ، ونشرت على رأسها خفاف الذهب والفضة ، وكان لها بالقلعة يوم
مشهود . - وفيه تزوج السلطان بخوند مصر باى زوجة الملك الناصر ، وكانت عليه
كعب الشؤم لم يستنى معها .

وفى ربيع الآخر جاءت الأخبار بأن قصره الذى تولى نيابة الشام ، قد عصى
وخرج عن الطاعة ، واستولى على قلعة الشام كما كان كرتباى الأحمر ، واستمر
المعصيان يتزايد من قصره حتى كان من أمره ما سنذكره فى موضعه . - وفيه أرسل
السلطان بالقبض على خاير بك الكاشف ، فأحضر فى الحديد ، فرسم بنفيه إلى قلعة
المرقب ، فسجن بها ، ثم أطلق ، وجرى عليه من الأنكاد ما لا خير فيه ، وصودر
غير ما مرة . - وفيه قدم البدرى محمود بن أجا من حلب ، وقد انفصل من قضاء الحنفية
بحلب ، وأتى إلى مصر وأقام بها ، وكان من أمره ما سنذكره فى موضعه . - وفيه قرر
فارس المنصورى نائب دمياط فى كشف الغريبة ، عوضا عن خاير بك الماضى خبره .

(١٥) لم يستنى : كذا فى الأصل وأيضا فى ف ، ولعله يعنى أنه لم يمكث سنة معها .

وفيه قبض على سليمان بن قرطام وكان من كبار المفسدين بالشرقية ، فلما قبض عليه رسم السلطان بأن يشنكلوه على باب زويلة ، وأقام معلقا ثلاثة أيام بلياليها .
 ٣ وفيه قبض السلطان على أخت خوند بنت خاص بك زوجة آقبردى الدوادار ، فرسم عليها بالقلعة وقرّر عليها مالا له صورة ، وقد رافمها أبو المنصور مباشر آقبردى ، وزعم أن آقبردى أودع عندها مالا ، فأقامت فى الترسيم (٩٤ آ) حتى أوردت ما قرّر عليها .

وفعل مثل ذلك بأختها خوند الكبرى زوجة الأشرف قايتباى ، فقرّر عليها مالا له صورة ، ووكل بها خمسة من الطواشية حتى أوردت ما قرّر عليها ، وباعت أشياء كثيرة من قماشها ؛ وقد حصل عليها ما هو أعظم من ذلك ، وهو أن فى دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباى توجه طائفة من الممالك الجلبان إلى دارها ، وقصدوا يهجمون عليها ، ثم قالوا لبعض الطواشية : ادخلوا قولوا لخوند تنفق علينا لكل مملوك خمسين دينارا ، فلما بلغ خوند ذلك غيبت من البيت ؛ وكان سبب ذلك قد أشيع بين الناس أن خوند تزوجت قانصوه خسمائة فى الخفية ، فلما قتل قانصوه تحرّشت الممالك بخوند وطلبوا منها نفقة كما تقدم ، وكان الذى تحرش بخوند جماعة من الممالك من أحلاف آقبردى الدوادار .

فلما بلغ الملك الناصر ذلك قام مع خوند قيا ما تاما ، ونادى فى القاهرة : جميع المسكر المنصور حسبما رسم المقام الشريف أن أحدا من المسكر لا يتوجه إلى بيت خوند زوجة الأشرف قايتباى ولا يقف لها على باب ، وكل من خاف مرسوم السلطان شنىق بلا معاودة ؛ فانكفوا الممالك عن التوجه إلى بيت خوند من حين أذن ، وقام بنصرتها بما قصدت تسافر من المدينة ، مع أن الملك الناصر صادر خوند فى أيامه بحسن عبارة ، وأخذ منها جملة مال ، وحصل لها عقيب ذلك طلوعا فى وجهها ، واستمرّ بها ذلك المارض حتى ماتت ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه .

(٦) ما : فيا . (١٩) فانكفوا : فانكفوه ، وف : ف : فانكف .

(٢٠) أذن : فى : ف : نادى .

وفى جمادى الأولى فى الثانى منه نزل السلطان إلى قبة يشبك الدوادر التى بالطرية وبات بها ، فلما أصبح أوكب وشق من المدينة وزينت له ، ثم عرج وطلع من الصليبة والأمراء قدّامه والمباشرى ، فاستمرّ فى ذلك الموكب الحافل حتى طلع ٣ إلى القلعة . - وفيه قرّر ابن التيربى فى نظر الجيش بدمشق ، وقد سعى فى ذلك بمال له صورة .

وفى جمادى الآخرة جاءت الأخبار بوفاة هلال الرومى الطواشى ، الذى كان ٦ مقدّم الممالك ، توفى بدمشق ، وكان لا بأس به . - وفيه فى يوم الجمعة ثامنه عقد للأتابكى جان بلاط على خوند (٩٤ ب) أصل باى الجركسية أم الملك الناصر وأخت الملك الظاهر قانسوه ، وكان المقدّم بجامع القلعة وحضر القضاة الأربعة وكان عقداً حافلاً . ٩ وفيه جاءت الأخبار من القدس بوفاة آقبای الطويل ، الذى كان نائب غزّة ، ثم بقى رأس نوبة النوب ، وفرّ مع آقبردى لما انكسر وخرج من مصر ، وآل أمره إلى أن أقام بالقدس بطلا حتى مات ، وكان أصله من ممالك الأشرف قايتباى ، ١٢ وكان شجاعاً بطلاً ، وجرى عليه شدائد وعن ، وقاسى ما لا خير فيه بسبب صحابته لآقبردى الدوادر ، وهو الذى كان سبباً لنصرته على قانسوه خمسمائة فى الواقعة التى وقعت بخان يونس الذى بالقرب من مدينة غزّة ، قيل إن آقبای مات مسموماً على ١٥ ما قيل .

وفيه قرر على ابن طرغل فى نيابة عينتاب . - وفيه توفى شمس الدين محمد الفرنوى ، الذى كان إمام آقبردى الدوادر ، ثم بقى ناظر الأحباس ، وكان يكتب الخط الجيد ١٨ المنسوب ، وقاسى من الشدائد والحن ما لا يمتدّ عنه ، وعذّبه كرباى الأحمر بأنواع العذاب . - وفيه توفى الشيخ أحمد المجذوب الذى كان تحت الكوم الذى عند القنطرة الجديدة ، وكان من كبار الصالحين . - وفيه خرج الأمير طومان باى ٢١ الدوادر متوجّهاً إلى الشرقية والغربية ، فسرح فى البلاد نحواً من عشرين يوماً ، ثم عاد إلى القاهرة ، وقد حاش عدة خيول من المربان ، وغير ذلك من الأغنام والجمال .

وفي رجب تزايدت عظمة الملك الظاهر قانصوه هذا ، فجلس على الدكة التي بالحوش ،
ونصب سحابة جديدة صنعها من الحمل المذهب ، وبها رنوك زركش ، فجاءت
٣ غاية في الحسن ، فجلس على الدكة والسحابة على رأسه ، وطلع القضاة الأربعة للتهنئة
بالشهر ، وكان موكبا حافلا . - وفيه في الحادى عشر منه تغير خاطر السلطان على
القاضى كاتب السر بدر الدين بن مزره ، فقبض عليه وسجنه بالمرقانة ، ثم طلب
٦ أخاه كمال الدين محمد وقرره في كتابة السر ، عوضا عن أخيه بدر الدين . - وفيه
قرر سيباى في نيابة صهيون ، عوضا عن قنك الشيخ ، بحكم فراره عند ابن عثمان
وخوفه على نفسه من القتل .

٩ وفيه كان دخول خوند أصل باى أم الملك الناصر على الأتابكى (٩٥٥ آ) جانبلاط ،
فزل جهازها من القلعة في يوم السبت خامس عشره وشق من القاهرة ، واستمر
ينسحب من ضحوة النهار إلى وقت الظهر ، فتوجهوا به إلى الأربكية ، فكان عدة
١٢ الحالين أربمئة حمال ، والبنال نحو من مائتين بفل ، فرجت له القاهرة وكان له
يوم مشهود ، فكان به من الأمتعة والتحف ما يمجز عنه الواصفون .

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشره نزلت خوند أم السلطان في محفة زركش ،
١٥ وتوجهت إلى الأربكية ، ومشت قدأما جماعة من المباشرين ، منهم كاتب السر
كمال الدين بن مزره ، وناظر الجيش عبد القادر القسروى ، وصلاح الدين بن الجيمان
نائب كاتب السر ، وآخرون من المباشرين والطواشية ، وبمض أمراء عشرات ،
١٨ وهم بالشاش والقماش ، وعدة وافرة من الخاصكية ؛ فلما وصلت إلى باب البيت الكبير
الذى بالأربكية ، فرشت لها الشقق الحرير تحت حافر بفال المحفة ، ونثرت على رأسها
خفاف الذهب والفضة ، وكان ذلك يوما مشهودا ، ولكن جرى من بعد ذلك
٢١ أمور شتى وأنكاد مترادفة : يأتى الكلام عليها في موضعه ، فكان كما يقال :

أمر تضحك السفهاء منها ويبيكى من عواقبها اللبيب

وفي شعبان في يوم السبت سادسه جاءت الأخبار من القدس بقتل الأمير

- ثاني بك قرا ، وكان مقبلا بالقدس كما تقدم ذكر ذلك ، وكان من عصبة آقبردى
الدوادار وفرّ معه ، فلما استقرّ بالقدس توجهت إليه المراسيم الشريفة بمنحه ،
فخُنق وهو بين أولاده وعياله ، وكانوا توجهوا إليه ، وكانت قتلته في يوم الأحد
ثامن عشرين رجب ودفن بالقدس ، فلما جاءت الأخبار بموته تأسف عليه الكثير
من الناس ، وكان أميراً جليلاً رئيساً حثماً ، لثين الجانب ، قليل الأذى ، كثير الخير .
ومن آثاره وهو السبيل والصهرنج الذى أنشأه برأس سويقة عبد المنعم تجاه
الرملة ، وأصرف على ذلك من ماله ما لا له صورة ، فلما كمل بناء ذلك فقدّم هذا
السبيل والصهرنج إلى الأشرف قايتباى ، فصار ذلك يعرف بسبيل السلطان ؛
ومن آثاره المسجد اللطيف ، الذى أنشأه بجوار بيته عند خوخة القردى .
وكان أصله من مماليك الأشرف أيتال ، ورقى في دولة الأشرف قايتباى ،
(٩٥ ب) وولى عدة وظائف سنية ، منها : تاجر المالك ، والدوادارة الثانية ،
ثم بقى مقدم ألف ، ثم بقى حاجب الحجاب ، ثم بقى رأس نوبة النوب ، ثم بقى أمير
مجلس ، ووقع له من الشدائد والحن ما يطول شرحه ، وقاته القتل عدة مرار ، وكان
يُنسب إلى صحابة آقبردى الدوادار ، وفرّ معه إلى البيرة ، وعدى الفراء ، وكان
موصوفاً بالفروسية والشجاعة ، ومات وهو في عشر الستين وزيادة ، ولما مات رثيته
بهذه الأبيات :

- | | | |
|----|---|---|
| ١٨ | ما يروى صرف الدهر عن تنبك قرا
خنقت بمرتها الورا مستعبرا
والدهر إن أصفا يعمود مكذرا
والآن دمي كالدماء وقد جرى | من طالع التاريخ يوما أو قرأ
شاع الحديث بمنحه فلاجل ذا
قد خانه ريب الزمان بفعله
قد كنت أحذر من وقوع حمامه |
| ٢١ | في يوم حرب للعداء مدمرا
لكن قاتله تمدى واقترى
وتجددت أحزانه بين الورى | لحقى عليه من أمير صارم
لم يقتلوه فوق ظهر جواده
يا لطف قلبى قد تجرّع فقهده |

- يا لهف قلبي كم أمير كان في عزّ وجاه صار مدفون الثرى
قد غادر الأمراء جور زمانهم فالحكم للرحمن فيما قدرا
يا ربّ فاجعل قبرهم في روضة واجمل برحمتك الجنان لهم قرا ٣
- وفيه جاءت الأخبار ب وفاة الخوaja مصطفى بن محمود بن رستم الرومي ، توفي ببلاد
ابن عثمان ، وكان لا بأس به ، وهو الذي جدّد عمارة الجامع الأزهر ، وأصرف على
ذلك مالا له صورة من ماله ، وكان مشكور السيرة . - وفيه طلع الأتابكي جان بلاط ٦
إلى القلعة وضمن بدر الدين بن مزهر كاتب السرّ ، فإنه الأتابكي جانبلاط كان زوج
أخت بدر الدين بن مزهر ، فلما ضمنه وتسلمه من السلطان على مال قرّر عليه ، فلما
استقرّ عنده هرب تلك الليلة من مكان بالأزبكية ، فتشوّش الأتابكي جان بلاط ٩
لذلك ، ثم غمز على بدر الدين بن مزهر وقبض عليه عقيب ذلك وآل أمره إلى كل
سوء . - وفيه توفي ابن السلطان الماضى خبر وصفه ، فكان مدة حياته أربعة أشهر
وثلاثة عشر يوما ، فأظهروا عليه الحزن والأسف ، ودفن في تربة أبيه التي أنشأها ١٢
بالصحراء ، (٩٦ آ) فكان كما يقال :
- بدا وفي حاله توارى فيالها طلعة شريقه
جوهرة ما عملت إلا دموع عيني لها عقيقه ١٥
- وفي أواخر هذا الشهر توفي القاضي شهاب الدين بن الصيرفي ، وهو أحمد بن
صدقة الإسرائيلي الشافعي ، أحد نواب الحكم بالديار المصرية ، وكان عالما فاضلا من
أعيان النواب ، وله تصانيف ونظم جيّد ، ومات وقد قارب السبعين سنة . - وفيه ١٨
جاءت الأخبار بقتل قراجا نائب سيس ، وتولّى أيضا نيابة غزة ، وكان موصوفا
بالشجاعة . - وتوفي الناصري محمد بن أبي يزيد ، وكان رئيسا حثما من أعيان أولاد
الناس . - وفيه عين السلطان نيابة حلب إلى الأمير قرقاس من ولى الدين ، فلما ٢١
قرره في نيابة حلب أخرج عنه وظيفة الرأس نوبة الكبرى ، وقرّر بها الأمير قانصوه
الغوري ، ولم يتمّ أمر قرقاس في نيابته بحلب وأعيد إلى تقدمة ألف ، ووقع من بعد
ذلك أمور شتى ٢٤

وفي رمضان عرض السلطان المحاييس من الرجال والنساء الذين بالحجرة ، وعمل مصالح أرباب الديون وصالح عنهم أصحاب الحقوق ، ووزن عن جماعة من ماله ، وأطلق في ذلك اليوم نحوًا من مائتي إنسان ، وضاع على غالب الناس حقوقها ممن كان له دين على من أطلقه من المحاييس ، فكان كما يقال في المعنى :

رام نفعا ففّر من غير قصد ومن البرّ ما يكون عقوقا

- وفي يوم الاثنين رابع عشره عيّن السلطان تجريدة إلى السكرك بسبب عربان بني لام ، وقد تقدّم ما وقع منهم في حقّ الحجاج ، وكان باش المسكر سيباي نائب سيس أحد القدّمين ، وجماعة من الجند ، فخرجوا في أثناء ذلك مسرعين . - وفيه جاءت الأخبار من دمشق بأن قصروه نائب الشام خرج عن الطاعة ، وأظهر المصيان جملة واحدة ، وحضر قانصوه بن سلطان جرّكس ، المعروف بابن اللوقا ، حاجب دمشق ، وأخبر أن قصروه نائب الشام أصرّفه عن الحجوبية وقصد القبض عليه ففّر منه ، وأخبر بأن قصروه استولى على قلعة الشام وعلى ما فيها من المال . ١٢
- فلما تحقّق السلطان ذلك تنكّد (٩٦ ب) إلى الغاية ، واضطربت أحواله ، وأظهر أنه يخرج إلى الشام بنفسه وشرع في أسباب ذلك ، ثم نزل إلى الميدان وأعرض ما عنده من الهجن ، وأمر صلاح الدين بن الجيعان بأن يحضر قوائم مصروف الأشراف برسباي عند توجّهه إلى آمد ، وكل هذا هيت وتحييس على الأمراء والعسكر ؛ ثم إنه عيّن قنّبك أحد الدوادارية ، بأن يتوجّه إلى الشام لكشف الأخبار عن حقيقة ذلك . - وفي أواخر هذا الشهر فطر السلطان ليلة بالإيوان الكبير ، الذي بالقرب من القصر ، واجتمع عنده الأمراء وضربوا مشورة في أمر قصروه ، فعدّ فطوره في الإيوان من النوادر .

- وفي شوال صادف أن في يوم عيد الفطر قلع السلطان الصوف في ذلك اليوم ولبس البياض ، فخرج إلى صلاة العيد وهو راكب على فرس بوز قرطاسي بسرج فضة بيضاء بغير طلاء ، وعباء حرير أبيض ، وخفّ أبيض ، ومهاميز كفت فضة بيضاء ،

حتى المشاية التي في رجله من البرفالي الأبيض ، حتى قبع الكفتاة كان من الصوف الأبيض ، فعدّ ذلك من النوادر ؛ وكان لبس هذا البياض فألا عليه ، فإنه خلع من السلطنة عقيب ذلك . ٣

وفيه ، في اليوم الثاني ، سلى الأمير طومان باي الدوادار صلاة الجمعة مع السلطان بالقلعة ، فلما انقضت الصلاة أدخل عليه السلطان ونزل متوجّها إلى جهة الوجه القبلي ؛ وكان في تلك الأيام قويت الإشاعات بأن السلطان يقصد القبض على الأمير طومان باي ، وكان وقع بينهما في الباطن بسبب قصره نائب الشام ، وكان الأمير طومان باي متواطئاً مع قصره على السلطان ، وكان طومان باي يقصد التمهيد لنفسه حتى يتسلطن ، وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد ، كما يقال : ٩

بِتْ فِي قُلُوبِ أَسْوَدَ لَا فِي قُلُوبِ رِجَالِ

فالكيد للناس لا للبهائم الجمال

وفيه أشارت الأمراء على السلطان بأن يبعث إلى قصره قاصداً وعلى يده مراسيم بأن يكون على نيابته بالشام ، وأن يسلم (٩٧ آ) قلعة الشام إلى نائبها ولا يؤاخذ بهما فعل ، فعين إليه آقباي الطويل ناظر الجوالى ، فخرج عن قريب . - وفيه خرج الحمل من القاهرة في تجمل زائد ، وكان أمير ركب الحمل قانعوه البرجى ، وبالأول جان بلاط الموت المحتسب ؛ فلما توجهوا إلى بركة الحاج استمرّ الحمل مقبياً بالبركة إلى الخامس والعشرين من شوال ، حتى عدّ ذلك من النوادر ، وسبب ذلك أن غلمان أمير الركب الأول هرب أكثرهم ، وتمطلت أحواله بموجب ذلك . - وفيه جاءت الأخبار بأن قصره قد استولى على مدينة طرابلس ، وقبض على نائبها يلداي المؤيدى ، وسجنه بقلعة دمشق . ١٢ ١٥ ١٨

وفي ذى القعدة أدخل السلطان على قيت الرجبي حاجب الحجاب وقرّره في نيابة طرابلس ، عوضاً عن يلداي المؤيدى ، ولم يتم ذلك فيما بعد . - وفيه أدخل السلطان على شخص من خواصه ، يقال له تمر من جانم ، وقرّره في الحسبة ، عوضاً عن ٢١

جان بلاط الموتور وهو غائب بالحجاز ، فلم ينتج أمر تمر هذا وقبض عليه فيما بعد . -
وفيه أنتم السلطان على أنص باى شاد الشراب خاناه بتقديم ألف .

- وفيه ، في ثالث عشره ، حضر آقبای الطویل المتوجّه إلى قصره كما تقدّم ، فماد ٣
الجواب على السلطان بأن قصره مستقرّ على العصيان ولم يدخل تحت الطاعة ، فمند
ذلك عرض السلطان المسكر وكتب تجريدة إلى قصره ، وعين بها من الأمراء
المقدمين ثمانية ، ومن الأمراء الطبلخانات والعشرات نحواً من ثلاثين أميراً ، ومن ٦
الماليك السلطانية نحواً من ألفي مملوك ، وأظهر السلطان أنه يخرج إلى الشام عقيب
ذلك بنفسه . - وفيه جاءت الأخبار بوفاة قنبيك أحد الدوادارية ، الذي كان توجّه
إلى قصره لكشف الأخبار ، وقد سافر من البحر الملح لموجب فساد الطرقات ، فلما ٩
وصل قاني بك إلى حلب وقابل النائب بها ، وهو دولات باى من أركلاس ، فرماه
النائب من على سور قلعة حلب إلى الخندق ، فمات بالخندق .

- وفيه قويت الإشاعات بأن السلطان قد أرسل بالقبض على الأمير طومان باى ١٢
الدوادار وهو بالصعيد ، وكانت هذه الإشاعة من أكبر أسباب الفساد في زوال ملك
الظاهر قانصوه ؛ فلما قويت الإشاعات بذلك نادى السلطان في القاهرة بأن أحدا
لا يكثر كلاماً فيما لا يمينه ، وأن الأمير طومان باى الدوادار على عادته ، وكان ترك ١٥
هذه المناداة أصوب وقد تأكّد (٩٧ ب) الأمر بذلك .

- وفي هذا الشهر هجم المنسر على سوق الوراقين وسوق الهرامزة ، وكسروا عدّة
حوانيت ونهبوا ما فيها ، وقتلوا ثلاثة من الخفراء ، وكان المنسر نحواً من مائة نفر ، ١٨
ما بين مشاة وركاب ، ومعهم قسيّ ونشاب ، فنهبوا قاشا بنحو عشرة آلاف دينار ،
ولم تنتطح في ذلك شاتان ، وكانت من الوقائع الموهلة . - وفي هذا الشهر كانت وفاة
الريس نور الدين على بن رحاب ، المغني الناشد المادح ، فريد عصره ووحيد دهره ، ٢١
وكان من نوادر الزمان ، ينظم الشعر ، ويركز الخفاف بالألحان القريبة ، وكان آخر

(٧) ألفي مملوك : ألفين مملوكا . (١١) سور : صور .

(١٧) الهرامزة : كذا في ف ، وفي الأصل : الهرامزة .

مغاني الدكة في الدخول والطرب ، ولم يجي* بعده أحد مثله في الدخول ، وقد رثيته
بعد موته بهذه الأبيات :

٣ توفي نزهة الأسماع طرّاً وصار العيش منّا في ذهاب
وناخت بعده الآلات حزناً وأظهرت الصّراخ مع انتحاب
وأبدى الدفّ والماصول زعفاً كمن جاء الآتم في المصاب
٦ وأضحى الناس في قلق ولم لا وقد ضاق الوجود بلا رحاب

وفي أواخر هذا الشهر حضر الأمير طومان باي الدوادار ، وكان مسافراً إلى
جهة الصعيد ، فلما حضر إلى الجزيرة خرج الأمراء والعسكر قاطبة إلى تلقيه ، فأقام
٩ بالجزيرة ولم يمدّى ، فتوجّه إليه الأمير طراباي أحد المقدمين ، وعلى يده صورة حلف
عن لسان السلطان ، أنه لا يشوّش عليه إذا قابله ولا يقبض عليه ؛ فلما توجه إليه
الأمير طراباي لم يثق الأمير طومان باي بذلك الحلف ، وأظهر المصيان ، فرجع
١٢ الأمير طراباي بجواب غير صالح ؛ وقد تقلّب على الظاهر قانصوه غالب الأمراء
والعسكر ، فلما رأى أحواله مضطربة تحقّق وقوع فتنة ، فأخذ في أسباب تحصين
القلمة ، ونقل إليها أشياء كثيرة من البقساط والجبن ، وملأ الصهاريج التي بالقلمة ،
١٥ وفرّق السلاح على مماليكه ، وانتظر ما يكون من أمر الأمير طومان باي .

فلما عدت إليه الأمراء قبض على جماعة ، منهم الأمير قاني باي قرا أمير آخور
كبير ، فلما قبض عليه وضعه في الحديد ، وقبض على أنص باي ، وعلى تمر قريب
١٨ السلطان الذي تولى الحسبة ووضع في الحديد ، (٩٨ آ) وقبض على القاضي
عبد القادر القصري ناظر الجيش ، وعلى آخرين من الأمراء . فلما كان يوم
الأرباء سادس عشرين ذى القعدة عدّى الأمير طومان باي من نحو إنابة ، وطلع
٢١ من بولاق بمن معه من المساكر ، فتوجّه إلى الأزبكية بعد المصرويات بها ، وكان
الأنابكي جان بلاط ساكناً هناك ، فاجتمعوا الأمراء عنده وضربوا مشورة في أمر
الظاهر قانصوه ، فوقع الاتفاق على خلع من السلطنة .

فلما كان يوم الخميس سابع عشرين هذا الشهر لبس المسكر لامة الحرب ،
وركب الأتابكي جان بلاط ، والأمير طومان باي ، وبقية الأمراء ، من الأذربكية ،
وتوجهوا إلى بيت الظاهر قانصوه الذي عند سوق السلاح بالقبو ، فعند ذلك ركبوا ٣
وحاصروا الظاهر قانصوه وهو بالقلة ، ولم يكن عنده من الأمراء سوى جان بلاط
الأبح نائب القلة ، وبعض أمراء العشرات ، ومن الجند نحو ألف إنسان ، فاستمر
الحرب نائرا بين الفريقين ، وأقام تحاربهم ثلاثة أيام على قلة من عنده من المسكر ٦
بالقلة ، وكان الظاهر قانصوه حصن القلة ، وسد باب الاسطبل الذي من جهة
باب القرافة .

فلما كان يوم الجمعة بعد العصر ملك الأمير طومان باي مدرسة السلطان حسن ، ٩
وركب هناك مكحلة ، وصار يرمي على من بباب السلسلة . - فلما كان يوم السبت
تاسع عشرينه انكسر الظاهر قانصوه ، وتشتت من كان عنده بالقلة ، فلما رأى عين
الغلب دخل الحريم ، وتزايا بزى النساء ، وكشف عن رأسه وترير وتنقب ، ونزل ١٢
من القلة وتوجه [نحو] الترب ، واختفى خبره ، فكان كما يقال :

وقائلة [لى] دهتك الهموم وأمرك ممثتل فى الأم

فقلت ذريتى على غصتى فإن الهموم بقدر الهمم ١٥
فلما انكسر الظاهر قانصوه لم يجسر الأمير طومان باي يتسلطن ، وكان قد أمه
الأتابكي جان بلاط ، فاستمرت القاهرة بلا سلطان من يوم السبت إلى يوم الأحد ،
وقد أشيع وجود قانصوه خمسمائة الذى تسلطن ، فنودى فى القاهرة: إن كان قانصوه ١٨
خمسمائة موجودا فليظهر وله الأمان ، فلم يكن (٩٨ ب) لهذه الإشاعة صحة ، فعند
ذلك وقع الخلف بين الأمراء فى من يلى السلطنة ، فذكر تانى بك الجمالى ، فلم يرض
به المسكر ، ثم ذكر الأتابكي جان بلاط فلم يرض به المسكر ، فتمصّب له الأمير ٢١
طومان باي حتى تسلطن ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه .

فكانت مدة الظاهر قانصوه سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، وكان ملكا

هَيْتَا لَيْنِ الْجَانِبِ ، قَلِيلُ الْأَذَى كَثِيرُ الْبَرِّ وَالْمَعْرُوفِ ، وَكَانَ مَسْلُوبُ الْإِخْتِيَارِ مَعَ الْأَمْرَاءِ ، مَهْمَا يَقُولُونَ لَهُ ، يَقُولُ : يَخْشَى ؛ فَسَمَّتهُ الْعَوَامُ « يَخْشَى » ؛ كَمَا سَمَّوْا الظَّاهِرَ بِلَبَايَ : إِيْشَ كُنْتُ أَنَا قُلُ لَوْ ؛ وَكَانَتْ أَيَّامُ الظَّاهِرِ قَانِصُوهُ أَصْلَحَ حَالٍ مِنْ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْرَفِ قَايْتَبَايَ ، وَقَدْ انْصَلَحَتْ أَحْوَالُ الْبِلَادِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَقَلَّ أَذَى الْعَرَبَانِ ، وَكَذَلِكَ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ ، وَوَقَعَ الرِّخَاءُ فِي أَيَّامِهِ فِي سَائِرِ الْبُضَائِعِ ، وَانْكَفَتْ الْمَالِيكَ عَنْ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ مِنَ الْأَذَى فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ ، وَسَاسَ الظَّاهِرُ فِي أَيَّامِهِ أَحْسَنَ سِيَاسَةٍ ، وَخَلَعَ وَالنَّاسَ عَنْهُ رَاضِيَةً .

وَكَانَتْ صِفَتُهُ أَيْبُضُ اللَّوْنِ ، يَعِيلُ إِلَى الصَّفْرَةِ ، نَحِيفُ الْجَسَدِ ، قَصِيرُ الْقَامَةِ ، أَسْوَدُ الشَّعْرِ ، عَرَبِيُّ الْوَجْهِ ، مُسْتَدِيرُ اللَّحْيَةِ ، جَمِيلُ الْهَيْئَةِ ، حَسَنُ الشَّكْلِ فِي الْمَنْظَرِ ، جَرَكْسَى الْجَنْسِ ، قَلِيلُ الْكَلَامِ بِالْعَرَبِيِّ ، الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْجُلُوبِيَّةُ ، تَوَلَّى الْمُلْكَ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ دُونَ الثَّلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ وَافِرَ الْعَقْلِ ، ثَابِتَ الْجَنَانِ ، مَعَ سَكُونٍ وَعَدَمِ رَهْجٍ .

وَأَمَّا مَا عُذِّ مِنْ مَسَاوِيهِ ، وَهُوَ قَتْلُهُ لِلْأَمِيرِ ثَانِي بَكٍ قَرَأَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، أَرْسَلَ لَخْنَقَهُ وَهُوَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ وَهُوَ بِالْقُدْسِ ؛ وَمِنْهَا أَنَّهُ صَادَرِ خُونَدِ الْخَاصْبِكِيَّةِ زَوْجَةَ أَسْتَازَةِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ قَايْتَبَايَ ، وَوَكَّلَ بِهَا الطَّوَاشِيَّةَ ، حَتَّى أَبَاعَتْ قَانِشَهَا مِثْلَ التَّرَكَةِ وَأُورِدَتْ مَا قَرَّرَهُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَالِ ، وَصَادَرِ أُخْتَهَا زَوْجَةَ آقْبَرْدِي وَوَكَّلَ بِهَا بِالْقَلَمَةِ ، وَطَالَبَهَا بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَزَعَمَ أَنَّ آقْبَرْدِي أَوْدَعَ عِنْدَهَا مَالًا ، وَصَادَرِ أَخَاهَا النَّاصِرَ مُحَمَّدَ بْنَ خَاصِ بَكٍ ، وَعَرَضَهُ لِلضَّرْبِ غَيْرَ مَا مَرَّةً وَأَلْزَمَهُ بِأَنْ يَسَافِرَ أَمِيرُ حَاجٍ بِالرَّكَبِ الْأَوَّلِ مِنْ مَالِهِ ، وَلَمْ يَعْطِهِ شَيْئًا كِمَادَةِ أَمْرَاءِ الْحَاجِّ .

وَمِنْهَا أَنَّهُ ظَلَمَ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، وَأَخَذَ أَمْلَاكَهُمْ غَضَبًا ، وَهَدَّهَا بِسَبَبِ الْبَيْتِ الَّذِي أَنْشَأَهُ عَلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ لِأَجْلِ أَخِيهِ قَانِمٍ ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِالْتَّرَبَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا بِالصَّحْرَاءِ ، وَضَيَّقَ بِهَا الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارِّ مِنْ هُنَاكَ ، وَأَمَمَى تَرْبِ النَّاسِ (٩٩٩ آ) الَّتِي بِجَوَارِهِ ؛ وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مُتَوَاطِئًا مَعَ الْأَمْرَاءِ عَلَى قَتْلِ الْمَلِكِ

الناصر محمد بن أخته ، ولولا تواطؤه لما قدر أحد على قتله ؛ ومنها أنه رسم بشفق بدر الدين بن مزهر كاتب السر ، حتى شفع فيه طومان باي الدوادار ؛ ومنها أنه كان غير عنيف الذيل ، على ما قيل ، والله أعلم . - انتهى ما أوردناه من أخبار الملك ٣ الظاهر أبي سعيد قانصوه خال الناصر محمد بن الأشرف قايتباي ، وذلك على سبيل الاختصار .

٦ ذكر سلطنة الملك الأشرف أبو النصر جان بلاط من يشبك الأشرفي

وهو الرابع والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وهو الثامن عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم في العدد ، وكان أصله جركسي الجنس ، اشتراه ٩ الأمير يشبك من مهدي أمير دوادار كبير ، وأقام عنده مدة ، وحفظ القرآن ، ثم إن الأمير يشبك قدمه مع جملة مماليك إلى الملك الأشرف قايتباي ، فأنزله بالطبقة ، فأقام بها مدة ، ثم أعتقه وصار من جملة معاتيق الأشرف قايتباي ، ثم أخرج له خيلا ١٢ وقاشا وصار من جملة المماليك الجدارية ، ثم بعد مدة بقي خاصكيا دوادار سكين ، وسافر أمير حاج بالركب الأول وهو خاصكي غير ما مرة ، ثم أنعم عليه السلطان بأمرة عشرة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة ، وسافر إلى الحجاز أمير ركب الحمل وهو ١٥ أمير عشرة ، وقرّر في نظر الخانكاه ، ثم توجه قاصدا إلى بن عثمان ملك الروم في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وكان يومئذ أمير طبلخاناه تاجر المماليك .

ثم بقي مقدم [ألف] في أواخر دولة الأشرف قايتباي ، ثم بقي دوادارا كبيرا ، ١٨ عوضا عن آقبردي في دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباي ، ثم قرّره في نيابة حلب وخرج إليها ، فلما تولى الظاهر قانصوه نقله إلى نيابة الشام ، عوضا عن كرتباي

(١٥) أربع وتسعين : كذا في الأصل ، وفي ف : أربع وسبعين ، والصحيح هو المذكور في الأصل ، لأن جانبلاط كان في سنة ٨٨٩ خاصكيا ولم يكن قد ترقى بعد إلى أمرة عشرة ، انظر هنا فيما سبق ص ٢١١ س ١٠ . (١٨) ما بين القوسين ينقص في الأصل .

٣ الأحمر بحكم وفاته ، ثم أحضره الظاهر قانصوه إلى الديار المصرية ، وأقره في الأتابكية ، عوضا عن الأتابكي أزبك بحكم وفاته ، ثم تزوج بخوند أصل باي أم الملك الناصر ، واستمر على ذلك حتى وثب طومان باي الدوادار على الظاهر قانصوه وانكسر ، فوقع الاختيار على سلطنته على كره من الأمراء والمسكر .

وكانت صفة مبايعته أنه لما تسحب الظاهر قانصوه من القلعة ، (٩٩ ب) واختفى كما تقدم ، أقامت القاهرة بغير سلطان يومين ؛ فلما كان يوم الاثنين ثاني ذي الحجة صعد الأمراء والمسكر إلى باب السلسلة واشتدوا فيمن يلى السلطنة ، وكان قصد الأمير طومان باي أن يتسلطن وقد ظهر ذلك فيما بعد ، ولكن كان قد أمه الأتابكي جان بلاط ، وتانى بك الجالى أمير سلاح ، فلم يجسر أن يتسلطن ، وكان المسكر غير راض به ، فها وسعه إلا تمصّب للأتابكي جان بلاط وسلطنه ؛ فأرسل خلف أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وهم : زين الدين زكريا الشافى ، والبرهان بن الكركى الحنفى ، وعبد الفى بن تقي المالكي ، والشهاب الشيشينى ١٢ الحنبلى .

فلما تكامل المجلس عملوا صورة محضر فى خلع الظاهر قانصوه ، فخلع من السلطنة فى الحال ، ثم إن الخليفة بايع الأتابكي جان بلاط بالسلطنة ، وقيل تسلطن فى ساعة الشمس ، وتلقب بالأشرف ، وكنى بأبى النصر على لقب أستاذه الأشرف قايتباي ؛ فلما تمت بيعته أحضر إليه شعار الملك ، وهى الجبة والعمامة السوداء ، فأفيض عليه ذلك الشعار ، وقدمت إليه فرس النوبة ، فركب من على سلم الحراقة ١٨ التى بباب السلسلة ، ورفعت على رأسه القبة والطير ، وركب الخليفة عن يمينه ، ومشت الأمراء بين يديه ، واستمر فى ذلك الموكب حتى طلع من باب سرّ القصر ، وجلس على سرير الملك ، وقبل له الأمراء الأرض من كبير وصغير ؛ ثم أخلع على الخليفة وألزمه أن يتحول من بومه ويسكن بالقلعة كما كان والده المتوكل على الله عبد العزيز ، فامتنل ذلك ؛ ثم ضربت له البشائر بالقلعة ، ونودى باسمه فى القاهرة ،

وارتفعت الأصوات له بالدعاء ، وكان ملء العيون ، كفوا للسلطنة ، وافر العقل ،
سديد الرأي .

- ٣ وفي حال سلطنته رسم بالإفراج عن الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير ، وكان مشكوكا فى الحديد عند الأمير طومان باى الدوادر ، وقد قاسى من البهدة والأنكاد ما لا يعبّر عنه ، وكذلك الأمير طراباى كان عنده فى الترسيم أيضا ، فأُخلع على قانى باى قرا وأبقاه فى أسرة آخورية الكبرى على عادته ، وأطلق طراباى وأنص ٦ باى شاد الشراىجناه وأبقاها على وظائفهما ، ثم إنه عين الأتابكية إلى قصره نائب الشام ، وكان يظن أنه سيدخل تحت طاعته ، فجاء الأمر بخلاف ذلك .
- ٩ ثم فى يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة جلس فى شباك الدهيشة ، وعرض (١٠٠ آ) ممالك الظاهر قانصوه ، ومسح منهم جماعة - وفى ذلك اليوم بعث للأمير طومان باى الدوادر نحو من ثلاثمائة فرس من خيوله الخاص الذى كانوا عنده لما حضر من الشام . - ومما عُد من آداب الأشرف جان بلاط أنه لما ولى السلطنة ، فكان إذا ١٢ جلس على الدكة التى بالحوش ، فلا يقعد فى مكان كان يجلس فيه الأشرف قايتباى ، بل يجلس فى وسط الدكة تأدبا لأستاذه قايتباى .
- ١٥ وفى يوم الخميس خامس ذى الحجة فرق الأضحية على الجند والأمراء ومن له عادة . - ثم أُخلع على بدر الدين بن مزهر وأعادته إلى كتابة السرّ ، وعزل أخاه كمال الدين عنها ؛ وأعاد الشهابى أحمد بن ناظر الخاص إلى نظر الجيش ، وعزل عبد القادر القهروى وأودعه الترسيم ، وقرّر عليه مالا له سورة ؛ وأُخلع على علاى الدين بن ١٨ الصابونى وأعادته إلى نظر الخاص ، وعزل شهاب الدين بن الرملى عنها ، وسلّمه إلى طراباى على مال قرّر عليه ؛ وأُخلع على قيت الرجبى وأعيد إلى حجوية الحجاب ، وبطل سفره إلى طرابلس نائبا ؛ وأُخلع على أزيك الناشف وقرّره فى نيابة القلعة ، عوضا ٢١ عن جان بلاط الأبح بحكم اختفائه ؛ ثم عين قصره الصغير بأن يمضى إلى قصره نائب الشام بالبشارة بسلطنته ، وظنّ أن قصره يسرّ لسلطنته ، فما ازداد إلا عصيانا ، وأرسل إليه

بالحضور ليلي الأتابكية، فلم يلتفت قصره إلى ذلك وتعادى على ما هو عليه من المصيان.
ثم قبض على تمر قرابة الظاهر قانصوه الذى كان محتسبا ، ووكل به وقرّر عليه
٣ مالا ، وكذلك قبض على تانى بك الخازندار وقرّر عليه مالا . - وفيه عيّن دولات
باى إلى مقدمة ألف ، وكذلك بُرد بك الحمدي ، وكذلك خاير بك أخو قانصوه
البرجى الحمدي .

٦ وفى هذا الشهر قوى الفحص والتفتيش على الظاهر قانصوه ، وصار والى
الشرطة فى كل يوم وليلة يكبس الحارات ويهجم البيوت ، وحصل للناس بسبب ذلك
الضرر الشامل من الكبس والنهب ، فلما طال الأمر قبض السلطان على الطواشى
٩ مسك وضربه ، فأقرّ أن زوجته خوند جان كلدى تعرف طريقه ، فبعث إليها
السلطان الأمير طراباى فسألها عنه ، فلم تقرّ بشيء ، فأحضر إليها الماصير وعصرها
فى رجلها ، فلم تقرّ بشيء ، فحضر الوالى وعاقب الجوار وآخرين من جماعتها فلم
١٢ يقرّوا بشيء .

فلما اشتدّ الأمر بسبب ذلك حضر شخص من أولاد الناس يقال له محمد بن
أينال ، وكان ساكنا فى مويقة صفية عند الوزير الملق ، فأسرّ للأمير أزدمر أحد
١٥ الأمراء المقدمين بأن الظاهر قانصوه (١٠٠ ب) عنده فى بيته ، فلما تحقق الأمير
أزدمر ذلك طلع وأعلم السلطان ، فأرسل جماعة من الخاصكية مع والى الشرطة إلى
ذلك المكان ، فقبضوا على الظاهر قانصوه ، فأركبوه على بغل وعلى رأسه زمطه ،
١٨ وعليه كبر أبيض ، فأتوا به على بركة الناصرية ، وقاسى من البهدة والأنكد
ما لا يعبّر عنه ؛ وقيل إنه وقع من على البغل فى أثناء الطريق ، وتعترسوا عليه حتى
أركبوه ؛ وكان القبض عليه فى يوم الأحد ثانى عشرين ذى الحجة ، وكانت مدة
٢١ اختفائه أربعة وعشرين يوما ، فجرى عليه هذا كله وهو ساكت لا يتكلم ، فكان
كما يقال :

الصبر أولى بوقار الفتى من قلق يهتك ستر الوقار
من لازم الصبر على حاله كان على أيامه بالخيار

- فاستمر على هذه الحالة حتى أتوا به إلى بيت أزدمر ، فلما رآه قام له وأدخله إلى البيت ، فأقام عنده ثلاثة أيام حتى كتب وصية . - فلما كان ليلة الثلاثاء خامس عشرينه رسم السلطان بإخراج الظاهر إلى ثغر الإسكندرية ، فقيدوه وأنزلوه في ٣ مركب تحت الليل وتوجهوا به إلى الإسكندرية ، فسجن بها ، وقيل إن السلطان جان بلاط أنعم عليه بخمسة آلاف دينار لكون أنه كان صهره زوج أخته ؛ وكان المتسفر عليه الأمير أزدمر من على باى المذكور ، فأوصله إلى ثغر الإسكندرية وسجنه ٦ بها وعاد ؛ وخذت فتنة الظاهر قانصوه كأنها لم تكن ، بعد ما أقام في السلطنة سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، انتهى .
- ثم إن المالك بربسوا على الأشرف جان بلاط بسبب نفقة البيعة ، فلما رأى منهم ٩ الجدة أخذ في أسباب جمع الأموال ، فأطلق في الناس نار المصادرة ، وقبض على جماعة من الأعيان ، ووزع على قضاة القضاة مالا له صورة ، فشفع الخليفة في قاضي قضاة المالكية عبد الغنى بن تقي ، فعفا عن ما كان قرّر عليه من المال لفقره . ١٢
- وفيه قبض السلطان [على] الحاج رمضان المهتار وسلمه إلى طراباى ، فماقيه وعصره ، واستخلص منه نحوًا من ثلاثين ألف دينار ، وقد سودر غير ما مرة ، وهذه آخر مصادراته ، فباع جميع ما يملكه ، حتى بيوته وأثاثه وشوار نسائه ، ١٥ وانكشف حاله جملة واحدة ، وكان رئيسا حشما ، أقام في مهترة (١٠١ آ) الطشتخانات نحوًا من ثلاثة وثلاثين سنة ، ونال من المز والمظمة في دولة الأشرف قايتباى ما لا رآه غيره من المهترة ، وكان متكلمًا على نظر الكسوة الشريفة ، وغير ١٨ ذلك من الجهات السلطانية ، وكان غالب السعى من بابه ، حتى قيل كان متحصّله في كل يوم نحو من خمسين دينارًا غير ما يتحصّل من جهاته .
- وفيه اشتد الأمر على الناس بسبب المصادرات ، وقاست أعيان الناس من البهدة ٢١ والأنكداد ما لا يمتّر عنه ، وكان التسكّم في أمر هذه المصادرات البدري بدر الدين ابن مظهر كاتب السرّ ، فأظهر النتيجة لصهره الأشرف جان بلاط ، وحصل منه (٩) بربسوا : كذا في الأصل ، وكذلك في ف . (١٣) ما بين القوسين ينقص في الأصل .

لناس الضرر الشامل ، وشوش على الكثير منهم ، وقد عقب عليه ذلك فيما بعد حتى كان من أمره ما سذكركه ، وعتت هذه المصادرة طائفة اليهود والنصارى ، وجماعة من أعيان التجار ، والطواشية منهم الطواشى مسك ، ومختص ، ومحسن ، وغير ذلك ، وكانت حادثة مهولة .

وفيه أنتم السلطان بأمره عشرة على خير بك الملاى الأشرفى قايتباى أحد خواصه ، وعلى جانم الحممدى الظاهرى خشقدم ، وعلى على باى دودار خشكلدى البيسى ، وآخرين من الخاصكية . - وفى ليلة الجمعة سابع عشرينه وقتت بالقاهرة زلزلة خفيفة بعد العشاء وأقامت نصف درجة ، ولو دامت لأفسدت ، وقد شاهدوا وقت وقوع الزلزلة بمض النجوم فى السماء تتناثر .

وفيه نزل السلطان وتوجه إلى تربة الأشرف قايتباى فزار قبره ، ثم توجه إلى باب النصر وكشف عن عمارة مدرسته التى هناك ، ثم دخل من باب النصر وشق المدينة ، ثم أتى إلى بيت الأشرف قايتباى الذى أنشأه على بركة الفيل ، فكشف عن زوجته خوند أم الناصر وكانت مقيمة هناك ، فزارها ثم عاد إلى القلعة . - وفيه أعيد الطواشى محسن كما كان خازنا ، وقد قاسى من الأنكاد ما لا خير فيه .

وفى أواخر هذه السنة كانت وفاة صاحبنا تقي الدين بن محمود ، أحد أعيان اليهود بالمدرسة الصالحية ، وكان رئيسا حشما عشير الناس فكه المحاضرة ، لكنه كان ملسانا كثير التعليق للناس ، لا يفوته أحد من كبير ولا صغير ، وكانت أعيان الناس يخشون من لسانه ، حتى قضاة القضاة والمباشرين ، وقد هجاه الأديب زين الدين بن النحاس بقوله :

(١٠١ب) قف وقفة عند سباب الأنام ترى جيوش أجفانه بالسرد قد كُشرت
ومن توقد خيران الحشيش غدت عيناه ترمى جارا بعد ما نفرت
وقال آخر فى المعنى :

لا تعجبوا لعيون فاتها نسك وبالْحشاش صارت بعد ما نفرت

كقطعتين دما حاكّت بحمرتها كأنما هدهبا في جفنها نحرت

- وفي هذه السنة انقطع البلسان من مصر ، وهو البلسم ، وكان من آثار نبي الله عيسى عليه السلام ، وكانت الفرنج يبيعون من أقصى البلاد حتى يشتروا من دهن ٣ هذا البلسم ، ويقالون في ثمنه ، وقد أحضر حبّ البلسان البرّي من الحجاز ، وزرعوه بأرض المطرية وعالجوه ، فلم ينتج ولم ينبت ، وانقطع من مصر بالكلية كأنه لم يكن قط بعين شمس ، وهو أجلّ نبات بها ، وهذا لم يتفق قط ، بل كان قبل ظهور الإسلام بمدة طويلة ، وكان ذكي الرائحة أشبه شبها بورق اللوخية ، وكان دهنه ينفع للأمراض الباردة كوجع الظهر والركب وغير ذلك من الأعراض البلغمية ، وكان يستخرج دهن هذا البلسم في رابع عشرين بشنس القبطي ، وكان في الزمن القديم يحضر يوم استخراج دهنه بعض أمراء السلطان ، وقيل الخازندار الكبير ، وأجود ما يكون طبخ دهنه في برمهات ، وكان يزرع حبّه في بؤنة إلى هاتور ، وكان معدودا من جملة محاسن مصر ، وكان انقطاعه عن مصر في أوائل قرن التسعمائة . - ١٢ ومن حوادث هذا القرن أيضا الحبّ الفرنجي ، أعادنا الله منه ، وقد فشا في الناس جدا حتى أعيا الحكماء أمره ، واستمرّ يمترض للناس إلى الآن ، انتهى ذلك .

ثم دخلت سنة ست وتسعمائة ١٠

- فيها في المحرم كان خليفة الوقت المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب الهاشمي الأيوبي ؛ والسلطان الملك الأشرف أبو النصر جانبلاط من يشبك الأشرفي ؛ والقضاة الأربعة على حكم ما تقدّم ؛ وكانت الأتابكية شاغرة ، وقد تميّنت لقصوره نائب الشام . - وفي يوم الثلاثاء مستهلّ المحرم كان صعود خوند أصل باي زوجة الأشرف جانبلاط ، وهي أم الناصر ، وسرية الأشرف قايتباي ، وأخت قانصوه ، وزوجة الأشرف جان بلاط ، فكان يوم صعودها إلى القلعة يوما مشهودا ، فشقت (١٠٢ آ) من الصليبية وهي في محفة زركش ، وحولها الخدام من أعيان الطواشية ،

وقدّأها أعيان المباشرين ، وجماعة من الخاصكية نحو من خمسين إنسانا ، وهم بالشاش والقماش ، وجماعة من الماليك نحو من مائة إنسان ، وهم بالكوافي القندس والملايط ، وبأيديهم المصبي يفسّحون الناس ، فاستمرت في هذا الموكب الحافل حتى صعدت إلى القلعة ، ومعها نحو من مائتي امرأة على مكارية . ٣

وفيه فرّق السلطان نفقة البيعة على العسكر ، وقد جمع هذا المال من وجوه الظلم والمصادرات ، وفرّق على جماعة مخصوصة من العسكر ، وقطع للأكثرين من الجند وأولاد الناس وغير ذلك . - وفيه في يوم الخميس ثالثه حضر قصره الصغير ، الذي كان قد توجه إلى قصره نائب الشام بيشارة سلطنة الأشرف جانبلاط ، فلما عاد وأخبر أن قصره نائب الشام باق على عصيانه ، ولم يدخل تحت طاعة الأشرف جانبلاط ، ولا لبس خلعتة ، ولا قبل له الأرض ، فلما تحقق السلطان ذلك تنسكد إلى الغاية ، وكان يظن أن قصره يدخل تحت طاعته ، فجاء الأمر بخلاف ذلك . ٦ ٩

وفي يوم الجمعة رابع المحرم صلى الساعان الجمعة ، وجاس بباب الستارة ، وأخلع على الأمير تاني بك الجمالي وقرّره في الأتابكية ، عوضا عن نفسه ، وكان السلطان آخر وظيفة الأتابكية لقصره نائب الشام ، فلما تداى على عصيانه قرّرها تاني بك الجمالي ؛ وأخلع على الأمير طومان باي وقرّره في أمرة السلاح ، مضافا لما بيده من الدوادارية الكبرى ، وقرّره أيضا في الوزارة والأستادارية وكشوفية الكشف ، كما كان الأمير يشبك من مهدي ، فمظم أمره جدا وصار صاحب الحلّ والعقد في تلك الأيام . ١٢ ١٥ ١٨

وفيه استمرّ قرقاس من ولي الدين في نيابة حلب كما قرّره الظاهر قانصوه ، وقرّر برد بك الطويل في نيابة طرابلس ، عوضا عن قيت الرجبي الذي كان تعين إليها ، وقرّر قانصوه بن سلطان جركس المعروف بابن اللوقا في نيابة حماة ، وكان قرّر قبل ذلك في نيابة غزّة ، ثم بطل أمر هؤلاء النواب جميعا ، وحدث أمور بعد ذلك يأتي الكلام عليها في موضعه . ٢١

وفيه في يوم السبت خامس المحرم ، الموافق لثامن مسرى ، أوفى النيل المبارك ، ٢٤

وكسر يوم الأحد سادس المحرم ، (١٠٢ ب) فلما أوفى توجه الأمير طومان باى الدوادر لفتح السد على المادة ، فأظهر فى ذلك اليوم غاية العظمة ، وفرق على المتفرجين نحواً من مائتى مجمع حلوى ، ومائتى مشنة فاكهة ، حتى فرق البطيخ الصيق ، ٣ وثر للعوام فضة لما أراد يركب عند السد ، فارتفعت الأصوات له بالدعاء ، وكان له يوم مشهود ، وهذا كان آخر فتحه للسد ، وتسلمن عقيب ذلك ، وجرى عليه أمور يأتى الكلام عليها ؛ فابتهج الناس بيوم الوفاء لكون أن النيل وافى مسرعاً ، ٦ وحصل به غاية النفع ، وكان نيلاً عالياً ، فكان كما يقال :

كُنْ فى يوم الوفاء نيلنا أتقن علم الحرف بالضبط

٩ إذ بالصبا صفحات خلجانها تجددت بالكسر والبسط

وفيه تكلم وسائط السوء مع السلطان فى إعادة وظيفة نظر الأوقاف ، فلما عرضوا ذلك على الأمير طومان باى فلم يوافق على إعادة هذه الوظيفة ، وكان الملك الناصر أبطلها بواسطة كرتباى الأحمر ، فلما توجه كرتباى الأحمر إلى الشام ، وطاش ١٢ الملك الناصر بعده ، سعى محمد بن العظمة الذى كان ناظر الأوقاف فى إعادته إلى هذه الوظيفة ، وكان الساعى له عبدالقادر بواب الدهيشة ، فقرره الناصر فى نظر الأوقاف ، فأقام بها مدة يسيرة وضيّع منه الناس ، فشكوه للملك الناصر ، فقبض عليه وضرب ١٥ ضرباً مبرحاً ، ونفاه إلى قوص ؛ وقد تولى هذه الوظيفة غير ما مرة ولم ينتجج أمره ، وقد تولّاها جماعة كثيرة ، منهم شخص يسمى ابن الفار الوكيل فلم ينتجج أمره ، وتولى بها أيضاً شرف الدين بن البدر حسن فلم ينتجج فيما تقرّر عليه من المال ، ١٨ وقد تولّاها جماعة كثيرة ولم يثوروا بالسداد ، وهى وظيفة شرّ وظلم ، فشكر الناس فضل الأمير طومان باى الدوادر على إبطال هذه الوظيفة فى تلك الأيام الستة .

وفيه قبض السلطان على شمس الدين بن مزاحم ناظر الاسطبل ، وقدر عليه مال ٢١ يردّه للخزائن الشريفة . - وفيه عاد سيباى نائب سيس أحد المقدمين ، وكان توجه إلى الكرك لقتال عربان بنى لام ، فماد من غير طائل . - وفيه اجتمع السلطان

بالأمراء وضربوا مشورة في أمر قصره نائب الشام ، فأشاروا على السلطان بأن يرسل إليه قاصدا ، فعين شخصين (١٠٣ آ) من الأمراء العشرات ، وهما أزدمر الفقيه والآخر يسمى أصباى ، فتوجّها إليه عن قريب ؛ ثم في أثناء ذلك حضر ٣
خير بك الكاشف ، الذى كان قانصوه نقاه وفرّ من أثناء الطريق وتوجّه إلى قصره وأظهر المصيان ، فلما بلغه سلطنة الأشراف جانبلاط فرّ من عند قصره ودخل تحت طاعة الأشراف جانبلاط ، فلما حضر أخلع عليه ووعدته بتقديم ألف . ٦
وفيه في خامس عشر ربه كان دخول الحاج إلى القاهرة ، وقد حصل لهم مشقة زائدة ، وعوقبهم العرب حتى فات ميعاد دخولهم . - وفيه تمّين تمرى الدوادار ٩
للخروج إلى قصره نائب الشام ، وكانت هذه من مكائد الأمير طومان باى ، فأظهر للسلطان أنه يروم الصلح بينه وبين قصره ، وكان الأمر بخلاف ذلك فيما بعد ، وتلاعب بالأشراف جانبلاط وهو يظن أنه له من الناصحين ، فكان كما يقال في أمثال ١٢
الصادق والباغم :

جهد البلاء حجة الأضداد فإنها كى على الفؤاد
ومنها :

كذلك من يستنصح الأعداء يردده بالنش والفساد ١٥
ومنها :

أعظم ما يلقي الفتى من جهد أن يتلى من جنسه بالضدّ ١٨
ومنها :

والماقل الكافى من الرجال لا ينشئ بزخرف القال انتهى ذلك . - وفيه جاءت الأخبار بأن قصره قد استولى على غزّة وأعمالها ٢١
والقدس ، وغير ذلك من النواحي .

وفي صفر عظم أمر الأمير طومان باى جدا ، وتصرف في أحوال المملكة كما يختار ، وصار الأشراف جان بلاط معه كالحجور عليه لا يقضى أمرا دونه . - وفيه

جاءت الأخبار من حلب بأن دولات باي نائبا أظهر الطاعة للسلطان ، وأنه ليس مع قصره نائب الشام ، وكان هذا كله حيل وخداع ، وترتيب من الأمير طومان باي ، حتى كَلَّ عزمه عن إرسال تجريدة إلى قصره نائب الشام ، وكانت لوائح الخذلان لائحة على الأشرف جان بلاط ، وأحواله كلها معكوسة ، وصار الأمير طومان باي يمهّد لنفسه في الباطن .

- ٦ وفيه توقعك قاضي القضاة زين الدين زكريا وحصل له ضعف في بصره ، فأغلق بابه وأظهر أنه قد عزل نفسه عن القضاء ، فلم يلتفت السلطان إليه ؛ فلما كان يوم الاثنين عشرين هذا الشهر أخلع السلطان على محي الدين (١٠٣ ب) عبد القادر بن النقيب وقرّره في قضاء الشافعية ، عوضا عن القاضي زكريا بحكم انفصاله عنها ؛
- ٩ فكانت مدة ولاية زكريا في قضاء الشافعية نحوًا من عشرين سنة ، فإنه تولى في دولة الأشرف قايتباي في سادس رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وعزل في صفر سنة ست وتسعمائة ، وهذه المدة لم تتفق لأحد من قضاة الشافعية في ولاية واحدة
- ١٢ غيره ، فمُدّت ذلك من النوادر ، وسيمود إلى القضاء ثانيا عن قريب ؛ فلما تولى عبد القادر بن النقيب شقّ على كل أحد من الناس ولايته ولاموا السلطان على ذلك ، وكان يومئذ في الشافعية من هو أولى بالقضاء منه ، ولكن سمي بمال له صورة
- ١٥ حتى تولى على كره من الناس ، فكان كما يقال ذو بيت :

في مصر من القضاة قاضٍ وَلَهُ في أكل موارِيث اليتامى وَلَهُ

- ١٨ إن رمت عدالة فقم مجتهدا مَنْ عَدَا لَهُ دَرَاهِمًا عَدَلَهُ
- وهذه أول ولايته للقضاء بمصر، وقيل إنه سمي بسبعة آلاف دينار حتى تولى ، وسيُعزل عن قريب . - وفيه جاءت الأخبار من جهة المغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة ، التي هي دار ملك الأندلس ، ووضعوا في المسلمين السيف ، وقالوا :
- ٢١ من دخل في ديننا تركناه ، ومن لم يدخل في ديننا قتلناه ؛ فدخل في دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على أنفسهم من القتل ، ثم ثاروا عليهم المسلمون ثانيا وانتصفوا عليهم بمض شيء ، واستمرّ الحرب بينهما نائرا والأمر لله .
- ٢٤

وفي ربيع الأول نزل السلطان إلى بيت الأمير طومان باي الدوادار ، ورجل
عن فرسه ودخل هو وإياه إلى المبيت ، وأقام عنده ساعة يتحدثان في أمر قصره ،
ثم ركب وطلع إلى القلعة . - وفيه عمل السلطان المولد النبوي ، وكان حافلا ، وهو
أول مولده . - وفيه في يومه عين السلطان خاير بك ، أخو قانصوه البرجي ، ومعه
جماعة من المسكر ، وأمرهم بأن يقيموا بفرقة خشية من قصره أن لا يطرق غزوة
على حين غفلة ، فخرج خاير بك والمسكر مسرعين . - وفيه ماتت خوند حببية ابنة
الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق ، وهي زوجة الأمير طومان باي الدوادار ،
وكانت جنازتها حافلة .

وفي عين السلطان الأمير سودون المعجمي أحد المقدمين ، وقرره في امرة الحاج
بركب (١٠٤ آ) الحمل ، وعين دولات باي قرموط والي القاهرة بالركب الأول . -
وفيهِ عرض السلطان المسكر وعين تجريدة إلى قصره نائب الشام ، وقد تهادى
على المصيان والخروج عن الطاعة ، واضطربت أحوال البلاد الشامية ، وانقطعت
سائر الأصناف التي كانت تجلب من البلاد الشامية كاللاورد والورق الشامي والفاكهة ،
وغير ذلك مما كان يجلب من الأصناف الشامية .

فلما عرض المسكر عين نحو من ألفين مملوك ، ومن الأمراء المقدمين أحد عشر
أميرا ، وكان الباش على هؤلاء الأمراء المقر السيفي طومان باي أمير سلاح وأمير
دوادار كبير ووزير وأستادار وكاشف الكشاف ومشير الملكة وما مع ذلك من
الوظائف ، فلما عرض السلطان المسكر نفق عليهم وبعث نفقة الأمراء ، ثم استحثهم
على الخروج بسرعة ورسم لهم بأن يخرجوا شيئا بعد شيء ؛ فلما كان يوم الثلاثاء
سادس عشرين هذا الشهر خرج جماعة من الأمراء المعينين في هذه التجريدة ، فكان
جاليش المسكر قيت الرجبي حاجب الحجاب ، وأصطمر من ولي الدين أحد المقدمين ،
وسودون الدواداري أحد المقدمين ، وخرج صحبتهم خمسمائة مملوك من المالك السلطانية .

(٥) يقيموا : يقيمون . (١٥) ألفين : كذا في الأصل .

وفيه قرّر الأمير قانى بردى اليوسفى فى شادية الشراب خاناه مع أمرة أربعين ،
 وكان من خواص الأمير طومان باى الدوادر ، وقرّر قلع فى نيابة البيرة ، [ثم]
 لم يتمّ له ذلك ، وقرر فى نيابة الإسكندرية ، ثم نفى فى دولة العادل طومان باى إلى ٣
 البلاد الشامية . - وفيه قرّر الشيخ صنطباى فى نظر المدرسة السنقرية التى يباب
 النصر ، وأخرج النظر عن قاضى القضاة الشافى زكريا بأمر السلطان . - وفيه قرر
 أنصبأى الذى كان شاد الشرايخانة فى تقدمة ألف ، وكان من خواص الأمير ٦
 طومان باى ومن أعز أصحابه . - وفيه قرّر طقطباى فى كشف أسيوط ، وصرف
 عنها يوسف التوام ، وقرّر جانم الحمدي الحشقدى فى كشف منفلوط ، وصرف عنها
 جندر السيفى أربك اليوسفى . ٩

وفى ربيع الآخر فى يوم السبت مستهلّه خرج من تميّن من التواب المقدم ذكرهم ،
 وهم : قرقاس من ولى الدين الميّن لنيابة حلب ، وبرد بك الطويل الميّن لنيابة
 طرابلس ، وقانصوه بن سلطان جركس المعروف (١٠٤ ب) بابن اللوقا الميّن لنيابة ١٢
 حماة ؛ وقد تعيّن نيابة الشام لدولات باى نائب حلب بأن ينتقل إلى نيابة الشام ،
 عوضا عن قصره إذا قبض عليه ، فكانت هذه التراتيب كلها فى البطال ، وآل الأمر
 بخلاف ذلك كما يأتى الكلام عليه فى موضعه . ١٥

وفيه فى يوم الاثنين رابعه خرج المقر السيفى طومان باى أمير سلاح وأمير
 دوادر كبير وما مع ذلك ، فلما خرج طلب طلبا حافلا حتى رجّت له القاهرة ،
 فلما طلع إلى القلعة أفاض عليه السلطان خلعة حافلة ، وهو فوقانى حرير أزرق ١٨
 بوجه حرير أخضر بطرز يلبغاوى عريض ، قيل كان طوله ثلاثة أذرع فى عرض
 ذراعين ونصف من الذهب الخالص البندقى ، وكان ما دخل فيه ثمانمائة مثقال ،
 بحيث لم يعمل قط مثله ولا سمع بمثل ذلك ؛ وكان الأشرف جان بلاط يقاتل على ٢١
 رضا الأمير طومان باى بكل ما يمكن ، ومع هذا كان الأمير طومان باى يضمه له
 كل سوء ، فكان لسان حال الأشرف جان بلاط يقول :

أقاسى النون لنيل الننى وبأليت هذا بهذا ينى ٢٤

وكان الأمير طومان باى باغى على الأشرف حانبلاط ، فكان كما يقال فى الأمثال :

والفسد بالمهد قبيح جدا شرّ الورى من ليس يرعى عهدا

٣ فلما خرج كان صحبتة من الأمراء المقدمين الأمير قانى باى قرا الرماح أمير آخور

كبير ، والأمير قانصوه الفورى رأس نوبة النوب ، والأمير أزدمر من على باى أحد

المقدمين والأمير أنص باى أحد المقدمين ، فكانوا بمن تقدمهم من الأمراء المقدمين

٦ أحد عشر أميرا ، ومن الأمراء الطبلخانات والعشرات نحو من عشرين أميرا ، ومن

الماليك السلطانية زيادة على أثنى مملوك ، فكانت هذه التجريدة المينة إلى قصره

نائب الشام تعادل تجاريد ابن عثمان ، وقد تقدم ذكر ذلك فى أخبار الأشرف قايتباى .

٩ فلما شقّ الأمير طومان باى من القاهرة كان له يوم مشهود ، وارتفعت الأصوات

له بالدعاء ، وكان محببا للناس ولا سيما العوام ، فلمج الناس بأنه سيمود سلطانا وكان

الأمر كذلك ، فاستمرّ فى ذلك الموكب حتى نزل بالريدانية فى الوطاق ، فأقام به أياما

١٢ ورحل ؛ وقيل إن السلطان (١٠٥ آ) نزل إليه هناك فى الخفية تحت الليل ، وجلس

عنده وتحدثا فى ما يكون من أمر قصره ، فأنتم عليه السلطان بأشياء كثيرة من

مال وقماش وتحف ، حتى أحجار حيوانية لمنع السموم القاتلة ، ثم ودّعه وطلع إلى

١٥ القلعة ، وكان يظنّ أن الأمير طومان باى ناصح له ، وكان الأمر بخلاف ذلك .

ومن الحوادث فى هذا الشهر أن السلطان تغيّر خاطره على القاضى كاتب السرّ

بدر الدين بن مَرْهَر ، فقبض عليه وعلى حاشيته ، وسجنه بالمرقانة ، وضربه ضربا

١٨ مبرحا غير مأمرة ، وسبب ذلك أن السلطان لما صادر الناس كما تقدم نذب القاضى بدر

الدين إلى ذلك ، فأظهر من المسف والظلم والتشويش على الناس ما يطول شرحه ،

وأظهر النتيجة فى ذلك للأشرف جان بلاط فإنه كان صهره ، فكثرت الدعاء عليه

٢١ وأخذ الله من الجانب التى يأمن إليه ، كما يقال :

فكان كالتمنى أن يرى فلما من الصباح فلما أن رآه عمى

ثم إنه قرّر عليه مالا وأقام فى المرقانة حتى يردّ ما تقرر عليه من المال ، وكان

من أمره ما سنده في موضعه . - فلما كان يوم الخميس ثاني عشره أخلع السلطان على صلاح الدين بن يحيى بن شاكر بن الجيعان وقرّره في كتابة السرّ ، عوضا عن بدر الدين بن مظهر بحكم صرفه عنها ، وهذه آخر ولايته لكتابة السرّ ولم يعد إليها ٣ بدر الدين بعد ذلك . - وفي ليلة الجمعة ثالث عشره خُسف جرم القمر خسوفا تاما ، وأقام في الخسوف إلى قريب التسييح ، وغرب وهو مكسوف .

وفيه توفى القاضي جلال الدين بن الأمانة أحد أعيان نواب الشافعية ، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز ، وكان عالما فاضلا رئيسا حشما ، فاته منصب القضاة غير ما مرة ، وهو آخر من يروى صحيح مسلم عن الزبني الزركشي بالسمع ، وكان قد طعن في السنّ وقارب التسمين من العمر . - وفيه نودي من قبل السلطان بإبطال ما تجدد من المكوس ، والمظالم الحادثة من بعد موت الأشراف قايتباي . - وفيه عاد تمرباي خازندار الأمير طومان باي الدوادار ، وكان قد توجه إلى قصره نائب الشام ليشي بينه وبين السلطان بالصلح ، فلم يوافق (١٠٥ ب) قصره على ذلك . - ١٢ وفيه توفى أصباي الأشرفي قايتباي وكان أحد الدوادارية ، وكان لا بأس به .

وفي جمادى الأولى ، في يوم الاثنين خامسه ، وصل هجان من الشام ، وعلى يده مكاتبات إلى تمرباي دوادار طومان باي ليفرقها على الأمراء ، فكان من مضمونها أنه قد تسلطن بالشام ، وتلقب بالملك المادل ، فاستفاض هذا الكلام بين الناس وفشا ؛ فلما فرق تمرباي المكاتبات على الأمراء ، فخاف على نفسه ، ففرّ تحت الليل وسرّ الله عليه حتى خرج من القاهرة . ١٨

ثم بعد أيام جاءت الأخبار مفصلة بصحة ما جرى ، وهو أن المسكر لما وصل إلى الشام نزل في مكان يستمى سمسع بالقرب من دمشق ، فركب قصره نائب الشام في نفر قليل من عسكره وأظهر أنه طائع ، فاطمأن إليه المسكر ، وكان غالب الأمراء خشداشينه ، فلما حضر إليهم دخل هو وإياهم إلى الشام واجتمعوا في القصر الأبلق الذي هناك بالميدان ، وحضر قصره نائب الشام وذكروا له أن يطلع إلى القلعة ويقرأ مراسيم السلطان ، فطلع واطمأنا الأمراء إلى القلعة ، فعند ذلك قرأوا عليه مراسيم ٢٤

السلطان ، فلم يلتفت إلى ذلك ، ثم تفاوض هو والأمراء في الكلام .

ثم ثارت فتنة كبيرة بالقصر ، وأمر قصره بالتبض على جماعة من الأمراء ،
 ٣ وم : قرقاس من ولى الدين الذى قرّر في نيابة حلب ، وأزدر من على باى أحد
 الأمراء المتقدمين ، وخاير بك أخو قانسوه البرجى أحد الأمراء المتقدمين ، وسودون
 الدوادارى أحد المتقدمين ، وقانسوه بن سلطان جركس الذى قرر في نيابة حماة ، وقبض
 ٦ على آخرين من الأمراء الطبلخانات والعشرات ، فلما قبض عليهم قيدهم وسجنهم
 بالقلمة بدمشق .

ثم في أثناء ذلك حضر إلى دمشق دولات باى نائب حلب ، وكان يدعى أنه أخو
 ٩ الأمير طومان باى ، فلما حضر تعصب قصره للأمير طومان باى وتكلم في سلطته ،
 فأحضر قضاة الشام وكتب صورة محضر في خلع الأشرف جان بلاط من السلطنة ،
 وشهد فيه جماعة من الخاصكية بأشياء توجب الخلع ، فخلع من السلطنة ، وبايعوا
 ١٢ طومان باى بالسلطنة من غير خليفة ، وتلقب بالملك العادل أبو النصر ، وأحضر له
 شعار الملك فأفيض عليه ، وقبل له الأمراء الأرض ، فأول من قبل له الأرض قصره
 نائب الشام ، ثم بقية الأمراء شيئاً فشيئاً .

١٥ فلما تم أمره في السلطنة عين الأتابكية (١٠٦ آ) بمصر إلى قصره نائب الشام
 وعين نيابة الشام لدولات باى نائب حلب ، وعين نيابة حلب إلى أركاس من ولى
 الدين ، وعين نيابة طرابلس لبرد بك الطويل ، وعين نيابة صفد لجانم ، وقرّر قيت
 ١٨ الرجبى في أمر السلاح عوضاً عن نفسه ، وقرّر قانسوه النورى في الدوادارية الكبرى
 والوزارة والأستادارية وكشف الكشاف عوضاً عن نفسه ، وقرّر قانك نائب
 الإسكندرية في الرأس نوبة الكبرى ، وقرّر أسطمر من ولى الدين في الحجوبية
 ٢١ الكبرى ، وعين عدة تقادم ألف وأمریات طبلخانات وعشرات لجماعة من عصيته؛
 ثم إنه رسم بشنق أحد مشايخ المربان من أولاد ابن نبیمة ، وشنق شخصاً من مشايخ

(٢) قصره : أضيف بعدما في ف : والأمير طومان باى : (٨-٩) نائب حلب ...
 طومان باى : في ف : ابن الكاس نائب حلب الشهير بأخى العادل وأحضر له شعار الملك .

بنی حرام ، يقال له ثابت ؛ فلما تم أمره فی السلطنة خطب باسمه علی منابر دمشق ، ثم أخذ فی أسباب التوجه إلى مصر .

- ٣ فلما طرق الأشرف جان بلاط هذه الأخبار اضطربت أحواله وضاعت به الدنيا بما رحبت ، ثم أخذ فی أسباب تقرير الوظائف للأمراء الذین بمصر ، عوضا عن من أظهر المصیان بدمشق ، فاستمال قلوبهم حتی يكونوا له عوناً ويدخلوا تحت طاعته ، فأحضر لهم المصحف المماني وحلّف علیهم سائر الأمراء من كبير وصغير ، بعد صلاة الجمعة ، بحضرة الخليفة المستمسك بالله یعقوب والقضاة الأربعة ، وكان قاضي القضاة الشافعي عبد القادر بن النقیب ألف صورة أیمانات مغلفة بالله ، وبالمصحف وبالبحر وبالعتق والطلاق الثلاثة وغير ذلك من التأكيد فی الأیمان المغلفة ، وكتب ذلك فی ٩ سجلّ ودفعه إلى صلاح الدین بن الجیمان كاتب السرّ ليحلّف به الأمراء ، وكان هذا سببا لا انتقام العادل من ابن النقیب ، فلما حضر إلى مصر وتم أمره فی السلطنة ، فجری علی ابن النقیب منه أمور مهولة يأتي الكلام علیها فی موضعه . ١٢

- فلما تكامل المجلس حلّف الأمراء بمعنی ذلك الإیمان التي تقدّمت ، فخلعوا أنهم لا يخونوا ولا يندروا ولا يعيّلوا مع العادل إذا حضر ، فخلعوا علی ذلك ، ثم أحضر لهم عدة تشاريف ، فأخلع علی قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي وقرّره فی أمره السلاح ، ١٥ عوضا عن طومان باي بحكم سلطنته بدمشق ، وقرّر (١٠٦ ب) خشكلدي اليسقي الظاهري خشقدم فی أمره مجلس ، عوضا عن قانصوه البرجي بحكم انتقاله إلى أمره السلاح ، وقرّر مصر باي فی الدوادرية الكبرى ، عوضا عن طومان باي بحكم سلطنته بدمشق ، وقرّر سييای نائب سيس فی الأمير آخورية الكبرى ، عوضا عن قاني باي قرا الرماح بحكم عصيانه مع طومان باي ، وقرّر سودون المجمي فی الرأس نوبية الكبرى ، عوضا عن قانصوه النوري بحكم عصيانه مع طومان باي ، وقرّر ٢١ برد بك المحمدي الأينالي فی حجوبية الحجاب ، عوضا عن قيت الرجبي بحكم عصيانه

(١) بنی حرام : كذا فی ف ، وفي الأصل : بنی جرم . (٤) الذین : الذي .

(٢٠) الرماح : قلا عن ف ، وتنقص فی الأصل .

مع طومان باى ، وقرّر قصره الصغير فى ولاية القاهرة ، وقرّر تانى بك الأيچ فى شادية الشراب خاناه ، وقرّر آقبای الأشقر الطويل فى تجارة المالك ، وقرّر تمر باى الطويل فى أستاذارية الصحبة ، وقرّر جان بردى رأس نوبة ثانى ، وأنتم بتقدم ألوف على جماعة من الأمراء ، منهم : بيبردى الفهلوان ، وأزبك المسكحل ، وخشكلى الذى كان أستاذار الصحبة ، ودولات باى قرموط الذى كان والى القاهرة ، وأرزمك الناشف ، وتمر از جوشن ، وتمر الزردكاش ، وآخرين من الأمراء ، عوضا عن خامر مع طومان باى .

ثم فرق عدة أقاطيع على الخاصكية ، عوضا عن كان حبة طومان باى بالشام ؛ ثم أخذ فى أسباب تحصين القلعة ، فركب حولها المسكحل المقررة بالدافع ، وأصلح سورها وأبراجها ، وبني فوق سلم المدرج بابا وهو الموجود الآن ، ثم بنى برجا محيطا على باب السلسلة فبناه بالحجر الفصّ ، وصنع فيه مراى وأبواب صفار ، ثم سدّ باب الميدان ، وباب حوش العرب ، وباب الاسطبل الذى عند الصرّة ، وصار ينزل فى النهار مرتين يكشف على المهارة بنفسه ، ثم رسم بهدم مدرسة السلطان حسن ، فهدم منها بعض شىء من وراء ظهر محراب القبة ، وأقاموا يهدمون فيها ثلاثة أيام فلم يقدروا على هدم ذلك ، فحكّم الأمير تغرى بردى الأستاذار مع السلطان فى عدم ذلك ، فرجع إليه السلطان وترك الهدم عنها ، وقد تأسف الناس على هدمها لأن لم يعمر فى الدنيا مثلها ، ولو هدمها ما كان يفد من هدمها شىء وما كان يقدر على هدمها ، فكان ترك ذلك أوجب ، وقد ظهر عجزه عن ذلك ، وفى هذه الواقعة يقول شيخنا عبد الباسط بن خليل الحنفى ، وهو قوله :

(١٠٧) هُتِكت قبة الحسن وانتفى وصفها الحسن

٢١ إن فى ذا لَمِبرة لكن المستفيق من

وقال محمد بن قانصوه بن صادق :

(٦) وآخرين : فى ف : وقرقاس الشرق ، وخير بك الكاشف ، وغير ذلك .

(١١) بالحجر الفصّ : بالفص الحجر . (١٤) يهدمون : يهدموا .

حسن السلطان قد هُتكت خيفة المحذور فبته
تمس الراضى بذنا وغدت مثلها فى الهتك حرمة

- ٣ ثم إن السلطان نقل إلى القلعة أشياء كثيرة من الملىق والبسائط والجبن وغير ذلك من الاحتياج ، ثم ملأ الصهاريج التى بالقلعة ، ونقل إليها أشياء من احتياج الطبخ ما يكفى المحاصرة فوق الشهرين ، ثم نادى فى القاهرة بإصلاح الدروب وإصلاح أبواب المدينة ، فاضطربت الأحوال وتزايدت الأهوال وكثر القيل والقال ، ووزع الناس قاشهم فى الخفاء ، وظن كل أحد أن هذه فتنة مهولة لاتنجلى إلا عن أمور شتى ، وصار الناس فى رعب من ذلك ، وقد اشتد الأمر جدا .
- ٩ ثم إن السلطان قبض على إسماعيل بن زامل وشنقه على باب الميدان ، وسبب ذلك أنه لما هرب عمر باى خازندار طومان باى الذى تسلطن بالشام ، كيف مكّنه من أن يتوجه إلى الشام وما أعلم السلطان بذلك ، فشنقه لأجل ذلك وصار له ذنب كبير ؛
- ١٢ ثم إن السلطان أراد أن يقبض على الأمير طراباى ، وعوقه بالقلعة ساعة ، ثم بداه ترك هذا الأمر .

- ثم إن السلطان رسم بقطع سلام مدرسة السلطان حسن ، وأمر بنقض أما كن من دار يشبك الدوادار ، ونقل إلى القلعة أخشاب كثيرة ، صنع منها طوارق وسلام خشب وغير ذلك من آلة الحرب ؛ ثم فتح الزردخاناه وفرّق منها على جماعة من الجند عدة سيوف وزرديات ولبوس وبكاتروقى ونشاب وغير ذلك ، ثم فرّق عليهم عدة خيول خاص ، وأرضى المسكر بكل ما يمكن من الإنعام حتى تمتنى كل بقائه ولم يفد من ذلك شيء ، فكان كما يقال :

إذا طُبع الزمان على اموجاج فلا تطمع لنفسك فى اعتدال

- ٢١ وفى جمادى الآخرة ، فى يوم الأربعاء مستهلّه ، أخلع السلطان على الأمير عبداللطيف الطوائى ، وقرّره زماما وخازندارا كبيرا ، عوضا عن جوهر المينى بحكم وفاته كما تقدّم . - وفيه توفى الشيخ الصالح (١٠٧ ب) المتقدّم بالجانب سىدى عبيد القفاص ، وكان من الصالحين . - وفى يوم السبت رابعه جاءت الأخبار بأن المادل طومان باى

خرج من الشام ، هو وقصروه نائب الشام ، ودولات باى نائب حلب ، وجماعة من النواب ، والتف عليهم الجمّ الفغير من عسكر الشام وعربان جبل نابلس والمشير وغير ذلك ، وقد وصل إلى غزة . ٣

فلما تحقق السلطان ذلك علّق الصنجق السلطاني على باب السلسلة ، ونادى للمسكر بأن الطائع يطلع إلى القلعة ومعه آلة السلاح ، وأن سائر الأمراء تطلع إلى القلعة ؛ ثم رسم لأقارب الخليفة بأن يطلّموا عنده إلى القلعة كبارهم وصغارهم ، ثم رسم لقاضي القضاة بأن يطلّموا إلى القلعة ، وكذلك سائر المباشرين من أرباب الوظائف يطلّموا إلى القلعة أجمعين ، فامتثلوا ذلك وطلّموا إلى القلعة وأقموا بها ، واحتاط في الأمور بكل ما يمكن ، ولم يند من ذلك شيء ، فكان كما يقال :
إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده ٦

فلما كان يوم الخميس تاسعه وصل المادل بمن معه من المسكر إلى خاقانة سرياقوس ، ودخل أوائل عسكره إلى القاهرة ، فاجت المدينة واضطربت ، وقلق الأشراف جان بلاط وضائق عليه الدنيا بما رحبت ، فكان كما قيل في المعنى : ١٢

قد كان رجف في ليالى وصله
قلب فكيف يكون عند سدوده

ثم جاءت الأخبار بوصول عسكر المادل إلى المطرية ، فخرج إليه بعض المالك السلطانية واتفقوا معهم هناك قتال هين ، فقرّ منهم أزيك النصراني ودخل تحت طاعة المادل وقبّل له الأرض ، فأخلع عليه المادل هناك وقرّره وإلى الشرطة بالقاهرة ؛ ثم إن بعض المالك توجه إلى بيت المادل الذي كان ساكنًا به ، وهو بيت الظاهر تمرينا التي عند سوق السلاح بالقبر ، فأحرقوا مقعده ومبيته ونهبوا منهم بعض أثاث . ١٥

فلما كان يوم السبت حادى عشره كان دخول المادل طومان باى إلى القاهرة ، فدخل من باب الفتوح ورفع على رأسه صنجق خليف ، وكان معه من الأمراء : قانى باى قرا الرماح أمير آخور كبير ، والأمير (١٠٨ آ) قانصوه التورى رأس نوبة النوب ، وقد قرّر في الدوادية الكبرى بدمشق ، والأمير قيت الرجبى حاجب الحجاب ، ٢١ ٢٤

والأمير أسطمر من ولى الدين أحد الأمراء المقدمين ، وغير ذلك من الأمراء
الطبلخانات والمشرات ، وكان معه من النواب قصره نائب الشام ، ودولات باى
نائب حلب ، وبرد بك الطويل نائب طرابلس ، وجانم نائب حماة وغير ذلك من ٣
الجند والعربان والمشير .

فشق من القاهرة وارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وكان محبباً للناس قاطبة ،
فنادى بالأمان والاطمان والبيع والشراء ، وأن لا أحد يشوش على أحد من ٦
الرية ، فزايدت له الناس بالأدعية السنية ، وكان الناس يظنون أن العادل طومان
باى إذا دخل إلى القاهرة تخرب عن آخرها ، بسبب ما يقع من الفتن ، وأن الأمر
يطول في ذلك ، فما حصل إلا كل خير ، وانفرج الأمر عن قريب . ٩

فاستمر العادل طومان باى في ذلك الموكب ، وكان له يوم مشهود ، حتى توجه
إلى بيت تانى بك قرا ، الذى عند حمام الفارقانى ، فنزل به ، ونزل قصره بالأزبكية
بدار الأتابكى أوزبك ، ونزل دولات باى نائب حلب بجامع شيخوا ، ونزل نائب ١٢
طرابلس بدار أوزبك اليوسقى أمير مجلس كان ، الذى بدرب ابن البابا ، وتوزعوا
الأمراء والنواب الذين حضروا محبة العادل كل أحد في مكان ، بالقرب من الصليبية .
ثم تار الحرب بين الفريقين وعظم الأمر جدا ، وكان القائم بأمر الحرب لنصرة ١٥
العادل ، قصره نائب الشام ، فأمر بحفر خنادق في الطرقات ، فحفر أربعة خنادق ،
خندقا برأس الرملة عند سويقة عبد النعم ، وخندقا عند حدره البقر ، وخندقا عند
باب الوزير ، وخندقا برأس جامع أحمد بن طولون . ١٨

ثم إن العادل أحضر عدة أخشاب لاطات وجزم وصواري ، وأحضر جماعة
النجارين ، فصنعوا منها عدة طوارق وسلام ، وشرعوا في عمل مناجنيق ، وسدوا
عدة أبواب في أماكن شتى ، وظنوا أن هذه الفتنة يطول أمرها ، ففي اليوم الثالث ٢١
من المحاصرة ملك قصره مدرسة السلطان حسن ، وركب عليها الكاحل

(١٤) الذين : الذى . (١٦) الطرقات : أضيف بعدها في ف : وولاهما سورا من

الحجارة . (٢١) أماكن شتى : أضيف بعدها في ف : وبنوا عليها دروبا وصاروا يلقونها .

(١٠٨ ب) المعثرة بالمدافع ، ووقف بها الرماة وأرموا على من بالقلمة بالبندق الرصاص ، فقتل ممن كان بالقلمة جماعة كثيرة وجرح آخرون ، ففتر عزمهم عن القتال ، وبانت الكسرة على الأشرف جانبلاط ، ولم يكن عنده بالقلمة من الأمراء سوى : الأتابكي تاني بك الجمالي ، والأمير طراباي ، والأمير مصر باي ، والأمير قانصوه الحمدي البرجي ، وخشكلكدي اليبسقي ، وآخرون من الأمراء القدمين وغيرهم .

وكان بعض الأمراء أشار على السلطان جانبلاط لما وصل العادل إلى المطرية ، بأن يخرج إليه الأتابكي تاني بك الجمالي ، وآخرون من الأمراء ، ويحاربونه قبل أن يدخل إلى القاهرة ويتمكن منها ، فلم يوافق على ذلك جماعة من الأمراء ، وكان هذا عين الصواب ، كما يقال في المعنى :

واتمير الفرصة إن الفرصة تصير إن لم تنتهزها غصة

واسبق إلى الأجود سبق الناقد فسببك الخضم من المكائد

ثم إن العادل قصد أن يحضر جماعة من فرسان عربان الشرقية يقاتلون معه كما فعل أقبردي الدوادار ، فلم يوافقوه الأمراء على ذلك ، وقالوا : هذا يحصل منه غاية الفساد ، فترك ذلك - فلما كان يوم الاثنين ثالث عشره اشتد الحرب بين الفريقين ، وحصل بينهما واقعة مهولة بباب الوزير ، فخرج فيها شخص من الأمراء الطبلخانات يقال له تمر باي الطويل أستاذار الصحبة ، فلما جرح أغمى عليه فسقط عن فرسه ، فأخذوا لبسه وسلاحه وفرسه وحمل إلى داره فمات بعد أيام .

وفي ذلك اليوم تقنطر الأمير مصر باي الدوادار بالتبانة ، وأخذوا فرسه من تحتها ، فنجبا بنفسه وهرب ؛ وجرح في ذلك اليوم جماعة كثيرة من الفريقين ، وقتل في ذلك اليوم أيضا الأمير قانبك نائب الإسكندرية أحد الأمراء القدمين ، وكان من

(١) بها الرماة : في ف : بهافي أبواب الرماة . (١) بالبندق : في ف : بالسقيات والبندق .

(٥) اليبسقي : أضيف بعدها في ف : ونائب سيس سيباي .

(٢١) القدمين : أضيف بعدها في ف : قتل بكفية .

عصبة الأمير آقبردى الدوادار ، وحضر إلى القاهرة محبة قصره نائب الشام ، وكان مقيا بالشام ، وقتل جماعة من الخاصكية في ذلك اليوم .

- ٣ وفى يوم الأربعاء خامس عشره استمرّ الحرب نائرا بين الفريقين إلى يوم الخميس سادس عشره ، فنفق العادل (١٠٩ آ) طومان باى على المسكر الذى من عصيته جامكية شهر ، فصار الأشرف جان بلاط ينفق الجامكية بالقلمة على من عنده من المسكر ، والعادل طومان باى ينفق الجامكية في بيت تانى بك قرا على من عنده من المسكر .
- ٦ فلما تلاشى أمر الأشرف جان بلاط ، وترشح أمر العادل طومان باى ، ولاحث عليه لوائح النصر ، فصار جماعة من الأمراء والمسكر يتسحبون من القلمة وينزلون عند العادل طومان باى ، فنزل إليه : قانصوه الفقيه ، وتمر الظاهرى ، وجان بلاط الأبح ، وتانى بك الأبح ، وغير ذلك من الأمراء والخاصكية ؛ ثم نزل في ذلك اليوم القاضى عبد القادر القسروى وتوجّه إلى عند العادل ، فأخلع عليه وأقره في نظر الجيش ، عوضا عن الشهابى أحمد ناظر الجيش ؛ وكان الأشرف جان بلاط واعد ١٢ المسكر أنه ينفق عليهم مع الجامكية ، فلم ينفق عليهم شيئا ، فقتلوا عليه وتسحب غالهم وأتى إلى العادل فترحب بهم .
- ١٥ فلما كان يوم الجمعة سابع عشره خرج العادل من بيت تانى بك قرا ، وهو راكب وعليه سلارى جوخ أحر مفرى بصمور ، وعلى رأسه تحفيفة صغيرة ، والأمراء حوله ، فتوجّه إلى جامع شيخوا وصلى به صلاة الجمعة ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وانطلقت له النساء بالزغاريت من الطيقان ، وكان له يوم مشهود ؛ فلما خطب الشرفى يحيى بن العدّاس ، خطيب جامع شيخوا ، دعا في أواخر الخطبة باسم الملك العادل ، فهى أول خطبة خطب بها باسم العادل في القاهرة ، قبل أن يخلع الأشرف جانبلاط من السلطنة ، وقد خاطر الشرفى يحيى بن العدّاس بنفسه في ذلك ، فعدّ من الثوادر ، فلما تسلمطن ٢١ العادل ، وتم أمره في السلطنة ، كتب للشرفى يحيى بن العدّاس جامكية في كل شهر ألف درهم في نظير ذلك .

وفي يوم السبت ثامن عشره ، وقت صلاة الفجر ، نزل من القلعة جماعة من الأمراء
المشترات ، منهم : جان بردى الغزالي ، وخاير بك الكاشف ، وآخرون من الخاصكية ،
فتوجهوا إلى عند العادل ؛ ثم إن الأشرف جان بلاط رسم بتفرقة الجامكية الثانية في
الاسطبل السلطاني ، وحضر هناك المسكر ومم (١٠٩ب) لابسون لامة الحرب ، فبينما
المسكر التي بالقلعة مشغولين بتفرقة الجامكية ، وإذا بالقلعة قد ماجت واضطربت ،
وثار الجمل الغفير بالرمة من المالك الذين من عصبة العادل ، فهبت الجامكية عن آخرها
التي نفقت بالاسطبل .

وكان سبب ذلك مما استفاض بين الناس أن الأشرف جانبلاط كان مقباً في مدة
حصار القلعة بالقصر الكبير ، وعنده جماعة من مشايخ الصوفية ومن يعرف بالصلاح ،
فلما ضاق الأمر على الأشرف جانبلاط قام ودخل دور الحريم ، فأبطأ فيه ساعة طويلة ،
فعمد الأمير طرا باى إلى الترس والتمجاة ونزل من القلعة وتوجه إلى عند العادل طومان باى ،
وأشاع أن الأشرف جان بلاط قد هرب من القلعة ، فلما سمع بذلك الأتابكي قصره
وكان مقباً في مدة المحاصرة في مدرسة السلطان حسن ، فحطم بمن معه من الجند ، فلك
باب السلسلة وسلم المدرج من غير مانع ، ولم يفد من تحصين الأشرف جان بلاط
شيء ، ولا من بنائه لتلك الأبراج شيء ، ولا من تركيب الكحلة الكبيرة التي
يقال لها المجنونة ، وكان هذا خذلانا من الله تعالى له ، وقد قلت في المعنى مع التضمنين :

تحصن خوفاً جنبلاط بقلعة فلم تدفع الأعداء عنه المدافع
فكانت مراميه كفارغ بتدق خلى من القتل ولكن فراقع

فلما كانت الكسرة على الأشرف جانبلاط وقع النهب بالقلعة في الحواصل
السلطانية ، فنهبوا أشياء كثيرة من قماش وسلاح وخيول وغير ذلك ، مما نقله
الأشرف جانبلاط إلى القلعة من أغنام وأبقار ، وبقسماط وسكر ، واحتياج المطبخ ،
وغير ذلك ؛ ثم إن في ذلك اليوم رسم العادل بالإفراج عن القاضي بدر الدين بن مزهر
كاتب السر ، وكان الأشرف جانبلاط سجده بالمرقانة ، وقرر عليه مالا له صورة ،
وأقام بالمرقانة مدة طويلة ، فأفرج عنه ونزل إلى داره في ذلك اليوم .

فلما حصلت هذه النصرة من غير قتال مهول ، ففند ذلك رك العادل
طومان باى من بيت ثانى بك قرا ، وعلى رأسه صنجق سبطانى ، وصمد إلى
باب السلسلة من غير مانع وملسكه ، وكان من أمر سلطنته ما سيأتى الكلام
(١١٠ آ) عليه فى موضعه ؛ ثم فى أثناء ذلك اليوم قبض على الأشرف جان بلاط ،
قيل وجد فى مكان مهجور بدور الحرم ، فمُسك من هناك ، فلما قبضوا عليه أدخلوه
إلى قاعة البحرة ، وقيدوه بقيد ثقيل ، ووكلوا به جماعة من الخاصكية ، وفيهم
شخص من ممالك آقبردى الدوادار ، فحصل للأشرف جان بلاط منه غاية البهدة
وما لا خير فيه ، فكان كما يقال فى أمثال الصادح والباغم :

عند تمام المراء يبدو نقصه وربما ضرَّ الحريص حرصه
ومنها :

كم عشتُ فى لذة عيش زَمَنِى فأصبر الآن لَهذَى الحَيَنِى

ثم نقل الأشرف جان بلاط من البحرة إلى المبيت التى بجوار المقعد الذى بالحوش ،
فأقام به نحو من ثمانية عشر يوما ، فلما كان يوم الاثنين خامس رجب توجهوا
بالمك الأشرف جان بلاط إلى السجن بشفر الإسكندرية ، فتركوا به من باب الدرفيل
وقت الظهر ، وهو مقيد وخلفه أوجاق بمنجبر ، فتوجهوا به من على المجرأة إلى البحر ،
فزل فى الحراقة وسار إلى الإسكندرية ، وكان المتسفر عليه : الأمير أنسباى أحد
المقدمين ، والأمير قان بردى أحد المشرات ، وجماعة من الخاصكية ، فتوجهوا به
إلى الإسكندرية ورجعوا .

وقيل كان سبب تأخير الأشرف جان بلاط هذه الثمانية عشر يوما ، حتى أورد
ما قرره عليه العادل من المال حتى أرضاه ، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ستة
أشهر وثمانية عشر يوما ، وكان هذه المدة فى غاية فى الضنك مع الأمير طومان باى ،
وآخر الأمر وثب عليه وخلعه من السلطنة ، وحاصره وهو بالقلمة نحو من سبعة أيام ،
فإنه دخل إلى القاهرة يوم السبت حادى عشر هذا الشهر ، وملك القلمة يوم السبت
ثامن عشره ، وتعب فى تحصين القلمة ، ونقل إليها أشياء كثيرة من كل صنف

كما تقدم وظن أن حصار القلعة يطول ، فما أفاده من ذلك شيء .

- وكان الأشرف جانبلاط أرشل ، قطيع القلب ، قليل الحظ ، عسوفظالما ، حصل
 ٣ منه في مدة سلطنته للناس غاية الضرر من المصادرات وأخذ الأموال ، ولو أقام في
 السلطنة حصل للناس منه غاية المشقة من الظلم والأذى ، فمَجَّلَ الله به ؛ ومن مساوئه
 ما وقع له مع آقبردى الدوادار ، فإنه كان أعزَّ أصحابه ، ثم أقبل عليه بعد صحابته له
 ٦ ما كأنه يعرفه .
- وكان صفته أبيض اللون ، طويل القامة ، غليظ الجسد ، مستدير الوجه ، أسود
 اللحية ، جميل الهيئة ، حسن الشكل ، تولى (١١٠ ب) الملك وله من العمر نحو من
 ٩ أربعين سنة ، وكان من خواص الأشرف قايتباى ، وساعدته الأقدار حتى تسلم
 وأقام هذه المدة اليسيرة ، وآل أمره إلى أن خنق وهو مسجون بالبرج ، كما سيأتى
 الكلام على ذلك في موضعه ، انتهى ما أوردناه من أخبار الأشرف جان بلاط وذلك
 ١٢ على سبيل الاختصار .

ذكر سلطنة العادل أبو النصر طومان باى الأشرفى قايتباى

- وهو الخامس والأربعون من ملوك الترك وأولادهم فى المدد ، وهو التاسع عشر
 ١٥ من ملوك الجراكسة وأولادهم بالديار المصرية ؛ وكان أصله جر كسى الجنس ، اشتراه
 قانسوه اليجياوى نائب الشام وقدمه مع جملة ممالك إلى الأشرف قايتباى ، فأقام فى
 الطبقة مدة طويلة ، ثم أعنته وأخرج له خيلا وقاشا وصار من جملة الممالك السلطانية
 ١٨ جمدارا ، ثم بقى خازندار كيسى فى سنة ثمان وتسعين وثمانائة ، ثم بقى أمير عشرة فى
 دولة الناصر محمد بن الأشرف قايتباى ، ثم قرّر فى نيابة الإسكندرية فى سنة اثنتين
 وتسماية ، وتوجّه إليها فأقام بها مدة يسيرة وعاد إلى مصر ، ثم بقى أمير طبلخاناه
 ٢١ دوادار ثانى فى دولة الناصر أيضا ، ثم بقى مقدّم ألف دوادارا كبيرا فى دولة الظاهر
 قانسوه ، ثم بقى أمير سلاح دوادارا كبيرا ووزيرا وأستادارا وكاشف الكشاف

ومدبر المملكة في دولة الأشرف جانبلاط .

ثم سافر إلى الشام لما عصى قصره نائب الشام ، قتل سلطان هناك وعاد وهو سلطان كما تقدم ، فلما دخل إلى القاهرة وصحبته قصره وبقية النواب ، قام قصره ٣ بنصرته قيا ما حافلا ، وصار يقف على حفر الخندق بنفسه ، ويشيل التراب بالقنف على كتفه ، هو ومماليكه ، مع الفلاء ، ونصب المساحل على مدرسة السلطان حسن ، ووقف الرماة بالبندق الرصاص ، واستمرّ يحاصر القلعة سبعة أيام ؛ فلما كان يوم ٦ السبت ثامن عشر الشهر هذا ، كسر الأشرف جانبلاط ، فحطم المادل وملك باب السلسلة من غير مانع .

فلما استقرّ يباب السلسلة قبض على قاضي القضاة الشافعي محيى الدين عبد القادر ٩ ابن النقيب ، ووكّل به جماعة من الأوجاقية ، وقرّر عليه مالا له صورة ، فزّلوا به وهو ماشى على أقدامه وحوله أوجاقية ، ورسّل قابضين عليه من أكماله ، فشقّوا به من الصليبية (١١١ آ) وهو على هذه الهيئة ، فسبّوه العوام وكادوا أن يجموه ، حتى ١٢ حماء بعض الأتراك ، واستمرّ على ذلك حتى أتوا به إلى بيت على بن أبي الجود البرددار ، وكان ساكنا في ربيع الأشرف برسباى الذى بالصليبية ، فأقام هناك في الترسيم حتى ردّ المال الذى قرّر عليه ، وكان قد بلغ المادل ما رتبّه ابن النقيب من الأقسام المنظّمة ١٥ التى حلفها الأشرف جان بلاط للمسكر ، لما بلغه سلطنة المادل بدمشق ، فأتقّم منه المادل بسبب ذلك وعزله عن القضاء ، فكانت مدّته في هذه الولاية ثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوما ، وسيمود إلى القضاء ثانيا عن قريب ، وقد قلت في ذلك : ١٨ وتوكّ أشرف منصب يا قاضيا لكن إن عدل الزمان ستُنسخ طبخوا بنار المزل قلبك بعد ذا وكذا القلوب على الناصب تطبخ ثم إن المادل طلب قاضي القضاة زين الدين زكريا ، فلما توجهوا إليه امتنع من ٢١ الحضور واعتذر متوعكا في جسده ، فلا زالوا به حتى أركبوه وطلع إلى القلعة ،

(٤-٥) يقف . . . كتفه : في ف : ينفق على حفر الخنادق وشيل التراب بالقنف على رأسه وكتفه . (١١) قابضين : كذا في الأصل . (١٣) البرددار : البرداد .

٣ فأُخلع عليه العادل وأعادته إلى القضاء ، وعزل ابن النقيب كما تقدم ؛ ثم حضر قاضى
قضاة الحنفية البرهان بن الكركى ، وقاضى قضاة المالكية عبد الغنى بن تقى ،
وقاضى القضاة الحنابلة الشهاب الشيشينى ؛ ثم حضر أمير المؤمنين أبو الصبر
الستمسك بالله يمقوب .

٦ فلما تكامل المجلس عملوا صورة شرعية فى خلع الأشرف جان بلاط ، وولاية
العادل طومان باى ، فخلع جان بلاط من السلطنة ، وباع الخليفة طومان باى
بالسلطنة ، وجدّد له مبايعة ثانية زيادة على ما بيده من مبايعته بالشام ، واستمرّ على
لقبه بالعادل الذى تلقّب به بالشام ، وكان أولا تلقّب بالملك المؤيد وهو بالشام ،
٩ ثم تحوّل لقبه إلى الملك العادل .

فلما كُسر الأشرف جان بلاط كما تقدّم ، ركب العادل من بيت تانى بك قرا
وطلع إلى القلعة ، فلما طلع لم يجلس بباب السلسلة بالمقعد الذى هناك ، بل طلع إلى
١٢ القلعة ودخل إلى القصر الكبير وجلس به ، وحضر الخليفة والقضاة الأربعة ،
ووقعت مبايعته هناك ، وأفيض عليه شعار الملك به ، واجتمع هناك الأمراء
(١١١ ب) والمسكر وأرباب الدولة قاطبة ، واستمرّ على ذلك حتى جلس على سرير
١٥ الملك ، ورفع الزردكاش الثبّة والطير على رأسه ، وكان الأتابكى تانى بك الجالى مختفيا ،
وقبل الأرض له الأمراء قاطبة .

ثم أخلع على الخليفة وكان ساكنا بالقلعة ؛ ثم قرّر قصره فى الأتابكية ، عوضا
١٨ عن تانى بك الجالى بحكم اختفائه ، فأخلع عليه فى ذلك اليوم تلك الفوقانى التى كان
الأشرف جان بلاط صنمه له عند توجهه إلى دمشق ، وكان فوقانى أخضر حرير ،
بوجه نخل أزرق ، بطرز بلبغاوى عريض ، طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين
٢١ ونصف ، قيل دخل فيه من الذهب ثمانمائة مثقال من ذهب بنادقة ، بحيث لم يعمل
مثله قط ؛ ثم قام العادل لقصره وقبل رأسه ، ونزل من القلعة فى موكب حافل ،
فتوجّه إلى الأربكية بدار الأتابكى أربك ، وكان كله عين الخداع من العادل فى حقّ

قصره ، كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه ، فكان كما يقال فى المعنى :

إذا رأيت ثنايا الليث كاشرة فلا تظنّ بأن الليث بسام

- ثم ضربت له البشار بالقلعة ، ونودى باسمه فى القاهرة ، وارتفعت الأصوات له ٣ بالدعاء ، وكان محبباً للناس ولا سيما العوام ، فزيّنت له القاهرة سبعة أيام متوالية ، وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحدّ ، حتى عدّ ذلك من النوادر الغريبة ؛ وصار كل أحد فى الفرح بسلطنته ، وانفجرت تلك الفتنة عن الناس عن قريب ، وكان ٦ يظن كل أحد بأن أمر الفتنة يطول ويتسع ، فأل الأمر إلى خير بخمود الفتنة عن قريب ، فكان كما يقال :

٩ ملك نداء المبتدا للناس والدح الخبر

أمضى لسان سيفه حكم القضاء والقدر

فلما تمّ أمره فى السلطنة ، فكان أول شيء صدر منه من الأعمال الشنيعة ، أنه

- قبض على خوند أصل باى ، أم الناصر ، وزوجة الأشرف جان بلاط ، وأخت الظاهر ١٢ قانصوه ، فوكل بها عشرة من الخدام ، وقرّر عليها نحو من خمسين ألف دينار ، وقيل عشرين ألف دينار ، فباعت أشياء كثيرة من قاشها ، وأخذت فى أسباب وزن ما قرّر عليها من المال . ١٥

ثم إنه عزل برهان الدين بن (١١٢ آ) الكركى عن قضاء الحنفية ، وقرّر بها

الشيخ سرى الدين عبد البرّ بن الشحنة ، وهذه أول ولايته لقضاء الحنفية . - وفيه

- ١٨ قرّر قرقاس المقرى فى الحسبة ، فلما قرّر بها قبض على محمد الباسطى ، الذى كان متكلما فى الحسبة فى دولة الناصر محمد بن قايتباى ، فلما قبض عليه ضربه بالمقارع فى يوم شديد البرد ، وأشهره فى القاهرة على جل ، فاطاق ذلك ومات عن قريب ، وكان من الظلمة الكبار . ٢١

وفيه أخلع على أسنباى الأصم وقرّر فى الحجوية الثانية ، وقرّر نوروز أخو يشبك

الدوادر فى الرأس نوبة الثانية ، وقرّر طومان باى الأشرفى قايتباى فى الأمير آخورية

الثانية ، وقرّر القاضي عبد القادر القصري في نظر الجيش ، وصرف عنها الشهابي أحمد بن ناظر الخاص . - وفيه رسم السلطان برّم ما فسد من حيطان مدرسة السلطان حسن في مدّة محاصرة القلعة ، فرّم ذلك جميعه . - وفيه توفي الشرفي يونس بن محمد ابن أبنك أحد الزردكاشية ، وكان لا بأس به .

وفي رجب ، في ليلة الخميس مستهلّه ، جرى من الحوادث الغريبة أن الأتابكي قصره طلع إلى القلعة ليبيت عند السلطان ، وكان يبيت بالقلعة ليلة الاثنين وليلة الخميس في تلك الأيام ، فلما طلع على جاري المادّة ، وأكل السباط مع السلطان ، وجلسوا ساعة يتحدّثون ، فقال له السلطان : والله قلبي خائف منك يا أمير كبير ، فلما صلى المشاء مع السلطان أمر بمض الخاصكية بالقبض عليه ، فأقاموه من مجلس السلطان ، وتوجّهوا به إلى المكان الذي أنشأ الظاهر قانصوه بجوار الدهيشة ، فأقام هناك أياما ، ثم أمر بمنخقه فخنق تحت الليل ، وغسل وكفن وأنزلوه من باب الدرفيل ، فدفن في تربة الصاحب خشقدم الزمام التي بالقرب من حوش العرب .

وكان قصره أميراً جليلاً مهابة مبعجلاً ، وأسله من ممالك الأشراف قايتباي ، وتولّى عدّة وظائف سنّية ، منها : نيابة حلب ، ونيابة الشام ، والأتابكية بمصر ، وكان في أيام العادل هو الأمر والنهي في الموكب ، وإذا نزل من القلعة تتوجّه معه الأمراء إلى الأذربكية ، ويقام له هناك مواكب تفوق على موكب السلطان ، ثم إنه صنع وليمة حافلة بالأذربكية ، (١١٢ ب) وجمع قراء البلد والوعاط ، وعزم على سائر الأمراء ، وعمل أسبطة حافلة جداً ، وحضر عنده أكبر الأمراء وأصاغرم وبتاوا عنده ، وأنهم في تلك الليلة على جماعة من الأمراء بخيول ومال حتى استمال قلوبهم ، وكان يوصف بالكرم الزائد مع شجاعته ، فأوعد المسكر بكل جميل فآلوا إليه ، وعوتلوا في السلطنة عليه ، فلما بلغ العادل ذلك المجلس استغنى الفرصة وبادر بالقبض عليه ، وخنقه تحت الليل ودفنه ، فكان كما يقال في الأمثال :

وانتهز الفرصة إن الفرصة تصير إن لم تنتهزها غصة

وقد قلت في واقعة قصره عدة مقاطيع منها :

عجبوا من أمر قصره الذي ملكه بالشام جهلا قد ترك
وأنى مصرأ فما نال السنى ورماء الدهر في وسط الشرك
وقولى :

كان قصره قصيرا عمره خانه الدهر فولى مسرعا
طلبوا التسليم منه فأبى ثم ما سلم حتى ودعا
وقولى :

لم ينل قصره ما أمّله من علوّ فاته في دهره
رام كيداً للمليك عادل فرماه كيده في نحره
ولكن كان المادل باغيا على قصره ، ووشّت بينهما الأعادى بالكلام ، حتى
وقع بينهما وجرى ما جرى من القتل ، وكان قصره سببا لنصرته بالشام ومصر ،
وكان يشيل التراب على كتفه مع الفملة عند حفر الخنادق وقت محاصرة القلعة عند
حضور المادل من الشام ، وما أبقي ممكنا في نصرة المادل على الأشرف جان بلاط ،
وآخر الأمر قتله ظلما ، فلم يمش بعده المادل سوى مدة يسيرة وقتل هو أيضا ، قال
الإمام على كرم الله وجهه : من سلّ سيف البنى قُتل به ، وفي الأمثال :

البنى دالا ما له دواء ليس الملك معه بقاء
وكان بين المادل طومان باى وبين قصره أيمان عظيمة ، ومواثيق وعهود ، وما
كان قصره يظنّ أن المادل يخون تلك الأيمان ، فكان كما قيل :

وحلفت أنك لا تميل مع الهوى أين اليمين وأين ما عاهدتني
وكان قصره عفيفا عن النكرات ، شجاعا بطلا سخى النفس ، (١١٣ آ)
غير أنه كان عنده بطش وخفة وسلامة باطن ، ومات وقد قارب الخمسين سنة من
العمر ، ووكزه الشيب ، فلما مات تأسف عليه الكثير من الناس ، وزال حبّ
طومان باى المادل من قلوب الناس كأنه لم يكن ، ولم يستحسن أحد منه قتله لقصره

الذى كان سببا لنصرته ، فنفرت عنه قلوب الرعية ، وكان هذا على غير القياس ، كما يقال :

- ٣ لا تشكرون امراً حتى تجربته ولا تذمته من غير تجرب
فشكركم المرء ما لم تجربه خطا وذمك المرء بعد الشكر تكذيب
- وتقرب واقعة قصره مع العادل طومان باى مما وقع لطشتمر لمحض أخضر ،
٦ وقطلوبنا الفخرى ، مع الملك الناصر أحمد بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فإن
طشتمر وقطلوبنا الفخرى كانا سببا لنصرته لما حضر من الكرك ، فلما تسلطن
قبض عليهما وقيد طشتمر وقطلوبنا ولم يرعهما ، ثم أمر بتوسيطهما عند عوده إلى
٩ الكرك ، ولم يكن لهما من الذنوب ما أوجب لذلك ، وهذه الأفعال ما تصدر إلا من
جاهل أحمق يمد من جملة المجانين ، وكانت هذه الواقعة في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ،
انتهى ذلك .

- ١٢ ثم إن العادل قبض على ينجشباى الذى كان نائب حماة ، ثم بقى مقدم ألف فى دولة
الأشرف جان بلاط ؛ وقبض على تراز جوشن أمير آخور ثانى ، ثم شفع فيه بعض
الأمراء فقرره فى حجوية الحجاب بدمشق وخرج من يومه ؛ ثم قبض على جان
١٥ بردى الفزالى كاشف الشرقية ؛ وقبض على آخرين من الأمراء المشرات والخاصكية
ممن كان من عصبة قصره . - ثم فى يوم الخميس ثامن رجب قبض السلطان على
الأمير قانصوه المسمى المعروف بالبرجى أمير مجلس ، وأمر بنفيه إلى مكة بطالا ،
١٨ فتوجه من البحر الملح ؛ ثم قبض على قليج نائب الإسكندرية ، وبعثه إلى الشام بطالا ؛
وقبض على جان بلاط الموتر الذى كان محتسبا ونفاه .

- وفيه فى أثناء هذا الشهر خرج الأشرف جان بلاط نفيا إلى ثغر الإسكندرية ،
٢١ وهو مقيد كما تقدم ، وإنما تأخر هذه (١١٣ ب) المدة بعد كسرتة ، وذلك أنه كان
مقيا فى الترسيم حتى أورد ما قرره عليه العادل من المال . - وفى يوم الجمعة عاشره
عقد للسلطان طومان باى على خوند فاطمة ابنة الملاى على بن خاص بك ، زوجة
٢٤ الأشرف قايتباى ، فمقد له عليها بجامع القلعة ، وحضر القضاة الأربعة ذلك المقعد ،

وكان يوما مشهودا .

- وفيه أنعم السلطان على قان بردى اليوسفى بتقدمة ألف ، وقرّره فى الدوادرية الثانية ، عوضا عن طراباى الشريف ، بحكم انتقاله إلى الرأس نوية الكبرى ؛
 ٣ ثم عمل الموكب وأخلع على جماعة من الأمراء ، فأخلع على دولات باى قريبه وقرّره فى نيابة الشام ، عوضا عن قصره ؛ وأخلع على جانب من قعباس بنىابة طرابلس ، عوضا عن برد بك الطويل ؛ وأخلع على سيباى نائب سيس ، وقرّره فى نيابة حماة ؛
 ٦ وأخلع على قانصوه الفاجر ، وقرّره فى نيابة صفد ؛ وأخلع على ملاج الأشرى قايتباى ، وقرّره فى نيابة القدس ؛ وأخلع على قصره الصغير ، وقرّره فى نيابة البيرة ؛ وأخلع على جانب ، وقرّره فى نيابة طرسوس ؛ فلما أخلع عليهم استحثّهم فى سرعة الخروج
 ٩ إلى محل ولايتهم فخرجوا بنير أطلاب ؛ ثم أمر بنى جماعة من الأمراء العشرات ، فننى جان بردى الغزالى ، ومسايد ، وقرقاس ، وقايتباى ، وآخرين من الخاصكية ، فتوجهوا بهم إلى نحو قوص .

١٢

- وفى يوم السبت سادس عشرينه أخلع السلطان على جانى بك السيفى أقبرى الدوادار ، وقرّره فى شادية الشراىخاناه ؛ وقرّر طوخ المحدى فى نيابة القلعة ؛ وقرّر
 ١٥ تهرباى السيفى قعباس أحد خواصه فى الخازندارية الكبرى . - وفيه أنعم على جماعة من الأمراء بتقدم ألف ، منهم : طقطباى ، وماماى جوشن ؛ ثم فى أثناء ذلك حضر خايربك أخو قانصوه البرجى ، وكان من جملة ممن سجن بقلعة دمشق مع الأمراء
 ١٨ القدم ذكرهم ، فلما حضر أنعم عليه بتقدمة ألف كما كان ؛ ثم قرّر طراباى الشريف فى الرأس نوية الكبرى ، واستمرت الأتابكية شاعرة من حين قتل قصره ، فرسم السلطان للأمر طراباى بأن يتكلم فى جهات الأتابكية إلى أن يقرّر بها من
 ٢١ يختاره .

(٢) اليوسفى : قلا عن ف ، وتنقص فى الأصل . (٤) قريبه : فى ف : الشهير بأخى

العادل . (٥) قصره : أضيف بعدها فى ف : وقرر قرقاس من ولى الدين فى نيابة حلب ،

عوضا عن دولات باى . (١٥) فى الخازندارية : من الخازندارية .

وفيه، في أواخره، عزل (١١٤ آ) السلطان القاضي الحنفى عبدالبر بن الشحنة، وأعاد البرهان بن الكركى، فكانت مدة القاضى عبد البرّ في القضاء أياما وعُزل عنها، وقد قلت في ذلك :

٣ ولوك قاضى القضاء لكن جاءوك بالزل عن قريب
فدّة الحكم منك كانت أقصر من جلسة الخطيب
٦ ولما تولى قاضى القضاء برهان الدين بن الكركى وأعيد إلى القضاء، قلت في ذلك :

بقاضى القضاء استبشرت مصر فرحة بمودته في منصب للشرائع
٩ فذ قيل من أولى بمرتبة القضا على مذهب النعمان من كلّ بارع
أشار إليه بالأيدى مليكها وأوى إليه نياها بالأصابع
وقد سى ابن الكركى في عوده إلى القضاء بمال له صورة . - وفيه اختفى شيخنا
١٢ جلال الدين الأسيوطى، وقد تطلبه السلطان ليفتك به، وكان بينهما حظّ نفس من حين كان المادل في الدوادارية الكبرى، وجرى بينهما أمور شتى يطول الكلام عليها؛ فلما اختفى قرّر السلطان الشيخ ياسين البليسى في مشيخة الخاقانة البيرونية، عوضا عن جلال الأسيوطى بحكم صرفه عنها . - وفيه جاءت الأخبار بالقبض على مغلباى دجاج حاجب دمشق، وعلى نائب قلمتها أيضا؛ ثم إن السلطان قرّر في حجوبية دمشق برد بك تفاح، وقرّر تمر من جانب الظاهري في حجوبية حلب، عوضا عن تراز جوشن، وكانت حيلة عليه، فلما خرج أرسل بالقبض عليه ومضوا به إلى القدس بطالا .

وفي شعبان كانت تفرقة السلطان لافقة البيمة على الجند، ففرّق على حكم ما تفق
٢١ الأشرف جان بلاط . - وفيه حضر قاصد على دولات وعلى يده مكاتبة إلى السلطان، تتضمن أنه أرسل يشفع في الأمير أركايس نائب البيرة، وكان قد فرّ إلى ابن عثمان، وعاد فأقام عند على دولات حتى يشفع فيه عند السلطان . - وفيه عول السلطان بأن يقبض على الأمير خشكلى البيسقى، فلما بلغه ذلك فرّ من داره واستمر مخفيا
٢٤

حتى جرى للمادل ماجرى .. وفيه طلع جهاز (١١٤ب) خوند الخاصبكية إلى القلعة،
فشق من الصليبة ، وكان له يوم مشهود .

- ٣ وفيه، في يوم الاثنين رابعه ، جاءت الأخبار من ثغر الإسكندرية بقتل الأشرف
جان بلاط ، مات خنقا وهو في البرج بالإسكندرية ، وقد أرسل المادل مرسومه في
الدسّ إلى نائب الإسكندرية بخنقه ، فخنق وهو في القيد ، وقيل لما أرادوا خنقه
أحدث في ثيابه ، وصار له شخير كالنور العظيم ، فلما مات غسل وكفن وصلى عليه
٦ ودُفن بمقابر الإسكندرية ، ثم نقل بعد موته كما يأتي الكلام على ذلك في موضعه ؛
وكان الأشرف جان بلاط ملكا جليلا ، وافر العقل ، جميل الهيئة ، وكان من
خواص الأشرف قايتباي ، وولى عدة وظائف سنية ، منها : تجارة الماليك ، وتقديم
٩ ألف ، والدوادارية الكبرى ، ونيابة حلب ، ونيابة الشام ، والأتابكية بمصر ، ثم
ولى السلطنة وأقام بها ستة أشهر وثمانية عشر يوما ، وآل أمره إلى أن مات مخنوقا ،
وقامى شدائد ومحن ، كما يقال في الأمثال :

١٢

والمرء لا يدرى متى يمتحن فإنه في دهره مرتهن

ومات الأشرف جان بلاط وهو في عشر الأربعين ، وكان أرشل قليل الحظ ،

١٥

ولما مات رثيته بهذه الأبيات :

جنبلاط بدا له طالع النحس أطرده

نجمه لاح غبرا بمكوس مؤبده

١٨

عند ما ظن أنه نال بالملك مقصده

جاء الموت عاجلا في بروج مشيده

وفي يوم الخميس سابعه صعدت خوند الخاصبكية زوجة المادل طومان باي إلى

٢١

القلعة ، فخرجت من بيتها الذي بقنطرة سنقر وهي في حفة زركش ، ومشت قدأماها

الروس النوب والحجاب والخاصكية وهم بالشاش والقماش ، ومشى قدأماها الوالى

ونقيب الجيش وعبد اللطيف الزمام وأعيان المباشرين ، منهم : كاتب السر صلاح

٢٤

الدين بن الجيمان ، وعبد القادر القسروى ناظر الجيش ، وعلاى الدين بن الصابونى

ناظر الخالص ، وبقية المباشرين قاطبة ، وأعيان الطواشية ، منهم عنبر مقدم المالك ، وآخرين من الخدام ، وكان معها من نساء الأمراء والأعيان نحو من مائتي امرأة .

٣ فلما وصلت إلى باب (١١٥ آ) الستارة ، فرشت لها الشقق الحرير تحت حافر بنال الحفّة ، ونشرت على رأسها خفاف الذهب والفضة ، وحمل الزمام القبة والطير على رأسها ، حتى جلست بقاعة العواميد ، والشبابة السلطانية عمّالة ، وكان يوما مشهودا بالقلمة ، واستمرّ المهّمّ عمال بالقلمة ثلاثة أيام ، وكان لها موكب حافل لما شقت من الصليبية ، وكان قدامها المجمع السلطاني ، والبقع وطشت وإبريق بللور ، ومدورة زركش ، ولم يتفق هذا الموكب لأحد من الخوندات قبلها ، بأنه تزل من القلمة ، وعاد لها على هذا الوجه ، سواها وخوند أصل باي أم الملك الناصر ، ولكن هذه أعظم وأضخم موكب ، وقد قلت في هذه الواقعة أبيات لطيفة في المعنى :

عادت خوند إلى سرور ثاني مذ زوجت بالمادل السلطان

١٢ في وجهها الإقبال والبشر الذي يتقاء لون به بكل لسان

طلعت كشمس الأفق ضمن محفة تجلى كحور العين وسط جنان

في موكب يحكي مواكب قيصر ضاهت على كسرى أنوشروان

١٥ لما أتت عند الصمود لقلمة نُثرت عليها الدرّ بالعقيان

عادت إلى الأوطان في بشر وفي عزّ وإقبال وصفو زمان

قالت صراتب عزّها مذ أقبلت عاد السرور بمقدم السكان

١٨ واستبشرت دارا بها سكنت وقد رقصت لها طربا على الميدان

وتبسّمت أزهار أغصان الربا فرحا بها في روضة البستان

بحر السماح غدا براحة كفها تروى المطاش بمنهل الإحسان

٢١ وتجدد من فيض النداء بمكارم فيكون منه شفاء للظمآن

فأله يكفيها مؤونة حاسد ويُطيل أياما لها بأمان

ماماس غصن في الرياض وكلّت أيدي النعام شقائق النعمان

٢٤ وقد عرضت هذه القصيدة على خوند لما طلعت إلى القلمة واستحسنتها .

وفيه أخلع السلطان على طوخ الحمدي وقرّره في نيابة القلعة ، عوضا عن طقطباى
 بحكم اختفائه. - وفيه قرّر شمس الدين أبو المنصور في كتابة الخزانة ، مشاركا لصلاح الدين
 ابن الجيمان . - وفيه قبض السلطان على القاضي ناظر الجيش عبد القادر القصروي ٣
 ووكل به ، وأخلع على القاضي شهاب الدين أحمد بن ناظر الخاص وأعادته (١١٥ ب)
 إلى نظر الجيش ، عوضا عن القصروي . - وفيه رسم السلطان للأمير خشكلى
 اليبسقى بأن يتوجّه إلى القدس بطالا ، فلما بلغه ذلك هرب وغيب من داره ، وكذلك ٦
 جماعة من الأمراء اختفوا من دورهم ، فلما غيب خشكلى اليبسقى تغيّر خاطر السلطان
 على الأمير أسطمر من ولى الدين وقصد الإخراق به ، لكونه كان صهر اليبسقى وصار
 ممقوتا عنده . ٩

وفي رمضان في مستهلّه رسم السلطان للخليفة بأن ينزل ويسكن بداره ، وكان
 الأشرف جان بلاط رسم له بأن يسكن بالقلعة . - وفي يوم الاثنين ثالثه أخلع السلطان
 على المقر البدرى بدر الدين محمود بن أجا الحلبي الحنفى ، وقرّره في كتابة السرّ بالديار ١٢
 المصرية ، عوضا عن صلاح الدين بن الجيمان ، بحكم استعفائه منها ، وقد تقدّم
 للبدرى محمود أنه ولى قضاء الحنفية بحلب غير ما مرة ، وكان والده القاضي شمس الدين
 محمد بن أجا الحلبي رئيسا حثما من الأعيان ، وولى قضاء المسكر في أيام الأشرف قايتباى ، ١٥
 وكان من خواص الأمير يشبك الدوادار ، ورأى الأوقات الجيدة .

وفيه توفى الملاى على بن الصابونى ناظر الخاص ، وهو على بن أحمد بن محمد بن
 سليمان البكرى الدمشقى الشافى ، وكان رئيسا حثما ، وولى عدة وظائف سفية ، منها ١٨
 قضاء الشافعية بدمشق ، ووكالة بيت المال ، ونظر الخاص ، وأقام به مدة طويلة ،
 ومات عن خمسة وثمانين سنة ؛ فلما مات أخلع السلطان على علاى الدين على بن حسن
 الإمام ، وكان من جملة مباشرين الخاص ، وولى نظارة الطور ، وكانت نظارة الخاص ٢١
 تميّنت إلى ناصر الدين الصفدى ، ثم تحوّلت إلى علاى الدين بن الإمام .

وفيه تفق السلطان الكسوة على المسكر على العادة . - وفيه أرسل السلطان

خلعة إلى قانصوه قرا ، الذى كان كاشف الشرقية ثم بقى نائب غزّة ، فقرّره فى نيابة حلب ، فاستعظموا عليه الناس ذلك ولاموا السلطان على هذه القملة ، فخرج إليه بالتقليد شخص من بعض الدوادارية يقال له أيدى . - وفيه قرّر فى نيابة غزّة شخص يقال له على باى السيفى يشبك ، عوضا عن قانصوه قرا ، بحكم انتقاله إلى نيابة حلب ؛ وقرّر يلباى المؤيدى فى داوادارية السلطان بدمشق ، وفى نظارة (١١٦ آ) الجيش بها أيضا ، حتى عدّ ذلك من النوادر ؛ وقرّر قانصوه الجبل فى الأنا بكية بدمشق ، عوضا عن قرقاس التمنى بحكم صرفه عنها . - وفيه توفى كسباى الغربى الأبنال أحد الأمراء العشرات ، مات فجأة ، وكان لا بأس به .

وفيه تزايد شرّ المادل وصار يكبس البيوت والحارات بسبب الأمراء الذين اختفوا ، وهم : مصرباى ، وطقطباى ، وتمرباى ، وكرتباى ، وخشكلىدى ، وآخرين ، وصار طراباى ، وأنسباى ، وييردى الفهلوان ، وقان بردى الغورى ، وأzbek النصرانى والى الشرطة ، يطوفون من بعد المشاء ومعهم المشاغل ، وعدّة وافرة من الممالك السلطانية ، فيشوشون على الناس ، ويكبسون عليهم البيوت تحت الليل ، ويسبون حريمهم ، فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ، فما عن قريب حتى هرب المادل واخفى وصاروا يكبسون عليه البيوت والحارات ، ويتطلبونه أشد الطلب ، كما تدين تدان .

وفيه حضرت إلى القاهرة زليخا خاتون ابنة خليل بن حسن الطويل ملك العراقين ، حضرت روم الحج ، فأكرمها السلطان ورسم لها بعمل يرق . - وفيه كان ختم البخارى بالقملة ، واجتمع القضاة الأربعة ، وأرسل السلطان خلف الأمير قانصوه الغورى أمير دوادار كبير ، وقيت الرجبى أمير سلاح ، وكان يوما حافلا ، فلم يحضر قانصوه الغورى ، ولا قيت الرجبى ، وقد أحسّا بالشرّ حين عول المادل على مسكهما . - وفيه دارت عدة من الطواشية على جماعة من الجند ، وأشيع بالعرض للمسكر ، وأن السلطان يقصد القبض على جماعة من الممالك فتخيّلوا من ذلك ولم يطلع أحد منهم

إلى القلعة ، وقد تغيرت عليه خواطر المسكر قاطبة . - وفيه أخرج السلطان خرجا من المالك وتمام المادية .

- ٣ واستمرّ الحال في اضطراب إلى يوم الأحد تاسع عشرين شهر رمضان ، فلبس المسكر آلة السلاح ووثبوا على العادل ، وكان القائم بهذه الفتنة قيت الرجبي ومصرياى ؛ فلما اتّست الفتنة ظهر جماعة من الأمراء المحتفين ، منهم : خشكلى البيسقى ، وجان بردى النزالى (١١٦ ب) وكان العادل رسم بنفيه إلى قوص ، ومنهم بىردى الفهلوان وآخرون من الأمراء ممن كان غتفيا .

- فلما تحقّق العادل بأن الركبة عليه نزل إلى باب السلسلة ، وعلق الصنّجق السلطاني ، ونادى للمسكر الطائع يطلع إلى القلعة ، فلم يطلع إليه أحد من الأمراء ولا من المسكر ، ولم يكن عنده من الأمراء سوى الأمير قان بردى الدوادار الثانى أحد المقدّمين ، وكان من عصيته ومن خواصه ، وقد أشيع بين الناس أنه سيوليه الأتابكية عوضا عن قصره ، وكان عنده أيضا قرقاس القرى المحتسب ، وطراباى رأس نوبة النوب ، وأنسباى ، وآخرون من الأمراء ، وبعض ممالك سلطانية .

- ١٠ فجلس في المقعد المطلّ على الرملة ، فلم يطلع إليه أحد من المسكر ، ووقع في ذلك اليوم قتال هين ، وجرح الأمير قان بردى في وجهه ؛ فلما كان وقت الغروب من سلخ شهر رمضان ، نزل الأمير قانى باى قرا أمير آخور كبير من باب السلسلة ، ومعه ماماى جوشن ، ونزل طراباى وأنسباى ، فلما رأى ذلك من كان عند العادل من الممالك السلطانية تسحبوا أجمعين ، وتمت الكسرة على العادل ، فلما دخل الليل قام ونزل من القلعة واختفى ، وكانت ليلة عيد الفطر ، فاضطربت الأحوال ولاسيا في تلك الليلة ، وقد قلت في المعنى :

- ٢١ في ليلة العيد أتى سلطاننا كل الضرر
فلم تكن كسرتة إلا كلعج بالبصر

(٨) نزل : كذا في ف ، وتنقص في الأصل .

(١٥) وقت : كذا في ف ، وفي الأصل : يوم .

وكان سبب هذه الفتنة في ليلة العيد أن قد أشيع بين الناس أن السلطان قد عوّل على مسك جماعة من الأمراء يوم العيد وهم في الجامع ، فلما بلغهم ذلك وثبوا عليه تلك الليلة ، فلما نزل من القلعة واختفى وقع النهب في الاسطبل السلطاني والركب خاناه ، فنهب منها أشياء كثيرة ، نحو من ستين ألف دينار على ما قيل ؛ فلما كان يوم العيد لم يصل أحد من الأمراء صلاة العيد ، واشتغل كل أحد بما هو فيه ، ووقع الخلف بين الأمراء فيمن يلي السلطنة ، وكان من الأمر ما سنذكره في موضعه .

فكانت مدة العادل طومان باي في السلطنة بالديار (١١٧ آ) المصرية مائة يوم سوى عنها ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، هذا خارجا عن سلطنته بدمشق ، وكان ملكا جليلا ، مهابا مبجّلا ، تولى الملك وقد جاوز الأربعين سنة من العمر ؛ وكان صفته طويل القامة ، أبيض اللون ، مشربا بحمرة ، مدور الوجه ، مستدير اللحية ، أسود الشعر ، الغالب عليه الشقرة ، وكان مليّ الجسد ، جميل الهيئة ، وافر العقل ، سديد الرأي ، غير أنه كان سفاكا للدماء ، عسوقا ظالما ، قتل الأتابكي قصروه ظلما ، وأرسل بخلق الأشرف جانبلاط وهو بالبرج ، وعوّل على خلق الظاهر قانصوه أيضا وهو بالبرج ، لكن كان في أجله فسحة ، وأغرق جماعة كثيرة من الخالصكية في هذه المدة اليسيرة ، ولو دام في السلطنة لوقع منه أمور شتى وكان يقتل غالب الأمراء وثلاث العسكر .

وكانت مدة سلطنته كلها شرورا وفتنا مع قصرها ، وآخر الأمر هرب واختفى ، واستمرّ مخفيا حتى قبض عليه وقطعت رأسه ، كما سيأتي الكلام على ذلك في موضعه ، وآل الأمر إلى أنه خلع من السلطنة ، وتسلمن بعده قانصوه النوري ، كما سنذكر ذلك في محله ، انتهى ما أوردناه من أخبار دولة الملك العادل طومان باي ، وذلك على سبيل الاختصار .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الابداع بدار الكتب ٨٤/٦٦٦

٥ - ٠٢٧٢ - ٠١ - ٩٧٧ / ISBN

	Seite.
Das Jahr 897	285
Das Jahr 898	294
Das Jahr 899	297
Das Jahr 900	305
Das Jahr 901	315
Die Regierung des Sultans an-Nāṣir Muḥammad b. Qaitbai	332
Das Jahr 902	337
Das Jahr 903	376
Das Chalifat al-Mustamsik billāh Ya'qūbs	379
Das Jahr 904	396
Die Regierung des Sultans az-Zāhir Qanṣuh	404
Das Jahr 905	424
Die Regierung des Sultans al-Aṣraf Ġānbulāt	438
Das Jahr 906	444
Die Regierung des Sultans al-ʿĀdil Ṭuman Bai	463

INHALT

	Seite:
Vorwort	v
Die Regierung des Sultans al-Ašraf Qaitbai	3
Das Jahr 873	18
Das Jahr 874	37
Das Jahr 875	47
Das Jahr 876	61
Das Jahr 877	72
Das Jahr 878	89
Das Jahr 879	95
Das Jahr 880	106
Das Jahr 881	119
Das Jahr 882	126
Das Jahr 883	144
Das Jahr 884	150
Das Jahr 885	161
Das Jahr 886	178
Das Jahr 887	191
Das Jahr 888	199
Das Jahr 889	205
Das Jahr 890	214
Das Jahr 891	222
Das Jahr 892	237
Das Jahr 893	246
Das Jahr 894	259
Das Jahr 895	268
Das Jahr 896	276

Mit besonderer Genugtuung wiederholen wir an dieser Stelle den Dank an all die Institutionen in den verschiedensten Ländern, die zur Herausgabe auch dieses Bandes der *Badā'i' az-zuhūr fī waqā'i' ad-duhūr* beigetragen und damit abermals bewiesen haben, wie sehr ihnen an einer wissenschaftlichen Zusammenarbeit über nationale Grenzen hinweg gelegen ist.

Kairo, den 10 April 1963.

MOHAMED MOSTAFA.

VORWORT

Mit dem vorliegenden Band der *Badā'i' az-zuhūr fī waqā'i' ad-duhūr* ist die Neuauflage der Bände III, IV und V der Ägyptischen Chronik des Ibn Ijās abgeschlossen. Im Vorwort zum vierten Band wurde dargelegt, aus welchen Gründen unsere Ausgabe mit diesen drei Bänden und nicht mit den beiden ersten eröffnet wurde.

Textgrundlage des dritten Bandes bildet für die Seiten 3-222 das Autograph (Fatih Nr. 4198), beendet am Sonntag, den 4. Rabi' I 913, und für die Seiten 222-477 die Handschrift Paris Nr. 1824, eine Abschrift nach dem Autograph vom 15. Muḥarram 914, deren Kolophon das Datum 28. Rabi' I 1127 trägt. Darüber hinaus wurde die Pariser Handschrift mit derjenigen der Bibliotheca Vaticana (Nr. 869) kollationiert, wodurch sich kleinere Auslassungen des zuerst genannten Codex ergänzen liessen, obgleich die vatikanische Handschrift im allgemeinen eine gekürzte Fassung bietet, ihr Schreiber bei einigen Namen und Termini technici Fehler gemacht und also den Text gegenüber dem Original verschlechtert hat.

Der Schreiber der Pariser Handschrift hat den ihm vorliegenden Text des Autographs, wie sich feststellen lässt, unverfälscht übernommen, und zwar unter Wahrung des ursprünglichen Stils, einer schlichten und einfachen Sprache, die der Ausdrucksweise des Volkes näher steht als der Hochsprache, wobei der Autor den herkömmlichen Regeln der Orthographie keine besondere Beachtung schenkt. Wie bereits im Vorwort zum fünften Band erläutert, lag uns daran, den Stil des Autors unangetastet zu lassen. Es wurden also nur offensichtliche Versehen getilgt, und zwar unter jeweiligem Hinweis im Apparat. Im übrigen wurde die Sprache des Werkes mit ihren umgangssprachlichen Ausdrücken und Formen ohne Veränderungen und Verbesserungen beibehalten, so dass man daran die Sprach- und Stilentwicklung der Zeit untersuchen kann.

بدائع الزهور في وقائع الدهور

تأليف

محمد بن أحمد بن إياس الحنفى

حَقَّقَهَا وَكَتَبَ لَهَا الْمَقْدَمَةَ وَالْفَهَارِسَ

محمد مصطفى

الجزء الثالث

من سنة ٨٧٢ إلى سنة ٨٩٠٦

(١٤٦٨ - ١٥٠١ م)



الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة

١٤٠٤ - ١٩٨٤

بدائع الرُّهُور في وقائع الدهُور

الجزء الثالث

طبعة ثالثة
مصورة من الطبعة الثانية

تصدير

بهذا الجزء الثالث من بدائع الزهور في وقائع الدهور ، أكون قد انتهيت من إعادة تحقيق ونشر الأجزاء الثلاثة - الثالث والرابع والخامس - من كتاب ابن إياس . وفيما كتبت في كلمة التصدير للجزء الرابع ذكرت الأسباب التي جعلتني أبدأ بنشر هذه الأجزاء الثلاثة أولاً ، قبل نشر الجزئين الأول والثاني من هذا الكتاب .

وقد اعتمدت في نشر هذا الجزء على مخطوطين : نقلت عن أولهما الصفحات من ٣ إلى ٢٢٢ ، وعن ثانيهما الصفحات من ٢٢٢ إلى ٤٧٧ . والمخطوط الأول (فاتح رقم ٤١٩٨) مكتوب بخط ابن إياس ، انتهى المؤلف من كتابته في يوم الأحد ٤ من ربيع الأول سنة ٩١٣ . والمخطوط الثاني (باريس رقم ١٨٢٤) أتم ناسخه كتابته في ٢٨ من ربيع الأول سنة ١١٢٧ ، ونقله عن نسخة بخط ابن إياس ، فرغ المؤلف من كتابتها يوم الاثنين ١٥ من المحرم سنة ٩١٤ . وقد راجعت متن هذا المخطوط الأخير على متن مخطوط (الفاتيكان رقم ٨٦٩) الذي نقلت عنه ما وجدته من عبارات قصيرة ، كانت قد سقطت من الناسخ في مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ ، وإن كان المتن في مخطوط الفاتيكان قد اختصر فيه ، كما أن الناسخ قد أخطأ في بعض ما نقله من أسماء أو مصطلحات ، فأورده محرراً عن الأصل .

ونلاحظ أن ناسخ مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ قد نقل المتن طبق الأصل عن نسخة المؤلف ، بما في ذلك من أسلوب لنوى خاص ، ولغة سهلة بسيطة ، أقرب إلى العامة منها إلى الفصحى ، لا يمتأ فيها المؤلف كثيراً بقواعد الإملاء .

وكما ذكرت في كلمة التصدير التي كتبتها للجزء الخامس من هذا الكتاب ، فإنني قد حاولت جهدي أن أحافظ على أسلوب الخلف ، فلم أصحح من الهنات سوى ما ثبت لي أنه قد وقع سهوا ، مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي . أما في غير ذلك فإنني تركت لغة الكتاب ، وما فيها من كلمات وقواعد عامية ، كما هي دون أى تغيير فيها أو تصحيح ، لتكون مثالا يبحثه المشتغلون باللغة وتطور أساليبها .
وإنه ليشرفى في هذه المناسبة أن أكرر الشكر للهيئات المختلفة في شتى الأقطار ، التي أسهمت أيضا في إخراج هذا الجزء الثالث من كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ، مما يؤكد ما تهدف إليه هذه الهيئات من تعاون على وثيق .

القاهرة في ١٠ من إبريل سنة ١٩٦٣

محمد مصطفى

المحتويات

الصفحة	تصدير
—	سلطنة الأشرف قايتباي
٣	سنة ٨٧٣
١٨	سنة ٨٧٤
٣٧	سنة ٨٧٥
٤٧	سنة ٨٧٦
٦١	سنة ٨٧٧
٧٢	سنة ٨٧٨
٨٩	سنة ٨٧٩
٩٥	سنة ٨٨٠
١٠٦	سنة ٨٨١
١١٩	سنة ٨٨٢
١٢٦	سنة ٨٨٣
١٤٤	سنة ٨٨٤
١٥٠	سنة ٨٨٥
١٦١	سنة ٨٨٦
١٧٨	سنة ٨٨٧
١٩١	سنة ٨٨٨
١٩٩	سنة ٨٨٩
٢٠٥	

٢١٤	سنة ٨٩٠
٢٢٢	سنة ٨٩١
٢٣٧	سنة ٨٩٢
٢٤٦	سنة ٨٩٣
٢٥٩	سنة ٨٩٤
٢٦٨	سنة ٨٩٥
٢٧٦	سنة ٨٩٦
٢٨٥	سنة ٨٩٧
٢٩٤	سنة ٨٩٨
٢٩٧	سنة ٨٩٩
٣٠٥	سنة ٩٠٠
٣١٥	سنة ٩٠١
٣٣٢	سلطنة الناصر محمد بن قايماي
٣٣٧	سنة ٩٠٢
٣٧٦	سنة ٩٠٣
٣٧٩	خلافة المستمسك بالله يعقوب
٣٩٦	سنة ٩٠٤
٤٠٤	سلطنة الظاهر قانصوه
٤٢٤	سنة ٩٠٥
٤٣٨	سلطنة الأشرف جان بلاط
٤٤٤	سنة ٩٠٦
٤٦٣	سلطنة المادل طومان باي